كلمات القرآن الكريم

من كتاب

أيسر التفاسير

للجزائري

جمع وترتيب

أبي ذر القلموني

"ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله"

هود: ٢٩

دار ابن حزم

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمات القرآن الكريم

من كتاب

أيسر التفاسير

للجزائري

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

رقم الإيداع:٢٣٣١٦\٢٠٠٩

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

جمهورية مصر العربية
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

[القمر:١٧][1].

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال القرطبي: فهل من منزجر عن المعاصي؟ وروىٰ ابن أبي حاتم عن مطر الوراق في قوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ هل من طالب علم فيعان عليه؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا ﴿١٠﴾ ، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ، ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ، ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ .

يا رب: أدعوك وأنا العبد الذليل، وأنت الرب العزيز، يا رب: أسألك من فضلك ورحمتك لي ولكل المسلمين، فإنه لا يملكها إلا أنت. اللهم بعلمك الغيب وقدرتك علىٰ الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيرًا لنا، اللهم ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنىٰ، ونسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك النظر إلىٰ وجهك، والشوق إلىٰ لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا. اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك، بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن أهلك وخاصتك. اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرًا. آمين، وصلِّ اللهم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

❁❁❁❁

رجـاء

أرجو الله الالتزام بنهج كتبي كلها، والدقة عند طباعتها، فقد أضاف البعض إلىٰ عنوان كتاب «ففروا إلىٰ الله». وهو «ففروا إلىٰ الله» أضاف﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ، وأضاف البعض الآخر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أضاف جملة أخرىٰ ليست من كتاب الله ولا من سنة رسولهﷺ ، ونقل البعض الهدف من الكتاب ووضعه في أول صفحة، وأدخل عبارة (من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن وليتق الله فيه) أدخلها داخل الكتاب في الهامش، وكتب البعض علىٰ الكتاب (حقوق الطبع محفوظة) والكتاب مكتوب عليه العبارة السابقة (من أراد أن يطبعه...) وقام البعض بجمعه مرة أخرىٰ -جزاه الله خيرًا- ولكن مع وقوع أخطاء كثيرة، وجزىٰ الله خيرًا كل تاجر يسر علىٰ الناس وصول الكتب الشرعية إليهم ورفق بهم.

❁❁❁❁

خير فاتحة في التفسير

مقدمة تفسير ابن كثير

قال الشيخ الحافظ (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير) رحمه الله تعالى ورضي عنه:

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾. وافتتح خلقه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ذكر مآل الجنة وأهل النار: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ فله الحمد في الأولىٰ والآخرة، أي: في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾. والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وختمهم بالنبي الأمي، العربي المكي، الهادي لأوضح السبل، أرسله لجميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بَعْثته إلىٰ قيام الساعة كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقال تعالىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: «**بعثت إلىٰ الأحمر والأسود**» فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلىٰ جميع الثقلين: الإنس والجن، مبلغًا عن الله عَزَّوَجَلَّ ما أوحاه إليه من الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾.

فالواجب علىٰ العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝١٨٧﴾ فذم الله أهل الكتاب بإعراضهم عن كتاب الله، وإقبالهم علىٰ الدنيا وجمعها.

فعلينا أن ننتهي عما ذمهم الله تعالىٰ به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؟ الآية.

ففي ذكره تعالىٰ لهذه الآية تنبيه علىٰ أنه تعالىٰ كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يحيي القلوب بالإيمان، ويلينها بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسئول أن يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم.

فإن قال قائل: فما أحسنُ طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكانٍ فإنه قد فسر في موضع آخر.

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[١]. يعني: السنة المطهرة.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن من القرآن، فإن لم تجده فمن السنة، وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلىٰ أقوال الصحابة، فإنهم أدرىٰ بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفَهْم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود، فقد قال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»[٢].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتىٰ يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا.

ومنهم عبد الله بن عباس الحبرُ البحرُ، ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**».

وقد قال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس».

وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين علىٰ الصحيح، وعُمِّرَ بعده ابن عباس ستًّا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟

ولهذا غالب ما يرويه السُّدِّي الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس. ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٣].

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وهي علىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه فذاك مردود.

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود عن المقدام بن معديكرب.

(٢) رواه ابن جرير الطبري عن مسروق عن عبد الله بن مسعود.

(٣) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلىٰ أمر ديني.

فصل

إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلىٰ أقوال التابعين كـ (مجاهد بن جبير) فإنه كان آية في التفسير فقد قال: «عرضتُ المصحف علىٰ ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلىٰ خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»، **ولهذا قال سفيان الثوري**: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُك به. وكـ (سعيد بن جبير) و(عكرمة مولىٰ ابن عباس) و(عطاء بن أبي رباح) و(الحسن البصري) و(مسروق بن الأجدع) و(سعيد بن المسيب) و(قتادة) و(الضحاك) وغيرهم من التابعين ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ، حسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا، وليس كذلك فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار**»(١). ولقوله ﷺ: «من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ»(٢). أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس علىٰ جهل فهو في النار، ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم».

وروىٰ أنس عن عمر بن الخطاب أنه قرأ علىٰ المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلىٰ نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وروىٰ ابن جرير بسنده عن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، وعن هشام بن عروة قال: ما سمعتُ أبي يؤول آية من كتاب الله قط، وسأل محمد بن سيرين (عبيدة السلماني) عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد.

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة علىٰ تحرجهم عن الكلام في

---

(١) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وأخرجه الترمذي والنسائي [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب علىٰ كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالىٰ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ ولما جاء في الحديث الشريف: «**من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار**»(١).

❁❁❁❁

(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة [صحيح - انظر صحيح الجامع].

مقدمة مفيدة

تذكر في أول التفسير قبل سورة الفاتحة

قال أبو بكر بن الأنباري: نزل في المدينة من القرآن (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت في المدينة وسائر السور بمكة. انتهىٰ من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالىٰ.

طريقة بحث كتاب «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» والذي قد استمد منه كتاب «كلمات القرآن الكريم»، كما جاء علىٰ لسان الشيخ الجليل/ أبي بكر جابر الجزائري.

هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي:

١- الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.

٢- اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.

٣- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية (١).

---

(١) الأئمة الأربعة علىٰ جلالة قدرهم رحمهم الله جميعًا يرون وجوب الأخذ بالحديث وترك تقليد آرائهم المخالفة له.

١- **الإمام أبو حنيفة**: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ابن عابدين في الحاشية، «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء».

٢- **الإمام مالك بن أنس**: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ» ابن عبد البر في «الجامع» وأورده تقي الدين السبكي في «الفتاوىٰ» من قول ابن عباس متعجبًا من حسنه ثم قال: «وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك رحمه الله واشتهرت عنه»، قال أحد العلماء المحققين: ثم أخذها عنهم الإمام أحمد فقد قال أبو داود في مسائل الإمام أحمد: سمعت أحمد يقول: «ليس أحد...».

٣- **الإمام الشافعي**: «إذا صح الحديث فهو مذهبي». النووي في «المجموع» وابن القيم في «إعلام الموقعين». «كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي» الهروي ٤٧/ ١ وابن القيم في «إعلام الموقعين» ٢/ ٣٦٣.

٤- **الإمام أحمد**: «لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا» الفلاني، وابن القيم في «إعلام الموقعين».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله كما في تعليقه علىٰ «إيقاظ الهمم» ما يلي: فالواجب علىٰ كل من بلغه أمر رسول الله ﷺ وعرفه أن يبينه للناس وينصح لهم ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدىٰ به من رأي أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم علىٰ كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد لا بغضًا له، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر =

٤- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها. إلا ما لابد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث: «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**».

٥- إغفال الخلافات التفسيرية.

٦- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنىٰ الآية، وقد لا آخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.

٧- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية.

٨- عدم التعرض للقراءات إلا نادرًا جدًّا للضرورة حيث يتوقف معنىٰ الآية علىٰ ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصرت علىٰ الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم أعزها إلىٰ مصادرها إلا نادرًا.

٩- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنىٰ الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح. حتىٰ إن القارئ لا يفهم أن هناك معنًىٰ غير الذي فهم من كلام ربه تعالىٰ، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين علىٰ فكر إسلامي موحد صائب سليم.

١٠- التزمت في هذا التفسير بالخطة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل علىٰ المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقًا وعملًا لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقًا وأدبًا وقضاء وحكمًا، فلذا أخليته من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن، أو يصرف عن العمل إلىٰ القول والجدل[1].

=

غيره، فأمر الرسول أولىٰ أن يقدم ويتبع، ولا يمنع ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفورًا له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر رسول الله ﷺ بخلافه.

قلت: أنا أبو ذر القلموني أعوذ بالله من هذه الكلمة مادحًا، ما حملني علىٰ كتابة هذا التعليق إلا حبي للأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ولأهل الحديث أثابهم الله تعالىٰ، فلا ينبغي أن ينكر جهد هؤلاء وفضل أولئك، وإن مَثل أهل الحديث بعد الأئمة الأربعة، والأئمة الأربعة -ولا نزكي علىٰ الله أحدًا- كمثل الهدهد عندما قال لسليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾، ومع ذلك فإن الهدهد هو الهدهد وسليمان هو سليمان، غير أن المسلم ينبغي له أن يتعصب للحق بغض النظر عمن هو قائله لأن في هذا سلامة القلب. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «زاد المعاد» (ج٢/ ٤٧١) فصل في ألفاظ كان ﷺ يكره أن تقال: (ومنها: الدعاء بدعوىٰ الجاهلية، والتعزي بعزائهم، كالدعاء إلىٰ القبائل والعصبية لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها علىٰ بعض بالهوىٰ والعصبية، وكونه منتسبًا إليه، فيدعو إلىٰ ذلك، ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوىٰ الجاهلية).

لم أرجع إلىٰ مصادر هذه الأقوال مباشرة وإنما أخذت هذه المقتطفات من أقوال الأئمة الأربعة، وقول ابن رجب الحنبلي من كتاب لأحد علماء الحديث أثابه الله تعالىٰ.

(١) قال الشيخ الجزائري في هامش ص ٨ ج ١: تنبيه: مراجع هذا التفسير أربعة وهي: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تفسير الجلالين المحلي والسيوطي، تفسير المراغي، تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمهم الله أجمعين. وقد كنت سأضع أسماء هذه المصادر علىٰ الغلاف لكني قد التزمت بطريقة الأصل.

طريقة بحث كتاب «كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير»:

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهه خالصة ولا يجعل لأحد فيها شيئًا.

يرجع الفضل في جمع هذا الكتاب لله وحده، ثم لمحبتي في الله الشيخ أبا بكر الجزائري، فلقد رأيته في الرؤيا يصعد سلمًا أمام قبر النبي ﷺ معتمًا -أثابه الله- بعمامة بيضاء تصل ذؤابتها قريبًا من نصف ظهره وقد علاه الوقار، ثم ذهبت إلىٰ الروضة بمسجد النبي ﷺ إلىٰ آخر الرؤيا.

ومن المعلوم عند علماء تأويل الأحلام أن الارتفاع في الرؤيا عن الأرض رفعة عند الله تعالىٰ فازداد حبي لهذا الرجل، كما ازداد عند قراءتي من قبل لكتابه القيم «منهاج المسلم».

فما أن ظهر كتاب «أيسر التفاسير» له أثابه الله تعالىٰ إلا وقرأته بفضل الله تعالىٰ في فترة يسيرة للغاية (يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك) ولكني رأيت أن الكتاب مازال حجمه كبيرًا يحتوي علىٰ أربعة مجلدات[١]، كل مجلد منها يحتوي علىٰ سبعمائة صفحة أو يزيد، فرأيت أن الكتاب بهذه الصورة يعد يسيرًا بالنسبة لأهل العلم ولكنه غير ذلك بالنسبة لعامة المسلمين، وكانت طريقته -أثابه الله تعالىٰ- في تأليف الكتاب: أنه يأتي ببيان معاني الكلمات أولًا، ثم يأتي بعد ذلك ببيان معنىٰ الآيات، ثم يتكلم في النهاية عن هداية الآيات، فقمت باستخارة الله تعالىٰ، واكتفيت بأخذ معاني الكلمات والتي يسميها أثابه الله: شرح الكلمات، وأضفت إليها القرآن كاملًا، وكنت في البداية سأكتفي بذكر معاني الكلمات مجردة ولكني رأيت أن ذلك سيكون يسيرًا علىٰ حملة القرآن شاقًّا علىٰ غيرهم فتم ما اختاره الله تعالىٰ، وهي طريقة جديدة تعين علىٰ فهم كتاب الله تعالىٰ في أقل وقت ممكن خاصة وأن من علامات الساعة نزع البركة من الوقت.

وكنت أحيانًا أضيف بعض المعاني والهوامش من معنىٰ الآيات[٢] عند الضرورة وذلك في إطار ضيق.

وأحيانًا كنت أقوم بإيراد بعض التعليقات من تفسير ابن كثير إتمامًا للفائدة وإن كان تفسير ابن كثير يكاد يكون قريبًا من تفسير ابن جرير رحمهما الله تعالىٰ.

هذا وإني لم أرسل إلىٰ الشيخ الجزائري -أثابه الله تعالىٰ- لاستئذانه في عملي هذا؛ لأني قد أخذت الإذن من قوله تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ ففي كل كتبي التي قد سبقت هذا الكتاب كتبت عليها تلك الآية السابقة، وأيضًا قد كتبت عليها (هذا الكتاب من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن وليتق الله فيه) وإنني علىٰ يقين -إن شاء الله تعالىٰ- أنه سيسر بهذا العمل بمجرد قراءة فضيلته له وإن قلوبنا ستلتقي كما التقت أرواحنا، فما خرج من القلب وصل

(١) بعد صدور الكتاب ظهرت الطبعة الجديدة ذات المجلدات الخمس، وقد روعيت في هذه الطبعة المنقحة بفضل الله.

(٢) أي من كتاب «أيسر التفاسير» أيضًا.

إلىٰ القلب وما خرج من اللسان لم يجاوز الآذان[(١)].

وقد قمت بتقسيم الكتاب إلىٰ سبعة أبواب كل باب منها يمثل حزبًا من أحزاب القرآن السبعة مثلما فعلت في كتابنا «عون الرحمن في حفظ القرآن»، إحياء لسنة قد هجرت - إلا ما رحم الله - قد أشار إليها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في مقدمة تفسير سورة «ق» بقوله: «هذه السورة هي أول المفصل علىٰ الصحيح، وقيل من الحجرات، والدليل علىٰ ذلك ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال: قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدىٰ عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده (بيانه: ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء، وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة، وسبع...)» انتهىٰ.

الهدف من وراء هذا الكتاب:

أن يتقبله الله تعالىٰ صدقة جارية لكل مسلم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وأن يجنبنا الله تعالىٰ هجر القرآن خاصة هجر التفسير، فهناك هجر التلاوة وهجر التفسير وهجر العمل... قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠﴾ سائلًا به الله عز وجل أن يجعلنا من عباد الرحمن الذين قال في شأنهم سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ۝٧٣﴾.

وفي النهاية أقول: إن الكمال لله وحده، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره، وإنه لو كانت الذنوب تعمي البصر ما استطعت أن تنظر في كلامي. وإنني لا أطمع إلا في رحمته سبحانه، التي لا يملكها إلا هو. وإني أطلب منك الدعاء بظهر الغيب، خصوصًا أن يجعلني الله وإياك وسائر المسلمين من عتقائه من النار، ويا حظ من زحزح عن النار وأدخل الجنة: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

❁❁❁❁

---

(١) ومن فضل الله تعالىٰ أنه أثناء قيامي بمراجعة الكتاب رأيت الشيخ الجزائري في الرؤيا وهو يعطي درسًا بأحد المساجد، وفي أثناء الدرس توقف فضيلته وطلب مني أن أكمل الدرس مكانه، فوقع في ذهني أن أتكلم عن محبة الله تعالىٰ، أخبرني الأخ حامل الكتاب -بعد صدوره- إلىٰ الشيخ الجزائري أنه سُر عند رؤية الكتاب.

تنبيه: لم أقحم المخترعات العلمية ضمن هذا الكتاب.

بداية الكلام من كتاب أيسر التفاسير

التفسير لغة: الشرح والبيان.

واصطلاحًا: شرح كلام الله ليفهم مراده تعالىٰ منه فيطاع في أمره ونهيه، ويؤخذ بهدايته وإرشاده، ويعتبر بقصصه، ويتعظ بمواعظه.

السورة: السورة (١) قطعة من كتاب الله تشتمل علىٰ ثلاث آيات فأكثر. وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة أطولها البقرة وأقصرها «الكوثر».

الفاتحة: فاتحة كل شيء بدايته، وفاتحة القرآن الكريم الحمد لله رب العالمين. ولذا سميت الفاتحة. ولها أسماء كثيرة منها أم القرآن. والسبع المثاني (٢). وأم الكتاب (٣)، والصلاة (٤).

مكية: المكي من السور: ما نزل بمكة، والمدني منه ما نزل بالمدينة، والسور المكية غالبها يدور علىٰ بيان العقيدة وتقريرها والاحتجاج بها وضرب المثل لبيانها وتثبيتها، وأعظم أركان العقيدة: توحيد الله تعالىٰ في عبادته، وإثبات نبوة رسول الله ﷺ وتقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة، والسور المدنية يكثر فيها التشريع وبيان الأحكام من حلال وحرام.

الآيات: جمع آية وهي لغة: العلامة. وفي القرآن: جملةٌ من كلام الله تعالىٰ تحمل الهدىٰ للناس بدلالتها علىٰ وجود الله تعالىٰ وقدرته وعلمه، وعلىٰ نبوة محمد ﷺ ورسالته، وآيات القرآن الكريم ستة آلاف ومائتا آية وزيادة (٥). وآيات الفاتحة سبع (٦) بدون البسملة.

❁❁❁❁

---

(١) لفظ السورة مشتق إما من سورة البلد لارتفاعها وعلو شأنها، أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي بقية من كتاب الله تعالىٰ أي قطعة منه، وكونها مشتقة من الرفعة وعلو الشأن أولىٰ.

ويشهد لذلك قول الشاعر:

ألـم تـر أن الله أعطـاك سـورة ... ترىٰ كل ملك دونها يتذبذب

(٢) سميت بالسبع المثاني لأنها تثني أي تكرر في كل ركعة من الصلاة.

(٣) سميت بأم الكتاب لاشتمالها علىٰ أصول ما جاء في القرآن من العقائد والعبادات والشرائع والقصص.

(٤) لقول النبي ﷺ عن ربه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال الله: حمدني عبدي... الحديث رواه النسائي وغيره.

(٥) الزيادة تتراوح ما بين أربع آيات إلىٰ أربعين آية علىٰ خلاف بين القراء.

(٦) وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلىٰ القول الراجح بأن البسملة ليست آية، فالآية السابعة هي: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ويكون ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية السادسة.

الاستعاذة (١)

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

الاستعاذة: قول العبد: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ.

أَعُوذُ: أستجير وأتحصن.

بِٱللَّهِ: برب كل شيء والقادر علىٰ كل شيء والعليم بكل شيء وإله الأولين والآخرين.

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ: إبليس لعنه الله.

ٱلرَّجِيمِ: المرجوم المبعد المطرود من كل رحمة وخير.

۞۞۞۞

البسملة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

البسملة: قول العبد: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

بِسْمِ: الاسم: لفظ جُعل علامة علىٰ مسمىٰ يعرف به ويتميز عن غيره.

ٱللَّهِ: اسم علم علىٰ ذات الرب تبارك وتعالىٰ يُعرف به.

ٱلرَّحْمَٰنِ: اسم من أسماء الله تعالىٰ مشتق من الرحمة دال علىٰ كثرة الرحمة.

ٱلرَّحِيمِ: اسم وصفة لله تعالىٰ مشتق من الرحمة دال علىٰ كثرة الرحمة وإفاضتها علىٰ الخلائق (٢).

۞۞۞۞

---

(١) العياذ بالله تعالىٰ يكون للاستجارة بالله من المكروه، واللياذ بالله تعالىٰ يكون لطلب المحبوب.

يشهد لهذا قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

(٢) معنىٰ البسملة:

أبتدئ قراءتي متبركًا بسم الله الرحمن الرحيم مستعينًا به عَزَّ وَجَلَّ.

ويقدر متعلق الجار والمجرور بحسب المقام فالقارئ يقول: أبتدئ قراءتي، والكاتب يقول: أبتدئ كتابتي، والآكل يقول: أبتدئ أكلي وهكذا.

١ - سورة الفاتحة

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ : الوصف بالجميل، والثناء به علىٰ المحمود ذي الفضائل والفواضل(١). كالمدح والشكر(٢).

لِلَّهِ : اللام حرف جر ومعناه الاستحقاق أي: أن الله مستحق لجميع المحامد، والله علم علىٰ ذات الرب تبارك وتعالىٰ.

رَبِّ : الرب: السيد المالك المصلح المعبود بحق جَلَّ جَلَالُهُ.

ٱلۡعَٰلَمِينَ : جمع عالم وهو كل ما سوىٰ الله تعالىٰ، كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنس وعالم الحيوان.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

مَٰلِكِ : المالك: صاحب الملك المتصرف كيف شاء.

مَٰلِكِ(٣): الملك ذو السلطان الآمر الناهي المعطي المانع بلا ممانع ولا منازع.

يَوۡمِ ٱلدِّينِ : يوم الجزاء وهو يوم القيامة حيث يجزي الله كل نفس بما كسبت.

إِيَّاكَ : ضمير نصب يخاطب به الواحد.

نَعۡبُدُ(٤): نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب «﴿وَإِيَّاكَ﴾».

نَسۡتَعِينُ : نطلب عونك لنا علىٰ طاعتك، وعلىٰ كل ما يهم العبد من أمور دينه ودنياه.

ٱهۡدِنَا : أرشدنا وأدم هدايتنا.

ٱلصِّرَٰطَ : الطريق الموصل إلىٰ رضاك وجنتك وهو الإسلام لك.

ٱلۡمُسۡتَقِيمَ : الذي لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدىٰ.

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ : هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وكل من أنعم الله عليهم بالإيمان به تعالىٰ ومعرفته، ومعرفة محابه، ومساخطه، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

غَيۡرِ : لفظ يستثنىٰ به كإلَّا.

---

(١) الفواضل: النعم.

(٢) الشكر: الثناء باللسان علىٰ المنعم بما أولىٰ من النعم فهو أخص من الحمد موردًا وأعم متعلقًا.

(٣) قرأ حفص ﴿مَٰلِكِ﴾ باسم الفاعل وقرأ نافع (ملك) بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان.

(٤) العدول عن نعبدك ونستعينك إلىٰ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ لإفادة الاختصاص والحصر.

ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ: من غضب الله تعالىٰ عليهم لكفرهم وإفسادهم في الأرض كاليهود.

وَلَا ٱلضَّآلِّينَ [١]: من أخطئوا طريق الحق فعبدوا الله بما لم يشرعه كالنصارىٰ.

تنبيه أول: كلمة آمين ليست من الفاتحة ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم والمنفرد كذلك؛ لقول الرسول ﷺ: «**إذا أمن الإمام فأمِّنُوا**» [٢] أي: قولوا آمين بمعنىٰ اللهم استجب دعاءنا.

تنبيه ثان: قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من الصلاة، أما المنفرد والإمام فلا خلاف في ذلك، وأما المأموم فإن الجمهور من الفقهاء علىٰ أنه يسن له قراءتها في السرية دون الجهرية لحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» [٣]، ويكون مخصصًا لعموم حديث: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» [٤].

❁❁❁❁

(١) الضلال هو الانحراف والبُعد عن الهُدىٰ المطلوب وهو في الشرع نوعان: ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل فالضلال في الاعتقاد: هو كل اعتقاد مخالف كُلًّا أو بعضًا للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالىٰ في كتابه وعلىٰ لسان رسوله محمد ﷺ، والضلال في العمل: هو عبادة الله تعالىٰ بغير ما شرع والتقرب إليه عز وجل بما لم يشرعه قُربةً، ولا ينجو من هذا الضلال إلا من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٢) رواه البخاري.

(٣) حسن (مم-هـ) عن جابر (انظر صحيح الجامع) (قل).

(٤) متفق عليه (انظر صحيح الجامع) (قل).

الباب الأول
سورة البقرة

٢- سُورَةُ البَقَرَة

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ: هذه هي الحروف المقطعة تكتب ﴿الٓمٓ﴾. وتقرأ هكذا: ألف لام ميم. والسور المفتتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها «البقرة» هذه وآخرها «القلم» (ن)، ومنها الأحاديث مثل ﴿صٓ﴾، و﴿قٓ﴾، و﴿نٓ﴾ ومنها الثنائية مثل ﴿طه﴾، و﴿يسٓ﴾، و﴿حمٓ﴾، ومنها الثلاثية والرباعية والخماسية. ولم يثبت في تفسيرها عن النبي ﷺ شيء. وكونها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه أقرب إلىٰ الصواب، ولذا يقال فيها: ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. وقد استخرج منها بعض أهل العلم فائدتين: الأولىٰ: أنه لما كان المشركون يمنعون سماع[1] القرآن مخافة أن يؤثر في نفوس السامعين كان النطق بهذه الحروف (حم، طس، ق، كهيعص) وهو منطق غريب عنهم يستميلهم إلىٰ سماع القرآن فيسمعون فيتأثرون وينجذبون فيؤمنون ويسمعون وكفىٰ بهذه الفائدة من فائدة. والثانية: لما أنكر المشركون كون القرآن كلام الله أوحاه إلىٰ رسوله محمد ﷺ كانت هذه الحروف بمثابة المتحدي لهم كأنها تقول لهم: إن هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا أنتم مثله. ويشهد بهذه الفائدة ذكر لفظ القرآن بعدها غالبًا نحو: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾، كأنها تقول: إنه من مثل هذه الحروف تألف القرآن فألفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله ووحيه وآمنوا به تفلحوا.

ذَٰلِكَ: هذا وإنما عُدل عن لفظ هذا إلىٰ ذلك. لما تفيده الإشارة بلام البعد من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن.

ٱلْكِتَٰبُ: القرآن الكريم الذي يقرؤه رسول الله ﷺ علىٰ الناس.

لَا رَيْبَ فِيهِ: لا شك في أنه وحي الله وكلامه أوحاه إلىٰ رسوله.

فِيهِ هُدًى: دلالة علىٰ الطريق الموصل إلىٰ السعادة والكمال في الدارين.

لِّلْمُتَّقِينَ: المتقين عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ: يصدقون تصديقًا جازمًا بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس كالرب تبارك وتعالىٰ ذاتًا وصفاتٍ والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها.

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ: يديمون أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع مراعاة شرائطها وأركانها وسننها ونوافلها الراتبة وغيرها.

---

(١) دليله قوله تعالىٰ من سورة فصلت: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: من بعض ما آتاهم من مال ينفقون وذلك بإخراجهم لزكاة أموالهم وبإنفاقهم علىٰ أنفسهم وأزواجهم وأولادهم ووالديهم وتصدقهم علىٰ الفقراء والمساكين.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: يصدقون بالوحي الذي أنزل إليك أيها الرسول وهو الكتاب والسنة.

﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: ويصدقون بما أنزل الله تعالىٰ من كتب علىٰ الرسل قبلك كالتوراة والإنجيل والزبور.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: وبالحياة في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم.

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: الإشارة إلىٰ أصحاب الصفات الخمس السابقة والإخبار عنهم بأنهم بما هداهم الله تعالىٰ من الإيمان وصالح الأعمال هم متمكنون من الاستقامة علىٰ منهج الله المفضي إلىٰ الفلاح.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الإشارة إلىٰ أصحاب الهداية الكاملة والإخبار عنهم بأنهم هم المفلحون الجديرون بالفوز الذي هو دخول الجنة بعد النجاة من النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الكفر لغة: التغطية والجحود، وشرعًا: التكذيب بالله وبما جاءت به رسله عنه كلًّا أو بعضًا.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾: بمعنىٰ مستوٍ إنذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.

﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾: الإنذار: التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد. ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾(١)

﴿خَتَمَ اللَّهُ﴾: طبع إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع علىٰ الظرف. حتىٰ لا يعلم ما فيه ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير. ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ حتىٰ لا تفقه ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: علىٰ آذانهم حتىٰ لا تسمع.

﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾: حتىٰ لا تبصر. الغطاء يغشىٰ به ما يراد منع وصول شيء إليه.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: العذاب، الألم يزيل عذوبة الحياة ولذاتها.

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾: من بعض الناس، وهم المنافقون.

﴿مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾: صدقنا بالله ربًّا وإلهًا لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة. ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾(٢).

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾: بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾: إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا علىٰ الله ولا علىٰ رسوله ولا علىٰ

---

(١) فهو بمعنىٰ مستوٍ؛ أي: استوىٰ إنذارهم وعدمه في أنهم لا يؤمنون، وهذا من العام الخاص، إذ ما كل الكافرين لا يؤمنون وإنما من كتبت عليهم الشقوة أزلًا كأبي لهب وأبي جهل وعُقبة والعاصي والنضر وغيرهم.

(٢) يدعون الإيمان بألسنتهم، ويغمرون الكفر في قلوبهم وهم المنافقون.

المؤمنين.

وَمَا يَشْعُرُونَ : لا يعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم.

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ : في قلوبهم شك ونفاق وألم الخوف من افتضاح أمرهم والضرب على أيديهم.

فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا : شكًّا ونفاقًا وألمًا وخوفًا حسب سنة الله في أن السيئة لا تعقب إلا سيئة.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : موجع شديد الوقع على النفس.﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا[1] : الفساد: الكفر وارتكاب المعاصي فيها.

فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ[2] : الإصلاح في الأرض يكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.

أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ : لا يدرون ولا يعلمون.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ : جمع سفيه خفيف العقل لا يحسن التصرف والتدبير ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ .

وَإِذَا لَقُوا : اللقاء والملاقاة: المواجهة وجهًا لوجه.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا : الإيمان الشرعي: التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم المؤمنون حقًّا.﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ .

وَإِذَا خَلَوْا : الخلو بالشيء، الانفراد به.

إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ : الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان والمراد بهم هنا رؤساؤهم في الشر والفساد.

قَالُوٓا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ[3] : الاستهزاء: الاستخفاف والاستسخار بالمرء.

ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ : الطغيان مجاوزة الحد في الأمر والإسراف فيه.

يَعْمَهُونَ : العمه للقلب كالعمى للبصر: عدم الرؤية وما ينتج عنه من الحيرة والضلال.

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ : استبدلوا بالهدى الضلالة أي تركوا الإيمان وأخذوا الكفر.

فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ : التجارة دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزًّا وغنى في الدنيا فخسروا ولم يربحوا إذ ذلوا وعذبوا، وافتقروا بكفرهم.

---

(١) أصل الإفساد: جعل منفعة الشيء مضرة كإفساد الطعام ونحوه بما يُلقى فيه.

(٢) قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لا ذم فيه وإنما جاء الذم من كونهم مفسدين وادعوا أنهم مصلحون.

(٣) أي: يستهزئون ويسخرون من مُحمد وأصحابه.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ : المهتدي: السالك سبيلًا قاصدة تصل به إلىٰ ما يريده في أقرب وقت وبلا عناء، والضال خلاف المهتدي وهو السالك سبيلًا غير قاصدة فلا تصل به إلىٰ مراده حتىٰ يهلك قبل الوصول.

﴿مَثَلُهُمْ﴾ : صفتهم وحالهم.

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ (١) : أوقد نارًا. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ : لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ أي: لا يرجعون عن الكفر إلىٰ الإيمان.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ : الصيب المطر.

﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

﴿وَرَعْدٌ﴾ : الصوت القاصف يسمع حال تراكم السحاب ونزول المطر.

﴿وَبَرْقٌ﴾ : ما يلمع من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر. ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ حتىٰ لا يسمعوا صوت الصواعق حذرًا أن تنخلع قلوبهم فيموتوا.

﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ : جمع صاعقة: نار هائلة تنزل أثناء قصف الرعد ولمعان البرق يصيب الله تعالىٰ بها من يشاء.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ : توقيًا للموت.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ﴾ : المحيط المكتنف للشيء من جميع جهاته. ﴿بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ : يقرب.

﴿يَخْطَفُ﴾ : يأخذه بسرعة.

﴿أَبْصَارَهُمْ﴾ : جمع بصر وهو العين المبصرة. ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا﴾ : يا: حرف نداء للبعيد وينادىٰ بها القريب تعظيمًا له، نحو يا ألله يا رب، وهو تعالىٰ أقرب من حبل الوريد.

أي: صلة للتوصل بها لنداء ما فيه (أل) نحو أيها الناس.

ها: حرف تنبيه أقحمت بين (أي) والمنادىٰ.

﴿النَّاسُ﴾ : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه، واحده إنسان.

﴿اعْبُدُوا﴾ : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب والتعظيم.

---

(١) عدل عن لفظ: ذهب الله بنارهم. إلىٰ قوله: نورهم إشارة إلىٰ أن الإسلام نور يهدي لا نار تحرق.

رَبَّكُمُ : خالقكم ومالك أمركم وإلهكم الحق.

ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ : أوجدكم من العدم بتقدير عظيم. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ : تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله وذلك بالإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصي. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾.

فِرَٰشًا : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها.

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً : مبنية كقبة فوقكم.

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ : جمع ثمرة وهو ما تخرجه الأرض من حبوب وخضر وتخرجه الأشجار من فواكه.

رِزْقًا لَّكُمْ : قوتًا لكم تقتاتون به فتحفظ حياتكم إلىٰ أجلها.

فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا : جمع ند: النظير والمثيل تعبدونه دون الله أو مع الله تضادون به الرب تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أنها لا تخلق ولا ترزق[1].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ : الريب: الشك مع اضطراب النفس وقلقها.

مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا : محمد ﷺ.

فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ : مثل القرآن ومثل محمد في أميته.

وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ : أنصاركم وآلهتكم التي تدعون أنها تشهد لكم عند الله وتشفع.

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ : ما تتقد به وتشتعل وهو الكفار والأصنام المعبودة مع الله عز وجل.

أُعِدَّتْ : هيئت وأحضرت.

لِلْكَٰفِرِينَ : الجاحدين لحق الله تعالىٰ في العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه.

وَبَشِّرِ : التبشير: الإخبار السار وذلك يكون بالمحبوب للنفس. ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ : تجري الأنهار من خلال أشجارها وقصورها، والأنهار هي أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل. ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾.

وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا : أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضًا في اللون مختلف في الطعم.

وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ : من دم الحيض والنفاس[2] وسائر المعائب والنقائص.

وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ : باقون فيها لا يخرجون منها أبدًا.

---

(١) صفوة التفاسير.

(٢) وكذا البول والغائط.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا : لا يمنعه الحياء[1] من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوض أو أصغر منها كجناحها كالذرة.

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا : أن يجعل شيئًا مثلًا لآخر يكشف عن صفته وحاله في القبح أو الحسن.

مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا[2] : (ما) نكرة بمعنىٰ شيء أي شيء كان يجعله مثلًا، أو زائدة، وبعوضة المفعول الثاني. والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

ٱلْحَقُّ : الواجب الثبوت الذي يحيل العقل عدم وجوده. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ : الفسق: الخروج عن الطاعة، والفاسقون: هم التاركون لأمر الله تعالىٰ بالإيمان والعمل الصالح وبترك الشرك والمعاصي.

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ : النقض الحل بعد الإبرام.

عَهْدَ ٱللَّهِ : ما عهد به إلىٰ الناس من الإيمان والطاعة له ولرسوله.

مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ : من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه.

وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ : من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام.

وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ : الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي.

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ : الكاملون في الخسران بحيث يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ : الاستفهام هنا للتعجب مع التقريع والتوبيخ لعدم وجود مقتضىٰ للكفر.

وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ : هذا برهان علىٰ بطلان كفرهم، إذ كيف يكفر العبد ربه وهو الذي خلقه بعد أن لم يك شيئًا.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ : إن إماتة الحي وإحياء الميت كلاهما دال علىٰ وجود الرب تعالىٰ وقدرته.

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ : يريد بعد الحياة الثانية وهو البعث الآخر.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا : أي أوجد ما أوجده من خيرات الأرض كل ذلك لأجلكم كي تنتفعوا به في حياتكم.

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ : علا وارتفع قهرًا لها فكونها سبع سموات.

---

(١) **الحياء**: تغير وانكسار يعتري الإنسان عند الخوف مما يعاب أو يذم، والله يوصف بالحياء علىٰ الوجه اللائق به؛ فصفة الحياء عنده تعالىٰ لا تشبه صفات المحدثين كسائر صفاته سبحانه تعالىٰ.

(٢) كالفراشة والجرادة.

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾: أتم خلقهن سبع سموات تامات.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إخبار بإحاطة علمه تعالىٰ بكل شيء، وتدليل علىٰ قدرته وعلمه ووجوب عبادته.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: جمع ملاك ويخفف فيقال ملك وهم خلق من عالم الغيب أخبر النبي ﷺ أن الله تعالىٰ خلقهم من نور[1].

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: الخليفة: من يخلف غيره والمراد به هنا آدم عليه السلام.

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾: الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي[2].

﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: يسيل الدماء بالقتل والجراح.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: نقول سبحان الله وبحمده، والتسبيح: التنزيه عما لا يليق بالله تعالىٰ.

﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: فننزهك عما لا يليق بك. والتقديس: التطهير والبعد عما لا ينبغي. واللام في (لَكَ) زائدة لتقوية المعنىٰ إذ فعل قدس يتعدىٰ بنفسه فيقال: قدسه. ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾: نبي الله أبو البشر عليه السلام.

﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾: أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان والإنسان.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: عرض المسميات أمامهم، ولما كان بينهم العقلاء غلب جانبهم، وإلا لقال عرضها.

﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي﴾: أخبروني.

﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المعروضين عليهم من سائر المخلوقات. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهًا لك وتقديسًا. ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه ولا يفعل ولا يترك إلا لحكمة. ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾.

﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما غاب عن الأنظار في السموات والأرض.

﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تظهرون من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: تبطنون وتخفون يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالىٰ وعدم طاعته. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾: السجود: هو وضع الجبهة علىٰ الأرض، وقد يكون بانحناء الرأس دون

---

(١) خلق الملائكة من النور صح عن النبي ﷺ في صحيح مسلم.

(٢) إذ هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك وليس هو من باب الاعتراض علىٰ الله أبدًا.

وضعه على الأرض لكن مع تذلل وخضوع[1].

فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ : قيل كان اسمه الحارث ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أي: أيأسه من كل خير ومسخه شيطانًا.

أَبَىٰ : امتنع ورفض السجود لآدم.

وَٱسۡتَكۡبَرَ : تعاظم في نفسه فمنعه الاستكبار والحسد من الطاعة بالسجود لآدم.

وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ : جمع كافر من كذب بالله تعالىٰ أو كذب بشيء من آياته أو بواحد من رسله أو أنكر طاعته. ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا﴾.

رَغَدًا : العيش الهني الواسع يقال له الرغد. حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا.

هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ : شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرمًا أو تينًا أو غيرها وما دام الله تعالىٰ لم يعين نوعها فلا ينبغي السؤال عنها.

فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ : لأنفسهما بارتكاب ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه.

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا[2] : أوقعهما في الزلل، وهو مخالفتهما لنهي الله تعالىٰ لهما عن الأكل من الشجرة. ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

مُسۡتَقَرّٞ : المستقر: مكان الاستقرار والإقامة.

وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ : الحين الوقت مطلقًا قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة.

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ : أخذ آدم ما ألقىٰ الله تعالىٰ إليه من كلمات التوبة.

كَلِمَٰتٖ : هي قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

فَتَابَ عَلَيۡهِ : وفقه للتوبة فتاب وقبل توبته، لأنه تعالىٰ تواب رحيم. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا : انزلوا من الجنة إلىٰ الأرض لتعيشوا فيها متعادين[3].

---

(١) وهو هنا سجود تحية وإكرام وقد ذكر القرطبي في تفسيره: أن السجود الذي أُمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالىٰ مُستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام، الصلاة لله والاستقبال للمقام. وقد أجمع أهل الإسلام قاطبةً أن السجود لا يكون إلا لله تعالىٰ.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله ﴿عَنۡهَا﴾ عائدًا إلىٰ ا لجنة، فيكون معنىٰ الكلام فأزلهما أي فنحاهما، ويصح أن يكون عائدًا علىٰ أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنىٰ الكلام ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ أي: من قبل الزلل، فعلىٰ هذا يكون تقدير الكلام ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ أي بسببها، كما قال تعالىٰ: ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ﴿٩﴾﴾ أي يصرف بسببه من هو مأفوك، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي من اللباس والمنزل الرحب والرزق الهنيء والراحة. اهـ (قل).

(٣) أي: إبليس وذريته، وآدم وذريته، وكان هذا قبل أن يوجد لكلٍ منهما ذرية ثم أوجدت كما أخبر تعالىٰ وكانت =

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى : إن يجئكم من ربكم هدىٰ: شرع ضمنه كتاب وبينه رسول.

فَمَن تَبِعَ هُدَايَ : أخذ بشرعي فلم يخالفه ولم يحد عنه.

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ : جواب شرط فمن تبع هداي، ومعناه اتباع الهدىٰ يفضي بالعبد إلىٰ أن لا يخاف ولا يحزن لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا : كفروا: جحدوا شرع الله، وكذبوا رسوله.

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ : أهلها الذين لا يفارقونها بحيث لا يخرجون منها.

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وبنوه هم اليهود لأنهم يعودون في أصولهم إلىٰ أولاد يعقوب الاثني عشر[١].

اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ : النعمة هنا اسم جنس بمعنىٰ النعم، ونعم الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل كثيرة ستمر أفرادها في الآيات القرآنية الآتية[٢].

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي : الوفاء بالعهد إتمامه وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد ﷺ ويؤمنوا به.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ : أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها.

وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ : اخشوني ولا تخشوا غيري.

وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ : القرآن الكريم. مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ[٣].

وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي : لا تعتاضوا عن بيان الحق في أمر محمد ﷺ.

ثَمَنًا قَلِيلًا : متاع الحياة الدنيا.

وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ : واتقون وحدي في كتمانكم الحق وجحدكم نبوة نبيي محمد أن أنزل بكم نقمتي.

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ : أي لا تخلطوا الحق بالباطل حتىٰ يعلم فيعمل به، وذلك قولهم: محمد نبي ولكن مبعوث إلىٰ العرب لا إلىٰ بني إسرائيل. ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ﴾.

الرَّاكِعِينَ : الركوع الشرعي: انحناء الظهر في امتداد واعتدال مع وضع الكفين علىٰ الركبتين والمراد هنا: الخضوع لله والإسلام له عز وجل[٤].

=

العداوة علىٰ أشدها.

(١) هم يوسف عليه السلام وإخوته يهوذا، وبنيامين وغيرهما.

(٢) منها إنجاؤهم من فرعون، وتحررهم من سلطانه، ومنها إهلاك عدوهم، وإنزال المن والسلوىٰ عليهم.

(٣) لا تكونوا أول من يكفر به منكم يا بني إسرائيل، إذ العرب سبق أن كفروا بالقرآن قبلهم، فأول كافر به؛ أي: منهم، وهو اليهود.

(٤) وجائز أن يُراد به الصلاة مع المصلين وهم الرسول وأصحابه؛ إذ الخطاب ليهود المدينة بصورة خاصة، ولا =

۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ : البر لفظ جامع لكل خير. والمراد هنا الإيمان بمحمدﷺ والدخول في الإسلام.

وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ : النسيان: مقابل الذكر، وهو هنا الترك.

وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ : قراءته، والكتاب هنا التوراة التي بأيدي اليهود.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ : العقل: قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاسد.

وَٱسْتَعِينُوا۟ : الاستعانة: طلب العون للقدرة على القول والعمل. ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ .

بِٱلصَّبْرِ : حبس النفس على ما تكره. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى﴾ .

ٱلْخَٰشِعِينَ : الخشوع: حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيه[(١)] .

ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ : يوقنون (يطلق الظن ويراد به اليقين، لا الظن المقابل للشك أفاده ابن جرير في تفسيره).

أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ : بالموت.

وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ : أي يوم القيامة. ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ .

وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ[(٢)] : آتاهم من النعم الدينية **والدنيوية ما لم يؤت غيرهم من الناس وذلك في عهد موسى** عليه السلام **وفي أزمنة صلاحهم واستقامتهم.**

وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا : المراد باليوم يوم القيامة بدليل ما وصف به، واتقاؤه هو اتقاء ما يقع فيه من الأهوال والعذاب، وذلك بالإيمان والعمل الصالح[(٣)] .

لَّا تَجْزِى نَفْسٌ : لا تغني نفس عن نفس أخرى أي غنى. ما دامت كافرة. ﴿عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ .

وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ : هذه النفس الكافرة إذ هي التي لا ينفعها شفاعة الشافعين[(٤)] .

وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ : على فرض أنها تقدمت بعدل وهو الفداء فإنه لا يؤخذ منها.

=

مُنافاة بين ما شرحت به الآية، وبين ما ذكر هنا تعليقًا، إذ الإسلام لله يستلزم الصلاة. وفي اللغة دليل تأكيد صلاة الجماعة.

(١) الجمهور على تفسير الضمير في ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ بالصلاة وخالفتُهم في ذلك لوجود من قال: إنها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة. اهـ. والحق ما ذهب إليه الجمهور(قل) .

(٢) المراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

(٣) وترك الشرك، والمعاصي.

(٤) الشفاعة: ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع.

ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلا بشرطين اثنين: **الأول: أن يكون الشافع قد أذن الله تعالى له في الشفاعة، والثاني:** أن يكون المشفوع له ممن رضي **الله قوله وعمله وهو مؤمن الموحد.**

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: بدفع العذاب عنهم.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾: إذ ظرفية ويقدر لها العامل وهو اذكروا إذ نجيناكم، اذكروا إذ فرقنا بكم البحر...إلخ الخلاص من الهلكة، كالخلاص من الغرق. والخلاص من العذاب.

﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: أتباع فرعون(١). وفرعون ملك مصر على عهد موسىٰ عليه السلام.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: يبغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويذيقونكم إياه. ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾: يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفًا منهم إذا كبروا.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾: صيرناه فرقتين، وما بينهما يبس لا ماء فيه لتسلكوه فتنجوا والبحر هو بحر القلزم (الأحمر). ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾: عجل من ذهب صاغه لهم السامري ودعاهم إلىٰ عبادته فعبده أكثرهم، وذلك في غيبة موسىٰ عنهم. ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: الشكر: إظهار النعمة بالاعتراف بها وحمد الله تعالىٰ عليها وصرفها في مرضاته. ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى﴾.

﴿الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾: الكتاب: التوراة، والفرقان: المعجزات التي فرق الله تعالىٰ بها بين الحق والباطل(٢).

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلىٰ معرفة الحق في كل شئونكم من أمور الدين والدنيا. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ﴾.

﴿ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾: ظلم النفس: تدسيتها بسيئة الجريمة.

﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾: بجعلكم العجل الذي صاغه السامري من حلي نسائكم إلهًا عبدتموه.

﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: البارئ: الخالق عز وجل.

﴿فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾: أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده منهم وجعل ذلك توبتهم ففعلوا ذلك؛ فتاب عليهم بقبول توبتهم. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٥٤ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾.

---

(١) ممن هم علىٰ دين الباطل، من الأقباط المصريين وسواء كانوا أقارب له أم أباعد.

(٢) الفرقان: لفظ عام يُطلق علىٰ كل ما يفرق به بين الحق والباطل كالمعجزات والآيات والعلوم الصحيحة.

حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً : نراه عيانًا.

فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ : نار محرقة كالتي تكون مع السحب والأمطار والرعود. ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم : أحييناكم. ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ : سحاب رقيق أبيض.

وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ : المن: مادة لزجة حلوة كالعسل، والسلوىٰ: طائر يقال له السماني.

كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ : الطيبات: الحلال. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ : مدينة القدس. ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾.

رَغَدًا : عيشًا واسعًا هنيئًا. وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ .

سُجَّدًا : ركعًا متطامنين لله خاضعين شكرًا لله علىٰ نجاتهم من التيه.

وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ : حطة كفعلة مثل ردة، وحدة من رددت وحددت، أمرهم أن يقولوا حطة بمعنىٰ احطط عنا خطايانا، ورفع (حِطةٌ) علىٰ أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دخولنا الباب سجدًا حطةٌ لذنوبنا.

نَّغْفِرْ لَكُمْ : نمحُ ونستر.

خَطَٰيَٰكُمْ : الخطايا جمع خطيئة: الذنب يقترفه العبد. ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ : غيروا القول الذي قيل لهم قولوه وهو حطة فقالوا: حبة في شعيرة.

فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ : وباء الطاعون. ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾.

يَفْسُقُونَ : يخرجون عن طاعة الله ورسله إليهم.

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ : طلب لهم من الله تعالىٰ السقيا أي الماء للشرب وغيره. ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب﴾.

بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ : عصا موسىٰ التي كانت معه منذ خرج من بلاد مدين. والحجر هو حجر مربع الشكل من نوع الكذان، رخو كالمدر. وهل هو الذي فر بثوب موسىٰ في حادثة معروفة[1] كذا قيل أو هو حجر من سائر الأحجار[2]؟ الله أعلم.

فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا : الانفجار: الانشقاق. فانفجرت: انشقت من العصا العيون.

قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ .

مَّشْرَبَهُمْ : موضع شربهم. ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾.

مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ : ما رزق الله به العباد من سائر الأغذية.

---

(١) انظر تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾، من سورة الأحزاب الآية ٦٩ (قل).

(٢) كون (أل) في ﴿ٱلْحَجَرَ﴾ لبيان الجنس وأن أي حجر يضربه موسىٰ يتفجر منه الماء أظهر في المعجزة وأدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ.

وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ : العثىٰ والعِثِي: أكبر الفساد وفعله عثي كرضي يعثىٰ كيرضىٰ وعثا يعثو كعدا يعدو.

الإفساد: العمل بغير طاعة الله ورسوله في كل مجالات الحياة. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾.

بَقْلِهَا : البقل: وجمعه البقول سائر أنواع الخضر كالجزر والخردل والبطاطس ونحوها.

وَقِثَّآئِهَا : القثاء: الخيار والقَتَّة ونحوهما.

وَفُومِهَا : الفوم: الحنطة وقيل الثوم لذكر البصل بعده. ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾.

قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ : الاستبدال: ترك شيء وأخذ آخر بدلًا عنه.

ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ : أقل صلاحًا وخيرية ومنافع كاستبدال المن والسلوىٰ بالفوم والبقل. ﴿بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

ٱهْبِطُوا مِصْرًا : مدينة من المدن قيل لهم هذا وهم في التيه كالتعجيز لهم والتحدي؛ لأنهم نكلوا عن قتال الجبارين فأصيبوا بالتيه وحرموا خيرات مدينة القدس وفلسطين. ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾.

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ(١) : أحاطت بهم ولازمتهم الذلة وهي الصغار والاحتقار.

وَٱلْمَسْكَنَةُ : والمسكنة هي الفقر والمهانة.

وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ : رجعوا من طول عملهم وكثرة كسبهم بغضب الله وسخطه عليهم وبئس ما رجعوا به.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ : ذلك إشارة إلىٰ ما أصابهم(٢). من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أي بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم، فالباء سببية. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

الاعتداء: مجاوزة الحق إلىٰ الباطل، والمعروف إلىٰ المنكر والعدل إلىٰ الظلم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا : هم المسلمون آمنوا بالله ووحدوه وآمنوا برسوله واتبعوه.

وَٱلَّذِينَ هَادُوا : هم اليهود سموا يهودًا لقولهم: إنا هدنا إليك أي تبنا ورجعنا.

وَٱلنَّصَٰرَىٰ : الصليبيون سموا نصارىٰ إما لأنهم يتناصرون أو لنزول مريم بولدها عيسىٰ قرية الناصرة، والواحد نصران أو نصراني وهو الشائع علىٰ الألسنة.

وَٱلصَّٰبِـِٔينَ : أمة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله(٣). ويقرءون الزبور. ليسوا يهودًا ولا

---

(١) إحاطة الذل والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مُقيدًا بما لم يكن لهم حبل من الله وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس وهو حماية دولة قوية لهم.

(٢) هذا عام في اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية، ومن قبلهم، ومن يأتي بعدهم، لأن التعليل كان بكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، والكل موافق راضٍ بهذه الجرائم، وعصيانهم واعتداؤهم مُلازم لهم ما فارقهم إلىٰ اليوم.

(٣) ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: قرئ بالتخفيف (الصابين) وهي قراءة ورش عن نافع.

نصارىٰ واحدهم صابئ، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله إلا الله صابئ أي: مائل عن دين آبائه إلىٰ دين جديد وحد فيه الله تعالىٰ [١]. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ: الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾.

ٱلطُّورَ: أي جبل أو هو الجبل الذي ناجىٰ الله تعالىٰ عليه موسىٰ ﷺ. ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾.

بِقُوَّةٍ: بجد وحزم وعزم. ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم: رجعتم عما التزمتم القيام به من العمل بما في التوراة. ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [٢].

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ: تجاوزوا الحد فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه فصادوا. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾.

كُونُوا۟ قِرَدَةً: القردة جمع قرد حيوان معروف مسخ الله تعالىٰ المعتدين في السبت علىٰ نحوه.

خَٰسِـِٔينَ: مبعدين عن الخير ذليلين مهانين.

فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا: عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سببًا فيه.

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا: لما بين يدي العقوبة من الناس، ولمن يأتي بعدهم.

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ: يتعظون بها فلا يقدمون علىٰ معاصي الله عز وجل. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾.

أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً: قطع الودجين والمارن.

البقرة: واحدة البقر والذكر ثور والأنثىٰ بقرة.

قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا: الهزؤ: السخرية واللعب. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ﴾.

مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ: الجاهل الذي يقول أو يفعل ما لا ينبغي قوله أو فعله [٣]. ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾.

لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ: الفارض: المسنة، والبكر الصغيرة التي لم تلد بعد.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وأما الصابئون فقد اختلف فيهم... إلىٰ أن قال: وأظهر الأقوال والله أعلم. قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا علىٰ دين اليهود ولا النصارىٰ ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون علىٰ فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، ولهذا كان المشركون ينبذون من أسلم بالصابئ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك، وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم (قل).

(٢) من فضل الله تعالىٰ عليهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة جزاء توليهم عن الطاعة، وإعراضهم عنها بعد أخذ الميثاق عليهم، ومن رحمته أنه أرسل فيهم الرسل فلم تنقطع سلسلتهم إلىٰ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام.

(٣) الجاهل الذي جهل الأمر فقال أو عمل فيه بدون علم فأفسد وأساء.

والعوان: النصف وسط بين المسنة والصغيرة. ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾.

صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا: **يقال أصفر فاقع شديد الصفرة كأحمر قانٍ وأبيض ناصع.** ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ: **الذلول: الريضة التي زالت صعوبتها فأصبحت سهلة منقادة.**

تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ: **تقلبها بالمحراث فيثور غبارها. بمعنىٰ أنها لم تستعمل في الحرث ولا في سقاية الزرع أي لم يُسن عليها، وذلك لصغرها.**

مُسَلَّمَةٌ: **سليمة من العيوب كالعور والعرج.**

لَّا شِيَةَ فِيهَا: **الشية العلامة. أي لا يوجد فيها لون غير لونها من سواد أو بياض.** ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا: **نفس الرجل الذي قتله وارثه استعجالًا للإرث.**

فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا: **تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول: قتلها القبيل الآخر.** ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ﴾.

تَكْتُمُونَ: **من أمر القاتل سترًا عليه دفعًا للعقوبة والفضيحة.** ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾.

بِبَعْضِهَا: **ببعض أجزاء البقرة كلسانها أو رجلها مثلًا.** ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

۞ أَفَتَطْمَعُونَ: **الهمزة للإنكار الاستبعادي، والطمع تعلق النفس بالشيء رغبة فيه.**

أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ: **يتابعوكم علىٰ دينكم الإسلام.** وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ.

كَلَامَ اللَّهِ: **في كتبه كالتوراة والإنجيل والقرآن** [1].

ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ: **التحريف الميل بالكلام علىٰ وجه لا يدل علىٰ معناه كما قالوا في نعت الرسول ﷺ في التوراة: أكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه قالوا: طويل أزرق العينين سبط الشعر.** ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا: **إذا لقىٰ منافقو اليهود المؤمنين.**

قَالُوا آمَنَّا: **بنبيكم ودينكم.** ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾.

أَتُحَدِّثُونَهُم: **الهمزة للاستفهام الإنكاري، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبي في التوراة.**

بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: **إذا خلا منافقو اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم إخبارهم المؤمنين بنعوت**

---

(١) ويدخل في الجملة: الذين سمعوا كلام الله مع موسىٰ عليه السلام في جبل الطور وهم السبعون الذين اختارهم موسىٰ وخرج بهم إلىٰ الطور طلبًا لتوبتهم.

النبيﷺ في التوراة، وهو مما فتح الله به عليهم ولم يعلمه غيرهم.

لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ : يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتىٰ لا يحتجوا عليكم به فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله. ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ : الأمي: المنسوب إلىٰ أمه كأنه ما زال في حجر أمه لم يفارقه فلذا هو لم يتعلم الكتابة والقراءة. ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ﴾.

أَمَانِيَّ : الأماني جمع أمنية وهي إما ما يتمناه المرء في نفسه من شيء يريد الحصول عليه، وإما القراءة من تمنىٰ الكتاب إذا قرأه. ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾.

فَوَيۡلٌ : الويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو عذاب.

لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ : ما يكتبه علماء اليهود من أباطيل وينسبُونه إلىٰ الله تعالىٰ ليتوصلوا به إلىٰ أغراض دنية من متاع الدنيا القليل. ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا﴾.

مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ : ينسبُون ما كتبوه بأيديهم إلىٰ التوراة بوصفها كتاب الله ووحيه إلىٰ موسىٰ عليه السلام. ﴿لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾.

وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ : الكسب يكون في الخير، وهو هنا في الشر فيكون من باب التهكم بهم.

وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ : أربعين يومًا وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم ليصرفوهم عن الإسلام.

قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ : الهمزة للاستفهام الإنكاري، والعهد: الوعد المؤكد. ﴿أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ : هذه سيئة الكفر، والكذب علىٰ الله تعالىٰ.

وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ : الإحاطة بالشيء، الالتفاف به والدوران عليه.

الخطيئة: واحدة الخطايا وهي الذنوب عامة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا﴾.

خَٰلِدُونَ : الخلود البقاء الدائم الذي لا تحول معه ولا ارتحال. ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا﴾.

مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي[1] ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ﴾.

لِلنَّاسِ حُسۡنٗا : حسن القول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين والكلم الطيب الخالي من البذاءة والفحش. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

---

(١) ذي: بمعنىٰ صاحب.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ : رجعتم عما التزمتم به مصممين على أن لا تتوبوا. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ [1] لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ : سفك الدماء: إراقتها وصبها بالقتل والجراحات. ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ [2] هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ [3]﴾.

تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم : قرئ تظّاهرون، وتظاهرون بتاء واحدة ومعناه تتعاونون.

بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ : الإثم: الضار الموجب للعقوبة، والعدوان الظلم.

وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ : جمع أسير. من أخذ في الحرب.

تُفَادُوهُمْ : إن أتاهم يهودي أسيرًا فدوه بالغالي والرخيص. ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى : موسى بن عمران نبي مرسل إلى بني إسرائيل.

الْكِتَابَ : التوراة.

وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ : أرسلناهم يقفو بعضهم بعضًا أي واحد بعد واحد.

بِالرُّسُلِ : جمع رسول: ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه. ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى: معرب يسوع أو يشوع لأن عيسى أخف منهما.

الْبَيِّنَاتِ : المعجزات وآيات الله في الإنجيل.

وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ : جبريل عليه السلام. ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعونا إليه، أو هي أوعية للعلم فلا نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك. ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾.

كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ : القرآن الكريم. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾.

يَسْتَفْتِحُونَ : يطلبون الفتح أي النصر. ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ

---

(١) هذا الميثاق تضمنه الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام أو على الأقل بعضه والبعض الآخر تضمنه ما أخذ عليهم عند رفع الطور عليهم لما رفضوا الالتزام بما في التوراة.

(٢) أي: ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون. وفيه معنى التعجب من حالهم والإنكار عليهم.

(٣) قوله تعالى: ﴿تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ ليس معناه أن أحدهم يقتل نفسه ويسفك أي يسيل دمه، وإنما لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يقتل بعضكم بعضًا لأنكم أمة واحدة.

فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾(١).

بِئْسَمَا : بئس كلمة ذم، ضدها نعم فإنها للمدح، ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

بَغْيًا : حسدًا وظلمًا. ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ : رجعوا. والغضب ضد الرضا، ومن غضب الله عليه أبعده ومن رضي عنه قربه وأدناه. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾.

عَذَابٌ مُّهِينٌ : عذاب فيه إهانة وصغار وذل للمعذب به. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ : من القرآن. ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ﴾.

بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا : التوراة. ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾(٢).

وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ : القرآن الكريم مقرر لأصول الأديان الإلهية كالتوحيد والنبوات والبعث والجزاء في الدار الآخرة. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾.

۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ : المعجزات.

ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ : يريد إلهًا عبدتموه في غيبة موسىٰ عليه السلام. ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾(٣).

وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ : أي حب العجل الذي عبدوه بدعوة السامري لهم بذلك. ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ﴾.

ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالىٰ فيها لأوليائه.

عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ : خاصة لا يدخلها أحد سواكم.

فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ : تمنوه في نفوسكم واطلبوه بألسنتكم فإن من كانت له الدار الآخرة لا خير له في بقائه في الدنيا.

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ : أي في دعوىٰ أن نعيم الآخرة خاص بكم لا يشارككم فيه غيركم. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

---

(١) لم يقل الله تعالىٰ: فلعنة الله عليهم، وإنما قال: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ إشارةً إلىٰ سبب اللعنة وهو الكفر لا الجنس أو العِرق وليعم كل كافر أيضًا.

(٢) أي: بما سواه وهو القرآن الكريم دل عليه السياق.

(٣) قوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ليس المراد السماع بالحاسة، وإنما المراد الطاعة والامتثال كقول المرء: فلان لا يسمع كلامي، فإن معناه لا يمتثل أمري ولا يُطيعني. كما أن قوله: ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ليس معناه النطق بلفظ معيَّن وإنما معناه أنهم لم يمتثلوا الأمر الصادر إليهم.

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ: التنكير فيها لتعم كل حياة ولو كانت ذميمة.

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: هم غير أهل الكتاب من سائر الكفار.

يَوَدُّ: يحب. ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ﴾.

بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ: بمبعده من العذاب.

أَن يُعَمَّرَ: تعميره ألف سنة. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا﴾.

لِّجِبْرِيلَ: روح القدس الموكل بالوحي يتنزل به علىٰ رسول الله ﷺ.

فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ: نزل جبريل بالقرآن علىٰ قلب رسول الله ﷺ. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: القرآن مصدق لما في الكتب السابقة من نعت الرسول ﷺ والبشارة به، ومن التوحيد ووجوب الإسلام لله تعالىٰ. ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ: ميكال وميكائيل: ملك من أعاظم الملائكة، وقيل معناه: عبيد الله. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ: هي آيات القرآن الكريم الواضحة فيما تدل عليه من معان.

وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ: يجحد بكونها كتاب الله ووحيه إلىٰ رسوله محمد ﷺ.

إِلَّا الْفَٰسِقُونَ: الخارجون عما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان والإسلام له ظاهرًا وباطنًا.

أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة علىٰ تقديره أكفروا بالقرآن ونبيه وكلما عاهدوا إلخ..

عَهْدًا: العهد: الوعد الملزم. ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾.

نبذه: طرحه وألقاه غير آبه به ولا ملتفت إليه.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ: التنكير للتعظيم والرسول هو محمد ﷺ ومن قبله عيسىٰ عليه السلام.

مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ: من نعت الرسول ﷺ وتقرير نبوته، وسائر أصول الدين في التوراة. ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ﴾.

كِتَٰبَ اللَّهِ[1]: التوراة لدلالتها علىٰ نبوة محمد ﷺ وصحة دين الإسلام.

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ: أي أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه لمنافاته لما هم معروفون عليه من الكفر بالنبي محمد ﷺ.

كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ: مع أنهم يعلمون حق العلم.

(١) وجائز أن يكون القرآنَ الكريم، فقد نبذوه أيضًا بعد علمهم بأنه الحق مُصدقًا لما معهم.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ : الذي تتبعه وتقول به الشياطين من كلمات السحر[١] .

عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ : علىٰ عهد ملك سليمان ووقت حكمه. ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ .

وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا : جمع شيطان وهو من خَبُثَ وتمرد ولم يبق فيه قابلية للخير. ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ﴾ .

السِّحْرَ : هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير في أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم. ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ملكان[٢] وجدا للفتنة. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ .

فَلَا تَكْفُرْ : لا تتعلم منا السحر لتضر به فتكفر بذلك. ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ﴾ .

بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ : بين الرجل وامرأته. ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ .

وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ : اشترىٰ السحر بتعلمه والعمل به.

مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ : الخلاق. النصيب والحظ.

وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ : ما باعوا به أنفسهم. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ .

وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ : ثواب وجزاء. ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾: أمهلنا وانظرنا حتىٰ نعي ما تقول ونحفظ. ﴿وَقُولُوا﴾ .

انظُرْنَا[٣]: أمهلنا حتىٰ نفهم ما تقول ونحفظ. ﴿وَاسْمَعُوا﴾ .

وَلِلْكَافِرِينَ : الجاحدين المكذبين لله ورسوله.

عَذَابٌ أَلِيمٌ : كثير الألم شديد الإيجاع. ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ : اليهود والنصارىٰ والوثنيون من العرب وغيرهم. ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾ .

مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ : من الوحي الإلهي المشتمل علىٰ التشريع المتضمن لكل أنواع الهداية

---

(١) يخبر تعالىٰ أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوة محمد ﷺ وتأكيدها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والتُرهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقىً وعزائم وكانوا يُحدثون بها، ويدعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولًا ولا نبيًّا وإنما كان ساحرًا كافرًا فلذا نفىٰ الله تعالىٰ عنه ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وأثبته للشياطين فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

(٢) لم يكن إنزالًا بمعنىٰ الوحي الإلهي، ولكن كان إلهامًا لهما فبرعا فيه وتفوقا علىٰ غيرهما.

(٣) معنىٰ ﴿انظُرْنَا﴾: هو معنىٰ ﴿رَاعِنَا﴾ ولكن لما استعملها اليهود وصاروا ينوون بها سب النبي ﷺ لأنها عندهم من الرعونة لذلك أرشد الله المسلمين إلىٰ كلمة انظر.

وطرق الإسعاد والإكمال في الدين. ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ : الفضل: ما كان من الخير غير محتاج إليه صاحبه، والله عَزَّوَجَلَّ هو صاحب الفضل إذ كل ما يمن به ويعطيه عباده من الخير هو في غنىٰ عنه ولا حاجة به إليه أبدًا.

۞ مَا نَنسَخۡ : نبدل أو نغير.

مِنۡ ءَايَةٍ : من آيات القرآن: جملة كلمات تحمل معنىٰ صحيحًا كالتحريم أو التحليل أو الإباحة.

أَوۡ نُنسِهَا : نمحها من قلب النبي ﷺ. ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾.

أَلَمۡ تَعۡلَمۡ : الاستفهام للتقرير. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾: حافظ يحفظكم بتولي أموركم.

وَلَا نَصِيرٍ : ناصر يدفع عنكم المكروه.

أَمۡ تُرِيدُونَ : بل أتريدون، إذ (أم) هنا للإضراب الانتقالي فهي بمعنىٰ بل والهمزة، وما سُئله موسىٰ هو قول بني إسرائيل له: (أرنا الله جهرة). ﴿أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ﴾.

سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ : وسط الطريق الآمن من الخروج عن الطريق.

وَدَّ : أحب.

كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ : اليهود والنصارىٰ. ﴿لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ﴾.

كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم : الحسد تمني زوال النعمة علىٰ من هي به. ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا﴾.

تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ : عرفوا أن محمدًا رسول الله وأن دينه هو الدين الحق.

فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ : لا تؤاخذوهم ولا تلوموهم، إذ العفو ترك العقاب، والصفح الإعراض عن المذنب.

حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ : أي الإذن بقتالهم والمراد بهم يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩﴾.

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ : إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها مستوفاة الشروط والأركان والسنن.

وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ : أعطوا زكاة أموالكم وافعلوا كل ما من شأنه يزكي أنفسكم من الطاعات. ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾.

وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ : دار النعيم وتسمىٰ دار السلام وهي فوق السماء السابعة.

إِلَّا مَن كَانَ هُودًا : يهودًا.

أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ : صليبيين مسيحيين.

تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ : جمع أمنية. ما يتمناه المرء بدون ما[1] يعمل للفوز به فيكون غرورًا.

قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ : البرهان: الحجة الواضحة. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ .

بَلَىٰ : حرف إجابة يأتي بعد نفي مقرون باستفهام غالبًا نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾ بلىٰ أي هو أحكم الحاكمين، ولما ادعىٰ اليهود والنصارىٰ أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا قال تعالىٰ: بلىٰ: أي ليس الأمر كما تزعمون فلا يدخل الجنة يهودي ولا نصراني ولكن يدخلها.

مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ : أي عبد آمن فصدق وعمل صالحًا فأحسن. ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ .

عَلَىٰ شَيۡءٖ : أي من الدين الحق. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ .

وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ : أي التوراة والإنجيل. ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾ .

ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ : هذا اللفظ صادق علىٰ مشركي العرب، وعلىٰ غيرهم من أمم جاهلة سبقت. ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾ .

وَمَنۡ أَظۡلَمُ : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقًا. ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ .

وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التعبد فيها إذ هذا من خرابها أيضًا. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ .

خِزۡيٞ : الخزي. الذل والهوان. ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ .

فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ : هناك الله تعالىٰ إذ الله عز وجل محيط بخلقه، فحيثما اتجه العبد شرقًا أو غربًا شمالًا أو جنوبًا وجد الله تعالىٰ، إذ الكائنات كلها بين يديه، وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالىٰ وإحاطته بها وقدرته عليها ويقرر هذا قوله:

إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ : إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء؛ لأنه محيط بكل شيء. ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ .

سُبۡحَٰنَهُۥۖ : تنزه وتقدس عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد. ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ﴾ .

---

(١) ما تمناه اليهود وأشير إليه هنا بقوله: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ هو أن لا ينزل علىٰ المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارًا، وأن يدخلوا الجنة وحدهم دون غيرهم.

قَـٰنِتُونَ : خاضعون مطيعون تجري عليهم أقداره وتنفذ فيهم أحكامه.

بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : مبدعها أي: موجدها علىٰ غير مثال سابق.

وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا : حكم بإيجاده.﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾(١)

أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ : كآيات موسىٰ وعيسىٰ في العصا وإحياء الموتىٰ.﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ .

وَلَا تُسْـَٔلُ : قرئ بالتاء للمجهول، ولا نافية والفعل مرفوع، وقرئ بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم.﴿عَنْ أَصْحَـٰبِ﴾ .

ٱلْجَحِيمِ : دركة من دركات النار وهي أشدها عذابًا.﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ﴾ .

مِلَّتَهُمْ : دينهم الذي هم عليه من يهودية ونصرانية.

قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ : الهدىٰ ما أنزل به كتابه وبعث به رسوله وهو الإسلام لا ما ابتدعه اليهود والنصارىٰ من بدعة اليهودية والنصرانية.﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ .

مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ : الولي من يتولاك ويكفيك أمرك، والنصير من ينصرك ويدفع عنك الأذىٰ.﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ .

يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ(٢) : لا يحرفون كلمه عن مواضعه ولا يكتمون الحق الذي جاء فيه من نعت الرسول محمد ﷺ وغيره.﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ .

فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ : المشار إليهم كفار أهل الكتاب والخسران خسران الدنيا والآخرة.

يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ : إسرائيل: لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. وبنو إسرائيل هم اليهود.﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ .

عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ : البشر الذين كانوا في زمانهم مطلقًا.﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ .

لَّا تَجْزِى نَفْسٌ : لا تقضي ولا تغني.﴿عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ .

عَدْلٌ : العدل: الفداء.﴿وَلَا تَنفَعُهَا﴾ .

شَفَـٰعَةٌ : وساطة أحد.﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ .

۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ : اختبر بتكليفه بأمور شاقة عليه.﴿إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ .

بِكَلِمَـٰتٍ : متضمنة أوامر ونواهي.

---

(١) لولا: بمعنىٰ لعل التحضيضية.

(٢) هم أصحاب رسول الله ﷺ، وتابعوهم بإحسان كان أحدهم إذا مرّ بآية رحمة سألها الله تعالىٰ وإذا مر بآية عذاب تعوذ بالله من العذاب.

فَأَتَمَّهُنَّ: قام بهن وأداهن على أكمل الوجوه وأتمها. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ﴾.

إِمَامًا: قدوة صالحة يقتدى بها في الخير والكمال. ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾.

الظَّالِمِينَ: الكافرين والمشركين والفاسقين المعتدين على الناس. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾.

الْبَيْتَ: الكعبة التي هي البيت الحرام بمكة المكرمة.

مَثَابَةً لِّلنَّاسِ: مرجعًا يثوب إليه العمار والحجاج.

وَأَمْنًا: مكانًا آمنًا يأمن فيه كل من دخله.

وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ: الحجر الذي كان قد قام عليه إبراهيم أيام كان يبني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عالٍ يرقى عليه ليواصل بناء الجدران فجيء بهذا الحجر فقام عليه فسميّ مقام إبراهيم.

مُصَلًّى: مكانًا يصلى فيه أو عنده أو إليه.

وَعَهِدْنَا: وصينا وأمرنا.

إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ: تطهير البيت: تنزيهه من الأقذار الحسية كالدماء والأبوال والمعنوية كالشرك والبدع والمفاسد. ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾.

ثُمَّ أَضْطَرُّهُ: ألجئه مكرهًا إلى العذاب. ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ: إذ: ظرف لما مضى من الزمان ويعلق بمحذوف تقديره اذكر وقت كذا وكذا.

الْقَوَاعِدَ: جمع قاعدة ما يبنى على الجدار من أساس ونحوه.

مِنَ الْبَيْتِ: الكعبة حماها الله وطهرها. ﴿وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾.

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ: هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم وولده لقبول دعائهما. ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا﴾.

مُسْلِمَيْنِ لَكَ: منقادَين لك خاضعَين لأمرك ونهيك راضيَين بحكمك عابدين لك. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا: علمنا كيف نحج بيتك، تنسكًا وتعبدًا لك.

وَتُبْ عَلَيْنَا: وفقنا للتوبة إذا زللنا واقبلها منا. ﴿إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾.

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ: هذا الدعاء استجابه الله، ومحمد ﷺ هو ما طلباه. ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾.

الْكِتَابَ: القرآن.

وَالْحِكْمَةَ: السنة وأسرار الشرع والإصابة في الأمور كلها.

وَيُزَكِّيهِمْ: يطهر أرواحهم ويكمل عقولهم، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب

والحكمة، وما بينه لهم من ضروب الطاعات.

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ: العزيز الغالب الذي لا يغلب. الحكيم في صنعه وتدبيره بوضع كل شيء في موضعه.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ: الرغبة عن الشيء عدم حبه وترك طلبه، وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده بما شرع لعباده.

إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ: لا يرغب عن ملة إبراهيم التي هي دين الإسلام إلا عبد جهل قدر نفسه فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وكمالها وإسعادها وهي الإسلام.

وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا: اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا، ومن ثم رفعنا شأنه وأعلينا مقامه. ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ﴾.

أَسْلِمْ: انقد لأمرنا ونهينا فاعبدنا وحدنا ولا تلتفت إلىٰ غيرنا. ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ: اختار لكم الدين الإسلامي ورضيه لكم. ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾.

إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ: يعقوب: هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم وبنوه هم يوسف وإخوته. ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ: جماعة أمرها واحد. خلت: مضت إلىٰ الدار الآخرة.

لَهَا مَا كَسَبَتْ: أجر ما كسبته من الخير.

وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ: من خير أو غيره. ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾.

تَهْتَدُوا۟: تصيبوا طريق الحق.

قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ: دين إبراهيم الذي كان عليه.

حَنِيفًا: مستقيمًا علىٰ دين الله تعالىٰ موحدًا فيه لا يشرك بالله شيئًا. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ﴾[1]

مُوسَىٰ: التوراة.

وَعِيسَىٰ: أوتي الإنجيل. ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ

---

(١) ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر ولدًا، يوسف وبنيامين وهوذا ولكل واحد منهم أُمّة من الناس. الواحد سبط والجمع أسباط والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل عليه السلام وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع لأنهم متتابعون.

مُسْلِمُونَ (١) ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ ﴾.

فِى شِقَاقٍ ۖ: **خلاف وفراق وعداء لك وحرب عليك.** ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ (٢).

صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ: **دينه الذي طهرنا به ظاهرًا وباطنًا فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثر الصبغ على الثوب المصبوغ.** ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ: **أتجادلوننا في دينه والإيمان به وبرسوله، والاستفهام للإنكار.** ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ﴾.

لَهُۥ مُخْلِصُونَ: **مخلصون العبادة له، لا نشرك غيره فيها، وأنتم مشركون.** ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾.

شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ: **المراد بهذه الشهادة ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ عند ظهوره.**

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ: **الغافل: من لا يتفطن للأمور لعدم مبالاته بها.** ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾.

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ: **السفهاء: جمع سفيه وهو من به ضعف عقلي لتقليده، وإعراضه عن النظر نجم عنه فساد خلق وسوء سلوك.**

مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ: **ما صرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة بمكة.**

القبلة: الجهة التي يستقبلها المرء وتكون قبالته في صلاته.

قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا: **وسط كل شيء خياره، والمراد منه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم وأعدلها.** ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن﴾.

يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ: **يرجع إلى الكفر بعد الإيمان.**

وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً: **شاقة على النفس صعبة لا تطاق إلا بجهد كبير وهي التحويلة من قبلة مألوفة إلى قبلة حديثة.** ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ﴾.

إِيمَٰنَكُمْ ۚ: **صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل التحول إلى الكعبة.** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾.

---

(١) أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كصنيع اليهود والنصارى.

(٢) الآية: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ...﴾ وكان ابن عباس يقرؤها: (فإن آمنوا بالذي آمنتم به) وهو تفسير لا قراءة، وعليه فمثل: زائدة، نظيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ أي: ليس كهو شيء.

لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ: يدفع عنكم الضرر ويفيض عليكم الإحسان.

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ: تردده بالنظر إليها مرة بعد أخرىٰ انتظارًا لنزول الوحي.

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا: لنحولنك إلىٰ القبلة التي تحبها وهي الكعبة.

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ: حول وجهك جهة المسجد الحرام بمكة.

الحرام: بمعنىٰ المحرم لا يسفك فيه دم ولا يقتل فيه أحد. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾.

شَطْرَهُۥ: الشطر: هنا الجهة، واستقبال الجهة يحصل به استقبال بعض البيت في المسجد الحرام، لأن الشطر لغة: النصف أو الجزء مطلقًا. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾.

أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ: أي تحول القبلة جاء منصوصًا عليه في الكتب السابقة. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

بِكُلِّ ءَايَةٍ: حجة وبرهان. ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ: يعرفونه: الضمير: عائد إلىٰ رسول الله ﷺ أي: يعلمون أنه نبي الله ورسوله لما في كتبهم من صفاته الواضحة القطعية. ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ﴾.

مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾: الشاكين، والامتراء الشك وعدم التصديق.

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا: التنوين في (كل) دال علىٰ محذوف، هو لكل أهل ملة في الإسلام واليهودية والنصرانية قبلة يولون وجوههم لها في صلاتهم.

فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ: البر والطاعة لله ورسوله. ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ﴾(١)

حُجَّةٌ: الحجة: الدليل القوي الذي يظهر به صاحبه علىٰ من يخاصمه. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾.

وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ: نعم الله كثيرة وأعظمها نعمة الإسلام وإتمامها بمواصلة التشريع والعمل به إلىٰ نهاية الكمال، وكان ذلك في حجة الوداع بعرفات حيث نزلت آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(١) قال ابن كثير والقرطبي قبله: استدل مالك بقول الله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن المصلي ينظر أمامه لا إلىٰ موضع سجوده كما هو مذهب الجمهور، أبي حنيفة والشافعي وأحمد والذي أراه يحقق المطلوب من الآية هو أن ينظر المصلي أولًا أمامه امتثالًا لأمر الله تعالىٰ ثم بعد ذلك ينظر إلىٰ موضع سجوده.

وَأُتِمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾.

رَسُولًا مِّنكُمْ: هو محمد ﷺ والتنكير به للتعظيم. ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا ﴾.

وَيُزَكِّيكُمْ : يطهركم من الذنوب والأخلاق السيئة والملكات الرديئة. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾.

وَالْحِكْمَةَ : السنة وهي كل قول صالح لا ينتهي صلاحه ونفعه بمرور الزمن. ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾.

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي : الشكر إظهار النعمة بصرفها فيما من أجله وهبها الله تعالىٰ لعباده.

وَلَا تَكْفُرُونِ : الكفر: جحد النعمة وإخفاؤها وصرفها في غير ما يحب الله تعالىٰ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ : الاستعانة: طلب المعونة والقدرة علىٰ القول أو العمل. الصبر: حمل النفس علىٰ المكروه وتوطينها علىٰ احتمال المكاره. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ﴾.

بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ : الشعور: الإحساس بالشيء المفضي إلىٰ العلم به.

وَلَنَبْلُوَنَّكُم : الابتلاء: الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف. ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾.

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ : جمع مال وقد يكون ناطقًا وهي المواشي ويكون صامتًا وهو النقدان. ﴿وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ : ما يصيب العبد من ضرر في نفسه أو أهله أو ماله. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ ﴾.

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ : جمع صلاة وهي من الله تعالىٰ هنا المغفرة لعطف الرحمة عليها.

وَرَحْمَةٌ : الرحمة الإنعام وهو جلب ما يسر ودفع ما يضر، وأعظم ذلك دخول الجنة بعد النجاة من النار.

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ : إلىٰ طريق السعادة والكمال بإيمانهم وابتلاء الله تعالىٰ لهم وصبرهم علىٰ ذلك.

۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ : الصفا: جبل مقابل البيت في الجهة الشرقية الجنوبية، والمروة جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة ٧٦٠ ذراعًا.

مِن شَعَائِرِ اللَّهِ : أعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة علىٰ عبادة الله تعالىٰ، فالسعي بين الصفا والمروة شعيرة لأنه؛ دال علىٰ طاعة الله تعالىٰ.

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ : الحج: زيارة بيت الله تعالىٰ لأداء عبادات معينة تسمىٰ نسكًا.

أَوِ ٱعْتَمَرَ: العمرة: زيارة بيت الله تعالىٰ للطواف به والسعي بين الصفا والمروة والتحلل بحلق شعر الرأس أو تقصيره.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ: الجناح: الإثم وما يترتب علىٰ المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهي عنه.

أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا: يسعىٰ بينهما ذاهبًا جائيًا. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾.

خَيْرًا: الخير اسم لكل ما يجلُب المسرة ويدفع المضرة، والمراد به هنا العمل الصالح. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ: يخفون ويغطون حتىٰ لا يظهر الشيء المكتوم ولا يعرف فيؤخذ به.

مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ: جمع بينة وهي ما يثبت به النبي المراد إثباته، والمراد به هنا ما يثبت نبوة محمد ﷺ من نعوت وصفات جاءت من كتاب أهل الكتاب.

وَٱلْهُدَىٰ: ما يدل علىٰ المطلب الصحيح ويساعد علىٰ الوصول إليه، والمراد به هنا ما جاء به رسول الله من الدين الصحيح المفضي بالآخذ به إلىٰ الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة والإنجيل. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾.

يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ: اللعنة: الطرد والبعد من كل خير ورحمة.

وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ: من يصدر عنهم اللعن كالملائكة والمؤمنين. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾(١)

وَأَصْلَحُوا۟: ما أفسدوه من عقائد الناس وأمور دينهم بإظهار ما كتموه والإيمان بما كذبوا به وأنكروه. ﴿وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ﴾.

عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ: أي بأن يمهلوا ليعتذروا، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وَإِلَٰهُكُمْ: الإله: المعبود بحق أو بباطل، والله ﷻ هو الإله الحق المعبود بحق.

إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ: في ذاته وصفاته وفي ربوبيته فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون والحياة إلا هو، وفي ألوهيته أي: في عبادته فلا معبود بحق سواه.

لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ: بوجود أحدهما وغياب الثاني لمنافع العباد بحيث لا يكون النهار دائمًا ولا الليل دائمًا. ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ: وفرق في الأرض ونشر فيها من سائر أنواع الدواب.

---

(١) ﴿تَابُوا۟﴾: أي رجعوا إلىٰ الإيمان والدخول في الإسلام، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾: أي ما أفسدوه من عقائد الناس وأخلاقهم وأرواحهم، ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾: أي ما كتموه من العلم الواجب بيانه والمحرم كتمانه.

وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ : باختلاف مهابها مرة صبا، ومرة دبورًا، ومرة شمالية، ومرة غربية أو مرة ملقحة ومرة عقيمًا. ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أَندَادًا : جمع ند وهو المثل والنظير والمراد بالأنداد هنا الشركاء يعبدونها بحبها والتقرب إليها بأنواع العبادات كالدعاء لها والنذر والحلف بها. ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾.

إِذْ تَبَرَّأَ : التبرؤ: التنصل من الشيء والتباعد عنه بكرهه.

ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ : المعبودون والرؤساء المضلون.

مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ : المشركون والمقلدون لرؤسائهم في الضلال. ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾.

ٱلْأَسْبَابُ : جمع سبب وهي لغة الحبل ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين وفي كل ما يتوصل به إلىٰ مقصد وغرض خاص. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا﴾.

كَرَّةً : رجعة وعودة إلىٰ الحياة الدنيا. ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾.

حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ : جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يخسر صاحبه فيقعد به عن الحركة والعمل. ﴿وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

حَلَـٰلًا : ما انحلت عقدة الحظر عنه وهو ما أذن الله تعالىٰ فيه.

طَيِّبًا : ما كان طاهرًا غير نجس ولا مستقذر تعافه النفوس. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾.

خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ : الخطوات جمع خطوة وهي المسافة بين قدمي الماشي، والمراد بها هنا مسالك الشيطان وطرقه المفضية بالعبد إلىٰ تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم.

إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ : عداوته بينة وكيف وهو الذي أخرج أبوينا آدم وحواء من الجنة، وأكثر الشرور والمفاسد في الدنيا إنما هي بوسواسه وإغوائه.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ : كل ما يسوء النفس ويصيبها بالحزن والغم ويدخل فيها سائر المعاصي.

وَٱلْفَحْشَآءِ : كل خصلة قبيحة كالزنا واللواط والبخل وسائر المعاصي ذات القبح الشديد. ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ﴾.

أَلْفَيْنَا : وجدنا. ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾.

وَمَثَلُ : المثل الصفة والحال. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى﴾.

يَنْعِقُ : يصيح. والاسم النعيق وهو الصياح ورفع الصوت. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ[1] إِلَّا﴾

---

(١) النعيق: دعاء الراعي، وتصويته بالغنم، فشبه الكفار بالشياه من الغنم يسوقها راعيها حيث شاء، فإذا نعق بها داعيًا =

دُعَآءً : طلب القريب كدعاء المؤمن ربه يا رب. يا رب.

وَنِدَآءً : طلب البعيد كأذان الصلاة.

صُمٌّ : جمع أصم فاقد حاسة السمع فهو لا يسمع.

بُكْمٌ : جمع أبكم فاقد حاسة النطق فهو لا ينطق. ﴿عُمْيٌ﴾ .

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ : لا يدركون معنىٰ الكلام ولا يميزون بين الأشياء لتعطل آلة الإدراك عندهم وهي العقل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ : جمع طيب وهو الحلال. ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ .

وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ : اعترفوا بنعم الله عليكم واحمدوه عليها واصرفوها في مرضاته.

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ : إن كنتم مطيعين لله منقادين لأمره ونهيه.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ : حظر ومنع.

ٱلْمَيْتَةَ : ما مات من الحيوان حتف أنفه بدون ذكاة.

وَٱلدَّمَ : المسفوح السائل، لا المختلط باللحم.

وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ : حيوان خبيث معروف بأكل العذرة ولا يغار علىٰ أنثاه.

وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ : الإهلال: رفع الصوت باسم من تُذبح له من الآلهة[1]

فَمَنِ ٱضْطُرَّ : ألجئ وأكره بحكم الضرر الذي لحقه من الجوع أو الضرب.

غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ : الباغي الظالم الطالب لما لا يحل له، والعادي المعتدي المجاوز لما له إلىٰ ما ليس له.

فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ : الإثم: أثر المعصية في النفس بالظلمة والتدسية. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ : يجحدون ويخفون.

مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ : الكتاب التوراة وما أنزل الله فيه من صفة النبي ﷺ والأمر بالإيمان به. ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ .

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ : لسخطه عليهم ولعنه لهم.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ : لا يطهرهم من ذنوبهم لعدم رضاه عنهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰٓئِكَ

=

لها أجابته ولو كان دعاؤه إياها لذبحها، وكذا إذا ناداها بأن كانت بعيدة أجابته وهي لا تدري لم نوديت؟ إذ هي لا تسمع ولا تفهم إلا مجرد الصوت الذي ألفته بالتقليد الطويل والاتباع بدون دليل.

وهناك معنىٰ آخر للآية قاله الطبري وهو أن المراد مثل الكافرين في دعائهم آلهتهم كمثل الذي ينعق بشيء بعيد فهو لا يسمع من أجل البعد فليس للناعق من ذلك إلا النداء الذي يُتعبه وينصبه. وما فسرناه به أصح وأمثل.

(١) هذه أصول المحرمات الأربعة، وأما المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح علىٰ النصب فهي متفرعة عن تلك الأصول وهي مذكورة في أول المائدة.

ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾: العماية المانعة من الهداية إلىٰ المطلوب. ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ (١) لَفِي شِقَاقٍ: التنازع والعداء حتىٰ يكون صاحبه في شق ومنازعه في آخر.

بَعِيدٍ: يصعب إنهاؤه والوفاق بعده.

۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ (٢): اسم جامع لكل خير وطاعة لله ورسوله محمد ﷺ. ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾.

وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ : البر الحق بر من آمن بالله.

وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ : إلىٰ آخر الصفات.

وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ : أعطىٰ المال حين تعين إعطاؤه مع شدة حبه له فآثر ما يحب الله علىٰ ما يحب.

ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ : أصحاب القرابات، الأقرب فالأقرب.

وَٱلۡيَتَٰمَىٰ : جمع يتيم وهو من مات والده وهو لم يبلغ الحنث.

وَٱلۡمَسَٰكِينَ : جمع مسكين، فقير معدم أسكنته الحاجة فلم يقدر علىٰ التصرف.

وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ : المسافر البعيد الدار المنقطع عن أهله وماله.

وَٱلسَّآئِلِينَ : جمع سائل الفقير المحتاج الذي أذن له في السؤال لدفع غائلة الحاجة عن نفسه(٣).

وَفِي ٱلرِّقَابِ : الرقاب جمع رقبة والإنفاق منها معناه في عتقها. ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾.

وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ : البأساء: شدة البؤس من الفقر، والضراء: شدة الضر أو المرض.

وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ : عند القتال واشتداده في سبيل الله تعالىٰ.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ : أي في دعواهم الإيمان والبر والبرور. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

---

(١) اليهود والنصارىٰ ويدخل في هذا مشركو العرب فقد اختلفوا في القرآن فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: أساطير.

(٢) قرأ حفص: ﴿ٱلۡبِرَّ﴾ بالنصب علىٰ أنه خبر ليس مقدمًا والاسم أن وما دخلت عليه والتقدير: تولية وجوهكم، وقرأ غيره ﴿البرُّ﴾ مرفوعًا علىٰ أنه الاسم، والخبر: أن وما دخلت عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «من سأل شيئًا وعنده ما يغنيه، فإنما يستكثر من جمر جهنم، قالوا: وما يغنيه؟ قال: قدر ما يغدِّيه ويعشيه».

(صحيح): مم، د، حب، ك، عن سهل بن الحنفية - انظر صحيح الجامع (قل).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ : كتب: فرض والقصاص[1]، إذا لم يرض ولي الدم بالدية ولم يعف.

فِي ٱلْقَتْلَى : الفاء سببية أي: بسبب القتل والقتلىٰ جمع قتيل وهو الذي أزهقت روحه فمات بأي آلة.

ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ : الحر خلاف العبد، والعبد هو الرقيق المملوك. وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ[2]

فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ : فمن تنازل له ولي الدم عن القَوَد إلىٰ الدية أو العفو.

فَٱتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ : فالواجب أن تكون مطالبة الدية بالمعروف والرفق واللين.

وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ : وأن يكون أداء الدية بإحسان خاليًا من المماطلة والنقص.

ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ : أي ذلك الحكم العادل الرحيم وهو جواز أخذ الدية بدلًا من القصاص تخفيف عنكم من ربكم إذ كان في شرع من قبلكم القصاص فقط أو الدية فقط، وأنتم مخيرون بين العفو والدية والقصاص.

فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ : يريد من أخذ الدية ثم قتل فإنه يتعين قتله لا غير. ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٧٨﴾.

وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ : المساواة في القتل والجراحات وفي آلة القتل أيضًا.

حَيَوٰةٌ : إبقاء شامل عميم، إذ من يريد أن يقتل يذكر أنه سيقتل فيترك القتل فيحيا، ويحيا من أراد قتله، ويحيا بحياتهما خلق كثير وعدد كبير.

يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ : أصحاب العقول الراجحة، واحد الألباب: لبٌّ وهو في الإنسان العقل.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ : ليعدكم بهذا التشريع الحكيم لاتقاء ما يضر ولا يسر في الدنيا والآخرة.

كُتِبَ : فرض وأثبت. ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ﴾.

خَيْرًا : مالًا نقدًا أو عرضًا أو عقارًا.

ٱلْوَصِيَّةُ : الوصية ما يوصىٰ به من مال وغيره. ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

بِٱلْمَعْرُوفِ : ما تعارف عليه الناس كثيرًا أو قليلًا بحيث لا يزيد علىٰ الثلث[3]. ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٨٠﴾.

فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ : التبديل: التغيير للشيء بآخر. ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

---

(١) القصاص: مأخوذ من قص الأثر إذا تتبعه ومنه القاص لأنه يتتبع الأخبار والآثار والقاتل كأنه سلك طريقًا فقص أثره فيها ومشىٰ علىٰ سبيله في ذلك.

(٢) ذهب أبو حنيفة إلىٰ أن الحر يقتل بالعبد مخالفًا للجمهور لعموم آية المائدة: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾.

(٣) نسخ الله هذا الحكم بآية المواريث وهي ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ...﴾ ويقول رسول الله ﷺ: «لا وصية لوارث» رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح الإسناد، ونسخ الوجوب، وبقي الاستحباب ولكن لغير الوالدين والأقربين الوارثين [حسب شروط الوصية].

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ (١٨١).

مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا: الجنف: الميل عن الحق خطأ، والإثم:[1] تعمد الخروج عن الحق والعدل. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢)﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ: فرض وأثبت.

الصِّيَامُ: لغة الإمساك، والمراد به هنا الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس[2]. ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾.

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ: تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا بحسب شهر رمضان، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ: فعلىٰ من أفطر لعذر المرض أو السفر فعليه صيام أيام أخر بعدد الأيام التي أفطر فيها.

وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ: أي يتحملونه بمشقة لكبر سن أو مرض لا يرجىٰ برؤه.

فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ: قالوا وجب علىٰ من أفطر لعذر مما ذكر أن يطعم علىٰ كل يوم مسكينًا، ولا قضاء عليه.

فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا: أي زاد علىٰ المدين أو أطعم أكثر من المساكين. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾.

وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ: الصيام علىٰ من يطيقه ولو بمشقة خير من الإفطار مع الطعام. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾.

شَهْرُ رَمَضَانَ: هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية، ولفظ الشهر مأخوذ من الشهرة، ورمضان مأخوذ من رمض الصائم؛ إذ حر جوفه من العطش.

الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ: هذه آية فضله علىٰ غيره من سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن وذلك في ليلة القدر منه لآية: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾، وآية: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾. أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل نجمًا بعد نجم، وابتدئ نزوله علىٰ رسول الله ﷺ في رمضان أيضًا.

هُدًى لِّلنَّاسِ: هاديًا للناس إلىٰ ما فيه كمالهم وسعادتهم في الدارين.

وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ: البينات جمع بينة، والهدىٰ الإرشاد، والمراد أن القرآن نزل هاديًا للناس ومبينًا لهم سبيل الهدىٰ، موضحًا طريق الفوز والنجاة فارقًا لهم بين الحق والباطل في كل شئون الحياة.

---

(١) من أوصىٰ بما لا يجوز الانتفاع به أو تناوله واستعماله كمن أوصىٰ بخمر أو بناء قبة علىٰ ميت أو إحياء بدعة مولد ونحوه فإنه يجوز تبديله بما هو جائز ولا يصح إمضاؤه.

(٢) أي بنية امتثال أمر الله تعالىٰ به أو بنية التقرب إليه عز وجل.

فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ : حضر الإعلان عن رؤيته. ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ : فعليه القضاء بعدد الأيام التي أفطرها مريضًا أو مسافرًا. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ : وجب القضاء من أجل إكمال عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا.

وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ : وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلىٰ العودة من صلاة العيد، والتكبير مشروع وفيه أجر كبير، وصفته المشهورة: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : فرض عليكم الصوم وندبكم إلىٰ التكبير لتكونوا بذلك من الشاكرين لله تعالىٰ علىٰ نعمه لأن الشكر هو الطاعة. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ﴾.

ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ : السائل ربه حاجته.

فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى : أي يجيبوا ندائي إذا دعوتهم لطاعتي وطاعة رسولي بفعل المأمور وترك المنهي والتقرب إلي بفعل القرب وترك ما يوجب السخط. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾.

لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ : بكمال القوتين: العلمية والعملية إذ الرشد هو العلم بمحاب الله ومساخطه، وفعل المحاب وترك المساخط، ومن لا علم له ولا عمل فهو السفيه الغاوي والضال الهالك.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ : الليلة التي يصبح العبد بعدها صائمًا.

ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ : الجماع.

هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ : كناية عن الاختلاط بعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن.

عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ : بتعريضها للعقاب، ونقصان حظها من الثواب بالجماع ليلة الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾.

فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ : جامعوهن، أباح لهم ذلك ليلًا.

وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ : اطلبوا بالجماع الولد إن كان قد كتب لكم[1]، ولا يكن الجماع لمجرد الشهوة. ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ﴾.

ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ : الفجر الكاذب وهو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان.

مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ : سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تمامًا.

مِنَ ٱلْفَجْرِ : انتشار الضوء أفقيًا ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم الضياء الأفق كله. ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ﴾.

---

(١) ويحتمل اللفظ معاني أخرىٰ مثل: ما أبيح لكم، وليلة القدر، والرخصة، والتوسعة.

عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ: منقطعون إلىٰ العبادة في المسجد تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ.

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا: جمع حد وهو ما شرع الله تعالىٰ من الطاعات فعلًا أو تركًا.

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ: أي كما بين أحكام الصيام يبين أحكام سائر العبادات من أفعال وتروك ليهيئهم للتقوىٰ التي هي السبب المورث للجنة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم﴾.

بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ: الباطل: خلاف الحق.

وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ: الإدلاء بالشيء إلقاؤه، والمراد هنا إعطاء القضاة والحكام الرشوة ليحكموا لهم بالباطل حتىٰ يتوصلوا إلىٰ أموال غيرهم.

لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا: أي طائفة وقطعة من المال. ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾.

بِٱلْإِثْمِ: المراد هنا بالرشوة وشهادة الزور، واليمين الفاجرة أي: الحلف بالكذب ليقضي القاضي لكم بالباطل في صورة حق. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾.

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ: جمع هلال وهو القمر في بداية ظهوره في الثلاثة الأيام الأولىٰ من الشهر لأن الناس إذا رأوه رفعوا أصواتهم الهلال الهلال. ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ: البر الموصل إلىٰ رضوان الله بر عبد اتقىٰ الله تعالىٰ بفعل أوامره واجتناب نواهيه، فليس البر دخول البيوت من ظهورها. ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: الفلاح الفوز وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ: الطريق الموصل إلىٰ رضوانه وهو الإسلام والمراد إعلاء كلمة الإسلام.

ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ: المشركون الذين يبدءونكم بالقتال.

وَلَا تَعْتَدُوٓا۟: لا تجاوزوا الحد فتقتلوا النساء والأطفال ومن اعتزل القتال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾[1].

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ: تمكنتم من قتالهم. ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾.

وَٱلْفِتْنَةُ: الشرك. أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ.

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ: المراد به مكة والحرم ومن حولها. ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢﴾.

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ: حتىٰ لا يكون شرك.

---

(١) يدخل في هذا النهي كل محرم كالميتة وتحريق الأشجار وقتل الحيوان.

وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ : بأن لم يبق من يعبد غير الله تعالىٰ.

فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ : أي لا اعتداء بالقتل والمحاربة.

إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ : أما من أسلم فلا يقاتل.

ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ : الأشهر الحرام فيها القتال والأشهر الحرم أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد، فالثلاثة هي: القعدة والحجة ومحرم، والرابع الفرد: رجب. ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ .

وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ : جمع حرمة كالشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام. ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾(١)

أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ : المتقون هم المؤمنون الذين يتقون معاصي الله تعالىٰ ومخالفة سننه في الحياة، وكونه تعالىٰ معهم: يسددهم ويعينهم وينصرهم. ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ .

إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ : الهلكة والهلاك مثلها.

وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ : الإحسان: إتقان الطاعة وتخليصها من شوائب الشرك وفعل الخير أيضًا(٢)

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ : فإتمامهما أن يحرم بهما من الميقات وأن يأتي بأركانهما وواجباتهما علىٰ الوجه المطلوب من الشارع، وأن يخلص فيهما لله تعالىٰ.

فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ : الحصر والإحصار أن يعجز الحاج أو المعتمر عن إتمام حجه أو عمرته إما بعدو يصده عن دخول مكة، أو مرض شديد لا يقدر معه علىٰ مواصلة السير إلىٰ مكة(٣) .

فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ : أي فالواجب علىٰ من أحصر ما تيسر له من الهدي شاة أو بقرة أو بعير.

وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ : لا يتحلل المحصر من إحرامه حتىٰ يذبح ما تيسر له من

---

(١) لهذه الآية نظيرها وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وهي بالنسبة إلىٰ الأمة قد نسخت بآيات الجهاد، أما بالنسبة للأفراد فالجمهور علىٰ أن الفرد لا يعاقب بنفسه ولكن بواسطة الحاكم، ولكن يرىٰ بعضهم كالإمام الشافعي، أن الفرد إذا لم يتوصل إلىٰ أخذ حقه إلا بالمعاقبة فلينظر إذا كان يمكنه أن يأخذ بقدر ما أخذ منه مساواة بلا زيادة فلا بأس أن يأخذ بشرط أن يأمن من نسبته إلىٰ السرقة حتىٰ لا يتعرض إلىٰ إقامة الحد عليه.

(٢) روي أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت فينا معاشر الأنصار، وذلك أنه لما نصر الله رسوله وأظهر دينه قلنا: هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية والإلقاء باليد في التهلكة أن نقيم في أموالنا. [رواه أبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأبي داود].

(٣) قال الألباني في مناسك الحج والعمرة ١٣، ١٤: (وإن أحب قرن مع تلبيته الاشتراط علىٰ ربه تعالىٰ خوفًا من العارض من مرض أو خوف، فيقول: «اللهم محلي حيث حبستني» متفق عليه. فإنه إن فعل ذلك فحبس أو مرض جاز له التحلل من حجته وعمرته، وليس عليه دم وحج من قابل إلا إذا كانت حجة الإسلام فلا بد من قضائها)(قل) .

الهدي فإن ذبح تحلل بحلق رأسه. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾.

فَفِدْيَةٌ: فالواجب هو فدية. ﴿مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾.

فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ: فمن أحرم بعمرة في أشهر الحج وتحلل وبقي في مكة ينتظر الحج وحج فعلًا فالواجب. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾.

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ: فمن تمتع بالعمرة ولم يجد هديًا لعجزه عنه فالواجب صيام عشرة أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع.

فِي ٱلْحَجِّ: في مكة.

وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ: في بلده. ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ: أي ما وجب من الهدي أو الصيام عند العجز وهو لغير أهل الحرم، أما سكان مكة والحرم حولها وهو أهل الحرم فلا يجب عليهم شيء إن تمتعوا[1]. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ: هي شوال والقعدة وعشر ليالٍ من الحجة هذه هي الأشهر التي يحرم فيها بالحج.

فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ: نوىٰ الحج وأحرم به.

فَلَا رَفَثَ: الرفث الجماع ومقدماته.

وَلَا فُسُوقَ: الفسق والفسوق الخروج من طاعة الله بترك واجب أو فعل حرام.

وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ: الجدال: المخاصمة والمنازعة. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾الجناح: الإثم.

أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ: تطلبوا ربحًا في التجارة من الحج.

فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ: الإفاضة من عرفات تكون بعد الوقوف بعرفة يوم الحج وذلك بعد غروب الشمس من يوم التاسع من شهر الحجة. فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ.

عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ: مزدلفة وذكر الله تعالىٰ عندها صلاة المغرب والعشاء جمعًا بها وصلاة الصبح. ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾.

فَإِذَا قَضَيْتُم: أديتم وفرغتم منها.

مَّنَٰسِكَكُمْ: جمع منسك وهي عبادات الحج المختلفة. ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ

---

(١) بل عليهما أن يُحملا علىٰ نعش ويوقف بهما بعرفة ويطاف بهما وهما علىٰ النعش.

ءَابَآءَكُمْ(١) أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾.

خَلَٰقٍ: **الخلاق: الحظ والنصيب.** ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾.

حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً: **حسنة الدنيا كل ما يسر ولا يضر من زوجة صالحة وولد صالح ورزق حلال، وحسنة الآخرة النجاة من النار ودخول الجنان.**

وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ: **احفظنا ونجنا من عذاب النار.**

أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ: **حظ وقسط من أعمالهم الصالحة ودعائهم الصالح.** ﴿مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ: **أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد**(٢)

فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ: **رمى يوم الأول والثاني وسافر.** ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.

وَمَن تَأَخَّرَ: **رمى الأيام الثلاثة كلها.**

فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ: **أي لا ذنب في التعجل ولا في التأخر.**

لِمَنِ ٱتَّقَىٰ: **للذي اتقى ربه بعدم ترك واجب أوجبه أو فعل حرام حرمه.** ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ﴾.

تُحْشَرُونَ: **تجمعون للحساب والجزاء يوم القيامة.**

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ: **يروق لك وتستحسنه.**

فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: **إذا تحدث في أمور الدنيا.** ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾.

وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ: **قوي الخصومة شديدها لذلاقة لسانه.**

وَإِذَا تَوَلَّىٰ: **رجع وانصرف، أو كانت له ولاية.** ﴿سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ﴾.

ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ: **الحرث: الزرع، والنسل: الحيوان.** ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ: **أخذته الحمية والأنف بذنوبه فهو لا يتقي الله.** ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

مَن يَشْرِى نَفْسَهُ: **يبيع نفسه لله تعالى بالجهاد في سبيله بنفسه وماله.** ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ: **الإسلام.**

---

(١) على النحو الذي كانوا في الجاهلية يذكرون فيه مفاخر آبائهم وأحساب أجدادهم.

(٢) روي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر من أول الحجة.

كَآفَّةً : جميعًا لا يتخلف عن الدخول في الإسلام أحد، ولا يُترك من شرائعه ولا من أحكامه شيء حتىٰ لا يبقىٰ مشروع ما يعمل به أو لا يبقىٰ فرد لا يدخل فيه.

وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ : مسالكه في الدعوة إلىٰ الباطل وتزيين الشر والقبيح. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾.

فَإِن زَلَلْتُم : وقعتم في الزلل وهو الفسق والمعاصي.

مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ : الحجج والبراهين. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

هَلْ يَنظُرُونَ : ما ينظرون: الاستفهام للنفي. ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى﴾.

ظُلَلٍ : جمع ظلة ما يظلل من سحاب أو شجر ونحوهما.

مِّنَ ٱلْغَمَامِ : السحاب الرقيق الأبيض. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾.

سَلْ : اسأل: سقطت منه الهمزتان للتخفيف.

بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ : ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإسرائيل لقب يعقوب. ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾.

مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ : خارقة للعادة كعصا موسىٰ تدل علىٰ أن من أعطاه الله تلك الآيات هو رسول الله حقًّا، وآيات بني إسرائيل التي آتاهم الله تعالىٰ منها فلق البحر لهم، وإنزال المن والسلوىٰ في التيه عليهم. ﴿وَمَن يُبَدِّلْ﴾.

نِعْمَةَ ٱللَّهِ (١) : ما يهبه لعبده من خير يجلب له المسرة ويدفع عنه المضرة ونعم الله كثيرة. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾.

وَيَسْخَرُونَ : يحتقرون ويستهزئون. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً : كانوا قبل وجود الشرك فيهم أمة واحدة علىٰ الإسلام والتوحيد وذلك قبل قوم نوح.

فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ : جمع نبي والمراد بهم الرسل إذ كل نبي رسول بدليل رسالتهم القائمة علىٰ البشارة والنذارة والمستمدة من كتب الله تعالىٰ المنزلة عليهم.

وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ : اسم جنس يدخل فيه كل الكتب الإلهية. ﴿بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾.

وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ : أعطوه. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ﴾.

ٱلْبَيِّنَٰتُ : الحجج والبراهين تحملها الرسل إليهم وتورثها فيهم شرائع وأحكامًا وهدايات

---

(١) فسرت نعمة الله هنا: بالإسلام وهو كذلك فإن الإسلام أكبر نعمة لما يجلبه من السعادة والكمال وما يدفعه من العذاب والعقاب في الدارين.

عامة.

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾: البغي الظلم والحسد. ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ[1] لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾: الإسلام المفضي بصاحبه إلىٰ السعادة والكمال في الحياتين.

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾: أظننتم، (أم) هي المنقطعة فتفسر بـ(بل) والهمزة، والاستفهام إنكاري ينكر عليهم ظنهم هذا لأنه غير واقع موقعه. ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

﴿وَلَمَّا﴾: بمعنىٰ (لم) النافية.

﴿يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾: صفة وحال الذين من قبلكم.

﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾: البأساء: الشدة من الحاجة وغيرها، والضراء: المرض والجراحات والقتل. ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾.

﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾: الاستفهام للاستبطاء. ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾.

﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾: من مال إذ المال يطلق عليه لفظ الخير.

﴿فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾: كالإخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم والأخوال والخالات وأولادهم. ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾: ما: شرطية ومن: بيانية والخير هنا لسائر أنواع البر والإحسان[2]

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾: الجملة علة لجواب الشرط المحذوف والمقدر يثبكم عليه.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾: فرض فرضًا مؤكدًا حتىٰ لكأنه مكتوب كتابة.

﴿ٱلۡقِتَالُ﴾: قتال الكافرين بجهادهم حتىٰ يسلموا أو يعطوا الجزية.

﴿وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾: مكروه في نفوسكم طبعًا.

﴿وَعَسَىٰٓ﴾: هذا الفعل معناه الترجي والتوقع أعني: أن ما دخلت عليه مرجو الحصول متوقع لا علىٰ سبيل الجزم، إلا أنها إن كانت من الله تفيد اليقين. ﴿أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ﴾.

﴿ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾: أي المحرم. قتال بدل اشتمال من الحرام، إذ السؤال عن القتال في الشهر الحرام (رجب).

﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾: أي ذنب عظيم.

---

(١) أي من أمة محمد ﷺ وهم المسلمون هداهم للإيمان بكل الكتب وسائر الرسل ونجاهم مما اختلف فيه من قبلهم، والحمد لله.

(٢) الآية في نفقة التطوع وقوله: ﴿مِنۡ خَيۡرٖ﴾ إشارة إلىٰ أن ما ينفق يجب أن يكون طيبًا لا خبيثًا إذ لفظ الخير يدل علىٰ ذلك ويرمز له: ﴿مِنۡ خَيۡرٖ﴾.

وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : وصرف عن دين الله.

وَكُفْرٌۢ بِهِۦ : كفر بالله تعالىٰ.

وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ : مكة والمسجد الحرام فيها.

وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ : النبي ﷺ والمهاجرون.

أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ : أعظم وزرًا.

وَٱلْفِتْنَةُ : الشرك واضطهاد المؤمنين ليكفروا. ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ .

فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ : بطل أجرها. فلا يثابون(١) عليها لردتهم. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ : تركوا ديارهم خوف الفتنة والاضطهاد في ذات الله. ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ .

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ : كل ما خامر العقل وغطاه فأصبح شاربه لا يميز ولا يعقل، ويطلق لفظ الخمر علىٰ عصير العنب أو التمر أو الشعير وغيرها.

وَٱلْمَيْسِرِ ۖ : القمار؛ وسمي ميسرًا لأن صاحبه ينال المال في يسر وسهولة.

قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ : الإثم كل ضار فاسد يضر بالنفس أو العقل أو البدن أو المال أو العرض.

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ(٢) : جمع منفعة وهي ما يسر ولا يضر من سائر الأقوال والأفعال والمواد. ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ .

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ : العفو هنا: ما فضل وزاد عن حاجة الإنسان من المال. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ﴾ .

تَتَفَكَّرُونَ : فتعرفون ما ينفع في كل منهما فتعملون لدنياكم ما يصلحها وتعملون لآخرتكم ما يسعدكم فيها، وينجيكم من عذابها. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ .

---

(١) علىٰ هذا مالك وأبو حنيفة خلافًا للشافعي إذ يرىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ أن من ارتد ثم تاب يعود إليه كل عمل صالح عمله قبل الردة فلا يعيد الحج إذا حج، والراجح ما قررناه في التفسير إذ أقل ما يقال: عليه إعادة الحج طمعًا في مغفرة ذنوبه وعدم مؤاخذته. أما من مات كافرًا فالإجماع علىٰ خلوده في النار، ودليل الجمهور قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية وحمله الشافعي علىٰ أنه مطلق مقيد بآية الموت علىٰ الكفر فما دام لم يمت كافرًا فإن أعماله قبل الردة لا تبطل، والله أعلم.

(٢) والنفع الذي هو الربح إذ كانوا يشترونها من الشام بالرخص ويبيعونها بالغلاء في ديارهم كان في الجاهلية أما بعدما حرمها الله تعالىٰ وحرم بيعها فلم يبق فيها نفع البتة.

وَإِن تُخَالِطُوهُمْ : تخلطون مالهم مع مالكم ليكون سواء. ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

لَأَعْنَتَكُمْۚ : العنت المشقة الشديدة يقال: أعنته إذا كلفه مشقة شديدة (١). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾.

وَلَا تَنكِحُواْ : لا تتزوجوا. ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ﴾.

وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ : الأمة خلاف الحرة. ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾.

وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ : أي أعجبكم حسنها وجمالها. ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ﴾.

أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ : بحالهم ومقالهم وأفعالهم. ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ﴾.

ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ : أحكام دينه ومسائل شرعه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ : مكان الحيض وزمنه، والحيض دم يخرج من رحم المرأة إذا خلا من الجنين (٢).

قُلْ هُوَ أَذًى : ضرر يضر المجامع في أيامه.

فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِۖ : اتركوا جماعهن أيام الحيض.

وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ : أي لا تجامعوهن حتىٰ ينقطع دم حيضهن (٣).

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ : أي إذا انقطع دم حيضهن واغتسلن منه.

فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ : أي جامعوهن في قبلهن، وهن طاهرات متطهرات. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾.

نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ : يريد مكان إنجاب الأولاد فشبه النساء بالحرث لأن الأرض إذا حرثت أنبتت الزرع، والمرأة إذا وطئت أنبتت الولد بإذن الله تعالىٰ.

---

(١) مفعول المشيئة محذوف كما هو الغالب فيه والتقدير: ولو شاء الله عَنَتكم لأعنتكم؛ أي: كلفكم ما فيه العنت والمشقة ولكنه لم يفعل ذلك رحمة بكم ولطفًا بحالكم.

(٢) يطلق علىٰ الحيض أيضًا لأنه مصدر حاضت المرأة حيضًا ومحاضًا ومحيضًا فهي حائض وقد يقال حائضة وعليه قول الشاعر:

كحائضة يزنىٰ بها غير طاهر

والحيضة المرة الواحدة والحيضة بكسر الحاء الاسم والحِيضة أيضًا الخرقة تستنفر بها الحائض قالت عائشة: يا ليتني كنت حيضة ملقاة، واشتقاق الكلمة من السيلان ومنه الحوض؛ لأن الماء يسيل إليه.

(٣) إذا قيل: لا تقرب بفتح الراء فمعناه لا تتلبس بالشيء، وإن قيل: لا تقرب بضم الراء فمعناه: لا تدن ولذا جاز للزوج أن يقرب من زوجته الحائض أو النفساء ويباشرها في غير الفرج.

فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ : إذن جماع المرأة مقبلة أو مدبرة إذا كان ذلك في القبل الذي هو منبت الزرع، وهي طاهرة من الحيض والنفاس.

وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ : يريد الأعمال الصالحة، ومنها إرادة تحصين النفس والزوجة بالجماع وإرادة إنجاب الأولاد الصالحين الذين يوحدون الله ويدعون لوالديهم طوال حياتهم. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾: العرضة: ما يوضع مانعًا من شيء، واليمين يحلفها المؤمن أن لا يفعل خيرًا، والأيمان: جمع يمين نحو والله لا أفعل كذا أو والله لأفعلن كذا.

أَن تَبَرُّواْ: البرور: الطاعة وفعل البر. ﴿وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾.

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ : اللغو: الباطل، ما لا خير فيه. ولغو اليمين أن يحلف العبد على الشيء يظنه كذا فيتبين خلافه، أو ما يجري على لسانه من أيمان من غير إرادة الحلف.

وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ : ما تعمد القلب وقصد اليمين لأجله لفعله حتمًا أو منعه. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾.

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ : الإيلاء: الحلف على عدم وطء الزوجة.

تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ : التربص: الانتظار والتمهل.

فَإِن فَآءُو : رجعوا إلى وطء نسائهم بعد الامتناع عنه باليمين. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾.

وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ : فك رابطة الزوجية وحلها بقوله هي طالق أو مطلقة أو طلقتك. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ : جمع مطلقة وهي المرأة تسوء عشرتها فيطلقها زوجها أو القاضي.

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ : ينتظرن.

ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ : القرء إما مدة الطهر، أو مدة الحيض. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ﴾.

مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ: من الأجنة فلا يحل للمطلقة أن تكتم ذلك. ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

وَبُعُولَتُهُنَّ: أزواجهن واحد البعولة: بعل كفحل ونخل.

أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ: أي في مدة التربص والانتظار. ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾.

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ: يريد على الزوجة حقوق لزوجها، ولها حقوق على زوجها. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ : هي درجة القوامة أن الرجل شرعًا هو القيم على المرأة. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾.

ٱلطَّلَٰقُ [١] : الاسم من طلق وهو أن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق أو طلقتك.

مَرَّتَانِۖ : يطلقها، ثم يردها، ثم يطلقها ثم يردها، أي: يملك الزوج الإرجاع في طلقتين، أما إن طلق الثالثة فلا يملك ذلك ولا ترجع حتىٰ تنكح زوجًا غيره. ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ [٢] أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ .

فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ : حسن العشرة فإن خافت المرأة أو خاف الزوج أن لا يؤدي حقوق الزوجية جاز الفداء وهو دفع مال للزوج ليخلي سبيل المرأة تذهب حيث شاءت، ويسمىٰ هذا خلعًا. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ .

تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ : ما يجب أن ينتهي إليه العبد من طاعة الله فلا يتجاوزه. ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ .

وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ : الظالم المتجاوز لما حد الله تعالىٰ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه.

فَإِن طَلَّقَهَا : الطلقة الثالثة.

فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ : إلا بعد أن تنكح زوجًا غيره [٣]

فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ : أي لا إثم ولا حرج عليهما في الزواج من جديد.

أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ : أن يرجع كل منهما لصاحبه بعقد جديد وبشرط أن يظنا إقامة حدود الله فيهما، وإلا فلا يجوز نكاحهما. ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ .

وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ : أجل المطلقة مقاربة انتهاء أيام عدتها.

فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ : تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتىٰ تنقضي عدتها وتبين من زوجها.

وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا : مضارة لها وإضرارًا بها.

لِّتَعۡتَدُواْۚ : لتتجاوزوا حد الإحسان إلىٰ الإساءة. ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ .

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ [٤] : لعبًا بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها.

وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ : نعمة الله هنا هي الإسلام.

وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ : السنة النبوية.

---

(١) الطلاق شرعًا: هو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين بألفاظ مخصوصة منها: أنت طالق، والطلاق مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين أو عن كليهما.

(٢) الخطاب هنا للأزواج وفي قوله: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ للحكام وولاة الأمور.

(٣) ويكون النكاح صحيحًا ويبني بها الزوج الثاني لحديث «حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» [متفق عليه].

(٤) لا خلاف بين أهل العلم أن من طلق هازلًا أن الطلاق يلزمه لحديث أبي داود أن النبي ﷺ : قال: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة» [حسن-انظر صحيح الجامع].

﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: بالذي أنزله من أحكام الحلال والحرام، لتشكروه تعالىٰ بطاعته. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾.

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي انتهت عدتهن.

﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾: أي لا تمنعوهن من التزوج مرة أخرىٰ بالعودة إلىٰ الرجل الذي طلقها ولم يراجعها حتىٰ انقضت عدتها.

﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾: إذا رضي الزوج المطلق أن يردها إليه ورضيت هي بذلك.

﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾: أي النهي عن العضل يكلف به أهل الإيمان إذ هم القادرون علىٰ الطاعة.

﴿ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾: أي ترك العضل خير لكم من العضل وأطهر لقلوبكم، إذ العضل قد يسبب ارتكاب الفاحشة. ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢﴾.

۞ ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ﴾: عامين. ﴿كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾: أي علىٰ الأب. ﴿رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ﴾.

﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: بحسب حاله يسارًا وإعسارًا.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾: طاقتها وما تقدر عليه.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾: أي لا يحل أن تؤذىٰ أم الولد بمنعها من إرضاع[(١)] ولدها، أو بمنعها الأجرة علىٰ إرضاعه، هذا في حال طلاقها أو موت زوجها.

﴿وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾: أي ولا يضار الوالد كذلك بأن يجبر علىٰ إرضاع الولد من أمه المطلقة أو يطالب بأجرة لا يطيقها.

﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ﴾: الوارث هو الرضيع نفسه إن كان له مال، وإلا فعلىٰ من يكفله من عصبته.

﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطامًا للولد قبل نهاية العامين. ﴿عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ﴾: يوفيهم الله تعالىٰ ما كتب لهم من العمر فيموتون.

---

(١) في الآية دليل علىٰ أن الأم أحق بالحضانة إذا طلقت أو مات الوالد ولا خلاف في ذلك ما لم تتزوج فإن حضانتها تسقط بذلك؛ لقول الرسول ﷺ لمن شكت إليه: «أنت أحق به ما لم تنكحي» [أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وصححه].

واختلف في مدة الحضانة، فمالك يرىٰ أنها إلىٰ بلوغ الغلام وتزوج الجارية، ورأىٰ الشافعي أنها إلىٰ ثمان سنوات ثم يخير الولد بين أبيه وأمه فأيهما اختار فله ذلك والبنت كذلك فقد صح أن النبي ﷺ خير الولد بين أبيه وأمه.

وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا : يتركون زوجات لهم.

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا : ينتظرن حتىٰ انقضاء عدتهن وهي أربعة أشهر(١) وعشر ليال.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ : بلغن انتهاء العدة.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ : لا حرج عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من مس الطيب والتجمل والتعرض للخطاب. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ: لا إثم عليكم في التعريض دون التصريح بالخطبة.

أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْ : كما لا إثم في إضمار الرغبة في النفس.. ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا(٢) وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾.

حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ : أي حتىٰ تنتهي العدة. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ: الجناح: الإثم المترتب علىٰ المعصية.

مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ: ما لم تجامعوهن.

أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً : تقدروا لهن مهرًا.

وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ: ذو الوسع في المال وقدره: ما يقدر عليه ويستطيعه.

وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ: الضيق والعيش. ﴿مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟﴾.

ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ : وهو الزوج.

وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ : أي المودة والإحسان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ: بأدائها في أوقاتها في جماعة مع استيفاء شروطها وأركانها وسننها.

---

(١) قال ابن كثير: ولا يخرج من ذلك إلا المتوفىٰ عنها زوجها وهي حامل، فإن عدتها بوضع الحمل، ولو لم تمكث بعده سوىٰ لحظة لعموم قوله: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وكذلك يستثنىٰ من ذلك الزوجة إذا كانت أمة، فإن عدتها علىٰ النصف من عدة الحرة علىٰ قول الجمهور، لأنها لما كانت علىٰ النصف من الحرة في الحد فكذلك في العدة، ومن العلماء من يسوي بين الزوجات الحرائر والإماء في هذا المقام لعموم الآية، ولأن العدة من باب الأمور الجبلية، التي تستوي فيها الخليقة. اهـ باختصار (قل).

(٢) سرًا: هذا اللفظ هو الدال علىٰ تحريم خطبة المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن [لكن يجوز التعريض مثل إني راغب في الزواج دون التصريح] أما الطلاق الرجعي فلا يصح الخطبة فيه تعريضًا ولا تصريحًا لأنها في حكم الزوجة.

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ : صلاة العصر، أو الصبح فتجب المحافظة على كل الصلوات وخاصة العصر والصبح لقول الرسول ﷺ: «**من صلى البردين -العصر والصبح- دخل الجنة**». صحيح.

وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ : خاشعين ساكنين.

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا : مشاة على أرجلكم أو ركبانًا على الدواب وغيرها مما يركب. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا﴾.

إِلَى ٱلْحَوْلِ : الحول: العام. ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[1].

فَإِنْ خَرَجْنَ : من بيت الزوج المتوفى قبل نهاية السنة. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾.

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ : أي متعة لا مبالغة فيها ولا تقصير.

حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ : متعينًا على المطلقين الأتقياء. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

۞ أَلَمْ تَرَ : ألم ينته إلى علمك. فالرؤية قلبية والاستفهام للتعجب.

إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ : جمع ألف وهي صيغة كثرة فهم إذًا عشرات الألوف. ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾.

وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ : الطريق الموصل إلى مرضاته وهو طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، ومن ذلك جهاد الكفار والظالمين حتى لا تكون فتنة. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾.

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا : يقتطع شيئًا من ماله وينفقه في الجهاد لشراء السلاح وتسيير المجاهدين. ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ : يضيق ويبسط ويوسع، يقبض ابتلاءً، ويبسط امتحانًا. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ : أشراف الناس من أهل الحل والعقد بينهم، إذا نظر المرء إليهم ملئوا عينه

---

(١) اختلف في توجيه هذه الآية فمن قائل بنسخها وأن الناسخ لها الآية التي قبلها ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ومن قائل نسختها آية المواريث، والمتوفى عنها زوجها إن لم يكن للزوج ولد فلها الربع من التركة، ومن قائل -وهو مجاهد ورجحه ابن جرير الطبري-: بعدم النسخ وأنه رحمة بالمؤمنة المتوفى عنها زوجها إذا أتمت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا يسمح لها بالبقاء في بيت زوجها الهالك إلى نهاية السنة وهذا حسب اختيارها ورغبتها فكانت هذه الوصية وصية رحمة مندوبًا إليها وهذا الذي رجحته في تفسير الآية فليتأمل.

رواءً وقلبه هيبة. ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ﴾.

عَسَيۡتُمۡ : عسىٰ: كلمة توقع وترجٍّ. ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾.

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ : فرض ولزم. ﴿تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ : يسوسهم في السلم والحرب.

قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا : الاستفهام للإنكار بمعنىٰ كيف يكون له الملك. ﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ﴾.

ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ : فضله عليكم واختاره لكم.

وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ : أي طولًا زائدًا يعلو به من عداه. ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧﴾.

وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ : شمويل.

إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ : علامة أن الله تعالىٰ ملكه عليكم.

أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ : صندوق خشبي فيه بقية من آثار آل موسىٰ وآل هارون.

فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ : طمأنينة القلب وهدوء نفسي.

وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ : بقية الشيء ما تبقىٰ منه بعد ذهاب أكثره وهي هنا رضاض من الألواح التي تكسرت، وعصا موسىٰ وشيء من آثار أنبيائهم.

تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ : من أرض العمالقة فتضعه بين يدي بني إسرائيل في مخيماتهم.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ : أي في إتيان التابوت الذي أخذه العدو بالقوة منكم في رده إليكم علامة قوية علىٰ اختيار الله تعالىٰ لطالوت ملكًا عليكم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨﴾.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ : انفصل من الديار وخرج يريد العدو.

بِٱلۡجُنُودِ : العسكر وتعداده كما قيل: سبعون ألف مقاتل.

قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ : مختبركم بنهر جار لعله هو نهر الأردن الآن. ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾.

وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ : لم يشرب منه. ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾(١)

إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ : الغرفة بالفتح المرة وبالضم الاسم من الاغتراف. ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا

---

(١) أي: ليس من أصحابي في هذه الحرب ولم يرد الخروج من الإيمان.

قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾.

هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ: هم الذين لم يشربوا من النهر[1]. ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾.

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ[2] أي: يوم القيامة فهم يؤمنون بالبعث الآخر.

كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ: كم للتكثير والفئة: الجماعة يفيء بعضها إلىٰ بعض. ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ: يسددهم ويعينهم وينصرهم.

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ: ظهروا في ميدان المعركة، وجالوت قائد قوات العمالقة.

قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا: اصبب الصبر في قلوبنا صبًّا حتىٰ تمتلئ فلم يبق للخوف والجزع موضع.

وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا: في أرض المعركة حتىٰ لا ننهزم وذلك بتقوية قلوبنا والشد من عزائمنا. ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾.

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ: داود هو نبي الله ورسوله داود وكان يومئذٍ غير نبي ولا رسول في جيش طالوت.

وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ: كان ذلك بعد موت شمويل النبي وموت طالوت الملك[3].

وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ: فعلمه صنعة الدروع، وفهم منطق الطير هو وولده سليمان عليهما السلام.

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ: بالجهاد والقتال.

لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ: وذلك بغلبة أهل الشرك علىٰ أهل التوحيد، وأهل الكفر علىٰ أهل الإيمان. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ: أولئك الرسل الذين قص الله تعالىٰ علىٰ رسوله بعضًا منهم وأخبره أنه منهم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ في الآية قبل هذه.

مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ: كموسىٰ عليه السلام.

وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ: وهو محمد ﷺ حيث فضله تفضيلًا علىٰ سائر الرسل.

---

(١) أو شرب الواحد منهم المأذون به وهو غَرْفة واحدة.

(٢) الظن هنا بمعنىٰ اليقين أو يكون الظن علىٰ بابه وليس هو في لقاء الله تعالىٰ وإنما هو في الموت في هذه الحرب هل يقتلون فيلاقوا الله أو لم يقتلوا؟

(٣) فسر ابن كثير الحكمة بالنبوة لقرينة الملك، إذ جعله الله تعالىٰ ملكًا نبيًّا كولده سليمان عليهما السلام.

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ: المعجزات الدالة على صدق عيسىٰ في نبوته ورسالته.

وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ: جبريل عليه السلام كان يقف دائمًا إلىٰ جانب عيسىٰ يسدده ويقويه إلىٰ أن رفعه الله تعالىٰ إليه. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

مَا ٱقْتَتَلُوا۟: قتل بعضهم بعضًا. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم: النفقة الواجبة وهي الزكاة، ونفقة التطوع المستحبة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾.

لَّا بَيْعٌ فِيهِ: لا يشتري أحد نفسه بمال يدفعه فداءً لنفسه من العذاب.

وَلَا خُلَّةٌ: أي صداقة تنفع صاحبها.

وَلَا شَفَٰعَةٌ: تقبل إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ.

وَٱلْكَٰفِرُونَ: بمنع الزكاة والحقوق الواجبة لله تعالىٰ ولعباده. ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

ٱللَّهُ: علم علىٰ ذات الرب تبارك وتعالىٰ.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: الإله المعبود، ولا معبود بحق إلا الله، إذ هو الخالق الرزّاق المدبر بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء، وما عداه من الآلهة فعبادتها بدون حق فهي باطلة.

ٱلْحَىُّ: ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالىٰ، وهي مستلزمة للقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام.

ٱلْقَيُّومُ: القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليه، القائم علىٰ كل نفس بما كسبت.

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ: السنة: النعاس يسبق النوم. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ: الكرسي: موضع القدمين، ولا يعلم كنهه إلا الله تعالىٰ.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ: يثقله ويشق عليه. ﴿حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾.

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ: لا يكره العبد علىٰ الدخول في الدين، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره.

قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ: الهدىٰ الموصل إلىٰ الإسعاد والإكمال.

مِنَ ٱلْغَىِّ: الضلال المفضي بالعبد إلىٰ الشقاء والخسران.

فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ: كل ما صرف عن عبادة الله تعالىٰ من إنسان أو شيطان أو غيرهما.

وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ (١): لا إله إلا الله محمد رسول الله.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، أي فقد ثبت في أمره واستقام علىٰ الطريقة المثلىٰ والصراط المستقيم.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، أي فقد استمسك من الدين بأقوىٰ سبب، وشبه ذلك =

لَا ٱنفِصَامَ لَهَا : لا تنفك ولا تنحل بحال من الأحوال. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا : متوليهم بحفظه ونصره وتوفيقه.

يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ : ظلمات الجهل والكفر.

إِلَى ٱلنُّورِ : نور الإيمان والعلم.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ : المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان.

يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ : فأخرجوهم من الإيمان إلىٰ الكفر ومن العلم إلىٰ الجهل. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى : ألم ينته إلىٰ علمك يا رسولنا، والاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحاج لإبراهيم.

حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ : جادل وماریٰ وخاصم إبراهيم.

فِى رَبِّهِۦٓ: في شأن ربه من وجوده تعالىٰ وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم.

أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ : أعطاه الحكم والسيادة علىٰ أهل بلاده وديار قومه.

إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ : إبراهيم: هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ﷺ، وكان هذا الحجاج قبل هجرة إبراهيم إلىٰ أرض الشام. ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾.

فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ : انقطع عن الحجة متحيرًا مدهوشًا ذاك الطاغية الكافر وهو نمرود البابلي. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ: مدينة لم يذكر الله تعالىٰ اسمها فلا يبحث عنها لعدم جدوىٰ معرفتها.

وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا: فارغة من سكانها ساقطة عروشها علىٰ مبانيها وجدرانها.

قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ: كيف يحيي الله.

بَعْدَ مَوْتِهَا: بعد خوائها وسقوطها علىٰ عروشها. ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

قَالَ كَمْ لَبِثْتَ: مكثت وأقمت. ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾.

لَمْ يَتَسَنَّهْ : لم يتغير بمر السنين عليه. ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾.

=

بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد، ولهذا قال: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ الآية، قال مجاهد: العروة الوثقىٰ يعني الإيمان، وقال السدي: هو الإسلام، وقال سعيد بن جبير والضحاك: يعني ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾. وعن أنس بن مالك: العروة الوثقىٰ القرآن، وعن سالم ابن أبي الجعد قال: هو الحب في الله والبغض في الله، وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها. اهـ باختصار (قل).

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ : علامة علىٰ قدرة الله علىٰ بعث الناس أحياء يوم القيامة.

وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا : في قراءة ورش(ننشرها) بمعنىٰ نحييها بعد موتها. وننشزها نرفعها ونجمعها لتكون حمارًا كما كانت. ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ : هو خليل الرحمن أبو الأنبياء ﷺ. ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن[(١)] لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ : يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلىٰ الكيفية.

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ : أملهن واضممهن إليك وقطعهن أجزاء. ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ .

ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا : مشيًا سريعًا وطيرانًا.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ : غالب لا يمتنع عنه ولا منه شيء أراده بحال من الأحوال.

حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ : لا يخلق عبثًا ولا يوجد لغير حكمة، ولا يضع شيئًا في غير موضعه اللائق به.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ : صفتهم المستحسنة العجيبة.

أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ : كل ما يوصل إلىٰ مرضاة الله تعالىٰ من الإيمان وصالح الأعمال. ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ﴾ .

مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ : يزيد ويكثر حتىٰ يكون الشيء أضعاف ما كان. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ .

مَنًّا : المن: ذكر الصدقة وتعدادها علىٰ من تصدق بها عليه علىٰ وجه التفضل عليه.

وَلَآ أَذًى : الأذىٰ: التطاول علىٰ المتصدق عليه وإذلاله بالكلمة النابية أو التي تمس كرامته وتحط من شرفه. ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ .

۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ : كلام طيب يقال للسائل المحتاج نحو: الله يرزقنا وإياكم، الله كريم، الله يفتح علينا وعليك.

وَمَغْفِرَةٌ : ستر علىٰ الفقير بعدم إظهار فقره، والعفو عن سوء خلقه إن كان كذلك. ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ .

وَٱللَّهُ غَنِيٌّ : غنىٰ ذاتي لا يفتقر معه إلىٰ شيء أبدًا.

حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ : لا يعاجل بالعقوبة بل يعفو ويصفح.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم : إبطال الصدقة: الحرمان من ثوابها.

---

(١) هذا السؤال والله ما كان عن شك من إبراهيم أبدًا وكيف وقد قال رسول الله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» [كما في الصحيحين] أي: لو شك إبراهيم لكنا نحن أحرىٰ بذلك لضعفنا ولكن ما شك إبراهيم، وكل ما طلبه زيادة اليقين برؤية كيفية الإحياء كيف تتم، فسلام علىٰ إبراهيم الخليل وعلىٰ محمد في العالمين.

بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ : تقدم معناهما.

كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ : مراءاة لهم ليكسب محمدتهم، أو يدفع مذمتهم. ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ .

فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ : حجر أملس. ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ .

فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ : مطر شديد.

فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا : أملس ليس عليه شيء من التراب.

لَّا يَقْدِرُونَ : يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة. ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ : المثل: الصفة.

ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ : طلبًا لرضاء الله تعالىٰ.

وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ : تحقيقًا وتيقنًا بمثوبة الله تعالىٰ لهم علىٰ إنفاقهم في سبيله.

كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ : بستان كثير الأشجار بمكان مرتفع. ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ .

فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ : مضاعفًا مرتين، أو ضعفي ما يثمر غيرها.

فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ : الوابل: المطر الغزير الشديد.

فَطَلٌّ : الطل: المطر الخفيف. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ﴾ .

إِعْصَارٌ : ريح عاصف فيه سموم. ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ : من جيد أموالكم وأصلحها.

وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ : من الحبوب، وأنواع الثمار.

وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ : لا تقصدوا الرديء تنفقون منه.

وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ : إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر(١) في رداءته فتأخذوه بتساهل منكم وتسامح.

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ : محمود في الأرض والسماء، في الأولىٰ والأخرىٰ لما أفاض ويفيض من النعم علىٰ خلقه.

---

(١) يقال أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز، وما في التفسير فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرداءة، وقراءة الجمهور تشهد للمعنيين: التجاوز، وتغميض العين.

ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ : يخوفكم من الفقر ليمنعكم من الإنفاق في سبيل الله.

وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ : يدعوكم إلىٰ ارتكاب الفواحش ومنها البخل والشح(١) ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾.

يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ : الحكمة: فهم أسرار الشرع، وحفظ الكتاب والسنة. ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ﴾.

أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ : أصحاب العقول الراجحة المفكرة فيما ينفع أصحابها.

وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ : يريد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الرديء.

أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ : النذر التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع، كأن يقول: لله علي أن أتصدق بألف، أو أصوم شهرًا أو أصلي كذا ركعة، أو يقول: إن حصل لي كذا من الخير أفعل كذا من الطاعات(٢). ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠﴾.

إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ : أي تظهروها.

فَنِعِمَّا هِيَۖ : فنعم تلك الصدقة التي أظهرتموها ليقتدىٰ بكم فيها. ﴿وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾.

وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ : يكفر بمعنىٰ يسترها ولا يطالب بها، و(من) للتبعيض إذ حقوق العباد لا تكفرها الصدقة. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾.

۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ : هدايتهم إلىٰ الإيمان وصالح الأعمال. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾.

وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ : من مال.

فَلِأَنفُسِكُمۡۚ : ثوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر، والآجل يوم القيامة عائد علىٰ أنفسكم. ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ﴾.

وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ : يرد أجره كاملًا لا ينقص منه شيء. ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾.

لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ : حبسوا ومنعوا من التصرف؛ لأنهم هاجروا من بلادهم.

لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي سيرًا فيها لطلب الرزق بالتجارة وغيرها لحصار العدو لهم. ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ﴾.

---

(١) لفظ الفحشاء لم يطلق في القرآن إلا علىٰ فاحشة الزنىٰ واللواط اللهم إلا في آية واحدة وهي ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ فإن الفاحشة هنا بمعنىٰ البخل بمنع الزكاة.

(٢) هذا النوع الثاني من النذر مكروه؛ لأنه نذر معلق لكن عليه الوفاء به (قل).

مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ : ترك سؤال الناس، والكف عنه.

تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ: علامات حاجاتهم من رثاثة الثياب وصفرة الوجه.

لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ : إلحاحًا وهو ملازمة السائل من يسأله حتىٰ يعطيه. ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ : يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل في بطونهم، وبغير الأكل، والربا هنا ربا النسيئة: وحقيقتها أن يكون لك علىٰ المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر علىٰ تسديده تقول له: أخر وزد؛ فتؤخره أجلًا وتزيد في رأس المال قدرًا معينًا، هذا هو ربا الجاهلية، والعمل به اليوم في البنوك الربوية، فيسلفون المرء مبلغًا إلىٰ أجل ويزيدون قدرًا آخر نحو العشر أو أقل، والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل(١) أو ربا نسيئة.

لَا يَقُومُونَ : من قبورهم يوم القيامة.

إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ : يضربه الشيطان ضربًا غير منتظم.

مِنَ ٱلۡمَسِّۚ : المس الجنون، يقال: بفلان مس من جنون. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾.

فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ : أمر أو نهي بترك الربا.

فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ : ليس عليه أن يرد الأموال التي سبقت توبته. ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ﴾.

إِلَى ٱللَّهِۖ : إن شاء ثبته علىٰ التوبة فنجاه، وإن شاء خذله لسوء عمله وفساد نيته فأهلكه. ﴿وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾.

يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ : أي يذهبه شيئًا فشيئًا حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء كمحاق القمر آخر الشهر.

وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ : يبارك في المال الذي أخرجت منه، ويزيد فيه، ويضاعف أجرها أضعافًا كثيرة.

وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ : الكفار: شديد الكفر، يكفر بكل حق وعدل وخير. أثيم: منغمس في الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ: خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه وعقابه.

---

(١) راجع تفسير الآية (١٣٠) من سورة آل عمران ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ...﴾.

وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ : اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربوية. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾.

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ : اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم سلاح فإنكم المنهزمون الهالكون.

وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ : بعد التوبة ما لكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا. ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾.

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ : العسرة: الشدة والضائقة المالية.

فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ : أي انتظار للمدين إلىٰ أن ييسر الله عليه فيعطيكم رأس مالكم الذي أخذه منكم.

وَأَن تَصَدَّقُواْ : وأن تتصدقوا علىٰ المعسر بترك ما لكم عليه فذلك.

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ : داين بعضكم بعضًا في شراء أو بيع أو سَلم أو قرض.

إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى : وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام.

فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ : بلا زيادة ولا نقصان ولا غش أو احتيال بل بالحق والإنصاف.

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ : لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب. ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾.

وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ : لأن إملاءه اعتراف منه وإقرار بالذي عليه منه الحق. ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا : لا ينقص من الدين الذي عليه شيء ولو قل كفلس وليذكره كله.

فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا : السفيه: الذي لا يحسن التصرفات المالية، والضعيف العاجز عن الإملاء كالأخرس أو الشيخ الهرم. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾.

فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ من يلي أمره ويتولىٰ شؤونه لعجزه وقصوره.

وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ : أي المسلمين الأحرار دون العبيد والكفار. ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾.

مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا : تنسىٰ أو تخطئ لقصر إدراكها. ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾.

وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ : لا تضجروا أو تملوا من الكتابة، ولو كان الدين صغيرًا مبلغه.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أعدل في حكم الله وشرعه.

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: أثبت لها وأكثر تقديرًا؛ لأن الكتابة لا تنسىٰ والشهادة تنسىٰ أو يموت الشاهد أو يغيب.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾: أقرب أن لا تشكوا بخلاف الشهادة بدون كتابة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: أي تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري يعطي النقود.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: فلا حاجة إلىٰ كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها.

﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: إذا باع أحدٌ أحدًا دارًا أو بستانًا أو حيوانًا يشهد علىٰ ذلك البيع.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: بأن يكلف ما لا يقدر عليه بأن يدعىٰ ليشهد في مكان بعيد يشق عليه أو يطلب إليه أن يكتب زورًا أو يشهد به.

﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾: أي خروج عن طاعة ربكم لاحق بكم إثمه وعليكم تبعته يوم القيامة.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في أوامره فافعلوها، وفي نواهيه فاتركوها.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: وكما علمكم هذا يعلمكم كل ما تحتاجون فاحمدوه بألسنتكم واشكروه بأعمالكم وسيجزيكم بها. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

۞ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: السفر: الخروج من الدار والبلد ظاهرًا بعيدًا بمسافة أربعة برد فأكثر[1].

﴿وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا﴾: من يكتب لكم، أو لم تجدوا أدوات الكتابة من دواة وقلم.

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾: فاعتاضوا عن الكتابة الرهن فليضع المدين رهنًا لدىٰ الدائن.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فلا حاجة إلىٰ الرهن.

﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾: أي فليعط الدين الذي اؤتمن عليه حيث تعذرت الكتابة ولم يأخذ دائنه منه رهنًا علىٰ دينه. ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾.

﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾: لأن الكتمان من عمل القلب فنسب الإثم إلىٰ القلب. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾.

﴿ءَامَنَ﴾: صدق جازمًا بصحة الخبر ولم يتردد أو يشك فيه قط.

﴿ٱلرَّسُولُ﴾: نبينا محمد ﷺ. ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «زاد المعاد» جـ١/ ٤٨١: (ولم يحدّ ﷺ لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر، بل أطلق لهم ذلك في مطلق السفر والضرب في الأرض، كما أطلق لهم التيمم في كل سفر، وأما ما يروىٰ عنه من التحديد باليوم، أو اليومين، أو الثلاثة، فلم يصح عنه منها شيء ألبتة، والله أعلم). أي يقصد بذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ السفر العرفي (قل).

كُلٌّ: كل من الرسول والمؤمنين. ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾.

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ: نؤمن بهم جميعًا ولا نكون كاليهود والنصارىٰ نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا: سماعَ فهم واستجابة وطاعة.

غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾: المرجع أي: رجوعنا إليك يا ربنا فاغفر لنا.

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا: التكليف الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتمل.

إِلَّا وُسْعَهَا: إلا ما تتسع لها طاقتها ويكون في قدرتها(١).

لَهَا مَا كَسَبَتْ: من الخير.

وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ: من الشر.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ: لا تعاقبنا.

إِن نَّسِينَآ: فتركنا ما أمرتنا به أو فعلنا ما نهيتنا عنه نسيانًا منا غير عمد.

أَوْ أَخْطَأْنَا: فعلنا غير ما أمرتنا خطأ منا بدون إرادة فعل منا له ولا عزيمة.

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا: تكليفًا شاقًّا يثقل علينا ويأسرنا فيحبسنا عن العمل. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾.

أَنتَ مَوْلَىٰنَا: مالكنا وسيدنا ومتولي أمرنا لا مولىٰ لنا سواك. ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾(٢).

۞۞۞۞

(١) قال القرطبي: نص الله تعالىٰ علىٰ أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهي في وُسْع المكلف وفي مقتضىٰ إدراكه وبنيته) جـ ٣ ص ٤٢٩.

ومقتضىٰ كلام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الله لم يأمرك ولم ينهك إلا وهذا الأمر وهذا النهي داخلان في طاقتك، فلا يتخلف رجل عن صلاة الصبح جماعة في المسجد بدون عذر. ثم يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لأن هذه الصلاة داخلة في طاقته أصلاً (قل).

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن جرير عن أبي إسحاق: إن معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا فرغ من هذه السورة ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ قال: آمين (قل).

الباب الثاني
من سورة «آل عمران»
إلى سورة «التوبة»

٣- سورة آل عمران

«مدنية»

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ : تقدم الكلام على مثله من سورة «البقرة» فليرجع إليه هناك.

ٱللَّهُ : المعبود بحق.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق سواه.

ٱلۡحَيُّ : ذو الحياة المستلزمة للإرادة والعلم والسمع والبصر والقدرة.

ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ : القيم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ.

نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ : القرآن.

بِٱلۡحَقِّ : متلبِّسًا به إذ كل ما فيه حق وصدق لا باطل فيه بأي وجه من الوجوه.

مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ : من الكتب السابقة لا يخالفها ولا يبطلها لأن مصدر الجميع واحد هو الله تعالى.

وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ : كتاب موسى عليه السلام ومعناه بالعبرية الشريعة[1] .

وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ : كتاب عيسى عليه السلام ومعناه باليونانية: التعليم الجديد[2] .

مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ : ما فرق الله به بين الحق والباطل من الحجج القرآنية والمعجزات الإلهية والعقول النيرة البشرية التي لم يغلب عليها التقليد والجمود والهوى[3] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ .

هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ[4] **التصوير: أي إيجاد الصورة للشيء لم تكن له من قبل والأرحام، جمع رحم: مستودع الجنين.** ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ﴾ .

---

(١) **وهي عند اليهود خمسة أسفار:** سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع.

(٢) ويطلق الإنجيل على أربعة كتب: إنجيل يوحنا ومرقس ولوقا وبرنابا.

(٣) وفسر الفرقان بالقرآن وهو حق لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾؛ وسمي فرقانًا لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٤) أي من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر، وعاهة وسلامة وسعادة وشقاء.

﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ : الظاهرة الدلالة البينة المعنىٰ التي لا تحتمل إلا معنىً[1] واحدًا، وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر وعظات.

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ : وهذه معظم آي الكتاب وهي أمه وأصله.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ : غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعانٍ يصعب علىٰ غير الراسخين في العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب، ومثل قول الله تعالىٰ في عيسىٰ ﷺ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ . النساء، وكقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ الأنعام.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ : الزيغ: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ : أي طلبًا لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ : طلبًا لتأويله ليوافق معتقداتهم الفاسدة.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ : وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ : هم أهل العلم اليقين في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة الحق فلا يزلون ولا يشتطونَ في شبهة أو باطل.

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ : أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعًا.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾[2] : أصحاب العقول الراجحة والفهوم السليمة.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ : أي لا تمل قلوبنا عن الحق بعدما هديتنا إليه وعرفتنا به فعرفناه.

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ : أعطنا من عندك رحمة. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ : هم وفد نجران ويهود المدينة والمشركون والمنافقون.

﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾ : لن تجزي عنهم ولن تقيهم عذاب الله إذا حل بهم. ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ .

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾ : الوقود ما توقد به النار من حطب أو فحم حجري أو غاز.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ : كعادتهم وسنتهم في كفرهم وتكذيبهم وما حل بهم من عذاب في الدنيا والآخرة. ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١١﴾ .

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ : هم يهود المدينة بنو قينقاع. ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢﴾ .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ : علامة واضحة، والفئتان: المسلمون وقريش التقتا في بدر.

---

(١) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: المحكمات أي في القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم.

(٢) هذه الجملة ليست من كلام الراسخين؛ ولكنها من كلام الله تعالىٰ فهي تذييل للكلام السابق سيقت للثناء عليهم.

﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾.

يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ [1] رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ: يُقوي. ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾: العبرة العظة وما يَعْبُر به ذو البصيرة مواضع الخطر فينجو.

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ: جعل حبها مستحسنًا في نفوسهم لا يرون فيه قبحًا ولا دمامة. والشهوات: جمع شهوة بمعنىٰ المشتهىٰ طبعًا وغريزة كالطعام والشراب اللذيذين.

مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ: القنطار ألف ومائة أوقية فضة، والمنقطرة الكثيرة بعضها فوق بعض. ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾.

وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ: ذات السمات الحسان والمُعدة للركوب عليها للغزو والجهاد.

وَٱلْأَنْعَٰمِ: الإبل والبقر والغنم وهي الماشية.

وَٱلْحَرْثِ: الزروع والحقول وسائر النباتات النافعة.

ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: أي ذلك المذكور من النساء والبنين إلخ متاع الحياة الدنيا يريد يستمتع به فيها ويموت صاحبها ويتركها. ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [2]

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم: أخبركم بنبإٍ عظيم لأن النبأ لا يكون إلا بالأمر العظيم.

بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ: أي المذكور في الآية السابقة من النساء والبنين إلخ.

لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا: خافوا ربهم فتركوا الشرك به ومعصيته ومعصية رسوله.

عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ: من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء، وأنهار اللبن وأنهار العسل وأنهار الخمر.

خَٰلِدِينَ فِيهَا: مقيمين فيها إقامة لا يرحلون بعدها أبدًا.

وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ: زوجات هي الحور العين نقيات من دم الحيض والبول وكل أذىٰ وقذر.

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

ٱلصَّٰبِرِينَ: علىٰ الطاعات لا يفارقونها، وعلىٰ المكروه لا يتسخطون، وعن المعاصي لا يقاربونها.

---

(١) الضمير عائد علىٰ المسلمين علىٰ أسلوب الالتفات، والأصل ترونهم مثليكم، ويحتمل أن يكون الضمير عائدًا علىٰ المشركين، ولكن الصواب أنه عائد علىٰ المؤمنين، لأن الله تعالىٰ قلل المشركين في أعين المؤمنين ليقدموا علىٰ قتالهم، إذ كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، وكان عدد المشركين رابيًا علىٰ التسعمائة مقاتل.

(٢) المآب: المرجع والمراد المآب: ما أعده الله تعالىٰ لأوليائه من النعيم المقيم في دار السلام.

وَٱلصَّٰدِقِينَ : في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم.

وَٱلْقَٰنِتِينَ: العابدين المحسنين الداعين الضارعين.

وَٱلْمُنفِقِينَ : المؤدين الزكاة والمتصدقون بفضول أموالهم.

وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾: السائلين ربهم المغفرة في آخر الليل وقت السحور.

شَهِدَ ٱللَّهُ : أخبر عن علم بحضوره الأمر المشهود به.

أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله تبارك وتعالىٰ.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ: أصحاب العلم الصحيح المطابق للواقع وهم الأنبياء والعلماء.

قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ : العدل في الحكم والقول والعمل.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾: الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله وسائر تصرفاته.

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ: ما يدان لله تعالىٰ به أي: يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات.

ٱلْإِسْلَٰمُ : الانقياد لله بالطاعة والخلوص من الشرك والمراد به هنا ملة الإسلام. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ : ظلمًا وحسدًا.

وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾.

فَإِنْ حَآجُّوكَ: جادلوك وخاصموك بحجج باطلة واهية.

فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ : أخلصت كل أعمالي القلبية والبدنية لله وحده لا شريك له.

وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ : كذلك أخلصوا لله كل أعمالهم له وحده لا شريك له.

وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ : اليهود والنصارىٰ.

وَٱلْأُمِّيِّۦنَ: العرب المشركون سُمُّوا بالأميين لقلة من يقرأ ويكتب فيهم.

ءَأَسْلَمْتُمْ : الهمزة الأولىٰ للاستفهام والمراد به الأمر أي: أسلموا خيرًا لكم لظهور الحق وانبلاج نوره بينكم بواسطة كتاب الله ورسوله ﷺ.

فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ : فإن أجابوك وأسلموا فقد اهتدوا إلىٰ سبيل النجاة.

وَّإِن تَوَلَّوْا۟ : أدبروا عن الحق بعد رؤيته وأعرضوا عنه بعد معرفته فلا يضرك أمرهم.

فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ : إذ ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ : يجحدون ويكذبون. بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ.

وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ : جمع نبي وهو ذكر من بني آدم أوحىٰ إليه الله تعالىٰ.

وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ : العدل والحق والخير والمعروف. ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ : أخبرهم إخبارًا يظهر أثره علىٰ بشرة وجوههم ألمًا وحسرة.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ : بطلت وذهبت لم يجنوا منها شيئًا ينفعهم ويهلكون بذلك ويعدمون الناصر لهم؛ لأن الله خذلهم وأراد إهلاكهم وعذابهم في جهنم. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا[1] مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ : أعطوا حظًّا وقسطًا من التوراة.

يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ : يُطلب إليهم أن يتحاكموا فيما اختلفوا فيه من الحق إلىٰ كتابهم الذي يؤمنون به وهو التوراة فيأبون ويعرضون.

ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ : يرجع وهو مصمم علىٰ عدم العودة إلىٰ الحق. ﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾.

لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ : هذا قول اليهود ويعنون بالأيام الأربعين يومًا تلك التي عبدوا فيها العجل بعد غياب موسىٰ عليه السلام عنهم.

وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ : يكذبون.

فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ : هو يوم القيامة.

وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ : ما عملت من خير أو شر.

وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ : بأن يعذبوا بدون مقتضىٰ لعذابهم من الشرك والكفر والمعاصي.

قُلِ ٱللَّهُمَّ : يا ألله حذف حرف النداء «يا» وعوَّض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالىٰ.

مَٰلِكَ : المالك: الحاكم المتصرف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد لعظم سلطانه وقوة إرادته.

ٱلۡمُلۡكِ : المملوك: والمقصود به ما سوىٰ المالك عز وجل، من سائر الكائنات.

تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ : السلطان والتصرف في بعض الملكوت. ﴿مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾﴾.

تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ : تدخل الليل في النهار فلا يبقىٰ ليل.

وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ : فلا يبقىٰ نهار.

وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ : أي تخرج جسمًا حيًّا من جسم ميت في المحسوسات كالدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن المعنويات يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.

وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾ : بغير عدد ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه.

---

(١) التنكير للتقليل وليس للتعظيم؛ لأن السياق في ذمهم وتقبيح سلوكهم.

لَا يَتَّخِذِ : لا يجعل. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

أَوْلِيَآءَ : جمع ولي يتولونهم بالنَّصر والمحبة والتأييد. مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ (١) : أي برئ الله تعالىٰ منه، ومن برئ الله منه فقد هلك

إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً : وقاية باللسان وهي الكلمة الملينة للجانب، المبعدة للبغضاء.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.

مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا : حاضرًا يوم القيامة، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ﴾.

أَمَدًۢا بَعِيدًا : مدىً وغاية بعيدة.

وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ : أي يخوفكم عقابه إن عصيتموه. ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٣٠)﴾.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ : لكمال ذاته وإنعامه عليكم.

فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ : لطاعتكم إيّاه، وطهارة أرواحكم بتقواه.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ : يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

فَإِن تَوَلَّوْا۟ : أعرضوا عن الإيمان والطاعة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٢)﴾.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ : اختار. وآدم هو أبو البشر عليه السلام. ﴿وَنُوحًا﴾.

وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ : آل الرجل أهله وأتباعه علىٰ دينه الحق.

وَءَالَ عِمْرَٰنَ : رجل صالح من صلحاء بني إسرائيل في عهدهم الأخير هو زوج حنَّة وأبو مريم عليها السلام.

﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣)﴾ : هم الناس المعاصرون لهم. ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾.

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ : حنَّة.

رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى : ألزمت نفسها أن تجعله لله يعبده ويخدم بيته الذي هو بيت المقدس.

مُحَرَّرًا : خالصًا لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبدًا. ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.

وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ : في باب الخدمة في بيت المقدس فلذا هي آسفة جدًّا (٢).

وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ : خادمة الرب تعالىٰ.

وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا : أحصنها واحفظها بجنابك وذريتها. ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٣٦)

---

(١) هذا نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية علىٰ حذف مضاف كذلك: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي ليس في ولاية الله وحزبه في شيء.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: أي في القوة والعبادة، وخدمة المسجد الأقصىٰ (قل).

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا : زكريا أبو يحيىٰ عليه السلام وكانت امرأته أختًا لحنّة[1] .

كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ : مقصورة ملاصقة للمسجد. وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا .

قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا : من أين لك هذا، أي: من أين جاءك؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

هُنَالِكَ : ثمَّ عندما رأىٰ كرامة الله لمريم عليها السلام.

دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ : زكريا: أحد أنبياء بني إسرائيل ورسلهم.

قَالَ رَبِّ هَبْ لِي : أعطني.

مِن لَّدُنكَ : من عندك.

ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً : أولادًا أطهارًا صالحين. ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ .

مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ : هي عيسىٰ عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله تعالىٰ «كُنْ».

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا : شريفًا ذا علم وحلم، ولا رغبة له في النساء لقلة مائه.

وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ .

لِي غُلَٰمٌ : ولد ذكر.

وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ : عقيم لا تلد لعُقمها، وعُقرها. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً : علامة أستدل بها علىٰ بداية الحمل لأشكر نعمتك. ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ : إلا إشارة بالرأس أو باليد يفهم منها ما يفهم من الكلام.

وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ : أول النهار، والعشي آخره.

وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ : اذكر لوفد نصارىٰ نجران ما قالت الملائكة فإن ذلك دليل علىٰ صحة نبوتك وصدقك في أمر التوحيد وعدم ألوهية عيسىٰ.

يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ : اختارك لعبادته وحسن طاعته.

وَطَهَّرَكِ : من الذنوب وسائر النقائص المخلة بالولاية لله تعالىٰ.

وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ : أي فضلك علىٰ نساء العالمين بما أهّلك له من كرامة ولادة عيسىٰ من غير أب.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ بتشديد الفاء ونصب زكريا علىٰ المفعولية، أي: جعله كافلاً لها)(قل).

يَـٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ : أطيعي ربك واقنتي له واخشعي. ﴿وَٱسۡجُدِي﴾.

وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ : اشهدي صلاة الجماعة في بيت المقدس[(١)]

ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ : أي ما ذكرت من قصة مريم وزكريا من أخبار الغيب. نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ.

وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ : عندهم وبينهم.

إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ : جمع قلم وهو ما يكتب به وإلقاؤها لأجل الاقتراع بها على كفالة مريم. أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ.

وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ : في شأن كفالة مريم.

إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ : يخبرك بخبر سار مفرح لك.

بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ : هو المسيح ﷺ وسمي كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُنْ».

ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ[(٢)]: لقب عيسى ﷺ ومن معانيه الصدق. ﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾.

وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ : الوجيه: ذو الجاه والقدر والشرف بين الناس. ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ[(٣)]: المهد مضجع الصبي وهو رضيع.

وَكَهۡلٗا : الكهل سن ما بين الشباب والشيخوخة[(٤)] ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ﴾.

وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ : تريد لم يقربها ذكر لا للوقاع ولا لغيره. وذلك لعقمها وبُعْدِها عن الرجال الأجانب. ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾.

إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا : أراده وحكم بوجوده. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾.

وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ : الخط والكتابة.

وَٱلۡحِكۡمَةَ : العلم الصحيح والإصابة في الأمور وفهم أسرار التشريع الإلهي. ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾.

وَرَسُولًا : أي وأبعثه رسولًا.

إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ : علامة دالة على رسالته وصدق نبوته. ﴿مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾.

---

(١) قدم السجود على الركوع في الذكر وإن كان مؤخرًا في الفعل؛ لأنه ألصق بالشكر، والمقام مقام شكر.

(٢) اختلف في سبب تلقيب عيسى بالمسيح، والمشهور أنه لقب تشريف كالفاروق مثلًا أو الملك أو الصديق، وأما عيسى فهو معرب أيشوع ومعناه السيد، وهل المسيح مشتق من المسح؟ وهل هو بمعنى الماسح أو الممسوح خلاف.

(٣) لقد تكلم في المهد غير واحد، منهم شاهد يوسف، وصاحب جريج. وكلام عيسى في المهد هو قوله: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية في سورة مريم.

(٤) ذكر الكهولة هنا تطمين لأمه أنه لا يموت صغيرًا وتكليمه في الكهولة يكون بعد نزوله من السماء لأنه عليه السلام رفع مع نهاية سن الشباب وهو ثلاث وثلاثون سنة لا غير.

أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم : أي أصور لكم، لا الخلق الذي هو الإنشاء والاختراع إذ ذاك لله تعالىٰ.

مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ : كصورة الطير. ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾.

وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ : الذي ولد أعمىٰ.

وَٱلۡأَبۡرَصَ : ذو البرص وهو مرض عَياء عجز عنه الطب القديم والحديث. والبرص بياض يصيب الجلد البشري. ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾.

وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ : تحبسونه وتخفونه عن أطفالكم من الطعام وغيره. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٤٩﴾

وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ : من قبلي. ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾(١) ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠﴾(٢)

إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ: إلهي وإلهكم. ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١﴾.

۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ: علم منهم الكفر به وبما جاء به وهمهم بأذيته. ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ : جمع حواري، والمراد بهم أصفياؤه وأصحابه. نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ.

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢: منقادون لأمر الله ورسوله مطيعون. ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ﴾: أي عيسىٰ عليه السلام.

فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣: الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، ويعبدونه بما يجب أن يعبد به.

وَمَكَرُواْ : دبروا القتل للمسيح عليه السلام.

وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ : دبر تعالىٰ لإنجائه وخيبهم فيما عزموا عليه.

وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤: أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه وإهلاك أعدائه.

إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ : متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك(٣).

---

(١) هو ما حرمه الله عليهم علىٰ عهد موسىٰ من أكل الشحوم ونحوها، أما ما كان محرمًا أصلًا لضرورة فلا يحله لهم وذلك كالسرقة والقتل والزنىٰ والربا فإنه لا يحله لهم أبدًا.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وحّد آية وهي آيات لأنها جنس كنعمة بمعنىٰ جنس النعم والمراد من الآية ما تقدم في قوله: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ إلخ.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: (اختلف المفسرون في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة: هذا من المقدم والمؤخر تقديره إني رافعك إليّ ومتوفيك، يعني بعد ذلك، وقال ابن عباس: إني متوفيك أي: مميتك، وقال وهب بن منبه: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، قال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا وليست بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ الآية، وكان رسول ﷺ يقول إذا قام من النوم: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا**» الحديث. وعن الحسن أنه =

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ : إلىٰ جواري في الملكوت الأعلىٰ.

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ .

ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ : ذلك المذكور من أمر عيسىٰ نقرؤه عليك من جملة آيات القرآن الحكيم.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ : المثل: الصفة المستغربة البديعة. ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾(١)

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ أي ما قصصناه عليك في شأن عيسىٰ هو الحق الثابت من ربك(٢)

فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ : الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ : جادلك بالحجج. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ .

ثُمَّ نَبْتَهِلْ : نلتعن.

فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ : أي نلعن الكاذب منا.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ : ما قصه الله تعالىٰ هو القصص الحق الثابت الذي لا شك فيه. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ .

فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ : الذين يعملون بمعاصي الله تعالىٰ في الأرض من الشرك وكبائر الذنوب.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ : اليهود والنصارىٰ لأن اليهود عندهم التوراة والنصارىٰ عندهم الإنجيل. ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ .

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا : الكلمة السواء هي العادلة وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له.

=

قال في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: برفعي إياك إلىٰ السماء). اهـ(قل) .

(١) المماثلة الحاصلة بين آدم وعيسىٰ عليهما السلام في شيء واحد وهو: أن كلًّا منهما خلق من غير أب وخلق بكلمة التكوين وهي كن.

(٢) وهو أن الله أرسل تعالىٰ جبريل ﷺ فنفخ في كم درع مريم فسرتِ النفخة فيها فحملت بعيسىٰ وولدته في ساعة من نهار وتكلم بعد وضعها له وطمأن والدته وأرشدها إلىٰ ما تقوله لمن يتصدىٰ لها يعيبها. وحاصله أنه كان بكلمة التكوين وهي كن كما كان آدم بها فلا أب له ولا أم.

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ : الأرباب جمع رب وهو المألوه المطاع بغير طاعة الله تعالىٰ.

فَإِن تَوَلَّوْاْ : أعرضوا عن التوحيد.

فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ : اعلموا علم رؤية ومشاهدة بأنَّا مسلمون.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ : تجادلون بحجج باطلة. ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا : لم يكن إبراهيم علىٰ ملة اليهود، ولا علىٰ ملة النصارىٰ.

وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا : مائلًا عن الملل الباطلة إلىٰ ملة الحق وهي الإسلام. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ : أحق بالنسبة إلىٰ إبراهيم وموالاته للذين اتبعوه علىٰ التوحيد. ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ﴾.

وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ : متولي أمرهم وناصرهم.

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ : أحبت فرقة وهم الأحبار والرؤساء فيهم.

لَوْ يُضِلُّونَكُمْ : أي تمنوا إيقاعكم في الضلال لتشقوا وتهلكوا مثلهم.

وَمَا يُضِلُّونَ[(١)] إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ : أي وما يدرون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ : لبس الحق بالباطل: خلطه به فكأنما كسا الباطل ثوب الحق وكسا الحق ثوب الباطل حتىٰ لا يُعرف فيؤخذ به، ويهتدىٰ عليه.

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ : أوله وهو الصباح.

وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ : وهو المساء. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ : أي إلىٰ استقبال الصخرة بدلًا عن الكعبة، والغرض هو بلبلة أفكار المسلمين وإدخال الشك عليهم[(٢)].

---

(١) الإضلال يكون بمعنىٰ الهلاك كما هو هنا تقدم أنهم من يهود المدينة وأن العبرة بعموم اللفظ؛ لذا فإن هذا النوع ما زال إلىٰ اليوم يود إضلال المسلمين.

(٢) **وهذا لا يمنع أن يكون قولهم:** ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ إظهارًا منهم للدخول في الإسلام، والاعتراف به في أول النهار مكرًا وخديعة، فإذا ولىٰ النهار أظهروا رجوعهم عنه ليظن من رآهم أنهم يريدون الحق ولذلك أسلموا فلما تبين لهم بطلان الإسلام وعدم صحته رجعوا عنه.

وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ : أي لا تصدقوا إلا من كان على ملتكم[(١)] .

قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ : البيان الحق والتوفيق الكامل بيان الله وهداه لا ما يخلط اليهود ويلبسون تضليلًا للناس.

أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ : أن يعطى أحد نبوة ودينًا وفضلًا.

أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ : يخاصموكم يوم القيامة عند ربكم.

قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ : قل إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله لا بيد غيره.

يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ : ذو سعة بفضله، عليم بمن يستحق فضله فيمن عليه.

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ : ائتمنه على كذا وضعه عنده أمانة وأمنه عليه فلم يخفه.

بِقِنطَارٍ : وزن معروف والمراد هنا أنه من ذهب بدليل الدينار. ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ .

إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ : أي ملازمًا له تطالبه به ليل نهار. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا ﴾ .

فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ : العرب المشركين.

سَبِيلٌ : أي لا يؤاخذنا الله إن نحن أكلنا أموالهم **لأنهم مشركون**. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

بَلَىٰ : أي ليس الأمر كما يقول يهود من أنه ليس عليهم حرج ولا إثم في أكل أموال العرب المشركين بل عليهم الإثم والمؤاخذة. ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ : أي لا حظ ولا نصيب لهم في خيرات الآخرة ونعيم الجنان. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ .

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ : لا يطهرهم من ذنوبهم ولا يكفرها عنهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا : طائفة من اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالمدينة النبوية.

يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ : يحرفون ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرءون الكتاب.

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ : وليس هو من الكتاب. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ .

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ : أي يكذبون على الله **لأغراض مادية**.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ : أنه كذب على الله.

---

(١) هذا نهي من يهود خيبر إلى إخوانهم من يهود المدينة.

مَا كَانَ لِبَشَرٍ : لم يكن من شأن الإنسان الذي يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة[1] .

أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ : الكتاب: وحي الله المكتوب، والحكم: بمعنىٰ الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع. والنبوة: ما يشرف الله تعالىٰ عبده من إنبائه بالغيب وتكليمه بالوحي. ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟﴾ .

رَبَّٰنِيِّۦنَ : جمع ربّاني: من ينسب إلىٰ الرب لكثرة عبادته وغزارة علمه، أو إلىٰ الربان وهو الذي يرب الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها. ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ .

أَرْبَابًا : جمع رب بمعنىٰ السيد المعبود.

أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ : الاستفهام للإنكار، والكفر هنا الردة عن الإسلام. ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ .

مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين.

لَمَآ ءَاتَيْتُكُم : مهما آتيتكم. ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ .

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ : لتصدقن برسالته[2] ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ .

قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ : الهمزة الأولىٰ للاستفهام التقريري وأقررتم بمعنىٰ اعترفتم.

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى : عهدي وميثاقي. ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ .

فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ : رجع عما اعترف به وأقر.

فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.

أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ : الاستفهام للإنكار، ويبغون بمعنىٰ يطلبون.

وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ : انقاد وخضع لمجاري أقدار الله وأحكامه عليه. ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

وَٱلْأَسْبَاطِ : جمع سبط والسِّبط الحفيد، والمراد بالأسباط هنا أولاد يعقوب الاثنا عشر

---

(١) لفظ البشر: يطلق علىٰ الواحد والجمع لأنه كالمصدر والمراد به هنا عيسىٰ عليه السلام. أي: لا يجتمع لنبي إتيان النبوة مع قوله: ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، وإنما الذي يجتمع له مع إتيان النبوة هو قوله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ إلخ.

(٢) روىٰ ابن كثير عن علي وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قالا: ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق علىٰ أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وهذا غير منافٍ لما قال قتادة وغيره: إن الله أخذ من النبيين ميثاقهم إن يصدق بعضهم بعضًا.

والأسباط في اليهود كالقبائل في العرب. ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا: يطلب ويريد دينًا غير الدين الإسلامي. ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾.

وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾: الهالكين بالخلد في نار جهنم والذين خسروا كل شيء حتىٰ أنفسهم.

كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا(١) الاستفهام هنا للاستبعاد، والهداية الخروج من الضلال. ﴿كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ﴾.

أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ: الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبينة للحق في المعتقد و العمل.

وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾(٢): المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتىٰ أصبح الظلم وصفًا لازمًا لهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾.

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾: طرد الله لهم من كل خير، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم عليهم بذلك. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾: ولا هم يمهلون، من (أنظره) إذا أمهله ولم يعجل بعذابه.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ: أصلحوا ما أفسدوه من أنفسهم ومن غيرهم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ: الكفر: الجحود لله تعالىٰ والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع.

بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ: أي ارتدوا عن الإسلام إلىٰ الكفر. ﴿ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾(٣).

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾: المخطئون طريق الهدىٰ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم﴾.

---

(١) الاستفهام للنفي والاستبعاد إذ هو بمعنىٰ لا يهدي الله قومًا...إلخ.

(٢) أورد هنا القرطبي سؤالًا وهو: أن ظاهر الآية ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دال علىٰ أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله وكثيرٌ من الظالمين تابوا من الظلم؟ وأجاب بقوله: إن معنىٰ (لا يهديهم) ما داموا مقيمين علىٰ كفرهم وظلمهم ولا يقبلون علىٰ الإسلام، فأما إن أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك والله أعلم. اهـ كلامه.

(٣) أورد القرطبي إشكالًا عن قوله تعالىٰ: ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾ مع العلم أن الله تعالىٰ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر كما صح في الخبر وكيف وهو القائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وذكر ثلاثة أجوبة

الأول: أنه لا يقبل توبتهم عند الموت كما هو نص الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ...﴾.

الثاني: أنها لا تقبل توبتهم التي كانت قبل كفرهم إن الكفر محبط للعمل.

والثالث: أنها لا تقبل وهم مصرون علىٰ الكفر. قلت: وهذا أمثلها وهو ما ذكرته في تفسير الآية. والله أعلم.

مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا: ما يملؤها من الذهب.

وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ: ولو قدمه فداء لنفسه من النار ما قبل منه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾.

لَن تَنَالُواْ: لن تحصلوا عليه وتظفروا به.

ٱلْبِرَّ: كلمة جامعة لكل خير، والمراد به هنا ثوابه وهو الجنة.

حَتَّىٰ تُنفِقُواْ: تتصدقوا.

مِمَّا تُحِبُّونَ: من المال الذي تحبونه لأنفسكم وهو أفضل أموالكم عندكم.

وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ: يريد قل أو كثر.

فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾: لازمه أنه يجزيكم به حسب كثرته أو قلته.

۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ: اسم لكل ما يطعم من أنواع المأكولات.

كَانَ حِلًّا: الحل: الحلال، وسمي حلالًا لانحلال عقدة الحظر عنه.

لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل المنحدرون من أبنائه الاثنىٰ عشر إلىٰ يومنا هذا.

إِلَّا مَا حَرَّمَ: حظر ومنع. ﴿إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ[(١)] مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾.

قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ: كتاب أنزل علىٰ موسىٰ عليه السلام وهو من ذرية إسرائيل.

فَٱتْلُوهَآ: اقرءوها علىٰ رءوس الملأ لتتبين صحة دعواكم من بطلانها. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ: دينه وهي عبادة الله تعالىٰ بما شرع، ونبذ الشرك والبدع.

حَنِيفًا: مائلًا عن الشرك إلىٰ التوحيد. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ: مكة. ﴿مُبَارَكًا﴾.

وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾: للناس أجمعين.

فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ: يريد في المسجد الحرام دلائل واضحات.

مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ: آية من الآيات وهو الحجر الذي قام عليه أثناء بناء البيت فارتسمت قدماه وهو صخر فكان هذا آية.

وَمَن دَخَلَهُۥ: الحرم الذي حول البيت بحدوده المعروفة.

كَانَ ءَامِنًا: لا يخاف علىٰ نفس ولا مال ولا عرض[(٢)].

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ: الحج: قصد البيت للطواف به وأداء بقية المناسك.

---

(١) من لحمان الإبل وألبانها.

(٢) صورة اللفظ خبر ومعناه الإنشاء أي الأمر بمعنىٰ: فمن دخله فأمنوه. هكذا قال بعضهم. ولا منافاة بين القولين؛ فإن الحرم كان آمنًا في عهد الجاهلية قرونًا بما ألقىٰ الله في قلوب العرب من حرمة الحرم.

مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا: طريقًا والمراد القدرة على السير إلى البيت والقيام بالمناسك.

وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾: الكفر: الجحود. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ: ما أنزل تعالى من الحجج والبينات في القرآن المقررة لنبوة محمد ﷺ وما أنزله تعالى في التوراة والإنجيل في صفات النبي ﷺ ونعوته الموجبة للإيمان به واتباعه على دين الحق الذي جاء به وهو الإسلام.

وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾: عليم به مطلع عليه، وما يعملونه هو الكفر والشر والفساد. ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ: تصرفون الناس ممن آمن منكم ومن العرب عن الإسلام الذي هو سبيل الله تعالى المفضي بأهله إلى سعادة الدارين.

تَبْغُونَهَا عِوَجًا: تطلبون لها العوج حتى تخرجوا بها عن الحق والهدى فيضل سالكها وذلك بالتحريف والتضليل.

وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ: بعلمكم بأن الإسلام حق، وأن ما تبغونه له من الإضلال لأهله والتضليل هو كفر باطل. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا: طائفة من الحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له والمكر به وبأهله. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾: يرجعوكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ: الاستفهام للإنكار والتعجب من كفرهم بعد إيمانكم.

وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ: آيات القرآن الكريم. ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾.

وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ: يتمسك بشدة. ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ: باستفراغ الوسع في امتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقاته هي تقواه. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا: كتابه القرآن ودينه الإسلام؛ لأن الكتاب والدين هما الصلة التي تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئًا بآخر هو سبب وحبل. ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ: جمعها على أخوة الإيمان ووحد بينها بعد الاختلاف والنفرة. ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾.

وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ: شفا الحفرة: حافتها وطرفها بحيث لو غفل الواقف عليها وقع فيها.

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا: بهدايتكم إلى الإسلام وبذلك أنجاكم من النار. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾.

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ : الأمة: أفراد من البشر أو غيرهم تربطهم رابطة جنس أو لغة أو دين ويكون أمرهم واحدًا، والمراد بالأمة هنا: المجاهدون وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ : الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولىٰ والآخرة من الإيمان والعمل الصالح.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ: المعروف كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ : ضد المعروف، وهو ما نهىٰ عنه الشرع لضرر وإفساد للفرد أو الجماعة. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا : هم أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ. ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١)

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ (٢): هذا يوم القيامة. فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾.

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ : رحمة الله هنا: الجنة جعلنا الله تعالىٰ من أهلها. آمين.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ : هذه آياتنا نقرؤها عليك متلبسة بالحق لا باطل فيها أبدًا.

وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ : فلا يعذب إلا بعد الإعذار والإنذار. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾.

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ : إلىٰ الله تصير الأمور فيقضي فيها بما يشاء، ويحكم بما يريد فضلًا وعدلًا.

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ : وجدتم أفضل وأبرك أمة، وجدت علىٰ الأرض.

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ : أظهرت وأبرزت لهداية الناس ونفعهم.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى : الأذىٰ: الضرر اليسير.

وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ : ينهزمون فيفرون من المعركة مولينكم أدبارهم أي ظهورهم.

---

(١) نهاهم تعالىٰ عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخبر به رسول الله ﷺ فقد قال: «تفرقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارىٰ مثل ذلك، وتفرقت أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح وفعلًا فقد وجدت ست فرق وهي: الحرورية - والقدرية -والجهمية -والمرجئة -والرافضة -والجبرية. انقسمت كل فرقة من هذه إلىٰ اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا أهل السنة والجماعة.

(٢) تبيض وجوه المؤمنين المتقين، وتسود وجوه الكافرين والمبتدعين من أصحاب الأهواء.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾: على المسلمين.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾: أحاطت بهم المذلة ولصقت بهم حتى لا تفارقهم.

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾(١)(٢) ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: رجعوا من رحلتهم الطويلة في الكفر وعمل الشر بغضب الله.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾: ذلة الفقر والفاقة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾: ذلك: إشارة إلى ما لصق بهم من الذلة والمسكنة وما عادوا به من غضب الله تعالى ما تبعه من عذاب. (فالباء) في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ سببية أي: بسبب فعلهم كذا وكذا. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ١١٢﴾: الاعتداء مجاوزة الحد في الظلم والشر والفساد.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: غير متساوين(٣)

﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: جماعة قائمة ثابتة على الإيمان والعمل الصالح(٤)

﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾: يقرءون القرآن.

﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعات الليل جمع أنى.

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣﴾: يصلون. ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: يبتدرونها خشية الفوات. ﴿وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٤﴾.

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾: فلن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون به وافيًا. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ١١٥﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: كذبوا بالله ورسوله وشرعه ودينه.

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لن تجزي عنهم يوم القيامة أموالهم، ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا، إذ لا مال يومئذٍ ينفع، ولا بنون. ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١٦﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: مثل: أي صفة وحال ما ينفقونه لإبطال دعوة الإسلام أو

---

(١) هذه الآية مخصصة لعموم آية الأعراف: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعاهدة دولة قوية.

(٢) الحبل مستعار هنا للعهد أي المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية.

(٣) يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي ليس المسلمون وأهل الكتاب سواء ثم استأنف فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلخ، وما ذكرته في التفسير أصح وأوضح.

(٤) المراد بهم: عبد الله بن سلام، وأخوه وعمته وسعية أو سنعة بن غريض، وثعلبة بن سعية وأسد القرظي، وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم، في دنيا الإسلام والمسلمين إلى اليوم.

للتصديق به.

كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ : الصر: الريح الباردة الشديدة البرد التي تقتل الزرع وتفسده.

أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ : ما تحرث له الأرض وهو الزرع.

ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ : حيث دنسوها بالشرك والمعاصي فعرضوها للهلاك والخسار. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً : بطانة الرجل الذين يطلعهم علىٰ باطن أمره الذي يخفيه علىٰ الناس للمصلحة.

مِّن دُونِكُمْ : من غيركم أي من غير المسلمين كالكفار وأهل الكتاب.

لَا يَأْلُونَكُمْ : لا يقصرون في إفساد الأمور عليكم(١)

خَبَالًا : فسادًا في أمور دينكم ودنياكم.

وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ : أحبوا عنتكم أي مشقتكم.

قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ : ظهرت شدة بغضهم لكم. ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾(٢)

هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ : هؤلاء حذفت منه هاء التنبيه لوجودها في ها أنتم قبلها. ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾.

وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ : أي بالكتب الإلهية كلها. ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾.

وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ : من شدة الغيظ عليكم، لأن المغتاظ إذا اشتد به الغيظ يعض أصبعه علىٰ عادة البشر، والغيظ شدة الغضب. ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾.

إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ : ما يحسن من أنواع الخير كالنصر والتأييد والقوة والخير. ﴿تَسُؤْهُمْ﴾.

وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ : ما يسوءكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة. ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾.

وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا : مكرهم بكم وتبييت الشر لكم.

إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ : علمًا به وقدرة عليه، إذ هم واقعون تحت قهره وعظيم سلطانه.

وَإِذْ غَدَوْتَ : أي واذكر إذ غدوت، والغدو: الذهاب أول النهار.

مِنْ أَهْلِكَ : أهل الرجل زوجه وأولاده، و(من) لابتداء الغاية إذ خرج ﷺ صباح السبت من بيته إلىٰ أحد حيث نزل المشركون به يوم الأربعاء.

---

(١) قيل لعمر رضي الله عنه: إن ها هنا رجلًا من نصارىٰ الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أبو موسىٰ الأشعري بحسّاب نصارىٰ لعمر فانتهره وقال: لا تدنهم، وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

(٢) استدل أهل العلم بهذه الآية علىٰ أن شهادة العدو لا تصح علىٰ عدوه وكيف به إذا كان كافرًا؟!

تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتها صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ .

إِذۡ هَمَّت : حدثت نفسها بالرجوع إلىٰ المدينة وتوجهت إرادتها إلىٰ ذلك.

طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ : هما بنو سلمة، وبنو حارثة من الأنصار.

أَن تَفۡشَلَا : تضعفا وتعودا إلىٰ ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم.

وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ : متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلىٰ المعركة. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ .

وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٍ : بدر اسم رجل وسمي المكان به؛ لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية تبعد عن المدينة بنحو من مائة وخمسين ميلًا «كيلو متر»(١).

وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ : لقلة عددكم وعُدَدِكُمْ وتفوق العدو عليكم. ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ .

إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ(٢) : الاستفهام إنكاري أي ينكر عدم الكفاية ومعنىٰ يكفيكم يسد حاجتكم.

أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم : أي بالملائكة عونًا لكم علىٰ قتال أعدائكم المتفوقين عليكم بالعدد والعتاد.

بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ : واحدهم ملاك، وهم عباد الله مكرمون مخلوقون من نور لا يعصون الله ما أمرهم.

بَلَىٰٓۚ : حرف إجابة أي: يكفيكم. ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ .

وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا : أي من وَجْهِهِم في وقتهم هذا(٣) ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾(٤)

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ : معلمين بعلامات تعرفونهم بها.

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ : البشرىٰ: الخبر السار الذي يتهلل له الوجه بالبشر والطلاقة.

وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ : اطمئنان القلوب سكونها وذهاب الخوف والقلق عنها. ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ

---

(١) كانت غزوة بدر في السابع عشر من رمضان يوم جمعة وكان جيش العدو بها ما بين التسعمائة إلىٰ الألف، وجيش المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا، وغزوة بدر أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

(٢) ذهب بعض إلىٰ أن الاستفهام هنا تقريري لأنه مجاب بـ ﴿بَلَىٰٓۚ﴾، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معًا فتأمل!

(٣) أي المشركون من أصحاب كرز.

(٤) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وعكرمة وغيرهما أن قوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إلخ كان يوم أحد فهو وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة علىٰ شرط الصبر والتقوىٰ فلما لم يصبروا ولم يتقوا كما هو معلوم لم يمدهم بالعدد المذكور من الملائكة، وما ذهبنا إليه في التفسير أقرب إلىٰ الواقع، والله أعلم.

عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ : الطرف: الطائفة، يريد ليُهلك من جيش العدو طائفة.

أَوْ يَكْبِتَهُمْ : أي يخزيهم ويذلهم.

فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾: يرجعوا إلىٰ ديارهم خائبين لم يحرزوا النصر الذي أملوه.

لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ: الشأن والمراد هنا توبة الله علىٰ الكافرين أو تعذيبهم.

شَيْءٌ: شيء نكرة متوغلة في الإبهام. وأصل الشيء: ما يعلم ويخبر به.

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ: أو هنا بمعنىٰ حتىٰ أي فاصبر حتىٰ يتوب عليهم أو يعذبهم. ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ: أي ملكًا وخلقًا وعبيدًا يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟: لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلًا أو شربًا أو لباسًا، والربا: لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة، ربا الفضل: يكون في الذهب، والفضة، والبر، والشعير، والتمر، والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل، أي الزيادة ويحرم التأخير، وربا النسيئة: هو أن يكون علىٰ المرء دين إلىٰ أجل فيحل الأجل ولم يجد سدادًا لدينه فيقول له: أخرني وزد في الدين [1].

أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً: لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتىٰ يتضاعف الدين فيصبح أضعافًا كثيرة [2].

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾: تنجون من العذاب، وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة.

وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾: هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله ﷺ.

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾: لترحموا فلا تعذبوا بما صدر منكم من ذنب المعصية.

---

(١) ربا البنوك اليوم شر من ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل أخاه شيئًا إلىٰ أجل فإذا حل الأجل ولم يجد سدادًا قال له أخر وزد، أما ربا البنوك فإنه يبيعه نقدًا بنقد إلىٰ أجل بزيادة فورية يسجلها عليه.

(٢) وعليه فآية تحريم الربا هي معترضة في سياق الحديث عن غزوة بدر وأحد، وفي هذا الاعتراض جماله وحسن وقعه في النفوس، ومن فوائده دفع السآمة عن السامع إذا استمر الكلام في موضوع واحد.ا.هـ

قلت: بل الأرجح أن الربا من أكبر أسباب هلاك الأمة وبالتالي هزيمتها لذا حذر الله منه، خاصة إذا أضيف إليه الزنىٰ؛ لقول النبي ﷺ: «إذا ظهر الزنىٰ والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» [صحيح] (طب، ك) عن ابن عباس انظر صحيح الجامع (قل).

۞ وَسَارِعُوٓاْ: المسارعة إلىٰ الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخٍ.

إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ: المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها، والمراد هنا: المسارعة إلىٰ التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له**» أخرجه الطبراني.

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ: الجنة دار النعيم فوق السموات والمسارعة إليها تكون بالإكثار من الصالحات.

أُعِدَّتْ: هيئت وأحضرت فهي موجودة الآن مهيأة.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾: المتقون هم الذين اتقوا الله تعالىٰ فلم يعصوه بترك واجب ولا بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فورًا.

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ: السراء الحال المسرة وهي اليسر والغنىٰ، والضراء الحال المضرة وهي الفقر[١].

وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ: كظم الغيظ: حبسه، والغيظ ألم نفسي يحدث إذا أوذي المرء في بدنه أو عرضه أو ماله، وحبس الغيظ: عدم إظهاره علىٰ الجوارح بسب أو ضرب ونحوهما للتشفي والانتقام.

وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ: العفو عدم المؤاخذة للمسيء مع القدرة علىٰ ذلك.

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾: المحسنون هم الذين يبرون ولا يسيئون في قول أو عمل.

وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً: الفاحشة: الفعلة القبيحة الشديدة القبح كالزنىٰ وسائر الذنوب.

أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ: بترك واجب أو فعل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلمًا لها. ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ: أي يسارعوا إلىٰ التوبة، لأن الإصرار هو الشد علىٰ الشيء والربط عليه مأخوذ من الصر، والصرة معروفة.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾: أي أنهم مخالفون للشرع بتركهم ما أوجب، أو بفعلهم ما حرم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾: الذي هو الجنة.

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ: خلت: مضت.

سُنَنٌ: جمع سُنَّة وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أو الجماعة، وسنن الله تعالىٰ في خلقه قانونه الماضي في الخلق.

---

[١] قيل في السراء والضراء: الرخاء والشدة، وقيل في السراء: العرس والولائم، والضراء: النوائب والمآتم وما فسرنا به الآية أعم وأحسن.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : الأمر للإرشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا.
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ : عاقبة أمرهم وهي ما حل بهم من الدمار والخسار كعاد وثمود.
هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ : أي ما ذكر في الآيات بيان للناس به يتبينون الهدى من الضلال، وما لازمهما من الفلاح، والخسران.
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ : الموعظة الحال التي يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة.
وَلَا تَهِنُوا : لا تضعفوا. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ .
إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ : القرح: أثر السلاح في الجسم كالجراح، وتضم القاف فيكون بمعنى الألم.
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ : جمع يوم والليالي معها والمراد بها ما يجريه الله من تصريف الحياة من خير وغيره وإعزاز وإذلال.
وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ : جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله، وشاهد وهو من يشهد على غيره. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ .
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا : ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوصار الذنوب.
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ : يمحو ويذهب آثار الكفر والكافرين(١).
أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ : بل أظننتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن والاستفهام إنكاري.
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ : ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور من يجاهد منكم ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيه. ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ .
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ : أي مضت من قبله الرسل بلغوا رسالتهم وماتوا.
أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ : ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قتل قال: (هيا بنا نرجع إلى دين قومنا) فالاستفهام منصب على قوله: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ لا على ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ وإن دخل عليها.
انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ : رجعتم عن الإسلام إلى الكفر. ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ .
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا : كتب تعالى آجال الناس مؤقتة بمواقيتها فلا

---

(١) قال ابن كثير في ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا، ويكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم، ومحقهم وفنائهم.

تتقدم ولا تتأخر، وفي كتاب المقادير «اللوح المحفوظ».

وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا : الثواب: الجزاء على النية والعمل معًا. وثواب الدنيا الرزق.

وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا : ثواب الآخرة الجنة.

وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ : الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكرًا لله، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم، وذلك بعد موتهم.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ : كثير من الأنبياء. وتفسر كأين بـ (كم) وتكون حينئذٍ للتكثير.

قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ : ربنيون علماء وصلحاء وأتقياء عابدون.

فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ : ما ضعفوا عن القتال ولا انهزموا لأجل ما أصابهم من قتل وجراحات.

وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ : ما خضعوا ولا ذلوا لعدوهم. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا : مجاوزة الحد في الأمور ذات الحدود التي ينبغي أن يوقف عندها. ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا : أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا: النصر والغنيمة. وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْآخِرَةِ.

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ : الذين يحسنون نياتهم يخلصون أعمالهم لله. ويحسنون أعمالهم فيأتون بها موافقة لما شرعت عليه في كيفياتها وأعدادها وأوقاتها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟: المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم والأخذ بإرشاداتهم[1]

يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ : يرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان.

فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ : فاقدين لكل خير في الدنيا، ولأنفسكم وأهليكم يوم القيامة.

بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ : بل أطيعوا الله ربكم ووليكم ومولاكم فإنه خير من يطاع وأحق من يطاع. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ : شدة الخوف من توقع الهزيمة والمكروه. ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾.

وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ : مقر إيوائهم ونزولهم.

---

(١) لفظ الكافرين شامل لكل ما أولت الآية به من المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا ينكر فإن طاعة الكافرين لا تفضي بمن أطاعهم إلا إلى الخيبة والخسران في الدارين.

وَبِئْسَ مَثْوَى : المثوىٰ مكان الثَّوي وهو الإقامة والاستقرار.

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ : المشركين الذين أطاعوا غير الله تعالىٰ وعبدوا سواه.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ : أنجزكم ما وعدكم علىٰ لسان رسوله بقوله للرماة: اثبتوا أماكنكم فإنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم.

إِذْ تَحُسُّونَهُم : تقتلونهم إذ الحس القتل يقال حسه إذا قتله فأبطل حسه.

بِإِذْنِهِۦ : بإذنه لكم في قتالهم وبإعانته لكم علىٰ ذلك.

حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ : ضعفتم وجبنتم عن القتال. ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا[1] وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ .

۞ إِذْ تُصْعِدُونَ : تذهبون في الأرض فارين من المعركة يقال: أصعد إذا ذهب في صعيد الأرض.

وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ : لا تلوون رءوسكم علىٰ أحد تلتفتون إليه.

وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ : أي يناديكم من خلفكم إليّ عباد الله ارجعوا إليّ عباد الله ارجعوا.

فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ : جزاكم علىٰ معصيتكم وفراركم غمًّا علىٰ غم. والغم ألم النفس وضيق الصدر، وسبب الغم الأول: فوات النصر والغنيمة، والثاني: القتل والجراحات وخاصة جراحات نبيهم، وإذاعة قتله.

لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ : من الغنائم.

وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ : من الموت والجراحات والآلام والأتعاب. ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ .

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا : الأمنة: الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل النوم.

يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ : يصيب المؤمنين ليستريحوا، ولا يصيب المنافقين.

وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ : أي لا يفكرون إلا في نجاة أنفسهم غير مكترثين بما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه[2].

---

(١) إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عنها من ترك طاعة رسول الله ﷺ، فطالب الدنيا اليوم إذا طلبها من حلها ولم يُخِلَّ طلبه بواجب، ولم يحمله علىٰ فعل حرام، لا يأثم ولا يلام.

(٢) حدثتهم أنفسهم بما يدخل الهمَّ عليهم وهو تكذيبهم بالقدر، والحرص علىٰ نجاتهم وحزنهم علىٰ ما فاتهم من الغنيمة وهذه كلها موجبات الهم والغم.

يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ : هو اعتقادهم أن النبيﷺ قتل أو أنه لا ينصر.

يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ : أي ما لنا من الأمر من شيء، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم .

مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ : أي ما لا يظهرون لك.

يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ .

لَبَرَزَ الَّذِينَ : لخرجوا من المدينة ظاهرين ليلقوا مصارعهم هناك.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ : يريد كتب في كتاب المقادير.

إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ : جمع مضجع وهو مكان النوم والاضطجاع والمراد المكان الذي صرعوا فيه قتلىٰ.

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ : ليختبر.

وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ : التمحيص: التمييز وهو إظهار شيء من شيء كإظهار الإيمان من النفاق، والحب من الكره. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد.

إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا : أوقعهم في الزلل، وهو الخطيئة والتي كانت الفرار من الجهاد. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : صدقوا الله ورسوله فيما أخبر به من وعد ووعيد(١) . ﴿لَا تَكُونُوا﴾ .

كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ : هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب وهي هنا أخوة النفاق.

إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ : ضربوا في الأرض بأقدامهم مسافرين للتجارة غالبًا(٢) .

أَوْ كَانُوا غُزًّى : جمع غازٍ وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب. ﴿لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ .

لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ : الحسرة: ألم يأخذ بخناق النفس بسبب فوات مرغوب أو فقد محبوب(٣) . ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ .

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ : كنت رفيقًا بهم تعاملهم بالرفق واللطف.

---

(١) الصحيح أن تكون العبارة هكذا: صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من وعد ووعيد(قل) .

(٢) وقد يكون السفر لمصالح المسلمين.

(٣) والحسرة: شدة الأسف؛ أي: الحزن.

وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا[١]: خشنًا في معاملتك شرسًا في أخلاقك وحاشاه ﷺ.

غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ: تفرقوا وذهبوا تاركيك وشأنك.

فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ: يريد إن زلوا أو أخطئوا. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾.

وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ: اطلب مشورتهم في الأمر ذي الأهمية كمسائل الحرب والسلم. ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ: أي يأخذ من الغنيمة خفية، إذ الغُلّ والغلول بمعنى السرقة من الغنائم قبل قسمتها. ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾.

ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾: تجزى ما كسبته في الدنيا وافيًا تامًّا يوم القيامة.

أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ: المراد به ما يوجب رضوان من الإيمان والصدق والجهاد.

كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ: غضبه الشديد على الفاسقين عن أمره المؤذين لرسوله ﷺ. ﴿وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ: أنعم وتفضل. ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ﴾.

رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ: هو محمد ﷺ.

يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ: بما يرشدهم إليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والآداب العالية.

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ: كل قول صالح نافع أبدًا ومنه السنة النبوية. ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾.

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ: المصيبة أحد المصائب: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوؤها مصيبة الموت.

قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا: ضعفيها إذ قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين[٢].

قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ: أي من أين أتانا هذا الذي أتانا من القتل والهزيمة. ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾﴾.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ: أي بإرادته تعالى وتقديره بربط المسببات بأسبابها.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (ثم قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ والفظ الغليظ: والمراد به هنا: غليظ الكلام لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم) .اهـ (قل).

(٢) اعتبر الأسير قتيلاً لأن الآسر له يملك قتله متى شاء، فلذا قال تعالى: ﴿قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ **علم انكشاف وظهور كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور.**

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا : **أظهروا من الإيمان ما لا يبطنون من الكفر.**

وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا : **أي ادفعوا العدو عن دياركم وأهليكم وأولادكم، إن لم تريدوا ثواب الآخرة.** ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾.

لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا : **أي ادفعوا.**

عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ : **في دفع المكروه بالحذر.**

وَلَا تَحْسَبَنَّ : **ولا تظنن.**

الَّذِينَ قُتِلُوا : **استشهدوا.**

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ : **يحسون ويتنعمون في نعيم الجنة بالطعام والشراب.**

فَرِحِينَ: **مسرورين.** ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾.

أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ : **لما وجدوا من الأمن التام عند ربهم.**

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ : **على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة.**

۞ يَسْتَبْشِرُونَ : **يفرحون.** بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ .

وَفَضْلٍ : **وزيادة.** ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾.

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ : **أجابوا الدعوة وقبلوا الأمر.**

مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ : **ألم الجراحات.**

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ : **أعمالهم، وأقوالهم أتوا بها وفق الشرع وأحسنوا إلىٰ غيرهم.**

وَاتَّقَوْا : **ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه.** ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ: **جمعوا الجيوش لقتالكم.**

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ : **يكفينا ما أرادونا به من الأذىٰ.**

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ : **نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها إليه.**

فَانقَلَبُوا : **رجعوا من حمراء الأسد إلىٰ المدينة.**

بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ : **نعمة الإيمان والإسلام والنصر.**

وَفَضْلٍ : **حيث أصابوا تجارة في طريق عودتهم.** ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ[(١)]: **أهل طاعته والاستجابة إليه فيما يدعوهم إليه من الشر والفساد.** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾.

وَلَا يَحْزُنكَ: **الحزن: غم يصيب النفس لرؤية أو سماع ما يسوءه ويكرهه.**

ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ: **يبادرون.**

فِى ٱلْكُفْرِ: **الكفر تكذيب الله تعالىٰ ورسوله فيما جاء به الرسول وأخبر به.** ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾.

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا: **نصيبًا.** ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ: **اعتاضوا الكفر عن الإيمان.** ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ: **الإملاء: الإمهال والإرخاء بعدم البطش بهم وترك الضرب على أيديهم بكفرهم[(٢)].**

إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا: **الإثم: كل ضار قبيح ورأسه: الكفر والشرك.** ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: **ليترك المؤمنين.** ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾.

حَتَّىٰ يَمِيزَ: **يميز ويبين.**

ٱلْخَبِيثَ: **من خبثت نفسه بالشرك.**

مِنَ ٱلطَّيِّبِ: **من طهرت نفسه بالإيمان والعمل الصالح.**

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ: **ما غاب فلم يدرك بالحواس.**

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى: **يختار ويصطفي.** ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ: **يمنعون ويضنُّون.** ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾.

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ: **يجعل طوقًا في عنق أحدهم.**

وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ.

بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾: **هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم.**

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ: **أي قلنا لهم: ذوقوا بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم.** ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) معنىٰ: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾: أنه يخوف المؤمنين بأوليائه وهم المشركون وذلك علىٰ لسان نعيم بن مسعود الذي آجره أبو سفيان ليخوف المؤمنين بعزم أبي سفيان علىٰ الكرة عليهم لاستئصالهم وإبادتهم.

(٢) فسر الإملاء بطول العمر ورغد العيش، وهو كذلك مع إضافة عدم معاجلتهم بالعقوبة إنظارًا لهم لا إهمالًا.

لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾.

ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ : أمرنا ووصانا في كتابنا التوراة.

أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ : أي لا نتابعه، على ما جاء به ولا نصدقه في نبوته.

حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ : القربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع في مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه.

قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِٱلْبَيِّنَٰتِ: الآيات والمعجزات.

وَبِٱلَّذِي قُلْتُمْ : أي من القربان.

فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾: الاستفهام للتوبيخ، وممن قتلوا من الأنبياء زكريا ويحيى عليهما السلام. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

وَٱلزُّبُرِ: جمع زبور وهو الكتاب كصحف إبراهيم.

وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾: الواضح البين كالتوراة والزبور والإنجيل.

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ: أي ذائقة موت جسدها أما هي فإنها لا تموت.

وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ : تعطون جزاء أعمالكم خيرًا أو شرًّا وافية لا نقص فيها.

فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ: نُجِّي وأبعد.

وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ : نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة.

وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾: المتاع كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع فشبهت الدنيا بمتاع خادع غار صاحبه لا يلبث أن يضمحل ويذهب.

۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ : لتُختبَرُن في أموالكم بأداء الحقوق الواجبة فيها، أو بذهابها وأنفسكم بالتكاليف الشاقة كالجهاد، والحج، أو المرض والموت.

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ : اليهود والنصارى.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ: العرب. ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾.

وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾: يريد أن الصبر والتقوى من الأمور الواجبة التي هي عزائم وليس فيها رخص ولا ترخيص بحال من الأحوال.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين، أوتوا الكتاب: اليهود والنصارى.

لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ الكِتمان: إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم.

فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ: ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه وهو ما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به عن الإسلام.

وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا : اعتاضوا عنه حطام الدنيا ومتاعها الزائل إذ كتموه، إبقاء على منافعهم الدنيوية، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ : أي يثنى عليهم ويذكروا بخير وهم لم يفعلوا ما يوجب لهم ذلك.

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ : بمنجاة من العذاب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾.

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي في وجودهما من العدم.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ : تعاقبهما هذا يجيء وذاك يذهب، هذا مظلم وذاك مضيء.

لَءَايَٰتٍ : دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ : أصحاب العقول التي تدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة. ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

رَبَّنَا : يقولون ربنا.

مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا : لا لشيء مقصود منه، وإنما هو من باب اللعب.

سُبْحَٰنَكَ : تنزيهًا لك من العبث واللعب، وعن الشريك والولد.

فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ : أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة وتجنيبنا الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار.

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ : أذللته وأشقيته. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا﴾.

مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ : والمنادي هو القرآن الكريم والرسول ﷺ. ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ : استر وامح عنا سيئاتنا.

وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ : جمع برّ أو بار وهم المتمسكون بالشريعة.

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ : على ألسنة رسلك من النصر والتأييد.

وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ : الوعد. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ : تركوا بلادهم وديارهم وأموالهم وأهليهم فرارًا بدينهم.

وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى : آذاهم المشركون من أجل الإيمان بي ورسولي وطاعتنا. ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ : أي أجرًا جزاء كائنًا من عند الله وهو الجنات بعد تكفير السيئات. ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾.

لَا يَغُرَّنَّكَ : لا يكن منك اغترار، المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أصحابه وأتباعه.

تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ : **تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة والأموال والمآكل والمشارب.**

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ : **تصرفهم ذلك هو متاع قليل يتمتعون به أعوامًا وينتهي.**

ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ : **مآلهم بعد التمتع القليل إلىٰ جهنم يأوون إليها فيخلدون فيها أبدًا.** ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ : **النزل: ما يعد للضيف من قرىٰ: طعام وشراب وفراش.**

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ : **جمع بار وهو المطيع لله ولرسوله الصادق في طاعته.** ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ : **القرآن والسنة.**

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ : **التوراة والإنجيل.**

خَٰشِعِينَ لِلَّهِ : **مطيعين مخبتين له عز وجل.**

لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : **لا يجحدون أحكام الله وما أمر ببيانه للناس مقابل منافع تحصل لهم.** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ [1] : **الصبر: حبس النفس علىٰ طاعة الله ورسوله، والمصابرة: الثبات والصمود أمام العدو.**

وَرَابِطُواْ : **المرابطة: لزوم الثغور منعًا للعدو من التسرب إلىٰ ديار المسلمين.**

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ : **تفوزون بالظفر المرغوب، والسلامة من المرهوب في الدنيا والآخرة.**

❁❁❁❁

---

(١) المصابرة: هي الصبر في وجه العدو الصابر، ومن هنا كانت المصابرة أشد من الصبر لأنها صبر في وجه عدو صابر، فأيهما لم يثبت علىٰ صبره هلك، وأصبح النجاح لأطولهما صبرًا.

٤- سُورَةُ النِّسَاءِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ : البشر، واحد الناس من غير لفظه وهو إنسان.

اتَّقُوا رَبَّكُمُ : خافوه أن يعذبكم فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه.

الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ : هي آدم عليه السلام.

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا : خلق حواء من آدم من ضلعه[1].

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً : نشر وفرق في الأرض من آدم وزوجه رجالًا ونساءً كثرًا.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ : كقول الرجل لأخيه أسألك بالله أن تفعل كذا.

وَالْأَرْحَامَ : الأرحام: جمع رحم، والمراد من اتقاء الأرحام صلتها وعدم قطعها.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ : الرقيب الحفيظ العليم.

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ : جمع يتيم ذكرًا كان أو أنثىٰ وهو من مات والده وهو غير بالغ الحلم[2].

وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ : الخبيث الحرام والطيب الحلال، والمراد بها هنا الرديء والجيد. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾.

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ : الحوب: الإثم الكبير العظيم.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا : أن لا تعدلوا. ﴿فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾.

مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ : أي اثنتين أو ثلاث أو أربع إذ لا يحل الزيادة علىٰ الأربع. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ : أقرب أن لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات.

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً : جمع صدقة وهي الصداق والمهر، ونحلة بمعنىٰ فريضة واجبة. ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾.

هَنِيئًا : الهنيء: ما يستلذ به عند أكله.

---

(١) الفصيح: هو لفظ زوج، ولذا لم يرد في القرآن بالتاء قط، وتساهل فيه الفقهاء لأجل التفرقة بين الرجل والمرأة ولهذا يقولون: للزوج كذا وللزوجة كذا.

(٢) ولإيتاء اليتامىٰ أموالهم صورتان: الأولىٰ: غذاؤهم وكساؤهم ما داموا تحت الولاية، والثانية: دفع أموالهم إليهم وذلك عند البلوغ والرشد.

﴿مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ : المريء: ما تحسن عاقبته بأن لا يعقب آثارًا سيئة.

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ﴾ : لا تعطوا.

﴿ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ﴾ : جمع سفيه وهو من لا يحسن التصرف في المال.

﴿ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾ : القيام: ما يقوم به الشيء فالأموال جعلها الله تعالىٰ قيامًا أي: تقوم عليها معايش الناس ومصالحهم الدنيوية والدينية أيضًا. ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ﴾.

﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٥﴾ : أي قولًا تطيب به نفسه فلا يغضب ولا يحزن[1].

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ : أي اختبروهم كي تعرفوا هل أصبحوا يحسنون التصرف في المال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ : أي سن الزواج وهي البلوغ[2].

﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ : أبصرتم الرشد في تصرفاتهم. ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْ﴾ : الإسراف الإنفاق في غير الحاجة الضرورية والبدار: المبادرة والمسارعة إلىٰ الأكل منه قبل أن ينقل إلىٰ اليتيم بعد رشده[3].

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡ﴾ : أي يعف بمعنىٰ يكف عن الأكل من مال يتيمه.

﴿وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ : أي بقدر الحاجة الضرورية. ﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ۝٦﴾ : شاهدًا لقرينة فأشهدوا عليهم.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ﴾ : الحظ المقدر في كتاب الله.

﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ﴾ : الأب والأم.

﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَ﴾ : جمع قريب وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولادة. ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ۝٧﴾.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[4] : أصحاب القرابات الذين لا يرثون لبعدهم عن عمودي النسب. ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ﴾.

﴿فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ﴾ : أعطوهم شيئًا يرزقونه.

---

(١) كقوله لولد: مالي إليك صائر، وكأن يدعو لهم: (بارك الله فيكم) أو يقول: هذا مالكم أحفظه لكم لتأخذوه يوم ترشدون.

(٢) يعرف البلوغ بالاحتلام وإنبات شعر العانة أو بلوغ ثمانية عشر سنة، هذا للغلام، أما الجارية فتزيد بعلامة أخرىٰ هي الحيض والحمل.

(٣) دفع مال اليتيم إليه يتم بشرطين: الرشد والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر فلا يتم تسليم المال.

(٤) الجمهور علىٰ أن هذه الآية منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ الآية وقال ابن عباس: إنها محكمة، وعلىٰ أنها غير منسوخة شرحناها في التفسير فليتأمل.

وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ : لا إهانة فيه ولا عتاب، ولا تأفيف.

وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ :أي بعد موتهم.ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا : الخشية: الخوف في موضع الأمن. ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾.

فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ : عدلًا صائبًا. أي: فليخشوا هذه الحال علىٰ أولاد غيرهم ممن حضروا وفاته، كما يخشون علىٰ أولادهم؛ إذن فعليهم أن يتقوا الله في أولاد غيرهم؛ وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولًا سديدًا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا : بغير حق يخول لهم أكل مال اليتيم.

إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ : سيدخلون سعيرًا نارًا مستعرة يشوون فيها ويحرقون بها.

يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ: يعهد إليكم.

فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ : في شأن أولادكم والولد يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ.

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ : الحظ: الحصة أو النصيب.

فَإِن كُنَّ نِسَآءً: بنات كبيرات أو صغيرات. ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ﴾.

ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ : الثلث واحد من ثلاثة، والثلثان من ثلاثة. ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ﴾.

وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ : السدس: واحد من ستة.

إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ : ذكرًا كان أو أنثىٰ، أو كان له ولدُ وَلد أيضًا ذكرًا كان أو أنثىٰ فالحكم واحد. ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ﴾.

فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ : اثنان فأكثر. ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ﴾.

مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ: أي يخرج الدين ثم الوصية ويقسم الباقي علىٰ الورثة ﴿يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ (١).

لَا تَدْرُونَ: لا تعلمون. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ : فرض الله ذلك عليكم فريضة (٢).

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾: عليمًا بخلقه وما يصلح لهم، حكيمًا في تصرفه في شؤون خلقه وتدبيره لهم.

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ: الأزواج هنا الزوجات.

إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ: المراد هنا بالولد ابن الصلب ذكرًا كان أو أنثىٰ وولد الولد مثله.

---

(١) يرىٰ الإمام الشافعي أن من مات وعليه زكاة أو حج الفرض أن يخرج ذلك من ماله قبل قسمة التركة، وقال مالك: إن أوصىٰ به تنفذ وصيته، وإن لم يوص فالمال للورثة وهو أمره إلىٰ الله تعالىٰ.

(٢) الفرائض ست وهي النصف، والربع، والثمن، والثلثان، والثلث، والسدس.

فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ : **واحد من أربعة.** ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾.

وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً : **الكلالة أن يهلك هالك ولا يترك ولدًا ولا والدًا ويرثه إخوته لأمه.** ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾.

وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ: **أي من الأم.** ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾.

غَيْرَ مُضَآرٍّ : **بهما -أي الوصية والدين- أحد من الورثة.**

وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾: **لا يعاجل بالعقوبة علىٰ المعصية.**

تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ : **تلك اسم إشارة أشير به إلىٰ سائر ما تقدم من أحكام النكاح وكفالة اليتامىٰ وتحريم أكل مال اليتيم وقسمة التركات. وحدود الله وهي ما حده لنا وبينه من طاعته وحرم علينا الخروج عنه والتعدي له**[1]. وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾: **وهو النجاة من النار ودخول الجنة**

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾.

وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾: **العذاب المهين: ما كان فيه إهانة للمعذب بالتقريع والتوبيخ ونحو ذلك.**

وَٱلَّٰتِى : **جمع التي اسم موصول للمؤنث المفرد واللاتي للجمع المؤنث.**

يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ : **المراد بها هنا الزنا.**

مِن نِّسَآئِكُمْ : **المحصنات.** ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾.

أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا[2] ﴿١٥﴾: **طريقًا للخروج من سجن البيوت.**

---

(١) يرىٰ بعضهم أن الإشارة لأقرب مذكور وهو قسمة المواريث، وما فسرنا به أولىٰ لأنه أعم يشمل كل ما تقدم من أحكام الشريعة.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلىٰ أن تموت؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ يعني: الزنىٰ ﴿ مِن نِّسَآئِكُمْ ...﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ؛ لذلك قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان الحكم كذلك فأنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم، وكذا روي عن عكرمة و...أنها منسوخة وهو أمر متفق عليه وقد روىٰ مسلم وغيره قول الرسول ﷺ: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلًا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم». اهـ بتصرف من ابن كثير (قل).

وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ : **الضمير عائد إلىٰ الفاحشة المتقدم ذكرها.** ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ : **اتركوا أذيتهما بعد أن ظهرت توبتهما.** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ .

إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ : **أصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم علىٰ فعل القبيح أي: إنما ثبتت لهم التوبة من الله.**

لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ : **كل ما أساء إلىٰ النفس والمراد به هنا السيئات.**

بِجَهَٰلَةٖ : **لا مع العمد والإصرار وعدم المبالاة.** ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ .

أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ : **أعددنا وهيأنا.**

عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨ : **موجعًا شديد الإيجاع.** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾ .

أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ : **بدون رضاهن.**

وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ : **العضل: المنع بشدة كأنه إمساك بالعضلات أو من العضلات.**

لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ : **أي من المهور.**

إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ : **الفاحشة: الخصلة القبيحة الشديدة القبح كالزنا، مبينة: ظاهرة واضحة ليست مجرد تهمة أو مقالة سوء.**

وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ : **ما عرفه الشرع واجبًا أو مندوبًا أو مباحًا.** فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا **أي: من الذهب أو الفضة مهرًا وصداقًا.** ﴿فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ﴾ .

أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠ : **أي كذبًا وافتراء، وإثمًا حرامًا لا شك في حرمته لأنه ظلم.**

وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ : **أي خلص الزوج إلىٰ عورة الزوجة والزوجة كذلك.**

وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٢١ : **هو العقد وقول الزوج: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.**

وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ : **لا تتزوجوا امرأة الأب أو الجد.**

إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ : **إلا ما قد مضىٰ قبل هذا التحريم.**

إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ : **أي زواج نساء الآباء فاحشة شديدة القبح.**

وَمَقۡتٗا : **ممقوتًا مبغوضًا للشارع ولكل ذي فطرة سليمة.**

وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢ : **أي قبح نكاح أزواج الآباء طريقًا يسلك.**

حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ : **جمع أم فالأم محرمة ومثلها الجدة وإن علت.** ﴿وَبَنَاتُكُمۡ

وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ .

وَرَبَائِبُكُمُ : الربائب جمع ربيبة وهي بنت الزوجة.

اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ : فإن نكح الرجل الزوجة وبنىٰ بها فلا يحل له الزواج من ابنتها، أما إذا عقد فقط ولم يبن فإن البنت تحل له.

وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ : الحلائل: جمع حليلة وهي امرأة الابن من الصلب. ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ(١) إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣)﴾ .

۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ : جمع محصنة والمراد بها هنا المتزوجة.

إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ : المملوكة بالسبي والشراء ونحوهما.

كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : أي ما حرم الله من المناكح قد كتبه علىٰ المسلمين كتابًا وفرضه فرضًا فلا يجوز إهماله.

وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ : أي ما عداه أي ما عدا ما حرم عليكم.

أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ : حسب شروط النكاح.

غَيْرَ مُسَافِحِينَ : المسافح: الزاني، لأن السفاح هو الزنا.

فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً : أي إذا أعطىٰ الرجل المرأة المهر كاملًا فلا حرج عليها أن تسقط من مهرها لزوجها أو تهبه له كله أو بعضه. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾ .

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا : سعة وقدرة علىٰ المهر.

أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ : العفيفات المؤمنات. ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ .

وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ : مهورهن. ﴿بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ .

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ : الخدين الخليل الذي يفجر بالمرأة سرًّا تحت شعار الصداقة.

فَإِذَا أُحْصِنَّ : أي الإماء بأن أسلمن أو تزوجن إذ الإحصان يكون بهما. ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ .

ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ : العنت الضرر في الدين والبدن. أي خاف علىٰ نفسه الزنا.

وَأَن تَصْبِرُوا : علىٰ العزوبة.

---

(١) وحرم بالسنة المتواترة الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من زواج الإماء. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: يريد الله أن يبين لكم بما حرم عليكم وأحل لكم ما يكملكم ويسعدكم في دنياكم وأخراكم.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين لتنهجوا نهجهم فتطهروا وتكملوا وتفلحوا مثلهم.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يرجع بكم عما كنتم عليه من ضلال الجاهلية إلىٰ هداية الإسلام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: من اليهود والنصارىٰ والمجوس والزناة.

﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾: تحيدوا عن طريق الطهر والصفاء إلىٰ طريق الخبث والكدر بارتكاب المحرمات من المناكح وغيرها فتبتعدوا عن الرشد بعدًا عظيمًا.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾: لا يصبر عن النساء فلذا رخص تعالىٰ لهم في الزواج من الفتيات.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: صدقوا الله والرسول.

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾: بغير حق يبيح أكلها.

﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾: بيعًا وشراء فيحل لصاحب البضاعة أن يأخذ النقود ويحل لصاحب النقود أخذ البضاعة، إذًا لا باطل. ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾: أي تزهقوا أرواح بعضكم بعضًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾: اعتداء يكون فيه ظالمًا(١).

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾: ندخله نار جهنم يحترق فيها. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا﴾: تبتعدوا لأن الاجتناب ترك الشيء عن جنب بعيدًا عنه لا يقبل عليه ولا يقربه.

﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: الكبائر: ضد الصغائر، والكبيرة تعرف بالحد لا بالعد، فالكبيرة ما توعد الله ورسوله عليها، أو لعن الله ورسوله فاعلها، أو شُرع لها حد يقام علىٰ صاحبها، وقد جاء في الحديث الصحيح بيان العديد من الكبائر، وعلىٰ المؤمن أن يعلم ذلك ليجتنبه.

﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾: نغط ونستر فلا نطالب بها ولا نؤاخذ عليها.

﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾: المدخل الكريم هنا: الجنة دار المتقين.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾: التمني: التشهي والرغبة في حصول الشيء، وأداته: ليت ولو، فإن كان مع زوال المرغوب فيه عن شخص ليحصل للمتمني فهو الحسد.

---

(١) أي لم يكن سهوًا منه ولا خطأ وهو معنىٰ ﴿عُدْوَانًا﴾ ولا بحق كقصاص وهو معنىٰ ﴿وَظُلْمًا﴾.

مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ: أي ما فضل الله به أحدًا منكم فأعطاه علمًا أو مالًا أو جاهًا أو سلطانًا.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ: أي حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية. ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٣٢﴾.

وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ: الموالي من يلون التركة ويرثون الميت من أقارب. ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ﴾.

وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ: أي حالفتموهم وتآخيتم معهم مؤكدين ذلك بالمصافحة واليمين.

فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ: من الرفدة والوصية والنصرة لأنهم ليسوا ورثة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣﴾.

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ: جمع قوام: وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحًا.

بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ: بأن جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقوامة.

وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ: وهذا عامل آخر مما ثبتت به القوامة للرجال على النساء فإن الرجل بدفعه المهر وبقيامه بالنفقة على المرأة كان أحق بالقوامة التي هي الرئاسة.

فَٱلصَّٰلِحَٰتُ: جمع صالحة: وهي المؤدية لحقوق الله تعالى وحقوق زوجها.

قَٰنِتَٰتٌ: مطيعات لله ولأزواجهن.

حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ: حافظات لفروجهن وأموال أزواجهن.

بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ: بحفظ الله لها وإعانته لها.

وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ: النشوز: الترفع عن الزوج وعدم طاعته.

فَعِظُوهُنَّ: بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية.

وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ: في الفراش.

وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ: ضربًا غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر عظمًا.

فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ: أي لا تطلبوا لهن طريقًا تتوصلون به إلى ضربهن بعد أن أطعنكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾.

وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا: الشقاق: المنازعة والخصومة حتى يصبح كل واحد في شق مقابل.

فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ: الحكم: الحاكم، والمحكم في القضايا للنظر والحكم فيها. ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾.

۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ: الخطاب للمؤمنين ومعنى اعبدوا: أطيعوه في أمره ونهيه مع غاية الذل

والحب والتعظيم له عَزَّوَجَلَّ.

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا: أي لا تعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادات التي تعبد الله تعالىٰ بها من دعاء وخشية وذبح ونذر وركوع وسجود وغيرها.

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ: أصحاب القرابات. ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾.

وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ: أي القريب لنسب أو مصاهرة.

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ: أي الأجنبي مؤمنًا كان أو كافرًا.

وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ: الزوجة، والصديق الملازم كالتلميذ والرفيق في السفر.

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ: المسافر استضاف أم لم يستضف.

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ: من الأرقاء العبيد فتيان وفتيات. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ﴾.

مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾: الاختيال: الزهو في المشي، والفخر الافتخار بالحسب والنسب والمال بتعداد ذلك وذكره.

ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ: يمنعون الواجب بذله من المعروف مطلقًا. ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾[1].

وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ: يجحدون ما أعطاهم الله من علم ومال تفضلًا منه عليهم. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ﴾.

قَرِينًا ﴿٣٨﴾: القرين: الملازم الذي لا يفارق صاحبه كأنه مشدود معه بقرن أي: حبل.

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ: أي أيُّ شيء يضرهم أو ينالهم بمكروه إن هم آمنوا؟

وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: المثقال: الوزن مأخوذ من الثقل فكل ما يوزن فيه ثقل، والذرة: أصغر حجم في الكون حتىٰ: قيل إنه الهباء أو رأس النملة.

وَإِن تَكُ حَسَنَةً: الحسنة: الفعلة الجميلة من المعروف.

يُضَٰعِفْهَا: يزد فيها ضعفها.

وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ: من عنده.

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾: جزاء كبيرًا وثوابًا عظيمًا.

---

(١) البخل المذموم شرعًا: هو الامتناع من أداء الحقوق الواجبة، والشح: بخل مع حرص وهو شر من مجرد البخل.

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ[١]: الشاهد على الشيء لعلمه به. ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾.

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ: يحب. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ: يكونوا ترابًا مثلها.

وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾: أي لا يخفون كلامًا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ: لا تدنوا كناية عن الدخول فيها، أو لا تدنوا من مساجدها.

وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ: جمع سكران وهو من شرب مسكرًا فستر عقله وغطاه.

حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ: لزوال السكر عنكم ببعد شربه عن وقت الصلاة. وهذا كان قبل تحريم الخمر وسائر المسكرات.

وَلَا جُنُبًا: الجنب: من به جنابة وللجنابة سببان: جماع، أو احتلام[٢].

إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ: مارين بالمسجد مرورًا بدون جلوس فيه. ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ: المكان المنخفض للتغوط: أي التبرز فيه.

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ: جامعتموهن. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾.

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا: اقصدوا ترابًا طاهرًا. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ﴾.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾: عفوًا: لا يؤاخذ على كل ذنب، غفورًا: كثير المغفرة لذنوب عباده التائبين إليه.

أَلَمْ تَرَ: ألم تبصر أي بقلبك أي تعلم.

إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ: حظًّا وقسطًا.

يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ: أي الكفر بالإيمان. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ: الأعداء: جمع عدو وهو من يقف عنك بعيدًا يود ضرك ويكره نفعك. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود قيل لهم ذلك لقولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ﴾ أي: تبنا ورجعنا.

يُحَرِّفُونَ: التحريف: الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل.

---

(١) هو رسولها الذي أرسل إليها.

(٢) من موجبات الغسل كما قال العلماء: خروج المني بشهوة في النوم واليقظة من الذكر أو الأنثى وهذا التعريف – والله أعلم – أعمُّ حيث يندرج تحته غير هذين السببين. (قل).

ٱلْكَلِمَ : الكلام وهو كلام الله تعالىٰ في التوراة. ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم كانوا يقولون: سمعنا قولك، وعصينا أمرك.

وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ : أي اسمع ما تقول لا أسمعك الله. وهذا كفر منهم صريح.

وَرَٰعِنَا : وهي كلمة ظاهرها أنها من المراعاة وباطنها الطعن في رسول الله ﷺ إذ اليهود يعدونها من الرعونة يقولونها لرسول الله ﷺ سبًّا وشتمًا له، قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرهم.

لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ : أي يلوون ألسنتهم بالكلمة التي يسبون بها حتىٰ لا تظهر عليهم، ويطعنون بها رسول الله ﷺ.

وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ : سبهم للرسول ﷺ هو الطعن الأعظم في الدين.

وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا : وأمهلنا حتىٰ نسمع فنفهم.

لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ : أعدل وأصوب.

وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ : طردهم من رحمته وأبعدهم من هداه بسبب كفرهم برسول الله ﷺ. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ : اليهود والنصارىٰ والمراد بهم هنا اليهود لا غير.

ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم : القرآن.

مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا : نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها.

فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ : نجعل الوجه قفا، والقفا وجهًا.

أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ : لعنهم مسخهم قردة، خزيًا لهم وعذابًا مهينًا.

وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ : أمر الله: مأموره كائن لا محالة لأنه تعالىٰ لا يعجزه شيء.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ : لا يمحو ولا يترك المؤاخذة.

أَن يُشْرَكَ بِهِۦ : أي يعبد معه غيره تأليهًا له بحبه وتعظيمه وتقديم القرابين له، وصرف العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له.

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ : أي ما دون الشرك والكفر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركًا ولا كفرًا.

لِمَن يَشَآءُ : أي لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر.

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ : افترىٰ: اختلق وكذب كذبًا بنسبته العبادة إلىٰ غير الرب تعالىٰ، والإثم: الذنب العظيم الكبير.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم : تزكية النفس: تبرئتها من الذنوب والآثام.

بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ : يطهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوفيقه للعمل بما يزكي النفس، وإعانته عليه.

وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ : **الفتيل: الخيط الأبيض يكون في وسط النواة، أو ما يفتله المرء بأصبعه من الوسخ في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأتفهها.**

انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ : **الكذب: عدم مطابقة الخبر للواقع.** ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ : **الجبت: اسم كل ما عبد من دون الله[1] وكذا الطاغوت سواء كانا صنمين أو رجلين.** ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ : **أكثر هداية في حياتهم وسلوكهم.** ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ .

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ : **النقير: ثغرة في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها.**

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ : **الحسد: تمني زوال النعمة عن الغير والحرص علىٰ ذلك.**

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ : **السداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي.** ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا : **ندخلهم نارًا يحترقون بها.**

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم : **اشتوت فتهرت وتساقطت.** ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ .

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ : **ليستمر لهم العذاب مؤلمًا.**

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ : **غالبًا، يعذب من يستحق العذاب.** ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : **تجري من خلال أشجارها وقصورها الأنهار.**

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ : **من الأذىٰ والقذىٰ مطلقًا.**

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ : **الظل الظليل: الوارف الدائم لا حر فيه ولا برد به.**

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا : **أداء الأمانة تسليمها إلىٰ المؤتمن، والأمانات جمع أمانة وهي ما يؤتمن عليه المرء من قول أو عمل أو متاع[2].**

وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ : **العدل: ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة.**

---

(١) وقيل الجبت: الساحر بلغة الحبشة، والطاغوت: الكاهن عن ابن عباس، وابن جبير وأبي العالية، وقال عمر رضي الله عنه: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، وقال مالك: الطاغوت: ما عبد من دون الله، وقيل: هما كل ما عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن وهو ما ذكره في التفسير.

(٢) الإجماع علىٰ وجوب رد الأمانات لأصحابها كفارًا أو مؤمنين ،جارًا أو أبرارًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ : نعم شيء يعظكم أي يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ : أولو الأمر: هم الأمراء والعلماء من المسلمين.

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ : اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر.

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ : أي إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ : أحسن عاقبة، لأن تأويل الشيء ما يؤول إليه في آخر الأمر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ : يقولون كاذبين.

﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ : القرآن.

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ : التوراة.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة، والمراد به هنا كعب بن الأشرف اليهودي أو كاهن من كهان العرب. ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾.

﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ : جمع منافق: وهو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان خوفًا من المسلمين.

﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ : يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك.

﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ : عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم. ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾.

﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ : أي ما يريدون.

﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ : أي صلحًا بين المتخاصمين.

﴿وَتَوْفِيقًا ۝٦٢﴾ : جمعًا وتأليفًا بين المختلفين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ : أي اصفح عنهم فلا تؤاخذهم، أي لا تؤاخذهم فيما يبطنونه من الكفر ما داموا لم يظهروه علنًا.

﴿وَعِظْهُمْ﴾ : مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم.

﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾ : كلامًا قويًا يبلغ شغاف قلوبهم لبلاغته وفصاحته.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ : إذن الله: إعلامه بالشيء وأمره به.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ : بالتحاكم إلىٰ الطاغوت وتركهم التحاكم إلىٰ رسول الله ﷺ.

﴿أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ : طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا، أو استغفروا الله. ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤﴾.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ : يجعلوك حكمًا بينهم ويفوضوا الأمر إليك.

﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ : أي اختلفوا فيه لاختلاط وجه الحق والصواب فيه بالخطأ والباطل.

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ : تضيقًا وتحرجًا.

﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ : حكمت فيه.

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ : أي يذعنوا لقبول حكمك ويسلموا به تسليمًا تامًّا.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ : فرضنا عليهم وأوجبنا.

﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ : أي قتل أنفسهم.

﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ : مهاجرين في سبيل الله.

﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ : أي ما فعل القتل إلا القليل منهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ : أي ما يؤمرون به وينهون عنه.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ : أي للإيمان في قلوبهم. ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾.

﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ : جمع صديق: وهو من غلب عليه الصدق في أقواله وأحواله لكثرة ما يصدق ويتحرىٰ الصدق.

﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ : جمع شهيد: من مات في المعركة ومثله من شهد بصحة الإسلام بالحجة والبرهان.

﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ : جمع صالح: من أدىٰ حقوق الله تعالىٰ وأدىٰ حقوق العباد وصلحت نفسه وصلح عمله وغلب صلاحه علىٰ فساده. ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾: الحِذْر والحذَر: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه بحسبه.

﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾[1] : النفور: الخروج في اندفاع وانزعاج، والثبات: جمع ثبة وهي الجماعة. ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: أي يتباطأ في الخروج فلا يخرج.

﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ : قتل أو جراحات وهزيمة. ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ﴾.

﴿شَهِيدًا ﴿٧٢﴾﴾ : أي حاضرًا الغزوة معهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ : نصر وغنيمة.

---

(١) حمل مجاهد وقتادة وابن جريج الآية علىٰ المنافقين، وحملها بعضهم علىٰ ضعفة الإيمان، وحملُها علىٰ الجميع أقرب إلىٰ الصحة والصواب، والله أعلم.

لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ : صحبة ومعرفة مستلزمة للمودة(١) .

يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ : نجاة من معرة التخلف عن الجهاد، والظفر بالسلامة والغنيمة.

۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ : الطريق الموصلة إلىٰ إعلاء كلمة الله تعالىٰ بأن يعبد وحده، ولا يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.

ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ : يبيعون، إذ يطلق الشراء علىٰ البيع أيضًا. ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾﴾ .

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ : المستضعف: الذي قام به عجز فاستضعفه غيره فآذاه لضعفه. ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ .

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ : القرية في عرف القرآن المدينة الكبيرة الجامعة، والمراد بها هنا مكة المكرمة. ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ﴾ .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ : أي في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان ونشر الفساد. ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ : أي عن القتال وذلك قبل أن يفرض. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ : فرض عليهم. ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ .

يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ : يخافون. ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ .

لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ : هلَّا أخرتنا. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ (٢) قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ .

وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ : الفتيل خيط يكون في وسط النواة. ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى﴾ .

بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ : حصون مشيدة بالشيد وهو الجص. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾

يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ : الحسنة ما سرّ، والسيئة ما ضر(٣) . ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

---

(١) إن كان الصاحب من ضعفة الإيمان فهو كذلك، وإن كان منافقًا فإن المودة هنا بمعنىٰ مجرد الصحبة لا غير، لأن المنافق لا يحب المؤمن إلا نادرًا.

(٢) المراد من التأخير إلىٰ أجل قريب هو أن يتم استعدادهم للقتال بتوفر المال والرجال، والعتاد لا إلىٰ أجل الموت فإنه غير وارد في قولهم هذا ولا معنىٰ له، وهل قولهم كان في أنفسهم أو صرحوا به؟ كلاهما وارد وجائز الوقوع.

(٣) انظر (ص١١٨-١٢٥).

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾.

وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾: تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها.

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ: أي أمرنا طاعة لك.

فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ: خرجوا.

بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ: بدل طائفة منهم غير الذي تقول واعتزموه دون الذي وافقوا عليه أمامك. ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ: تدبر القرآن قراءة الآية أو الآيات وإعادتها المرة بعد المرة ليفقه مراد الله تعالىٰ منها.

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾.

وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ: أفشوه معلنينه للناس.

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ.

ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ: يستخرجون معناه الصحيح. ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾.

فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ: حثهم علىٰ الجهاد وحرضهم علىٰ القتال.

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟: قوتهم الحربية.

وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾: أقوىٰ تنكيلًا والتنكيل: ضرب الظالم بقوة حتىٰ يكون عبرة لمثله فينكل عن الظلم.

مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا: الشفاعة: الوساطة في الخير أو في الشر فإن كانت في الخير فهي الحسنة وإن كانت في الشر فهي السيئة. وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا: نصيب منها.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾: مقتدرًا عليه وشاهدًا عليه حافظًا له.

وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ: تحية الإسلام هي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ: أي يقول وعليكم السلام[1].

---

(١) فمن قال: **السلام عليكم فليقل الراد**: وعليكم السلام ورحمة الله، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله فليرد عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقًا علىٰ الآيتين ٧٨، ٧٩ ما مختصره: (هذه الآية: ذكرها الله في سياق الأمر بالجهاد، وذم الناكثين عنه).

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾ الآيات. إلىٰ أن ذكر صلاة الخوف،

وقد ذكر قبلها طاعة الله وطاعة الرسول، والتحاكم إلىٰ الله وإلىٰ الرسول. ورد ما تنازع فيه الناس إلىٰ الله وإلىٰ الرسول. وذم الذين يتحاكمون ويردون ما تنازعوا فيه إلىٰ غير الله والرسول.

فكانت تلك الآيات: تبيينًا للإيمان بالله وبالرسول: ولهذا قال فيها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

ثم قال: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾.

فالضمير في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ يعود إلىٰ من ذكر. وهم (الذين يخشون الناس) أو يعود إلىٰ معلوم، وإن لم يذكر. كما في مواضع كثيرة.

وقد قيل: إن هؤلاء كانوا كفارًا من اليهود. وقيل: كانوا منافقين. وقيل: بل كانوا من هؤلاء وهؤلاء. والمعنىٰ يعم كل من كان كذلك. ولكن تناوله لمن أظهر الإسلام وأمر بالجهاد: أولىٰ.

ثم إذا تناول الذم هؤلاء: فهو للكفار الذين لا يظهرون الإسلام أولىٰ وأحرىٰ.

والذي عليه عامة المفسرين: أن «الحسنة» و«السيئة» يراد بهما النعم والمصائب. ليس المراد: مجرد ما يفعله الإنسان باختياره، باعتباره من الحسنات أو السيئات.

ولفظ «الحسنات» و«السيئات» في كتاب الله: يتناول هذا وهذا؛ قال الله تعالىٰ عن المنافقين: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ﴾.

وأما الأعمال المأمور بها، والمنهي عنها: ففي مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾

وهنا قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ ولم يقل: وما فعلت، وما كسبت. كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

فلهذا كان قوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و﴿مِن سَيِّئَةٍ﴾ متناولًا لما يصيب الإنسان، ويأتيه من النعم التي تسره، ومن المصائب التي تسوءه فالآية متناولة لهذا قطعًا وكذلك قال عامة المفسرين.

المعصية الثانية: قد تكون عقوبة الأولىٰ. فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل.

قال النبي ﷺ في الحديث المتفق علىٰ صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلىٰ البر والبر يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، والفجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرىٰ الكذب، حتىٰ يكتب عند الله كذابًا»**.

وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولىٰ، وكذلك السيئة الثانية: قد تكون من عقوبة الأولىٰ. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان قد تكون من جزاء سيئات تقدمت – وهي مضرة – جاز أن يقال: هي مما أصابه من السيئات وهي بذنوب تقدمت.

وعلىٰ كل تقدير: فالذنوب التي يعملها: هي من نفسه وإن كانت مقدرة عليه، فإنه إذا كان الجزاء الذي هو مسبب عنها من نفسه فعمله الذي هو ذلك الجزاء: من نفسه بطريق الأولىٰ. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: **«نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا»**.

....

وقال له أبو بكر رضي الله عنه: علمني دعاء. فقال: «**قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت. أعوذ بك من شر نفسي. وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا. أو أجره إلىٰ مسلم. قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فقد بيّن أن قوله: ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ يتناول العقوبات علىٰ الأعمال ويتناول الأعمال، مع أن الكل بقدر الله وقد ظن طائفة: أن في الآية إشكالاً، أو تناقضًا في الظاهر حيث قال: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ثم فرق بين الحسنات والسيئات. فقال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾

وهذا من قلة فهمهم، وعدم تدبرهم الآية. وليس في الآية تناقض لا في ظاهرها، ولا في باطنها، لا في لفظها ولا معناها. فإنه ذكر عن المنافقين. والذين في قلوبهم مرض، الناكصين عن الجهاد، ما ذكره بقوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ هذا يقولونه لرسول الله ﷺ أي: بسبب ما أمرتنا به من دينك، والرجوع عما كنا عليه: أصابتنا هذه السيئات، لأنك أمرتنا بما أوجبها. فالسيئات: هي المصائب والأعمال التي ظنوا أنها سبب المصائب: هو أمرهم بها.

وقولهم: ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ تتناول مصائب الجهاد التي توجب الهزيمة؛ لأنه أمرهم بالجهاد، وتتناول أيضًا مصائب الرزق علىٰ جهة التشاؤم، والتطير. أي: هذا عقوبة لنا بسبب دينك، كما كان قوم فرعون يتطيرون بموسىٰ وبمن معه، وكما قال أهل القرية للمرسلين: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وكما قال الكفار من ثمود لصالح، ولقومه: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ فكانوا يقولون عما يصيبهم من الحرب، والزلزال والجراح والقتل، وغير ذلك مما يحصل من العدو: هو منك؛ لأنك أمرتنا بالأعمال الموجبة لذلك. ويقولون عن هذا، وعن المصائب السمائية: إنها منك، أي بسبب طاعتنا لك، واتباعنا لدينك: أصابتنا هذه المصائب، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾.

فهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول، وفعل ما بعث به: مسببًا لشر أصابه: إما من السماء. وإما من آدمي. وهؤلاء كثيرون.

لم يقولوا: ﴿هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ بمعنىٰ: أنك أنت الذي أحدثتها، فإنهم يعلمون أن الرسول ﷺ لم يحدث شيئًا من ذلك، ولم يكن قولهم ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ خطابًا من بعضهم لبعض. بل هو خطاب للرسول ﷺ.

ومن فهم هذا تبين له أن قوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ لا يناقض قوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ بل هو محقق له. لأنهم - هم ومن أشبههم إلىٰ يوم القيامة- يجعلون ما جاء به الرسول، والعمل به: سببًا لما قد يصيبهم من مصائب. وكذلك من أطاعه إلىٰ يوم القيامة.

وكانوا تارة يقدحون فيما جاء به ويقولون: ليس هذا مما أمر الله به، ولو كان مما أمر الله به: لما جرىٰ علىٰ أهله هذا البلاء.

وتارة لا يقدحون في الأصل. لكن يقدحون في القضية المعينة. فيقولون: هذا بسوء تدبير الرسول، كما قال عبد الله بن أبي ابن سلول يوم أحد - إذ كان رأيه مع رأي النبي ﷺ أن لا يخرجوا من المدينة فسأله ﷺ ناسٌ ممن كان لهم رغبة في الجهاد أن يخرج فوافقهم، ودخل بيته ولبس لأمته. فلما لبس لأمته ندموا، وقالوا للنبي ﷺ أنت أعلم. فإن شئت أن لا نخرج، فلا نخرج. فقال: « **ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن ينزعها؛ حتىٰ يحكم الله بينه وبين عدوه**» يعني: أن الجهاد يلزم بالشروع، كما يلزم الحج. لا يجوز ترك ما شرع فيه منه إلا عند العجز بالإحصار في الحج.

....

* فصل:

والمفسرون ذكروا في قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ هذا وهذا. فعن ابن عباس، والسدي، وغيرهما: أنهم يقولون هذا، تشاؤمًا بدينه. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال: بسوء تدبيرك - يعني كما قاله عبد الله بن أبي وغيره يوم أحد - وهم كالذين ﴿قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾.

فبكل حال: قولهم «من عندك» هو طعن فيما أمر الله به ورسوله: من الإيمان والجهاد. وجعل ذلك: هو الموجب للمصائب التي تصيب المؤمنين المطيعين، كما أصابتهم يوم أحد، وتارة تصيب عدوهم، فيقول الكافرون: هذا بشؤم هؤلاء، كما قال أصحاب القرية للمرسلين ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وكما قال تعالىٰ عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ وقال تعالىٰ عن قوم صالح: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾، **ولما قال أهل القرية:** ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

قال الضحاك في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يقول: الأمر من قبل الله. ما أصابكم من أمر فمن الله، بما كسبت أيديكم.

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: معايبكم.

وقال قتادة: عملكم عند الله.

وفي رواية غير علي: عملكم عند الله ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: تبتلون بطاعة الله ومعصيته، رواهما ابن أبي حاتم وغيره.

وعن ابن إسحاق قال: قالت الرسل: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي أعمالكم.

فقد فسروا الطائر بالأعمال وجزائها، لأنهم كانوا يقولون: إن ما أصابنا من المصائب بذنوب الرسل وأتباعهم.

فبين الله سبحانه: أن طائرهم وهو الأعمال وجزاؤها هو عند الله وهو معهم، فهو معهم؛ لأن أعمالهم وما قدر من جزائها معهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ وهو من الله، لأن الله تعالىٰ قدر تلك المصائب بأعمالهم. فمن عنده تتنزل عليهم المصائب، جزاء علىٰ أعمالهم، لا بسبب الرسل وأتباعهم.

وفي هذا يقال: إنهم إنما يجزون بأعمالهم، لا بأعمال غيرهم. ولذلك قال في هذه الآية - لما كان المنافقون والكفار ومن في قلبه مرض يقول: هذا الذي أصابنا هو بسبب ما جاء به محمد، عقوبة دينية وصل إلينا - بين سبحانه: أن ما أصابهم من المصائب إنما هو بذنوبهم.

ففي هذا رد علىٰ من أعرض عن طاعة الرسول ﷺ لئلا تصيبه تلك المصائب. وعلىٰ من انتسب إلىٰ الإيمان بالرسول، ونسبها إلىٰ فعل ما جاء به الرسول، وعلىٰ من أصابته مع كفره بالرسول ونسبها إلىٰ ما جاء به الرسول.

* **فصل:**

والمقصود: أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس سببًا لشيء من المصائب. ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سببًا لمصيبة، بل طاعة الله ورسوله لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة. ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب، بسبب ذنوبهم. لا بما أطاعوا فيه الله والرسول، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم، لا بسبب طاعتهم الله ورسوله ﷺ.

وكذلك ما ابتلوا به في السراء، والضراء والزلزال: ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم، لكن امتحنوا به ليتخلصوا

....

مما فيهم من الشر، وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار، ليتميز طيبه من خبيثه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر، الذي في نفسه. قال تعالىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ قال تعالىٰ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ﴾ ولهذا قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

ولهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين، وبالصبر عليها ترتفع درجاتهم، وما أصابهم في الجهاد من مصائب بأيدي العدو، فإنه يعظم أجرهم بالصبر عليها.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «ما من غازية يغزون في سبيل الله، فيسلمون ويغنمون إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، وإن أصيبوا وأخفقوا تم لهم أجرهم».

وأما ما يلحقهم من الجوع والعطش والتعب: فذاك يكتب لهم به عمل صالح. كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾.

وشواهد هذا كثيرة.

*** فصل:**

والمقصود: أن قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فإنهم جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول. وكانوا يقولون: النعمة التي تصيبنا هي من عند الله، والمصيبة من عند محمد. أي: بسبب دينه وما أمر به. فقال تعالىٰ: قل هذا وهذا من عند الله. لا من عند محمد. محمد لا يأتي لا بنعمة ولا بمصيبة ولهذا قال بعد هذا: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ قال السدي وغيره: هو القرآن. فإن القرآن إذا هم فقهوا ما فيه؛ تبين لهم أنه إنما أمرهم بالخير، والعدل، والصدق والتوحيد، لم يأمرهم بما يكون سببًا للمصائب، فإنهم إذا فهموا ما في القرآن علموا أنه لا يكون سببًا للشر مطلقًا.

وهذا مما يبين أن ما أمر الله به: يعلم بالأمر به حسنه ونفعه، وأنه مصلحة للعباد، وليس كما يقول من يقول: قد يأمر الله العباد بما لا مصلحة لهم فيه إذا فعلوه، بل فيه مضرة لهم.

فإنه لو كان كذلك لكان قد يصدقه المتطيرون بالرسل وأتباعهم.

ومما يوضح ذلك: أنه لما قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ قال بعدها: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ فإنه قد شهد له بالرسالة بما أظهره علىٰ يديه من الآيات والمعجزات. وإذا شهد الله له كفىٰ به شهيدًا. ولم يضره جحده هؤلاء لرسالته بما ذكروه من الشبه التي هي عليهم لا لهم بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة علىٰ إبطال رسالته. والله تعالىٰ قد شهد له أنه أرسله للناس رسولاً. فكان ختم الكلام بهذا إبطالاً لقولهم: إن المصائب من عند الرسول. ولهذا قال بعد هذا: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾.

*** فصل:**

فإن قيل: إذا كانت الطاعات والمعاصي مقدرة، والنعم والمصائب مقدرة فما الفرق بين الحسنات التي هي النعم، والسيئات التي هي المصائب؟ فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان؟

قيل: لفروق بينهما:

....

الفرق الأول: أن نعم الله وإحسانه إلىٰ عباده يقع ابتداء بلا سبب منهم أصلاً. فهو ينعم بالعافية والرزق والنصر، وغير ذلك علىٰ من لم يعمل خيرًا قط. وينشئ للجنة خلقًا يسكنهم فضول الجنة، وقد خلقهم في الآخرة لم يعملوا خيرًا. ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة برحمته بلا عمل. وأما العقاب: فلا يعاقب أحدًا إلا بعمله.

الفرق الثاني: أن الذي يعمل الحسنات إذا عملها، فنفس عمله الحسنات، هو من إحسان الله، وبفضله عليه بالهداية والإيمان كما قال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾.

وفي الحديث الصحيح: « يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

فنفس خلق الله لهم أحياءً، وجعله لهم السمع والأبصار والأفئدة: هو من نعمته، ونفس إرسال الرسول إليهم، وتبليغه البلاغ المبين الذي اهتدوا به: هو من نعمته.

وإلهامهم الإيمان، وهدايتهم إليه، وتخصيصهم بمزيد نعمة حصل لهم بها الإيمان دون الكافرين: هو من نعمته. كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾.

فجميع ما يتقلب فيه العالم من خيري الدنيا والآخرة: هو نعمة محضة منه بلا سبب سابق يوجب لهم حقًا. ولا حول ولا قوة لهم من أنفسهم إلا به. وهو خالق نفوسهم، وخالق أعمالها الصالحة، وخالق الجزاء.

فقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ حق من كل وجه، ظاهرًا وباطنًا علىٰ مذهب أهل السنة، وأما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد، وذنبه من نفسه، وهو لم يقل: إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه. بل ذكر للناس ما ينفعهم.

* فصل:

فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله، فزاده الله من فضله عملاً صالحًا، ونعمًا يفيضها عليه، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه: استغفر وتاب. فزال عنه سبب الشر؛ فيكون العبد دائمًا شاكرًا مستغفرًا، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه. كما كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «الحمد لله» فيشكر الله، ثم يقول: «نستعينه ونستغفره» نستعينه علىٰ الطاعة، ونستغفره من المعصية. ثم يقول: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا» فيستعيذ به من الشر الذي في النفس، ومن عقوبة عمله، فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه. فيستعيذ بالله من شر النفس: أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا. ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله، ومن عقوبات عمله. فاستعانه علىٰ الطاعة وأسبابها. واستعاذ به من المعصية وعقابها.

فعلم العبد أن ما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه: يوجب له هذا وهذا؛ فهو سبحانه فرق بينهما هنا، بعد أن جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

فبين أن الحسنات والسيئات: النعم والمصائب، والطاعات والمعاصي، علىٰ قول من أدخلها في: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

ثم بين الفرق الذي ينتفعون به، وهو أن هذا الخير: من نعمة الله فاشكروه يزدكم، وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾ وقال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾.

والمذنب إذا استغفر ربه من ذنبه فقد تأسىٰ بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين، كآدم وغيره. وإذا أصر، واحتج بالقدر:

....

فقد تأسىٰ بالأشقياء، كإبليس ومن اتبعه من الغاوين.

فكان من ذكره: أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه، بعد أن ذكر: أن الجميع من عند الله، تنبيهًا علىٰ الاستغفار والتوبة، والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله، والدعاء بذلك في الصباح والمساء، وعند المنام، كما أمر رسول الله ﷺ بذلك أبا بكر الصديق، أفضل الأمة، حيث علمه أن يقول: «**اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه. وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا، أو أجره إلىٰ مسلم**».

فيستغفر مما مضىٰ: ويستعيذ مما يستقبل. فيكون من حزب السعداء.

وإذا علم أن الحسنة من الله - الجزاء والعمل - سأله أن يعينه علىٰ فعل الحسنات. بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ وبقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ونحو ذلك.

وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط، ولم يذكر الفرق فإنه يحصل من هذا التسوية، فأعرض العاصي والمذنب عن ذم نفسه وعن التوبة من ذنوبها، والاستعاذة من شرها، بل وقام في نفسه: أن يحتج علىٰ الله بالقدر. وتلك حجة داحضة، لا تنفعه، بل تزيده عذابًا وشقاء كما زادت إبليس لما قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

وكالذين يقولون يوم القيامة: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. وكالذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾.

فمن احتج بالقدر علىٰ ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة، فهذا من فوائد ذكر الفرق بين الجمع.

* فصل:

الفرق الثالث: أن الحسنة يضاعفها الله وينميها، ويثيب علىٰ الهمِّ بها، والسيئة لا يضاعفها، ولا يؤاخذ علىٰ الهمِّ بها، فيعطي صاحب الحسنة: من الحسنات فوق ما عمل، وصاحب السيئة: لا يجزيه إلا بقدر عمله، قال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

الفرق الرابع: أن الحسنة مضافة إليه، لأنه أحسن بها من كل وجه، كما تقدم، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه.

وأما السيئة: فهو إنما يخلقها بحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط. بل فعله كله حسن وحسنات، وفعله كله خير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «**والخير بيديك والشر ليس إليك**» فإنه لا يخلق شرًّا محضًا، بل كل ما يخلقه، ففيه حكمة، هو باعتبارها خير. ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق: فالرب منزه عنه. وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

وأما الشر الجزئي الإضافي: فهو خير باعتبار حكمته. ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وإما أن يضاف إلىٰ السبب كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾.

وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

* فصل:

والمقصود هنا: الكلام علىٰ قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾. وأن هذا يقتضي أن العبد لا

....

يزال شاكرًا مستغفرًا.

وقد ذكر: أن الشر لا يضاف إلىٰ الله، إلا علىٰ أحد الوجوه الثلاثة، وقد تضمنت الفاتحة للأقسام الثلاثة: هو سبحانه: الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «**أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها**» وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه، وهو الغفور الودود الحليم الرحيم.

فإرادته: أصل كل خير ونعمة، وكل خير ونعمة فمنه: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾.

وقد قال سبحانه: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ ثم قال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه فهي من موجب نفسه المقدسة، ومقتضاها ولوازمها.

أما العذاب: فمن مخلوقاته، الذي خلقه بحكمة، هو باعتبارها حكمة ورحمة، فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه وجوده، ولا يأتيه الشر إلا من نفسه، فما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه.

وقوله: ﴿ مَا أَصَابَكَ ﴾ إما أن تكون كاف الخطاب له ﷺ كما قال ابن عباس وغيره - وهو الأظهر: لقوله بعد ذلك: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾.

وإما أن تكون لكل واحد من الآدميين، كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾.

لكن هذا ضعيف، فإنه لم يتقدم هنا ذكر الإنسان ولا مكانه، وإنما تقدم ذكر طائفة قالوا ما قالوه: فلو أريد ذكرهم: لقيل: ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة.

لكن خوطب الرسول بهذا، لأنه سيد ولد آدم، وإذا كان هذا حكمه؛ كان هذا حكم غيره بطريق الأولىٰ والأحرىٰ، كما في مثل قوله: ﴿ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ وقوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾

ثم هذا الخطاب نوعان: نوع يختص لفظه به لكن يتناول غيره بطريق الأولىٰ، كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ ثم قال: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾.

ونوع: قد يكون خطابه خطابًا به لجميع الناس، كما يقول كثير من المفسرين: الخطاب له والمراد غيره.

وليس المعنىٰ: أنه لم يخاطب بذلك، بل هو المقدم فالخطاب له خطاب لجميع الجنس البشري، وإن كان هو لا يقع منه ما نهي عنه، ولا يترك ما أمر به. بل هذا يقع من غيره، كما يقول ولي الأمر للأمير: سافر غدًا إلىٰ المكان الفلاني: أي أنت ومن معك من العسكر. وكما ينهىٰ أعز من عنده عن شيء فيكون نهيًا لمن دونه. وهذا معروف من الخطاب.

فقوله: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ الخطاب له ﷺ، وجميع الخلق داخلون في هذا الخطاب بالعموم، وبطريق الأولىٰ، بخلاف قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ فإن هذا له خاصة. ولكن من يبلغ عنه يدخل في معنىٰ الخطاب كما قال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**» وقال: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فبلغه إلىٰ من لم يسمعه**» وقال: «**ليبلغ الشاهد الغائب**» وقال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء**» وقد قال تعالىٰ في القرآن: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾.

والمقصود هنا: أن الحسنة مضافة إليه سبحانه من كل وجه، والسيئة مضافة إليه لأنه خلقها. كما خلق الحسنة فلهذا قال: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾. ثم إنه إنما خلقها لحكمة. ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة، بل تضاف إلىٰ النفس التي تفعل الشر بها لا لحكمة، فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها فإنها لا تقصد بما تفعله من الذنوب خيرًا، يكون فعله لأجله أرجح. بل ما كان هكذا فهو من باب الحسنات. ولهذا كان فعل الله حسنًا، لا يفعل قبيحًا ولا سيئًا قط. انتهىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. أبو ذر القلموني.

راجع هذه المسألة بالتفصيل في مجموع الفتاوىٰ جـ ١٤ من ص ٢٢٩: ص ٤٢٥.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ : محاسبًا على العمل مجازيًا به خيرًا كان أو شرًّا[1] .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ : لا معبود بحق إلا هو. ﴿لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ۝٨٧﴾ .

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ : جماعتين الواحدة فئة أي جماعة.

﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ : الارتكاس: التحول من حال حسنة إلىٰ حال سيئة كالكفر بعد الإيمان أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا. ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ .

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ۝٨٨﴾ : أي طريقًا إلىٰ هدايتهم. ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ﴾ .

﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ۝٨٩﴾ : الولي: من يلي أمرك، والنصير: من ينصرك علىٰ عدوك.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ﴾ : أي يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.

﴿بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ : عهد.

﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ : ضاقت. ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ﴾ .

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ : الاستسلام والانقياد. ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ۝٩٠ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ[2] وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ .

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ : الشرك. ﴿أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ﴾ .

﴿أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ﴾ : وجدتموهم متمكنين منهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ۝٩١﴾ : حجة بينة علىٰ جواز قتالهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ﴾ : أي إلا قتلًا خطأ وهو أن لا يتعمد قتله كأن يرمي صيدًا فيصيب إنسانًا.

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ : أي مملوك عبدًا كان أو أمة.

﴿وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ : مؤداة وافية.

﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ﴾ : أي يتصدقوا بها علىٰ القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه. ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ﴾ .

﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ : عهد مؤكد بالأيمان. ﴿فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ[3] يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ

(١) حسيب هنا؛ بمعنيك محاسب وحفيظ فلا يضيع حسنات العبد.
(٢) ﴿سَتَجِدُونَ﴾ الوجدان هنا بمعنىٰ الاطلاع والعثور أي: ستطلعون علىٰ قوم آخرين وصفهم كذا أو كذا.
(٣) فمن لم يجد: فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين.

ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾.

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا : مريدًا قتله وهو ظالم له. ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ : خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم غزاة ومسافرين.

فَتَبَيَّنُواْ : فتثبتوا حتىٰ لا تقتلوا مسلمًا تحسبونه كافرًا.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ : الاستسلام والانقياد. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

تَبْتَغُونَ : تطلبون. ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ : بالهداية فاهتديتم وأصبحتم مسلمين.

فَتَبَيَّنُوٓاْ : أي مستقبلًا ولا تقتلوا أحدًا حتىٰ تتأكدوا من كفره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾.

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ : هم الـ ـميان والعرج والمرضىٰ. ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾.

فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً : منزلة عالية في الجنة.

وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ : الجنة. ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ : تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ : بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.

قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ : في أي شيء كنتم من دينكم؟ ﴿قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ : مأوىٰ ومسكنًا. ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ وهي الزمانة، وتكون بالعرج والعمىٰ والشلل ونحوها.

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ : قدرة علىٰ التحول. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا : مكانًا ودارًا لهجرته يرغم به من كان يؤذيه في داره.

وَسَعَةً : في رزقه. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا (١) إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾.

---

(١) الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام وهي فريضة من فرائض الإسلام، وهي هِجَر متعددة منها الهجرة من بلاد البدعة، قال مالك: لا يحل لمؤمن أن يقيم بأرض يسب فيها السلف الصالح. ومنها الخروج من أرض غلب عليها الحرام، إذ طلب الحلال فريضة، ومنها أن يؤذىٰ المسلم في دينه أو عرضه أو ماله، ومنها الخوف من المرض ما لم يكن طاعونًا، فإنه يحرم الفرار منه، ومنها أن لا يكون في بلدة من يعرف أحكام الشريعة فيهاجر لطلب ذلك.

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ: وجب أجره في هجرته على الله تعالى. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ: أي مسافرين مسافة قصر وهي أربعة برد أي ثمانية وأربعون ميلاً (١).

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ: بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين والعشاء ركعتين لطولها.

إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟: هذا خرج مخرج الغالب، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما الشرط السفر.

إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟.

حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ: الحيطة والأهبة لما عسى أن يحدث من العدو.

وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ (٢): جمع سلاح ما يقاتل به من أنواع الأسلحة. ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ: أي لا تضيق عليكم ولا حرج في وضع الأسلحة للضرورة. ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ: أديتموها وفرغتم منها. ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾.

فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ: أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن. ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾: فرضًا ذات وقت معين تؤدى فيه لا تتقدمه ولا تتأخر عنه.

وَلَا تَهِنُوا۟: أي لا تضعفوا.

فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ: في طلب العدو لإنزال الهزيمة بهم.

إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ: تتألمون. ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾.

وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ: النصر. ﴿مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾.

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ: أي بما علمكه بواسطة الوحي.

---

(١) راجع تفسير الآية ٢٨٣ من سورة البقرة (الهامش) وقول ابن القيم رحمه الله: ولم يحد ﷺ لأمته مسافة محددة للقصر والفطر... (قل).

(٢) الأمتعة: جمع متاع كالأثاث، والعروض وما له علاقة بالسلاح في حالة الحرب.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥﴾: أي مخاصمًا بالغًا في الخصومة مبلغًا عظيمًا. ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلْ﴾.

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: يحاولون خيانة أنفسهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧﴾.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾: بعلمه تعالىٰ وقدرته.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يدبرون الأمر في خفاء ومكر وخديعة[1]. ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩﴾: الوكيل من ينوب عن آخر في تحقيق غرض من الأغراض.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: السوء: ما يسيء إلىٰ النفس أو إلىٰ الغير.

﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: ظلم النفس: بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠﴾.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: الإثم: ما كان ضارًّا بالنفس فاسدًا. ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١١﴾.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾: البريء: من لم يجن جناية قد اتهم بها.

﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾: تحمل بهتانًا: وهو الكذب المجبر لمن رمي به. ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝١١٢ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾.

۞ ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾: النجوىٰ: المسارة بالكلام، ونجواهم: أحاديثهم: التي يسرها بعضهم إلىٰ بعض.

﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: المعروف: ما عرفه الشرع فأباحه أو استحبه أو أوجبه. ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: أي طلبًا لمرضاة الله أي للحصول علىٰ رضا الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾: نعطيه. والأجر العظيم: الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

---

(١) وهو ما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدىٰ اليهودي ثم اتهامهم اليهودي، وحلفهم علىٰ براءة أخيهم وكان الله بما يعملون محيطًا؛ إذ كل ذلك جرىٰ تحت علمه تعالىٰ فسبحانه من إله عليم عظيم.

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ : يحاده ويقاطعه ويعاده. كمن يقف في شق والآخر في شق. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾.

وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ : أي يخرج عن إجماع المسلمين (١).

نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ : نخذله فنتركه وما تولاه من الباطل والشر والضلال حتىٰ يهلك به.

وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ : أي ندخله النار ونحرقه فيها. ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ : أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت. ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾.

إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ : أي ما يدعون.

إِلَّآ إِنَٰثٗا : جمع أنثىٰ لأن الآلهة مؤنثة، أو أمواتًا لأن الميت يطلق عليه لفظ أنثىٰ بجامع عدم النفع.

وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴿١١٧﴾ : بمعنىٰ مارد علىٰ الشر والإغواء للفساد.

لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ : حظًّا معينًا. أو حصة معلومة.

وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ : ليقطعن. ﴿ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ : مخلوق الله أي: ما خلقه الله تعالىٰ.

وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴿١١٩﴾ : الشيطان: الخبيث الماكر الداعي إلىٰ الشر سواء كان جنيًّا أو إنسيًّا.

يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ : يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهيهم عن العمل الصالح. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ﴿١٢١﴾﴾ : معدلًا أو مهربًا.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : صدقوا بالله ورسوله.

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ : الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح. ﴿سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾.

وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ : أي قولًا.

لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ : جمع أمنية: وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهيه مما يتعذر غالبًا تحقيقه.

وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ : اليهود والنصارىٰ.

مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا : كل ما يسيء من الذنوب، والخطايا. ﴿يُجۡزَ بِهِۦ﴾.

---

(١) هذه الآية هي دليل حرمة الخروج علىٰ جماعة المسلمين، روي أن الشافعي طلب دليلًا علىٰ صحة الإجماع فقرأ القرآن مرات حتىٰ عثر علىٰ هذه الآية وقرر أنها دليل الإجماع. وهو كذلك.

وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا: يتولىٰ أمره فيدفع عنه المكروه. ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾: النقير: نقرة في ظهر النواة. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا: **عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه الله تعالىٰ.**

وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾: **الخليل: المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس فهو أكبر من الحبيب**(١).

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾: **علمًا وقدرة؛ إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه.**

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ: **يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهم.**

قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ: **يقرأ عليكم في القرآن.** ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ﴾.

مَا كُتِبَ لَهُنَّ: **ما فرض لهن من المهور والميراث.** ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾.

وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ: **بالعدل.** ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾﴾.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ(٢) مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا: **ترفعًا وعدم طاعة.** ﴿أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ: **جبلت النفوس علىٰ الشح فلا يفارقها أبدًا.** ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾.

فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ: **فتتركوها كالمعلقة ما هي بالمزوجة، ولا المطلقة.** ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾.

يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ: **في رزقه الواسع.**

وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾: **واسع الفضل حكيمًا يعطي فضله حسب علمه وحكمته.**

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ: **أي خلقًا وملكًا وتصرفًا وتدبيرًا.**

وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ: **عهدنا إليهم بذلك أي بالتقوىٰ والذين أوتوا**

---

(١) وقد شرف بالخلة محمد ﷺ ففي الصحيحين أنه ﷺ خطبهم آخر خطبة فقال: «أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله».

(٢) خافت: أي توقعت وليس بمعنىٰ تيقنت.

الكتاب: اليهود والنصارىٰ. ﴿وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾.

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ : الوكيل: من يفوض إليه الأمر كله ويقوم بتدبيره علىٰ أحسن الوجوه. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا : جزاء العمل لها.

فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ : جزاء العمل لها وهو الجنة.

وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ : سميعًا: لأقوال العباد، بصيرًا: بأعمالهم وسيجزيهم بها خيرًا أو شرًّا.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ : جمع قوام: وهو كثير القيام بالعدل.

بِٱلْقِسْطِ : بالعدل وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم.

شُهَدَآءَ لِلَّهِ : جمع شهيد: بمعنىٰ شاهد. ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ﴾.

فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ : ميل النفس إلىٰ الشيء ورغبتها فيه. أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ[1].

وَإِن تَلْوُۥٓا۟ : أي ألسنتكم باللفظ تحريفًا له حتىٰ لا تتم الشهادة علىٰ وجهها.

أَوْ تُعْرِضُوا۟ : تتركوا الشهادة أو بعض كلماتها ليبطل الحكم. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾.

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ : البشارة: الخبر الذي تتأثر به بشرة من يلقىٰ خبرًا خيرًا كان أو شرًّا، والمنافق: من يبطن الكفر ويظهر الإيمان تقيّة ليحفظ دمه وماله. ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾.

ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ : يوالونهم محبة ونصرة لهم علىٰ المؤمنين.

أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ : الغلبة والمنعة. ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾.

وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا : يذكرونها استخفافًا بها وإنكارًا وجحودًا لها.

فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ : يتكلموا في موضوع آخر من موضوعات الكلام.

﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ : أي في الكفر والإثم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

---

(١) فلا يحملنكم غنىٰ الغني ولا فقر الفقير علىٰ تحريف الشهادة أو كتمانها.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ: ينتظرون متىٰ يحصل لكم انهزام أو انكسار: فيعلنون عن كفرهم. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾.

وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ: أي من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل؛ لأن انتصارهم علىٰ المؤمنين نادر.

قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ: أي نستول عليكم.

وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: إن قتلوكم. ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾: أي طريقًا إلىٰ إذلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم.

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ: بإظهارهم ما يحب وهو الإيمان والطاعات وإخفائهم الكفر والمعاصي.

وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ: بالتستر عليهم وعدم فضيحتهم، وبعدم إنزال العقوبة بهم.

وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ: أي يظهرون الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين. ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾.

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ: أي يترددون بين المؤمنين والكافرين فأي جانب عز كانوا معه. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾: حجة واضحة لتعذيبكم.

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ: الدرك: كالطابق، والدركة كالدرجة[1] ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ: ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال.

وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ: تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه.

وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ: تخلوا عن النفاق والشرك. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ[2] مِنَ ٱلْقَوْلِ: ما يسوء إلىٰ من قيل فيه أو فعل به. ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾: سميعًا للأقوال عليمًا بالأعمال.

---

(١) إلا أن المتفق عليه أن الجنة بالدرجات والنار بالدركات، وإن كان يجوز إطلاق لفظ الدرجات علىٰ كلتا الدارين لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٩]. (قل).

راجع كتابنا: وصف الدور الثلاثة من تفسير ابن كثير. الدنيا دار الغرور، النار دار الثبور. الجنة: دار السرور.

(٢) كالسب والشتم والغيبة والنميمة والدعاء بالشر وألفاظ البذاء وكلمات الفحش.

إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا : تظهروا ولا تخفوا. ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾.

أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ : أي لا تؤاخذوا به. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ : الرسل جمع رسول وهم جم غفير قيل، عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رسولًا. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠﴾: أي طريقًا بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر، فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن بالبعض وكفر بالبعض فهو الكافر كمن لم يؤمن بأحد منهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ : كما فرق اليهود فآمنوا بموسىٰ وكفروا بعيسىٰ ومحمد ﷺ وكما فرق النصارىٰ آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ وكفروا بمحمد ﷺ فهم لذلك كفار.

أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ : أجر إيمانهم برسل الله وعملهم الصالح وهو الجنة دار النعيم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾.

فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ : عيانًا نشاهده ونراه بأبصارنا.

فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ : صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها.

بِظُلۡمِهِمۡۚ : بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي(١).

ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ : أي إلهًا فعبدوه. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾.

وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ : حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه.

وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ : أي جبل الطور بسيناء. بِمِيثَٰقِهِمۡ.

وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا : أي راكعين متواضعين خاشعين لله شكرًا لنعمه عليهم.

وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ : لا تعتدوا أي: لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل إلىٰ العمل فيه.

وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ١٥٤ : عهدًا مؤكدًا بالأيمان.

فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ : الباء سببية أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم، والنقض: الحل بعد الإبرام.

وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ : أي بدون موجب لقتلهم، ولا موجب لقتل الأنبياء قط.

وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ : جمع أغلف وهو ما عليه غلاف يمنعه من وصول المعرفة(٢) والعلم

---

(١) ﴿بِظُلۡمِهِمۡ﴾ الباء سببية أي: سبب ظلمهم، وليس المراد من ظلمهم طلب رؤية الله تعالىٰ؛ إذ هذا طلبه موسىٰ أيضًا، ولكن ظلمهم: كونهم اشترطوا لإيمانهم بموسىٰ حتىٰ يريهم الله جهرة.

(٢) ﴿غُلۡفُۢ﴾ قد يكون جمع غلاف ومعناه حينئذٍ: أن قلوبهم أوعية للعلم فلا حاجة بهم إلىٰ علم سوىٰ ما عندهم، =

إليه. ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾.

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ : البهتان الكذب الذي يجرح من قيل فيه، والمراد هنا رميهم لها بالزنا.

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ : أي لم يصلبوه والصلب الشد علىٰ خشبة وقتله عليها. ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ (١) وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ : أي وما من أحد من أهل الكتاب.

إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ : عند حضور الموت أن عيسىٰ عبد الله ورسوله فما هو ابن زنىٰ ولا ساحر كما يقول اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يقول النصارىٰ.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ : الباء سببية أي فبسبب ظلمهم.

مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ : اليهود إذ قالوا: إنا هدنا إليك.

حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ : هي كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم.

وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ : وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام الله.

وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ : قبوله والتعامل به وأكله. ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾.

لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ : أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعه ممن علومهم راسخة في نفوسهم ليست ظنيات بل هي يقينيات. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾.

۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ : الوحي: الإعلام السريع الخفي، ووحي الله تعالىٰ إلىٰ أنبيائه إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره. ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ (٢) إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

=

ولا منافاة بين المعنيين في «النهر، وأيسر التفاسير».

(١) هذا إخبار من الله تعالىٰ بحقيقة أخرىٰ وهي أن الذين طوقوا منزل المسيح وهجموا عليه ليلقوا عليه القبض من أجل أن يقتلوه هؤلاء اختلفوا في هل الرجل الذي ألقي عليه شبه عيسىٰ هو عيسىٰ أو غيره؟ إنهم لم يجزموا أبدًا بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح عليه السلام.
وذكر القرطبي للاختلاف عدة وجوه كلها سائغة وما ذكرناه في التفسير أولىٰ. ومن بين الوجوه قولهم: إن كان هذا صاحبنا فأين عيسىٰ، وإن كان هذا عيسىٰ فأين صاحبنا؟

(٢) قُدِّم نوح في الذكر باعتباره أول رسول حارب الشرك، إذ لم يظهر الشرك علىٰ عهد من سبقه كإدريس وشيث من قبله، فلما ظهر الشرك أرسل الله تعالىٰ نوحًا عليه السلام، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ.

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ: أولاد يعقوب عليه السلام. ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ﴾.

وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾: الزبور أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه دواد عليه السلام.

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ: ورد منهم في سورة «الأنعام» ثمانية عشر رسولًا وسبعة ذكروا. في سور أخرىٰ وهم محمد ﷺ وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس وآدم. ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

حُجَّةٌ: عذر يعتذرون به إلىٰ ربهم عز وجل. ﴿بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟: جحدوا بنبوة محمد ﷺ.

وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ: صرفوا الناس عن الإيمان به ﷺ.(١) ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟: جحدوا نبوة محمد ﷺ وظلموا ببقائهم علىٰ جحودهم بغيًا منهم وحسدًا للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات إلىٰ النور. ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ: هو محمد ﷺ الكامل في رسالته الصادق في دعوته.

بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ: أي يكون إيمانكم خيرًا لكم. ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾.

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ: المراد بهم النصارىٰ(٢).

لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ: الغلو(٣): تجاوز الحد للشيء فعيسىٰ عليه السلام عبد الله ورسوله فغلَوا فيه فقالوا هو الله. ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ: المسيح: هو عيسىٰ عليه السلام ولقب بالمسيح؛ لأنه ممسوح من الذنوب أي لا ذنب له قط.

وَكَلِمَتُهُۥٓ: أي قول الله تعالىٰ له كن فكان.

---

(١) صدوا عن سبيل الله بقولهم: إنا لا نجد صفة محمد في كتابنا، وإنما النبوة في ولد هارون، وداود، وإن في التوراة أن شرع موسىٰ لا ينسخ.
واللفظ يتناول اليهود أولًا، ويعم كل من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيله الذي هو الإسلام.

(٢) النصارىٰ غلَوا في عيسىٰ فتجاوزوا حد الإفراط حيث ألهوه أي جعلوه إلهًا وعبدوه، واليهود غلَوا في التفريط في عيسىٰ إذ قالوا: ساحر، وابن زنىٰ والعياذ بالله.

(٣) الغلو: مشتق من غلوة السهم وهي منتهىٰ اندفاعه، ويطلق الغلو في الشرع علىٰ الزيادة علىٰ المطلوب في الاعتقاد والقول والعمل.

أَلْقَاهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ : أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها: إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسىٰ ابن مريم.

وَرُوحٌ مِّنْهُ : أي عيسىٰ كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها. ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ (١) سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾.

وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ : حفيظًا وشاهدًا عليمًا.

لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ : لا يرفض عبوديته لله تعالىٰ أنفة وكبرًا. ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾.

وَيَسۡتَكۡبِرۡ : يرىٰ نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجابًا وغرورًا. ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾.

وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ : أي لا يجدون يوم القيامة وليًّا يتولىٰ الدفاع عنهم ولا نصيرًا ينصرهم حتىٰ لا يدخلوا النار ويعذبوا فيها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ : البرهان: الحجة والمراد به هنا محمد ﷺ.

وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ : هو القرآن الكريم.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ : أي تمسكوا بالقرآن، وبما يحمله من الشرائع.

فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ : الجنة.

وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ : طريقًا يفضي بهم إلىٰ جوار ربهم في دار الكرامة.

يَسۡتَفۡتُونَكَ : يطلبون فتياك في كذا.

قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ : يبين لكم ما أشكل عليكم من أمر الكلالة.

فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ : أن يهلك الرجل ولا يترك ولدًا ولا ولد ولد وإنما يترك أخًا أو أختًا. ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ : الحظ: النصيب.

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ : كيلا تضلوا أي تخطئوا في قسمة التركة. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾﴾.

❁❁❁❁

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد من التثليث: الله تعالىٰ وصاحبته وابنه، والأقانيم عند بعضهم هي الأب، والابن، وروح القدس، وعند بعضهم هي الوجود، والحياة، والعلم.

٥- سُورَةُ المَائِدَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ : العقود: هي العهود التي بين العبد والرب تعالىٰ وبين العبد وأخيه، والوفاء بها: عدم نكثها والإخلال بمقتضاها.

أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ : هي الإبل والبقر والغنم.

إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ: أي محرمون بحج أو عمرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ (١).

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ: جمع شعيرة وهي هنا مناسك الحج والعمرة، وسائر أعلام دين الله تعالىٰ.

وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ : رجب وهو شهر مضر الذي كانت تعظمه.

وَلَا الْهَدْيَ : ما يهدىٰ للبيت والحرم من بهيمة الأنعام.

وَلَا الْقَلَائِدَ : جمع قلادة، ما يقلد الهدي، وما يتقلده الرجل من لحاء شجر الحرم ليأمن. ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾.

مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا : قاصدين البيت الحرام يطلبون ربح تجارة أو رضوان الله تعالىٰ.

وَإِذَا حَلَلْتُمْ : أي من إحرامكم. ﴿فَاصْطَادُوا﴾ (٢)

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ : أي لا يحملنكم بغضاء قوم أن تعتدوا عليهم.

أَن صَدُّوكُمْ : أي لأجل أن صدوكم. ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾.

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ : البر: كل طاعة لله ورسوله، والتقوىٰ: فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهىٰ عنه الله ورسوله.

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (٣) : الإثم: سائر الذنوب، والعدوان: الظلم وتجاوز الحدود.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢ : أي عقابه شديد لا يطاق ولا يحتمل.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ : ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه أي بدون تذكية(٤). ﴿وَالدَّمُ وَلَحْمُ

(١) إلا ما يتلىٰ عليكم: وهي الآتية في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ﴾.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ الإجماع علىٰ أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب، وهذه قاعدة أصولية: كل أمر بعد حظر فهو للإباحة.

(٣) فالزنىٰ إثم، والزوجة الخامسة مع وجود الأربع تحت عصمة الرجل عدوان.

(٤) ومن غيرها من مأكول اللحم كالظباء والأرانب، وأنواع الصيد باستثناء ما ذكر عليه اسم الله حال صيده فإن ما =

ٱلۡخِنزِيرِ﴾.

وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ : أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالىٰ مثل المسيح، أو الولي، أو صنم.

وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ : أي بحبل ونحوه فماتت.

وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ : أي المضروبة بعصا أو حجر فماتت به.

وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ : الساقطة من عالٍ إلىٰ أسفل مثل السطح والجدار والجبل فماتت.

وَٱلنَّطِيحَةُ : ما ماتت بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها.

وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ : أي ما أكلها الذئب وغيره من الحيوانات المفترسة.

إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ : أي أدركتم فيه الروح مستقرة فذكيتموه بذبحه أو نحره.

وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ : أي ما ذبح علىٰ الأصنام المنصوبة التي تمثل إلهًا أو زعيمًا أو عظيمًا، ومثلها ما ذبح علىٰ أضرحة الأولياء وقبورهم وعلىٰ الجان.

وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ : أي وحرم عليكم ما تحصلون عليه بالاستقسام بالأزلام ومثله ما يأخذه صاحب الكهانة والشوافة وقرعة الأنبياء، والحروز الباطلة التي فيها طلاسم وأسماء الجن والعفاريت.

وما حرم بالسنة وهو كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور؛ لثبوت ذلك في الصحاح.

ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ : أي ما ذكر من أكل الميتة إلىٰ الاستقسام[1] بالأزلام خروج عن طاعة الله تعالىٰ ومعصية له ﷻ. ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[2].

فَمَنِ ٱضۡطُرَّ : أي من ألجأته ضرورة الجوع فخاف علىٰ نفسه الموت فلا بأس أن يأكل مما ذكر.

فِي مَخۡمَصَةٍ : المخمصة: شدة الجوع حتىٰ يضمر البطن لقلة الغذاء به.

غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ : غير مائل لإثم يريد غير راغب في المعصية بأكل ما أكل من الميتة، وذلك بأن يأكل أكثر مما يسد به رمقه ويدفع به غائلة الجوع المهلك. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣﴾.

=

مات منه يؤكل ولو لم يذك ولا يقال فيه: ميتة.

(١) هي ثلاثة أزلام كتب علىٰ أحدها: أمرني ربي، وعلىٰ الثاني: نهاني ربي، والثالث: مهمل لم يكتب عليه شيء ويجعلها في خريطته فإذا خرج أمرني مضىٰ في عمله، وإذا خرج نهاني ترك ما أراد فعله، وإذا خرج المهمل أعاد الضرب في الخريطة، وهناك نوعان من الاستقسام غير ما ذكرنا.

(٢) ووجه إكمال الدين أنه كان قبل الهجرة مقصورًا علىٰ الشهادتين، والصلاة، ولما هاجر ﷺ إلىٰ المدينة أخذ التشريع ينزل يومًا بعد يوم حتىٰ كمل وأعلن عنه الرب تعالىٰ في حجة الوداع بقوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ ...﴾ إلخ.

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ : ما أذن الله تعالىٰ في أكله وأباحه لعباده المؤمنين.

وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ : جمع جارحة بمعنىٰ كاسبة تجرح بمعنىٰ تكسب.

مُكَلِّبِينَ : أي مرسلين الجارحة علىٰ الصيد سواء كانت الجارحة كلبًا أو طيرًا[1]. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ[2] وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ﴾.

وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ : ذبائح اليهود والنصارىٰ. حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ.

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ : جمع محصنة وهي العفيفة الحرة من النساء. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ: مهورهن وصداقهن.

مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ : غير مجاهرين بالزنا.

وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ : جمع خدن وهو الخليل والصاحب السريّ.

وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ: أي يرتد عن الإيمان، فالباء بمعنىٰ عن إذ يقال ارتد عن كذا.

فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ : بطل كل ما قدمه من الصالحات فلا يثاب عليه. ﴿وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ : أي إذا أردتم القيام إلىٰ الصلاة وأنتم محدثون أي علىٰ غير وضوء.

فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ : أي بعد غسل الكفين ثلاثًا والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ثلاثًا ثلاثًا لبيان رسول ﷺ ذلك. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾.

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ : أي واغسلوا أرجلكم إلىٰ الكعبين إلا أن يكون عليها خف ساتر فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلىٰ نزعه وغسل الرجلين، وذلك إن لبسه بعد وضوء ولم يمض علىٰ لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيمًا، أو ثلاثة أيام إن كان مسافرًا بهذا جاءت السنة[3].

---

(١) المكلب: هو معلم الكلاب، ومدربها علىٰ الصيد، ويقال للصائد مكلب، وعليه فقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يكون بمعنىٰ: صائدين.

(٢) ﴿مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ علىٰ هنا بمعنىٰ اللام، أي مما أمسكن لكم ولأجلكم كقولهم: سجن علىٰ كذا، وضرب الصبي علىٰ قوله كذا.

(٣) قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة المسح علىٰ الجوربين تقديم العلامة أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتحقيق الألباني ص ٢١، ٢٢: (إذا علمت ذلك فمسألتنا هذه (مسألة المسح علىٰ الجوربين أصلها في الكتاب الكريم إما من عموم المسح في آية الوضوء، وإما من عمومات أخر. فأما العموم الأول، فسنده قراءة الجر في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فإن ظاهرها أن الفرض في الرجلين هو المسح كما روىٰ ذلك عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وقتادة وجعفر الصادق وعلماء سلالته رضي الله عنهم =

وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا : الجنب من قامت به جنابة وهي شيئان: غياب رأس الذكر في الفرج، وخروج المني بلذة في نوم أو يقظة.

فَاطَّهَّرُوا : يعني فاغتسلوا، والغسل هو غسل سائر الجسد بالماء.﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم﴾ .

مِّنَ الْغَائِطِ : كناية عن الخارج من أحد السبيلين من عذرة أو فساء أو ضراط، أو بول أو مذي(١) .

أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ : ملامسة النساء كناية عن الجماع، كما أن من لامس امرأة ليتلذذ بها أو لامسها لغير قصد اللذة ووجد اللذة فقد انتقض وضوءه ومن هذا مس الفرج باليد؛ لأنه مظنة اللذة لذا قال الرسول ﷺ : «من أفضىٰ منكم بيده إلىٰ فرجه فليتوضأ»(٢) .

فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا : اقصدوا ترابًا أو حجرًا أو رملًا أو سبخة مما صعد علىٰ وجه الأرض.

فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ .

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ : الحرج: المشقة والعسر والضيق.﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ .

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ : أي ميثاق الله تعالىٰ وهو عهده الموكل والمراد به هنا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إذ بها وجب الالتزام بسائر التكاليف الشرعية.﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ : جمع قوام وهو كثير القيام لله تعالىٰ بحقوقه، وما وجب له تعالىٰ، وبحقوق الغير أيضًا لا يفرط في شيء من ذلك.

=

أجمعين. فعلىٰ مذهب هؤلاء الأئمة يكون مفاد الآية وجوب المسح علىٰ الرجلين مباشرة أو بما عليها من خف أو جورب أو تساخين فيظهر أن الآية مأخذًا للسنة علىٰ هذه القراءة(قل) .

(١) أصل الغائط أنه المكان المنخفض، ولما كان من يريد قضاء حاجته يأتي المكان المنخفض ليستتر عن أعين الناس، أطلق لفظ الغائط علىٰ ما يحل فيه من بول وعذرة.

(٢) **المقصود بمس الفرج باليد أي:** من غير ساتر، فإن كان بساتر فلا ينتقض وضوءه، وأيضًا إن كان بغير ساتر وبغير عمد، سئل الإمام ابن تيمية رحمه الله ج٢١، ص٢٣١: (عن رجل وقعت يده بباطن كفه وأصابعه علىٰ ذكره: فهل ينتقض وضوءه أم لا؟ فأجاب: إذا لم يتعمد ذلك لم ينتقض، وضوءه) وسئل رحمه الله عن مس النساء: هل ينقض الوضوء أم لا؟ فأجاب: فيه ثلاثة أقوال للفقهاء: والصحيح في المسألة أحد قولين: أما الأول وهو عدم النقض مطلقًا. وأما القول الثاني: وهو النقض إذا كان بشهوة، وأما وجوب الوضوء من مجرد مس المرأة لغير شهوة فهو أضعف الأقوال ولا يعرف هذا القول عن أحد من الصحابة). ج٢١، ص٢٣٥، ٢٣٦ .اهـ(قل) .

شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ: جمع شهيد بمعنىٰ شاهد، والقسط العدل.

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ: أي لا يحملنكم.

شَنَـَٔانُ قَوْمٍ: بغض وعداوة قوم.

عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟: العدل: خلاف الجور، وهو المساواة بلا حيف ولا جور.

ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ: أي العدل أقرب للتقوىٰ من الجور. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾.

عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ: أرادوا وعزموا علىٰ إنفاذ آرائهم. والقوم هم يهود بني النضير.

أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ: أي ليقتلوا نبيكم ﷺ.

فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ: لم يمكنهم مما أرادوه من قتل النبي ﷺ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ: الميثاق: العهد المؤكد بالأيمان.

بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: اليهود.

وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا: نقيب القوم: من ينقب عنهم ويبحث عن شؤونهم ويتولىٰ أمورهم. ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾.

وَعَزَّرْتُمُوهُمْ: أي نصرتموهم ودافعتم عنهم معظمين لهم.

وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: أي أنفقتم في سبيله ترجون جزاء منه تعالىٰ علىٰ نفقاتكم في سبيله.

لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ: أسترها ولم آخذكم بها. ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾.

فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾: أخطأ طريق الهدىٰ الذي يفلح سالكه بالفوز بالمحبوب والنجاة من المرهوب.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ: نقض الميثاق: حلُّه بعدم الالتزام بما تضمنه من أمر ونهي.

لَعَنَّٰهُمْ: طردناهم من موجبات الرحمة ومقتضيات العز والكمال.

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ: يبدلون الكلام ويؤولون معانيه لأغراض فاسدة، والكلم من الكلام.

وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ: تركوا قسطًا كبيرًا مما ذكرهم الله تعالىٰ به، أي: أمرهم به في كتابهم.

وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ: خيانة أو طائفة خائنة منهم.

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ : أي لا تؤاخذهم واصرف وجهك عنهم محسنًا إليهم بذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ : أي ابتدعوا بدعة النصرانية فقالوا: إنا نصارىٰ. ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : الإغراء: التحريش[1] والمراد أوجدنا لهم أسباب الفرقة والخلاف إلىٰ يوم القيامة بتدبيرنا الخاص فهم أعداء لبعضهم البعض أبدًا. ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ: هنا هم اليهود والنصارىٰ معًا.

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا : محمد ﷺ.

يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ : الكتاب: التوراة والإنجيل، وما يخفونه صفات النبي ﷺ وبعض الأحكام عن المخالفين يجحدونها خوف المعرة كالرجم مثلًا.

وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ[2] وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾: النور محمد ﷺ والكتاب القرآن الكريم. ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾.

بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾: الإسلام وهو الدين الحق الذي لا نجاة إلا به. والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ : لأنهم جحدوا الحق وقالوا كذبًا: الله هو المسيح ابن مريم.

المسيح: لقب لعيسىٰ بن مريم عبد الله ورسوله عليه السلام.

مريم: بنت عمران من صلحا بني إسرائيل والدة عيسىٰ عليه السلام.

قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ : يميت ويبيد. ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

---

(١)من الجائز أن يقال: أغرينا بينهم العداوة والبغضاء هو عائد علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ لأن العداوة بينهم ثابتة إلا أن السياق هو في النصارىٰ فطوائفهم متعددة ومتعادية متباغضة كما أخبر تعالىٰ. والفرق بين العداوة والبغضاء: أن العداوة من العدوان فقد ينتج عنها أذىٰ بالضرب أو القتل. وأما البغضاء فهي من البغض القلبي فلا يتوقع من أصحابها أذىٰ.

(٢)واللفظ صالح لأن يكون المراد بالنور الإسلام، فالنبي ﷺ نور والإسلام نور إذ كل منهما يهدي إلىٰ دار السلام في الأخرىٰ وإلىٰ الطهر والصفاء والسعادة والكمال في دار الدنيا.

يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ : قادر على إيجاد وإعدام كل شيء أراد إيجاده أو إعدامه. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ﴾ .

أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ : الأحباء: واحده حبيب كما أن الأبناء واحده ابن. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ .

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ : الفترة زمن انقطاع الوحي لعدم إرسال الله تعالىٰ رسولًا.

أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ : البشير[1] : المبشر بالخير، والنذير: المنذر من الشر. وهو رسول الله ﷺ ، يبشر المؤمنين وينذر الكافرين. ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ : منها نجاتهم من فرعون وملائه.

إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ : منهم موسىٰ وهارون عليهما السلام.

وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا : أي مالكين أمر أنفسكم بعد الاستعباد الفرعوني لكم[2] .

وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ : المعاصرين لهم والسابقين لهم.

يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ : المطهرة التي فرض الله عليكم دخولها، والسكن فيها بعد طرد الكفار منها وهي هنا أرض فلسطين.

وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ : أي ترجعوا منهزمين إلىٰ الوراء. ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ .

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ : عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا. ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ : مخالفة أمر الله تعالىٰ ومعصية رسوله.

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا : أي بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لما دخلوا أرض الجبارين لكشف أحوال العدو بها، وهما يوشع وكالب من النقباء الاثني عشر. ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ .

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ : أي المدينة التي أمروا بمهاجمة أهلها والدخول عليهم فيها. ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ﴾ .

---

(١) ﴿مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ﴿مِنۢ﴾ زائدة، وزيادتها لغرض المبالغة في نفي المجيء، وتنكير بشير ونذير للتقليل أي: ما جاءنا أقل بشير وأقل نذير.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكًا)(قل) .

فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾: أي عن أمر الله ورسوله بتركهم الجهاد جبنًا وخوفًا.

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ: أي تحريمًا كونيًّا قضائيًّا لا شرعيًّا تعبديًّا.

أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ: أي في أرض سيناء متحيرين فيها لا يدرون أين يذهبون مدة أربعين سنة.

فَلَا تَأْسَ: أي لا تحزن ولا تأسف. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ: واقرأ على اليهود الذين هموا بقتلك وقتل أصحابك.

نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ: خبر ابني آدم هابيل وقابيل.

إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا: القربان ما يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ كالصلاة والصدقات (١).

فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ (٢).

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي: مددت إلي يدك. ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ: ترجع إلىٰ الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك في معاصيك. ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ: شجعته علىٰ القتل وزينته له حتىٰ فعله. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ: طائرًا أسود معروفًا يضرب به المثل في السواد.

لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ: يستر بالتراب جسد أخيه، وقيل: فيه سوءة، لأن النظر إلىٰ الميت تكرهه النفوس، والسوءة: ما يكره النظر إليها. ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ: أي بسبب ذلك القتل.

كَتَبْنَا: أوحينا. ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ﴾.

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ: أي فورًا وقصاصًا.

أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ: بحربه لله ورسوله والمؤمنين. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

---

(١) قيل: كان قربان قابيل حُزمةً من سنبل؛ لأنه صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه حيث إنه وجد فيها سنبلة طيبة ففركها وأكلها، وأما قربان هابيل فكان كبشًا لأنه صاحب غنم واختاره من أجود غنمه.

(٢) إن قيل: كيف عرف القبول من عدمه؟ فالجواب: إن سنة الله تعالىٰ فيمن سبق أن من قرب لله تعالىٰ قربانًا فقبله أرسل عليه نارًا من السماء فأحرقته ومن لم يتقبله لم يفعل به ذلك، ويشهد له حديث الصحيح في غنائم بني إسرائيل إذ كانت محرمة عليهم ولم تحل إلا لأمة الإسلام، إذ أخبر النبي ﷺ أن نارًا تنزل من السماء علىٰ الغنائم فتحرقها.

وَمَنْ أَحْيَاهَا : قدر على قتلها وهي مستوجبة له فتركها. ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ : الآيات الواضحات حاملة للشرائع والدلائل. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ : مكثرون من المعاصي والذنوب.

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ : بالخروج عن طاعتهما وحمل السلاح[1] على المؤمنين وقتلهم وسلب أموالهم والاعتداء على حرماتهم.

وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا : بإخافة الناس وقطع طرقهم وسلب أموالهم والاعتداء على أعراضهم.

أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا : يشدوا على أعواد الخشب ويقتلوا، أو بعد أن يقتلوا.

أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ : بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى والعكس.

أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ : أي من أرض الإسلام.

ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا : ذل ومهانة.

وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ : عذاب جهنم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ .

مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ : أي تتمكنوا منهم بأن فروا بعيدًا ثم جاءوا مسلمين. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ : خافوا عذابه فامتثلوا أمره وأمر رسوله واجتنبوا نهيهما[2] .

وَابْتَغُوا إِلَيْهِ : اطلبوا.

الْوَسِيلَةَ : تقربوا إليه بفعل محابه وترك مساخطه تظفروا بالقرب منه.

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ : أنفسكم بحملها على أن تتعلم وتعمل وتعلم، وأعداؤه بدعوتهم إلى الإسلام وقتالهم على ذلك.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ : تنجون من النار وتدخلون الجنة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

---

(١) الجمهور على أن اللص كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكف وينصرف وإن أبى يقاتل ويقتل ومن قتله اللص فهو في الجنة وإن قتل اللص فهو في النار لحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: أرأيت يا رسول الله إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النار».

(٢) روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول ﷺ: بئس الخطيب أنت قل: ومن يعص الله ورسوله» (قل) .

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾: دائم لا يبرح ولا يزول.

وَٱلسَّارِقُ: الذي أخذ مالًا من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.

وَٱلسَّارِقَةُ: التي أخذت مالًا من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.

فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا: أي اقطعوا من سرق منهما يده من الكوع.

جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ: عقوبة من الله تجعل غيره ينكل أن يسرق.

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾: عزيز: غالب لا يحال بينه وبين مراده، حكيم: في تدبيره وقضائه.

فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ: بعد ظلمه لنفسه بمعصية الله تعالىٰ بأخذ أموال الناس. ﴿وَأَصْلَحَ﴾.

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ: أي يقبل توبته، ويغفر له ويرحمه إن شاء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: خلقًا وملكًا وتدبيرًا.

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ: أي تعذيبه لأنه مات عاصيًا لأمره كافرًا بحقه.

وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ: ممن تاب من ذنبه وأناب إليه ﷻ. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ: الحزن ألم النفس يسببه خوف فوات محبوب.

ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ: بمعنىٰ يسرعون فيه إذا ما خرجوا منه كلما سنحت فرصة للكفر أظهروه.

مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ (١): هؤلاء هم المنافقون. ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ: أي اليهود.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ: أي كثيرو الاستماع للكذب.

سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ: ليهود آخرين لم يأتوك وهم يهود خيبر.

يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ: يبدلون الكلام ويغيرونه ليوافق أهواءهم.

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ: أي أعطيتم. أي إن أفتاكم في الزانين المحصنين بالجلد والتحميم بالفحم فاقبلوا ذلك.

وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ: وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا قبول ذلك.

وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ: أي ضلاله لما سبق له من موجبات الضلال. ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾.

لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ: من الكفر والنفاق.

لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ: ذل. ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ: كثيرو الأكل للحرام كالرشوة والربا (٢).

---

(١) من: بيانية أي: بينت أن المسارعين في الكفر هم من المنافقين واليهود.

(٢) يرىٰ مالك والشافعي أن اليهود إذا رفعوا للإمام قضية دم أو مال أو عرض حكم بينهم بما أنزل الله، وإن كان ما رفعوه لا يتعلق بالمال أو الدم أو العرض تركهم معرضًا عنهم، وأبو حنيفة يرىٰ الحكم بينهم مطلقًا.

فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ : أي لا تحكم بينهم. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾.

وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ : أي بالعدل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ : أي صدقًا وحقًّا وإن ادعوه نطقًا.

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ : كتاب موسىٰ عليه السلام.

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ : الهدىٰ: ما يوصل إلىٰ المقصود، والنور: ما يهدي السائر إلىٰ غرضه. ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾.

لِلَّذِينَ هَادُوا۟ : اليهود[(١)].

وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ : جمع رباني: العالم المربي الحكيم.

وَٱلْأَحْبَارُ : جمع حبر: العالم من أهل الكتاب. ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ : فرضنا عليهم وأوجبنا في التوراة. ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾.

وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ : مساواة.

فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ : أي تصدق علىٰ الجاني بالعفو عنه. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم : أتبعناهم. ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ : القرآن الكريم.

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ : اسم جنس بمعنىٰ الكتب السابقة قبله كالتوراة والإنجيل.

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ : حاكمًا عليه أي: محققًا للحق الذي فيه، مبطلًا للباطل الذي التصق به. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾.

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا : شريعة تعلمون به وسبيلًا تسلكونه لسعادتكم، كما لكم من

(١) قد تكون (اللام) هنا بمعنىٰ (علىٰ) أي: علىٰ الذين هادوا، وقد تكون علىٰ بابها ويكون لفظ عليهم محذوفًا أي: يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف (عليهم).

سنن الهدىٰ.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً: لا اختلاف بينكم في عقيدة ولا في عبادة ولا في قضاء. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ: أي بادروا فعل الخيرات ليفوز السابقون. ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[1].

وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ: يضلوك عن الحق.

فَإِن تَوَلَّوْا۟: أعرضوا عن قبول الحق الذي دعوتهم إليه وأردت حكمهم به.

فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم[2] بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾.

أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ[3]: هو ما عليه أهل الجاهلية من الأحكام القبلية التي لا تقوم علىٰ وحي الله تعالىٰ وإنما علىٰ الآراء والأهواء. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[4].

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟: صدقوا الله ورسوله ووعد الله ووعيده. ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾.

أَوْلِيَآءَ: لكم توالونهم بالنصرة والمحبة.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ: أي اليهود ولي أخيه اليهودي، والنصراني ولي أخيه النصراني. ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾: الذين يوالون أعداء الله ورسوله ويتركون موالاة الله ورسوله والمؤمنين.

فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: نفاق وشك وشرك.

يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ: أي في البقاء علىٰ موالاتهم أي: موالاة اليهود والنصارىٰ.

يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ: أي تدور علينا من جدب أو انتهاء أمر الإسلام.

فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ: نصر المؤمنين علىٰ الكافرين، والقضاء لهم بذلك كفتح مكة. ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾[5].

أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ: أقصاها وأبلغها. ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾.

---

(١) هل هذه الآية ناسخة للتخيير السابق؟ أو لا نسخ ويقدر بعدها جملة -إن شئت- لتقدم ذكر التخيير، وما تقدم من توجيه في آية ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يحدد معنىٰ هذه الآية.

(٢) وقد أصابهم فأجلوا من الحجاز وقتل بنو قريظة وضربت عليهم الجزية في ديار الإسلام.

(٣) ﴿أَفَحُكْمَ﴾ منصوب يبغون أي: أيبغون حكم الجاهلية، إذ أهل الجاهلية من العرب يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع، واليهود يقيمون الحدود علىٰ الضعفاء والفقراء دون الأقوياء والأغنياء.

(٤) الاستفهام إنكاري أي: ينكر أن يكون هناك حكم أحسن من حكم الله تعالىٰ.

(٥) فسر الحسن قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بأنه إظهار أمر المنافقين والإخبار بأسمائهم والأمر بقتلهم، وهو تفسير عظيم عليه نور.

حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ : بطلت وفسدت فلم ينتفعوا منها بشيء؛ لأنها ما كانت لله تعالىٰ. ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ : أي يرجع إلىٰ الكفر بعد إيمانه. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ : أرقاء عليهم رحماء بهم.

أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ : أشداء غلاظ عليهم.

يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ : عذل عاذل. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ : أنصار الله تعالىٰ. ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا : الهزء: ما يهزأ به ويسخر منه واللعب ما يلعب به.

مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ : هم اليهود في هذا السياق.

وَٱلْكُفَّارَ : المشركون.

أَوْلِيَآءَ : أنصارًا وأحباءً وأحلافًا. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ : أذنتم لها. ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ : أي ما تنقمون منا، ومعنىٰ: تنقمون هنا تنكرون منا وتعيبون علينا. ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾.

وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ : خارجون عن طاعة الله تعالىٰ. بالكفر والمعاصي.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً : جزاءً. ﴿عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾.

وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ : جمع قرد جبان معروف مجبول علىٰ التقليد والمحاكاة.

وَٱلْخَنَازِيرَ : جمع خنزير حيوان خبيث معروف محرم الأكل.

وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ : أي وجعل منهم عبد الطاغوت وهو الشيطان.

أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا : أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم. ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾.

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ : أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها[1].

وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ : الإثم كل ضار وفاسد وهو ما حرمه الله تعالىٰ من اعتقاد

---

(١) أي أنهم ما آمنوا قط ولم يخالط الإيمان قلوبهم طرفة عين فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين.

أو قول أو عمل، والعدوان: الظلم[١].

وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ : المال الحرام كالرشوة والربا، وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم وتأويله. ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ : لم لا ينهاهم.

ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ: الربانيون هنا العباد المربون كمشايخ التصوف عندنا[٢]. والأحبار: العلماء. ﴿عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ : يريدون أنه تعالىٰ ضيق عليهم الرزق ولم يوسع عليهم.

غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ : دعاء عليهم بأن يحرموا الإنفاق في الخير وفيما ينفعهم.

وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ : طردوا من رحمة الله بسبب وصفهم الرب تعالىٰ بالبخل.

بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ : لا كما قالوا لعنهم الله: يد الله مغلولة أي: ممسكة من الإنفاق. ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ﴾.

إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ : طغيانًا: تجاوزًا لحد الاعتدال في قولهم الكاذب وعملهم الفاسد.

وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ : أي بين اليهود والنصارىٰ[٣] ﴿ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾.

كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ : أي نار الفتنة والتحريش والإغراء والعداوات للحرب. ﴿أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ : اليهود والنصارىٰ. ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ﴾.

لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ : كناية عن بسط الرزق عليهم.

مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ : معتدلة لا غالية مُفرطة، ولا جافية مفرِّطة[٤]. ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ﴾.

مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾ : أي ساء ما يعملون من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ : ذكر من بني آدم أوحي إليه شرع وأمر بتبليغه وهو هنا محمد ﷺ.

بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ : من التوحيد والشرائع والأحكام. ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾.

---

(١) الرؤية هنا بصرية والخطاب عام لكل من يسمع ويرىٰ والمعنىٰ: أن حالهم لا تخفىٰ علىٰ أحد ذي بصر.

(٢) مع توافر شرطي الصواب والإخلاص إلا أنهم بالنسبة لشرط الصواب يدعون إلىٰ الله تعالىٰ دون معرفة الدليل في الغالب (قل).

(٣) الكلام صالح لأن يكون ﴿بَيۡنَهُمُ﴾ المراد بهم اليهود أنفسهم كقوله تعالىٰ: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ وأن يكون المراد بين اليهود والنصارىٰ لتقدم ذكرهم معًا في قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ والواقع شاهد.

(٤) لم تغلُ ولم تجفُ فلم تقل في عيسىٰ: إنه ابن الله ولا ابن زنىٰ؛ ولكن قالت: عبد الله ورسوله.

وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ: يحفظك حفظًا لا يصل إليك معه أحد بسوء. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ﴾.

فَلَا تَأْسَ: لا تأسف ولا تحزن. ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟: اليهود.

وَٱلصَّٰبِـُٔونَ (١): جمع صابئ وهم فرقة من أهل الكتاب. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (٢)

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ﴾.

بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ: بما لا يحبونه ولا تميل إليه أنفسهم المريضة.

فَرِيقًا كَذَّبُوا۟: أي كذبوا طائفة من الرسل.

وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾: وقتلوا طائفة أخرىٰ.

وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ: أي أن لا يبتلوا بذنوبهم بالشدائد والمحن.

فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟: عموا عن العبر وصموا عن سماع المواعظ. ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ﴾.

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ: أي يشرك بالله تعالىٰ غيره من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات.

فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ: حكم بمنعه من دخولها أبدًا إلا أن يتوب من الشرك. ﴿وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾.

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ: الثلاثة هي الأب والابن وروح القدس: وكلها إله واحد. ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

---

(١) في ذكر المؤمنين وهم المسلمون مع اليهود والصابئين والنصارىٰ إشارة أبلغ من عبارة وهي أن العبرة ليست بالأنساب ولا الانتساب ولا بزمان أو مكان، وإنما النجاة من النار ودخول الجنة متوقفان علىٰ الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح الذي جاء به كتاب الله ورسوله محمد ﷺ.

(٢) اختلف في إعراب: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ علىٰ أقوال نكتفي بقول منها وهو أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف تقديره: والصابئون كذلك وتقدير الكلام إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارىٰ من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ : مضت قبله رسل كثيرون.

وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ : أي مريم كانت صديقة كثيرة الصدق في قولها وعملها. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾.

ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق وقد ظهر واضحًا.

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ : الغلو: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فمثلًا: أمرنا بغسل اليدين في الوضوء إلىٰ المرفقين فغسلهما إلىٰ الكتفين غلو، أمرنا بتعظيم الرسول ﷺ فدعاؤه غلو في الدين.

وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ : جمع هوىٰ، وصاحب الهوىٰ هو الذي يعتقد ويقول بما يهواه لا بما قامت به الحجة وأقره الدليل من دين الله تعالىٰ.

وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا : أي أضلوا عددًا كثيرًا من الناس بأهوائهم وأباطيلهم.

وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ : سواء السبيل[1] : وسط الطريق العدل الذي لا ميل فيه إلىٰ يمين ولا إلىٰ يسار.

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ : دعي عليهم باللعنة التي هي الإبعاد من الخير والرحمة وموجباتها. ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾.

ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ : أي بسبب عصيانهم لرسلهم، واعتدائهم في دينهم.

كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ : أي لا ينهىٰ بعضهم بعضًا عن ترك المنكر.

لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾[2] : قبح عملهم من عمل وهو تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3].

تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ : يوادونهم ويتعاونون معهم دون المؤمنين. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ : أي لو كانوا صادقين في إيمانهم بالله والنبي محمد ﷺ. وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ.

مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ : ما اتخذوا المشركين في مكة والمدينة من المنافقين أولياء. ﴿وَلَٰكِنَّ

---

(١) سواء السبيل هنا المراد به: الإسلام، لأنهم ضلوا في دينهم قبل مجيء الإسلام، ثم ضلوا عن الإسلام بعد مجيئه.

(٢) اللام: لام القسم جيء بها لتدل عليه وتؤكد الذم بصورة فظيعة.

(٣) نقل القرطبي عن ابن عطية رحمهما الله تعالىٰ، أن الاجماع منعقد علىٰ أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر علىٰ نفسه وعلىٰ غيره من المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه.

كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾(١).

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ: العداوة: بغض نفسي تجعل صاحبها بعيدًا ممن يعاديه فلا يصله بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله علىٰ إرادة الشر بالعدو. ﴿ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾.

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ: المودة: حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلىٰ من يوده بالخير ودفع الشر. ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ: جمع قسيس: وهو الرئيس الديني لعلمه عند النصارىٰ.

وَرُهْبَانًا: الرهبان: جمع راهب: مشتق من الرهبة وهو الرجل في النصارىٰ يتبتل وينقطع للعبادة في دير أو صومعة. ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ: الرسول محمد ﷺ وما أنزل إليه آيات القرآن الكريم الدالة علىٰ تشريف عيسىٰ ووالدته مريم عليهما السلام، وأن عيسىٰ عبد الله ورسوله، وأن مريم صديقة.

تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ(٢) مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾: جمع شاهد: من شهد لله بالوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام علىٰ ذلك. ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾: جمع صالح: وهو من أدىٰ حقوق الله تعالىٰ كاملة من الإيمان به وشكره علىٰ نعمه بطاعته، وأدىٰ حقوق الناس كاملة من الإحسان إليهم، وكف الأذىٰ عنهم.

فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ: جزاهم بما قالوا من الإيمان ووفقوا له من العمل. ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ: التحريم: المنع أي: لا تمنعوا.

طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ: أي ما أباحه لكم وأذن لكم فيه من نكاح وطعام وشراب. ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا: مباحًا غير مستقذر ولا مستخبث. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ: لا يعاقبكم الله باللغو الذي هو ما كان بغير قصد اليمين.

---

(١) أي: كافرون إذ فسقوا عن دين الله وخرجوا عنه باليهودية الباطلة، وخرجوا عن الإسلام بالنفاق فهم كفرة منافقون يهود ملعونون.

(٢) تفيض أعينهم من الدمع أي بالدمع: وحروف الجر تتناوب.

وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ : عزمتم عليها بقلوبكم بأن تفعلوا أو لا تفعلوا. ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ .

مِنْ أَوْسَطِ : أغلبه ولا هو من أعلاه ولا هو من أدناه.

مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ : من زوجة وولد. ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ .

أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ : عتقها من الرق القائم بها. ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾(١)

وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ(٢) : المتضمنة لأحكام دينه من واجب وحلال وحرام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾(٣) .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ : الخمر: كل مسكر كيفما كانت مادته وقلت أو كثرت، والميسر: القمار.

وَٱلْأَنصَابُ : الأنصاب: جمع نصب. ما ينصب للتقرب به إلىٰ الله أو التبرك به، أو لتعظيمه كتماثيل الرؤساء والزعماء في العهد الحديث.

وَٱلْأَزْلَٰمُ : جمع: زلم: وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والربح من الخسارة، ومثلها قرعة الأنبياء، وخط الرمل والحساب بالمسبحة.

رِجْسٌ : الرجس: المستقذر حسًا كان أو معنىً، إذ المحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة.

مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ : أي مما يزينه للناس ويحببه إليهم ويرغبهم فيه ليضلهم.

فَٱجْتَنِبُوهُ : اتركوه جانبًا فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وابتعدوا عنه بأبدانكم.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ : تكملون وتسعدون في دنياكم وآخرتكم. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾

وَيَصُدَّكُمْ : أي يصرفكم. ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ .

فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ : أي انتهوا والاستفهام للأمر لا للاستخبار(٤) . ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ

---

(١) هذا إذا لم يستثن بأن يقول: إلا أن يشاء الله، أما من استثنىٰ فلا كفارة عليه إذ لا إثم مع الاستثناء ولابد للاستثناء من النطق يقول: إلا أن يشاء الله ولا يتم إلا بتحريك لسانه وشفتيه.

(٢) وفي الآية وجه آخر ذكره القرطبي وهو أن يبادر إلىٰ إخراج الكفارة إذا حنث وهذا حفظها من النسيان ظاهرًا.

(٣) قال العلماء: الأيمان أربعة: يمينان يكفر فيهما إذا حنث ويمينان لا كفارة فيهما: فالأولان أن يقول: والله لأفعلن كذا ثم يحنث والثاني أن يقول: والله لا أفعل كذا ويحنث، واللذان لا كفارة فيهما: الأولىٰ: لغو اليمين وهو أن يحلف علىٰ الشيء يظنه كذا فيظهر خلافه، والثانية: أن يجري علىٰ لسانه الحلف وهو غير قاصد نحو: لا والله، بلىٰ والله، والخامسة: اليمين الغموس، وهو أن يحلف متعمدًا الكذب وكفارتها التوبة لا غير وإن كفر مع التوبة فحسن.

(٤) هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة أي في آخرها؛ ولكنها وقعت هنا في سورة المائدة بعد نزولها وهذه الآية هي الناسخة لإباحة الخمر.

وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾.

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا : أي إثم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر قبل تحريم ذلك. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ : ليختبرنكم.

بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ : ما يصاد.

تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ : كبيض الطير وفراخه.

وَرِمَاحُكُمْ : جمع رمح، ، ما ينال به هو الحيوان علىٰ اختلافه[1].

لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ : ليظهر الله تعالىٰ بذلك الاختبار من يخافه بالغيب[2] فلا يصد (حين حرم الله عليهم الصيد وهم حرم).

فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ : أي بعد التحريم بأن صاد بعدما بلغه التحريم. ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ : جمع حرام والحرام: المحرم لحج أو عمرة ويقال: رجل حرام وامرأة حرام. ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ ﴾.

مِنَ النَّعَمِ : النعم: الإبل والبقر والغنم.

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ : أي صاحب عدالة من أهل العلم. ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾: ثقل جزاء ذنبه حيث صاد والصيد حرام. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ : المسافرين يتزودون به في سفرهم. وطعام البحر ما يقذف به إلىٰ الساحل. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

۞ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ : الكعبة كل بناء مربع والمراد بها هنا بيت الله الحرام.

قِيَامًا لِّلنَّاسِ : يقوم به أمر دينهم بالحج إليه والاعتمار، ودنياهم بأمن داخله وجبي ثمرات كل شيء إليه.

وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ : أي المحرم والمراد به الأشهر الحرم الأربعة: رجب وذو القعدة والحجة ومحرم.

وَالْهَدْيَ : ما يهدىٰ إلىٰ البيت من أنواع الهدايا.

---

(١) قوله: ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ يريد صغار الصيد، وفراخه وبيضه. ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ هو كبار الصيد الذي لا يؤخذ باليد ولكن بآلة الصيد.

(٢) أي ليظهر ذلك لهم إقامة للحجة عليهم أما هو ﷻ فعلمه بذلك أزلي سابق.

﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ : جمع قلادة ما يقلده البعير أو البقرة المهدىٰ إلىٰ الحرم. ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ : بلاغ ما أمره سبحانه بإبلاغه.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ : أي ما تظهرون وما تخفون.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ : الخبيث: مقابل الطيب وهو الحرام وهو عام في المحسوسات والمعقولات.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ : أصحاب العقول. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1] : تظهر لكم تضركم. ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا[2] حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ : سكت عنها فلم يذكرها أو لم يؤاخذكم بها. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ : طلبها غيركم من الأمم السابقة. ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ : أي ما شرع.

﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ : البحيرة[3] : الناقة تبحر أذنها: أي تشق، والسائبة: الناقة تسيب.

﴿وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ : الوصيلة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثىٰ، والحام: الجمل يحمىٰ ظهره للآلهة. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ : من الحق والخير. ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾.

﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾ : يكفينا.

﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ : من الباطل والضلال. ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ : صدقوا الله ورسوله واستجابوا لهما بفعل المأمور وترك المنهي.

﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ : ألزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها.

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ : إلىٰ معرفة الحق ولزوم طريقه.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ : ضُلَّالًا ومهتدين.

---

(١) بعد انقطاع الوحي أمن الناس من نزول ما قد يسوء ومع هذا فإن سؤال التنطع والتعنت مكروه دائمًا وفي الحديث الصحيح: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

(٢) إن قيل: ما وجه أنه تعالىٰ نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله: «وإن تسألوا عنها...» إلخ؟ الجواب: إن تسألوا عن غيرها مما دعت الحاجة إليه، ففي الكلام حذف مضاف كما قدمناه فتأمله.

(٣) وذلك إذا نتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكرًا نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثىٰ بحروا أذنها أي شقوها وكانت حرامًا علىٰ النساء لحمها ولبنها، والسائبة: بعير يسيب بنذر ينذره أحدهم للآلهة إن حصل له كذا سيب كذا وتترك فلا تمنع من رعي ولا ماء ولا يركبها أحد.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾: يخبركم بأعمالكم ويجازيكم بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الشهادة: قول صادر عن علم حاصل[1] بالبصر أو البصيرة، وبينكم: أي شهادة بعضكم على بعض. ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي بأن كنتم مسافرين. ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾: صلاة العصر.

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شككتم في سلامة قولهما وعدالته. ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ١٠٦﴾.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾: أي وقف على خيانة منهما فيما عهد به إليهما حفظه. ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ[2] فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ١٠٧﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾: أقرب.

﴿أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾: أي صحيحة كما هي لا نقص فيها ولا زيادة. ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ﴾.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ١٠٨﴾: الذين لم يلتزموا بطاعة الله ورسوله في الأمر والنهي.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾: أي اذكر يوم يجمع الله الرسل وذلك ليوم القيامة. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ﴾ أي: لا علم لنا بباطن ما أجاب به أممنا.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١٠٩﴾: جمع غيب: وهو ما غاب عن العيون فلا يدرك بالحواس. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾

﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك ونصرتك.

﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل عليه السلام.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: اشتملت هذه الآية على حكم عزيز، قيل: إنه منسوخ، وقال آخرون وهم الأكثرون. بل هو محكم، ومن ادعى نسخه فعليه البيان - قاله ابن جرير رحمه الله. اهـ (قل).

وقال الجزائري أثابه الله:

هذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمه الله وهو الراجح والآية دلالتها قوية عليه، وأما التخوف من قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود المسلم، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أو شك في عدالته لا سيما في ظروف تقل فيها العدالة لفساد أحوال الناس؛ ولهذا ذهبت في تفسير الآية على أنها محكمة والعمل بها جائز.

(٢) واحد الأوليان: الأولى بمعنى الأجدر والأحق، وعرفا باللام العهدية لأنه معهود للمخاطب ذهنًا، والأوليان: الأحقان بالشهادة لقرابتهما من الميت، قال أهل العلم: إن هذه الآية في غاية الصعوبة إعرابًا ونظمًا وحكمًا.

تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ : سرير الطفل الرضيع.

وَكَهْلًا : الكهل: من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة.

وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ : الخط والكتابة.

وَٱلْحِكْمَةَ : فهم أسرار الشرع، والإصابة في الأمور كلها. ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى : أي توجد وتقدر هيئة كصورة الطير. ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾.

وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى : الأكمه: من ولد أعمىٰ، والأبرص: من به مرض البرص.

وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى : أي أحياء من قبورهم.

وَإِذْ كَفَفْتُ : أي منعت. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾.

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ [1] : جمع حواري: وهو صادق الحب في السر والعلن. ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ [2] : هل يطيع ويرضىٰ.

أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ : المائدة الخوان وما يوضع عليه، أو الطعام. والمراد به هنا الطعام. ﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾.

وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا : أي تسكن بزيادة اليقين فيها. ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾.

وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ : أي نشهد أنها نزلت من السماء.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ.

تَكُونُ لَنَا عِيدًا : أي يومًا يعود علينا كل عام نذكر الله تعالىٰ فيه ونشكره. ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

وَءَايَةً مِّنكَ : علامة منك علىٰ قدرتك ورحمتك، ونبوة نبيك. ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ : فمن يكفر بعد نزول المائدة منكم أيها السائلون

---

(١) الوحي يكون بمعنىٰ الإلهام لغير الرسول، أما الرسول فطرق الوحي إليهم جاءت في آخر سورة الشورىٰ.

(٢) اضطربت نفوس المؤمنين في توجيه هذه العبارة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ..﴾ كيف يقول هذا أنصار الله الحواريون وهو دال دلالة واضحة علىٰ جهل بالله تعالىٰ وعدم معرفة الأدب مع نبيه عيسىٰ عليه السلام، فمن قائل: أن يستطيع بمعنىٰ: يطيع أي: هل يطيعك ربك في هذا؟، ومن قائل: إن قراءة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالتاء، وربك معمول أي: هل تقدر علىٰ سؤال ربك أن ينزل إلخ، ومن قائل: إن هذا كان منهم في أول أمرهم قبل أن يتعلموا، ومن قائل: إن هذا صدر ممن كان مع الحواريين ولم يكن من الحواريين، وما ذكرته في التفسير أولىٰ لانسجامه مع السياق إذ قول عيسىٰ لهم: اتقوا الله، وقولهم: ونعلم أن قد صدقتنا دال علىٰ جهلهم بالله ومقام عيسىٰ عليه السلام، وقد يكون أصحاب هذا القول ليسوا من فضلاء الحواريين، ولكن كالذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط، وكالذين قالوا لموسىٰ عليه السلام: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والله أعلم.

للمائدة: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا﴾.

لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ : أي من الناس أجمعين. ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ[1] يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾.

إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ : معبودين تعبدان من دوني.

قَالَ سُبۡحَٰنَكَ : تنزيهًا لك وتقديسًا.

مَا يَكُونُ لِيٓ : ما ينبغي لي ولا يتأتىٰ لي ذلك. ﴿أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾.

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا[2] : رقيبًا: ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ﴾.

ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ : الحفيظ. ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ : أي بنارك فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء.

وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ : أي تستر عليهم وترحمهم بأن تدخلهم جنتك.

فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ : العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده. الحكيم: الذي يضع كل شيء في موضعه فيدخل المشرك النار، والموحد الجنة.

قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ : جمع صادق: وهو من صدق ربه في عبادته وحده. ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾.

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ : لأنه أثابهم بأعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾.

لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾ : أي علىٰ فعل أي شيء تعلقت به إرادته وأراد فعله فإنه يفعله ولا يعجزه بحال من الأحوال.

❁❁❁❁

---

(١) هذا مثل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، أتىٰ بصيغة الماضي لتحقق الوقوع وكذلك هناك ﴿وَإِذۡ قَالَ﴾ فهو بمعنىٰ: يقول، اذكر إذ يقول الله يا عيسىٰ...إلخ.

(٢) شهيدًا: أي رقيبًا أراعي أحوالهم، وأدعوهم إلىٰ العمل بطاعتك، وأنهاهم عن مخالفتك.

٦- سُورَةُ الأَنْعَامِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: الثناء باللسان على المحمود بصفات الجمال والجلال.

ٱلَّذِى خَلَقَ: أنشأ وأوجد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾: يسوون به غيره فيعبدونه معه. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾.

وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ: الأجل: الوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه، والأجل الأول أجل كل إنسان، والثاني أجل الدنيا.

ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢: تشكون في البعث الآخر والجزاء، كما تشكون في وجوب توحيده بعبادته وحده دون غيره.

وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ: أي معبود في السموات وفي الأرض.

يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾: أي من خير وشر، وصلاح وفساد.

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ: المراد بالآية هنا آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله تعالى والإيمان برسوله ولقائه يوم القيامة[(١)].

إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤: غير ملتفتين إليها ولا مفكرين فيها.

فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ: الحق هنا هو النبي ﷺ وما جاء به من الدين الحق.

فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟: أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾.

أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ: أي أهل قرن من الأمم السابقة، والقرن مائة سنة.

مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ: أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين.

وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا: مطرًا متواصلًا غزيرًا. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾.

فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ: أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسله.

وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦: خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين.

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ: القرطاس: ما يكتب عليه جلدًا أو كاغدًا.

فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ: مسوه بأصابعهم ليتأكدوا منه. ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

---

(١) وجائز أن يراد بالآية أيضًا المعجزة كانشقاق القمر ونحوها.

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ : الملك أحد الملائكة.

وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ : أي أهلكوا وانتهت حياتهم.

ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ : لا يمهلون.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا : ولو جعلنا الرسول إليهم ملكًا لإنكارهم البشر[1] لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا .

وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم : خلطنا عليهم. ﴿مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ : سخر وتهكم واستخف. ﴿بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ .

فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ : حاق: نزل بهم العذاب وأحاط بهم فأهلكوا. ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ .

كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ : أي أوجب علىٰ نفسه رحمة خلقه.

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ : لا شك في مجيئه وحصوله في أجله المحدد له.

ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ : حيث لوثوها بأوضار الشرك والمعاصي فلم ينتفعوا بها. ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ : أي ما استقر فيها من ساكن ومتحرك: أي له كل شيء. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ .

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا : أحبه وأنصره وأطلب نصرته ومحبته وولايته. ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ .

مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ : أي من العذاب بمعنىٰ يبعد عنه.

فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ : أي الواضح إذ النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ : يصبك.

بِضُرٍّ : الضر: ما يؤلم الجسم أو النفس كالمرض والحزن.

فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ : الخير: كل ما يسعد الجسم أو الروح. ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ .

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ : الغالب المذل المعز. ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ .

قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً : الشهادة إخبار العالم بالشيء عنه بما لا يخالفه.

---

(١) أي لقالوا: كيف نفهم عن الملك ونحن بشر فيطالبون بأن يكون بشرًا؟

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ شهادة الله تعالىٰ لي بالنبوة إيحاؤه لي بهذا القرآن. ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ : لأخوفكم بما فيه من وعيد الله لأهل عداوته.

﴿وَمَن بَلَغَ﴾ : وأنذر كل من بلغه وسمع به. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ﴾ .

﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ : معبود واحد، لأنه رب واحد إذ لا يعبد إلا الرب الخالق الرازق المدبر.

﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ أي: من الشرك والشركاء معًا.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ : علماء اليهود والنصارىٰ.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ : يعرفون محمدًا نبيًّا لله ورسولًا له. ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ : اختلق الكذب وزوره في نفسه وقال.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ : لا ينجون من عذاب الله يوم القيامة. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ .

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ : استفهام توبيخي لهم.

﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ : تدعون أنهم شركاء يشفعون لكم عند الله. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ : غاب عنهم ولم يحضرهم ما كانوا يكذبونه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ : جمع كنان ما يكن فيه الشيء كالغطاء.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ : ثقلا وصممًا فهم لا يسمعون.

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ : يخاصمونك.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ : جمع أسطورة: ما يكتب ويحكىٰ من أخبار السابقين.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ : ينهون الناس عن الإيمان بالنبي ﷺ.

﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ : أي ويبعدون عنه فلا إيمان ولا متابعة. ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ[1] إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ .

﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ : بل ظهر لهم. ﴿مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ .

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ : ما هي إلا حياتنا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ : بعد الموت أحياء كما كنا قبل أن نموت.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ : جيء بهم ووقفوا علىٰ قضائه وحكمه تعالىٰ فيهم.

---

(١) ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ أي: ما يهلكون فـ(إن) بمعنىٰ: ما النافية.

﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾: أي إنه للحق والله. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: أي خسروا أنفسهم في جهنم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: ساعة: البعث ليوم القيامة وبغتة: أي فجأة.

﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾: الحسرة: التندم والتحسر علىٰ ما فات، ينادون حسرتهم زيادة في التألم والتحزن. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾.

﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: أحمال ذنوبهم إذ الوزر الحمل الثقيل. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)﴾.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾: اللعب: العمل الذي لا يجلب درهمًا للمعاش ولا حسنة للمعاد. واللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه مما يكسبه خيرًا أو يدفع عنه ضيرًا. ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾: أي ليوقعك في الحزن الذي هو ألم النفس من جراء فقد ما تحب من هدايتهم أو من أجل ما تسمع منهم من كلم الباطل كتكذيبك[١].

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾: أي لا ينسبونك إلىٰ الكذب في بواطنهم ومجالسهم السرية لعلمهم اليقين أنك صادق. ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي كذبتهم أقوامهم وأممهم كنوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام. ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: التي تحمل وعده بنصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾: أي أخبارهم في دعواتهم مع أممهم. ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾: عن دعوتك وعدم إيمانهم بها.

﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾: تطلب سربًا تحت الأرض.

﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾: أي مصعدًا تصعد به إلىٰ السماء.

﴿فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾: أي خارقة من خوارق العادات وهي المعجزات.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)﴾: أي فلا تقف موقف الجاهلين بتدبير الله في خلقه[٢].

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾: أي لدعوة الحق التي دعا بها رسول الله ﷺ فيؤمن ويهتدي.

﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: أي يوم القيامة. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾.

---

(١) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾: كسرت إن في ﴿إِنَّهُ﴾ لدخول اللام في ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ ولولاها لفتحت نحو أنه يحزنك.

(٢) جائز أن يكون المعنىٰ: من الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم ويناسب الأول قوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ والثاني قوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ...﴾ الآية.

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ : هلا أداة تحضيض لا «لولا» الشرطية. آية: خارقة تكون علامة على صدقه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ : أي ما يترتب على إيتائها مع عدم الإيمان بعدها من هلاك ودمار.

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ [1] : الدابة كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان. ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ : كتاب المقادير أم الكتاب واللوح المحفوظ. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [2].

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ : صم: لا يسمعون، وبكم: لا ينطقون، في الظلمات لا يبصرون. مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ

وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ : هو الدين الإسلامي المفضي بالآخذ به إلى سعادة الدارين.

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ : أخبروني.

﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ : يوم القيامة.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ : يزيل ويبعد وينجي. ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [3].

فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ : البأساء: الشدائد من الحروب والأمراض والضراء: الضر.

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ : يتذللون في الدعاء خاضعين. ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ﴾.

إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً : فجأة وعلى حين غفلة.

فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ : آيسون قانطون متحسرون حزنون.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ : آخرهم أي أهلكوا من أولهم إلى آخرهم.

وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ : الثناء بالجميل والشكر لله دون سواه.

---

(١) قال القرطبي: القول بحشر البهائم هو الصحيح، والبهائم وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام ولكن فيما بينها تؤاخذ به.

(٢) قيل في ﴿يُحْشَرُونَ﴾: إن حشرها الموت، وقيل: حشرها: هو بعثها يوم القيامة حية وهذا أصح.

(٣) أي أرسلنا رسلًا: فرسلًا مضمر، وهناك إضمار آخر تقديره: فكذبوهم فأهلكناهم.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ : أخبروني وفي هذه الصيغة نوع من التعجب.

إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ : أي أصمكم وأعماكم. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ : جعلها لا تعي ولا تفهم.

مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ : نوع الأساليب لزيادة البيان والإيضاح.

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ : يعرضون[1].

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً : بغتة: بدون إعلام ولا علامة سابقة، والجهر: ما كان بإعلام وعلامة تدل عليه.

هَلْ يُهْلَكُ : أي ما يهلك. ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ[2] إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ : جمع خزانة أو خزينة ما يخزن فيه الشيء ويحفظ[3].

وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ : ما غاب عن العيون وكان محصلًا في الصدور وهو نوعان: غيب حقيقي، وغيب إضافي، فالحقيقي ما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ، والإضافي ما يعلمه أحد ويجهله آخر. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وَأَنذِرْ بِهِ : خوف به :أي بالقرآن. ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ : من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس.

وَٱلْعَشِىِّ : من صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾.

فَتَطْرُدَهُمْ : أي تبعدهم من مجلسك. ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ : ابتلينا بعضهم ببعض الغني بالفقير والشريف بالوضيع.

---

(١) وفسر بغتة وجهرة بـ(ليلًا ونهارًا) والكل صالح وصحيح.

(٢) ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا مقدرين تبشيرهم وإنذارهم، وفيهما معنىٰ التعليل للإرسال، والتبشير: الأصل فيه الإخبار بالأمر السار، والإنذار: الإخبار بالخير الضار دنيويًا أو أخرويًا، والمراد هنا بكل من البشارة والنذارة نعيم الآخرة وعذابها.

(٣) هذا رد علىٰ المشركين في اقتراحاتهم المتعددة المتنوعة فأمر تعالىٰ رسوله أن يرد عليهم بأنه لا يملك خزائن الله التي فيها الأرزاق حتىٰ يعطيهم ما يطلبون ويقترحون، ولا هو يعلم الغيب حتىٰ يخبرهم بموعد العذاب الذي ينتظرهم، ولا هو ملك يقدر علىٰ ما لا يقدر عليه البشر، وإنما هو بشر يوحىٰ إليه الخبر من ربه فيخبر به ويعمل به ليس غير.

لِيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ : أي أعطاهم الفضل فهداهم إلىٰ الإسلام دوننا.

أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ : المستوجبين لفضل الله ومنته بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم.

وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ : دعاء بالسلام من كل مكروه، وهي تحية المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة في الجنة.

كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ : أي أوجب الرحمة علىٰ نفسه فلذا لا يعذب إلا بعد الإنذار، ويقبل توبة من تاب.

أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا : أي ذنبًا أساء به إلىٰ نفسه.

بِجَهَٰلَةٖ : الجهالة أنواع منها: عدم تقدير عاقبة الذنب، ونسيان عظمة الرب. ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٤﴾﴾.

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٥٥﴾ : تتضح وتظهر.

قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ : أي نهاني ربي أي: زجرني عن عبادة أصنامكم.

ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ : تعبدون من دون الله. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي : البينة: الحجة الواضحة العقلية الموجبة للحكم بالفعل أو الترك.

وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ : أي من العذاب.

إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ : أي ما الحكم إلا لله.

يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ : أي يخبر بالحق.

وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ : الفصل في الشيء: القضاء والحكم فيه، والفاصل في القضية: الحاكم فيها ومنهيها. ﴿قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ[1] : المفاتح: جمع مفتح بفتح الميم أي المخزن.

لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ : البر ضد البحر، وهو اليابس من الأرض، والبحر ما يغمره الماء منها.

وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ : واحدة الورق والورق للشجر كالسعف للنخل.

إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ : واحدة الحب من ذرة أو بر أو شعير أو غيرها.

فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ : الرطب ضد اليابس من كل شيء.

وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ : أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير.

---

(١) المِفتاح والجمع مفاتيح، والمفتح عبارة عن كل ما يحل مغلقًا محسوسًا كالقُفل للباب، أو معقولًا كالنظر.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ : أي يُنَيِّمكم باستتار الأرواح وحجبها عن الحياة كالموت.

وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم : أي كسبتم بجوارحكم من خير وشر.

بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى : أي يوقظكم لتواصلوا العمل إلىٰ نهاية الأجل المسمىٰ لكم. ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً : الكرام الكاتبين.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا : ملك الموت وأعوانه.

وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ : أي لا يضيعون ولا يقصرون. ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ : يخلصكم مما تخافون.

تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً : التضرع: الدعاء بتذلل، وخفية بدون جهر بالدعاء.

لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ : أي الهلكة.

لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ : المعترفين بفضلك الحامدين لك علىٰ فعلك.

قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ : الكرب: الشدة الموجبة للحزن وألم الجسم والنفس.

ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ : أي به تعالىٰ بدعائهم أصنامهم وتقربهم إليها بالذبائح.

قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ : كالحجارة والطوفان والصواعق.

أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ : كالزلزال والخسف ونحوهما.

أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا : أي يخلط عليكم أمركم فتختلفوا شيعًا وأحزابًا.

وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ : أي يقتل بعضكم بعضًا فتذيق كل طائفة الأخرىٰ ألم الحرب.

ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ : معاني ما نقول لهم.

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ : أي قريش.

وَهُوَ ٱلْحَقُّ : أي القرآن.

قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ : الوكيل: من يوكل إليه الشيء أو الأمر يدبره، والمعنىٰ: لست عليكم بوكيل فأخاف من تبعة عدم إيمانكم وتوحيدكم.

لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ : المستقر: موضع الاستقرار والنبأ: الخبر العظيم. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾ قد أنبأتكم بالعذاب، ولسوف تعلمون ذلك يوم يحل بكم، وقد استقر نبؤه يوم بدر والحمد لله.

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا : يتكلمون في القرآن طعنًا فيه ونقدًا له ولما جاء فيه.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ : قم محتجًا علىٰ صنيعهم الباطل، غير ملتفت إليهم. ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾.

وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ : أي بعد التذكر. ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ: من تبعة ولا مسئولية [(١)] وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ: أي موعظة لهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٦٩﴾.

وَذَرِ ٱلَّذِينَ: أي اترك الكافرين.

ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا: كونه لعبًا لأنه لا يجنون منه فائدة قط، وكونه لهوًا لأنهم يتلهون به وشغلهم عن الدين الحق الذي يكملهم ويسعدهم [(٢)].

وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ: أي تسلم فتؤخذ فتحبس في جهنم. ﴿بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ: العدل هنا: الفداء. ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ: حبسوا في جهنم بما كسبوا من الشرك والمعاصي.

لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ: الحميم الماء الشديد الحرارة الذي لا يطاق.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ: أي شديد الألم والإيجاع وهو عذاب النار. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ۝٧٠﴾.

قُلْ أَنَدْعُواْ: أي نعبد. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: أي ما لا يقدر علىٰ نفعنا ولا علىٰ ضرنا لو أراد ذلك لنا.

وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ: أي نرجع كفارًا بعد أن كنا مؤمنين.

كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ: أي أضلته في الأرض فهو فيها تائه حيران لا يدري أين يذهب.

﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧١﴾.

وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ: أي اتقوا الله بتوحيده في عبادته وترك معصيته. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٢﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن [(٣)] فَيَكُونُ: أي في يوم القيامة. ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾.

---

(١) ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا ليكون ذلك ذكرىٰ لهم فيكفون عن الخوض في آيات الله وهذا كان بمكة قبل قوة الإسلام، ونزل بالمدينة النهي عن الجلوس مع الكافرين والمنافقين إذا خاضوا في آيات الله (كما في الآية ١٤٠ من سورة النساء).

(٢) اختلف في الدين الذي اتخذه المشركون لهوًا ولعبًا، والظاهر أنه الإسلام الذي جاءهم الرسول ﷺ به إذ لا دين لله سواه وبعث الله تعالىٰ إليهم رسوله به فهو دينهم ومع الأسف رفضوه واتخذوه لهوًا ولعبًا يسخرون ويستهزئون به.

(٣) قال القرطبي: ومعنىٰ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي بكلمة الحق يعني قوله ﴿كُن﴾ وهو كما قال إلا أن القول أن بالحق بمعنىٰ بحكمةٍ أي لم يخلقها لهوًا أو لعبًا هذا أوضح وأهم.

وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ[1] : بوق كالقرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام.

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ : في أفعاله الخبير بأحوال عباده.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ : هو إبراهيم خليل الرحمن ابن آزر من أولاد سام بن نوح عليه السلام. .

لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا : جمع صنم تمثال من حجر.

ءَالِهَةً : جمع إله بمعنىٰ المعبود.

إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ : عدول عن طريق الحق.

وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ[2] إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ : ملك. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ .

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ : أظلم.

رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ : أي غاب. ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ .

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا : طالعًا والبزوغ الطلوع. ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ﴾ .

مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ : العادلين عن طريق الحق إلىٰ طريق الباطل.

فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ .

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ : أقبلت بقلبي علىٰ ربي وأعرضت عما سواه.

لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا : مائلًا عن الضلال إلىٰ الهدىٰ. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ .

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ : جادلوه وحاولوا غلبه بالحجة، والحجة: البينة والدليل القوي.

قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ : أتجادلونني في توحيد الله وقد هداني إليه، فكيف أتركه وأنا منه علىٰ بينة.

وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي[3] شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾

وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ .

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا : حجة وبرهانًا.

فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ : خلاف الخوف.

---

(١) الصور القرن والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام والمراد بالنفخة هنا نفخة الفناء، والنفخة التالية لها نفخة البعث، وهناك نفخة الصعقة وهم في ساحة القضاء، ونفخة رابعة وهي التي يقومون فيها لفصل القضاء.

(٢) نوري هو بمعنىٰ أرينا الماضي.

(٣) قال هذا احتياطًا منه للتوحيد إذ من الجائز أن يعثر في حجر أو تشوكه شوكة أو يمرض بسبب وآخر فيقولون: هذه آلهتنا قد أصابتك لأنك تسبها فهذا وجه الاستثناء هنا.

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ : أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك.
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ : أعطيناه تكرمًا منا وإفضالًا.

إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ : إسحاق بن إبراهيم الخليل، ويعقوب ولد إسحاق ويلقب بإسرائيل.

كُلًّا هَدَيْنَا ۚ : أي كل واحد منهما هداه إلىٰ صراطه المستقيم.

وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ [1]: أي ذرية إبراهيم.

دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ : داود الوالد وسليمان الولد وكل منهما ملك ورسول. ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ : زكريا الوالد ويحيىٰ الولد وكل منهما كان نبيًّا رسولًا. ﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ﴾.

وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾: أي عالمي زمانهم لا علىٰ الإطلاق لأن محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء.

وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ : أي من بعض الآباء والذرية والإخوة لا الجميع.

وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ: اخترناهم للنبوة والرسالة.

وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾: إلىٰ الإسلام.

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ : الهدىٰ ضد الضلال، وهدىٰ الله ما يهدي إليه من أحب من عباده وهو الإيمان والاستقامة.

وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾: أي بطلت أعمالهم فلم يثابوا عليها بقليل أو كثير.

أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ [2] وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ: الفهم للكتاب مع الإصابة في الأمور والسداد فيها.

فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ : يجحد بها أي بدعوتك الإسلامية هؤلاء: أي أهل مكة.

فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾: هم المهاجرون والأنصار بالمدينة النبوية.

أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ : اقتد: أي اتبع وزيدت الهاء للسكت.

قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ : أي إبلاغ دعوة الإسلام ثمنًا مقابل الإبلاغ [3].

---

(١) يصح عود الضمير علىٰ نوح كما يصح عوده علىٰ إبراهيم قاله غير واحد من أهل التفسير؛ لأن ذكرهم قد مر معًا.

(٢) قال القرطبي: والحكم العلم والفقه وهو كذلك إلا أن ما في التفسير أوسع وأولىٰ بالاعتماد عليه.

(٣) أي جُعلًا علىٰ القرآن.

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾: الذكرىٰ: ما يذكر به الغافل والناسي فيتعظ.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: ما عظموه التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته.

إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ: أي إنسان من بني آدم.

قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ: التوراة. ﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ: جمع قرطاس: وهو ما يكتب عليه من ورق وغيره(١).

تُبْدُونَهَا: تظهرونها.

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ: هذا جواب: من أنزل الكتاب؟.

ثُمَّ ذَرْهُمْ: اتركهم. فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾: أي ما يخوضون فيه من الباطل.

وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ: أي مبارك فيه فخيره لا ينقطع، وبركته لا تزول.

مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: أي مصدقًا لما بين يديه من الكتب كالتوراة والإنجيل أنزلناه ليؤمنوا به.

وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا: أم القرىٰ مكة المكرمة.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ(٢) يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾: يؤدونها بطهارة في أوقاتها المحددة لها في جماعة المؤمنين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: اختلق علىٰ الله كذبًا، قال عليه ما لم يقل، أو نسب له ما هو منه براء..

أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ: الوحي: الإعلام السريع الخفي بواسطة الملك وبغيره. ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ: شدائده عند نزع الروح.

وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ: للضرب وإخراج الروح.

أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ: يقال لهم هذا توبيخًا لهم وتقريعًا أي خلصوها من هذا العذاب إن أمكنكم.

عَذَابَ الْهُونِ: أي عذاب الذل والمهانة.

بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ: واحدًا واحدًا ليس مع أحدكم مال ولا رجال.

---

(١) جعلها اليهود قراطيس يبدون بعضها ويخفون، بعضها حسب أهوائهم وأطماعهم، هذا وقد فسرت الآية علىٰ قراءة يجعلونه بالياء وكذلك يبدون ويخفون أما علىٰ قراءة تجعلون بالتاء فإن الخطاب يكون لليهود والسورة مكية فلذا رجح ابن جرير قراءة الياء.

(٢) يريد أتباع محمد ﷺ.

كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ: ما أعطيناكم من مال ومتاع.

وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ: أي في دار الدنيا. ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

وَضَلَّ عَنكُم: أي غاب.

مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾: تدعون كاذبين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾: شاق الحب كحب البر ليخرج منه الزرع، والنوىٰ واحده نواة وشقها ليخرج منها الفسيلة (النخلة الصغيرة).

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ: الدجاجة من البيضة.

وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ(١): البيضة من الدجاجة.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾: كيف تصرفون عن توحيد الله الذي هذه قدرته إلىٰ عبادة الجمادات.

فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ: الإصباح: بمعنىٰ الصبح، وفلقه: شقه ليتفجر منه النور والضياء.

وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا: يسكن فيه الناس ويخلدون للراحة.

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا: أي حسابًا بهما تعرف الأوقات والليالي والشهور والسنون.

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾: أي إيجاد وتنظيم العزيز الغالب علىٰ أمره العليم بأحوال وأفعال عباده.

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ: أي ليهتدي بها المسافرون في معرفة طرقهم في البر والبحر.

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ: هي آدم أبو البشر عليه السلام.

فَمُسْتَقَرٌّ: أي في الأرحام(٢).

وَمُسْتَوْدَعٌ: أي في أصلاب الرجال.

---

(١) ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ فيخرج الزرع الحي من الحب الميت ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ فيخرج الحب من الزرع الحي، والنخلة والشجرة من النواة الميتة أي يخرج النطفة الميتة من الحي وهو الإنسان ويخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة.

(٢) قال عبد الله بن مسعود: لها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا علىٰ قراءة مستقَر، بفتح القاف بمعنىٰ: لها مستقر، وأكثر المفسرين علىٰ ما جاء في التفسير أن المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب قال سعيد بن جبير: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ فقلت: لا. قال: فإن الله عز وجل يستخرج من ظهرك ما استودعه فيه. أما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فالمستقر هو القبر مودع. فيه الإنسان إلىٰ يوم القيامة.

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ : أسرار الأشياء وعلل الأفعال فيهتدون لما هو حق وخير.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا : هو أول ما يخرج من الزرع ويقال له: القصيل الأخضر.

نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا : أي بعضه فوق بعض وهو ظاهر في السنبلة.

وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا : طلع النخل: زهرها.

قِنْوَانٌ : واحدة قنو وهو العذق وهو العرجون بلغة أهل المغرب.

دَانِيَةٌ (١) وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ : من اللون وغير مشتبه في الطعم.

ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ : أي نضجه واستوائه.

إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ .

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ (٢) جمع شريك في عبادته تعالىٰ.

ٱلْجِنَّ : عالم كعالم الإنس إلا أنهم أجسام خفية لا ترىٰ لنا إلا إذا تشكلت بما يرىٰ.

وَخَلَقَهُمْ (٣) وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ : اختلقوا وافتأتوا.

بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ : من صفات العجز بنسبة الولد والشريك إليه.

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : مبدع خلقهما حيث أوجدهما علىٰ غير مثال سابق.

أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ : أي كيف يكون له ولد؟ كما يقول المبطلون.

وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ : أي زوجة. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ .

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ : لا تراه في الدنيا، ولا تحيط به في الآخرة.

وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ : أي محيط علمه بها.

---

(١) هذا قصار النخل إذ يجني ثمارها لمدة عشر سنوات والمرء يتناول منها بيديه وهو واقف عندها وبعد ذلك ترتفع وتطول فيرقىٰ إليها.

(٢) صور اتخاذهم الجن شركاء ثلاث: الأولىٰ: أنهم أطاعوا الجن فجعلوهم بطاعتهم لهم شركاء لله؛ إذ المطاع الحق هو الله تعالىٰ، والثانية: قولهم: الملائكة بنات الله مع عبادتهم لهم فذلك معنىٰ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ لأن الملائكة لا يرون، كالجن قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ فسمىٰ الملائكة جنًّا لاجتنابهم واستتارهم عن عيون الناس، والثالثة: أن الزنادقة قالوا: الله خالق الماء والنور والدواب والأنعام وإبليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب.

(٣) قوله تعالىٰ ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يصح عود الضمير فيه علىٰ العادلين كما في التفسير، ويصح عوده علىٰ الجن الذين اتخذوهم شركاء لله يعبدونهم معه.

وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ : اللطيف: الذي ينفذ علمه إلىٰ بواطن الأمور وخفايا الأسرار فلا يحجبه شيء، وفسر اللطيف بالرفيق بعباده.

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ : البصائر جمع بصيرة: والمراد بها هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة لصاحبها.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ : وكيل مسئول.

وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ : نجريها في مجارٍ مختلفة تبيانًا للحق وتوضيحًا للهدىٰ المطلوب.

وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ : أي تعلمت وقرأت لا وحيًا أوحي إليك. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ﴾.

وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ (١) : أي لا تلتفت إليهم وامض في طريق دعوتك.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ : أي لو شاء الله أن يحول بينهم وبين الشرك حتىٰ لا يشركوا لفعل وما أشركوا. ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ : ولا تشتموا آلهة المشركين حتىٰ لا يسبوا الله تعالىٰ.

عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ : ظلمًا بغير علم.

كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ : حسناه لهم خيرًا كان أو شرًّا حتىٰ فعلوه.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ : أي غاية اجتهادهم في حلفهم بالله.

لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ : معجزة كإحياء الموتىٰ ونحوها. ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾.

وَمَا يُشْعِرُكُمْ : وما يدريكم. ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ : نتركهم.

فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ : حيارىٰ يترددون.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ : أجسام نورانية يعمرون السموات عباد مكرمون لا يعصون الله تعالىٰ ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.

وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ : جمع ميت: من فارقته الحياة أي: خرجت منه روحه.

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ : جمعنا.

كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا : معاينة (٢). ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ : عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته.

---

(١) هذا منسوخ بآية الجهاد.

(٢) أي شيئًا سألوه وطلبوه.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ : شياطين: جمع شيطان: وهو من خبث وتمرد من الجن والإنس.

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ : يعلم بطريق سريع خفي بعضهم بعضًا(١).

زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ: الكذب المحسن والمزين.

غُرُورًا: للتغرير بالإنسان.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾: يكذبون.

وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ : تميل إليه.

أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾: وليرتكبوا الذنوب والمعاصي.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى: أطلب، أفغير منصوب بـ(أبتغي) أي أبتغي غير الله؟

حَكَمًا: الحكم: هو من يتحاكم إليه الناس.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ : أي أنزله لأجلكم لتهتدوا به فتكملوا عليه وتسعدوا.

مُفَصَّلًا: مبينًا لا خفاء فيه ولا غموض.

وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ : أي علماء اليهود والنصارىٰ.

يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾: الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا : صدقًا في الأخبار فكل ما أخبر به القرآن هو صدق، وعدلًا في الأحكام فليس في القرآن حكم جور وظلم أبدًا بل كل أحكامه عادلة.

لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ : أي لا مغير لها لا بالزيادة والنقصان، ولا بالتقديم والتأخير.

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾: السميع لأقوال العباد العليم بأعمالهم ونياتهم وسيجزيهم بذلك.

وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : الإسلام؛ إذ هو المفضي بالمسلم إلىٰ رضوان الله تعالىٰ والكرامة في جواره.

إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾: يكذبون الناتج عن الحرز والتخمين.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ : بمن يضل.

وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾: في سيرهم إلىٰ رضوان الله باتباع الإسلام الذي هو سبيل الله.

فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ : أي قيل عند ذبحه أو نحره: باسم الله والله أكبر. ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

(١) يوحي بمعنىٰ يلقي إليه الباطل المزين بطريق الوسواس فيفهم ه ه؛ إذ الإيحاء الإعلام السريع الخفي.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ [١] مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : أي بين لكم ما حرم عليكم مما أحل لكم وذلك في سورة «النحل».

إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ : أي ألجأتكم الضرورة وهي خوف الضرر من الجوع. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [٢].

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ : المتجاوزين الحلال إلىٰ الحرام، والحق إلىٰ الباطل.

وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ : اتركوا الإثم الظاهر والباطن وهو كل ضار فاسد قبيح.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ : يكسبون الآثام والذنوب.

وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ : أي الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه فسق عن طاعة الله تعالىٰ.

وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ : أي من الإنس ليخاصموكم في ترك الأكل من الميتة.

وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ [٣] ﴿١٢١﴾ : حيث أحلوا لكم ما حرم عليكم فاعتقدتم حله فكنتم بذلك عابديهم، وعبادة غير الله تعالىٰ شرك.

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا : الميت: فاقد الروح، والمراد: روح الإيمان.

فَأَحْيَيْنَٰهُ : جعلناه حيًّا بروح الإيمان[٤].

وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا : صفته ونعته امرؤ في الظلمات ليس بخارج منها.

كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ : مدينة كبيرة.

أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا : بفعل المنكرات والدعوة إلىٰ ارتكابها بأسلوب الخديعة والاحتيال.

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ : لأن عاقبة المكر تعود علىٰ الماكر نفسه لآية ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾.

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ [٥] : أي من القرآن الكريم تدعوهم إلىٰ الحق. ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ

---

(١) أي ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه ربكم وإن قتلتموه بأيديكم؟

(٢) إذ قال المشركون للرسول والمؤمنين: ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم.

(٣) الآية دليل علىٰ أن من استحل شيئًا مما حرم الله تعالىٰ صار به مشركًا وقد حرم الله سبحانه الميتة نصًّا فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك. وقال ابن العربي: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا -إذا أطاعه في الاعتقاد. أما إن أطاعه في الفعل وعقيدته سليمة مستمر علىٰ التوحيد والتصديق فهو عاصٍ غير كافر.

(٤) الآية عامة في كل كافر ومؤمن، والموت قد يطلق أيضًا علىٰ الجهل. فالجاهل ميت وحياته بالعلم.

(٥) هذه مقالة بعضهم قال الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ: لو كانت النبوة حقًّا لكنت أولىٰ بها منك لأني أكبر سنًّا =

حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: الصغار: الذل والهوان.

وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ: **شرح الصدر توسعته لقبول الحق وتحمل الوارد عليه من أنوار الإيمان، وعلامة ذلك: الإنابة إلىٰ دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله.**

وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا: **ضيقًا لا يتسع لقبول الحق، ولا لنور الإيمان.**

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ: **يصعب عليه قبول الإيمان حتىٰ كأنه يتكلف الصعود إلىٰ السماء.**

كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ: **النجس وما لا خير فيه كالشيطان.**

عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ: **بيناها وأوضحناها غاية البيان والتوضيح.**

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾: **يذكرون فيتعظون.**

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ: **الجنة، والسلام اسم من أسماء الله تعالىٰ فهي مضافة إلىٰ الله تعالىٰ.**

وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾: **من الصالحات.**

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ: **أي من إضلال الإنس وإغوائهم.**

وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ: **انتفع كل منا بصاحبه أي: تبادلنا المنافع بيننا حتىٰ الموت.**

وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ: **أي الوقت الذي وقت لنا وهو أجل موتنا فمتنا.**

قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ: **مأواكم ومقر بقائكم وإقامتكم.**

إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ(١) ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾: **حكيم في وضع كل شيء في موضعه فلا يخلد أهل الإيمان في النار، ولا يخرج أهل الكفر منها، وعليم بأهل الإيمان وأهل الكفران.**

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا: **أي نجعل بعضهم أولياء بعض بجامع كسبهم الشر والفساد.**

بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾: **أي من الظلم والشر والفساد.**

=

وأكثر منك مالًا. وقال أبو جهل: والله لا نرضىٰ به أبدًا ولا نتبعه إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.

(١) هو استثناء لبيان إرادة الله تعالىٰ المطلقة التي لا يقيدها شيء، إذ لو شاء أن يخرجهم من النار لأخرجهم أي ليس هو بعاجز عن ذلك، ومن الجائز أن يكون هذا **الاستثناء المراد به من** كان منهم من أهل التوحيد ودخل النار بالفسق والفجور وكبير الذنوب بإغواء الشياطين **له فإنه يخرج من النار بإيمانه. اهـ. من أيسر التفاسير.**

وذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (**وقد روىٰ ابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ قال: إن هذه الآية آية ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ الله في خلقه**، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا) (قل).

بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ : أي من الظلم والشر والفساد.

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ : الاستفهام للتوبيخ، والرسل جمع رسول من أوحىٰ الله تعالىٰ إليه شرعه وأمره بإبلاغه للناس، هذا من الإنس أما من الجن فمنهم من يتلقون عن الرسل من الإنس ويبلغون ذلك لإخوانهم من الجن ويقال لهم (النذر).

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى : يخبرونكم بما فيها من الحجج متتبعين ذلك حتىٰ لا يتركوا شيئًا إلا بلغوكم إياه وعرفوكم به.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا : أي يخوفونكم بما في يومكم هذا، وهو يوم القيامة من العذاب والشقاء.

قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ[1] وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ : لم تبلغهم دعوة تعرفهم بربهم وطاعته وما لهم عليها من جزاء.

وَلِكُلٍّ[2] دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ : عن كل ما سواه، فغناه تعالىٰ ذاتي ليس بمكتسب كغنىٰ غيره.

ذُو ٱلرَّحْمَةِ : صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من عباده.

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ : أي ينشئ خلقًا آخر يخلفون الناس في الدنيا. ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ : إن ما وعد الله تعالىٰ به عباده من نعيم أو جحيم لآتٍ لا محالة.

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ : أي علىٰ ما أنتم متمكنون منه من حال صالحة أو فاسدة.

إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ : أي الدار الدنيا هي سعادة الآخرة القائمة[3] علىٰ الإيمان والعمل الصالح.

إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ : أي لا يفوز الظالمون بالنجاة من النار ودخول الجنان؛ لأن ظلمهم يوبقهم في النار.

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ : مما خلق.

---

(١) الباء في بظلم سببية أي بسبب ظلمهم، وجملة وأهلها غافلون حالية.

(٢) لكل عامل أي: من الإنس والجن.

(٣) العاقبة لغةً آخر الأمر وأثر عمل العامل، فعاقبة كل شيء هي ما ينجلي عنه الشيء من نتيجة وأثر، وتأنيث العاقبة بالنظر إلىٰ تأويلها بالحالة والحالة مؤنثة.

﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الحرث كل ما يحرث له الأرض من الزروع، والأنعام: الإبل والبقر والغنم.

﴿نَصِيبًا﴾[1]: حظًّا وقدرًا معينًا.

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾: شركاؤهم أوثانهم التي أشركوها في عبادة الخالق عز وجل. ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾: قبح حكمهم في ذلك إذ آثروا أوثانهم على الله.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ﴾: اللام لام العاقبة ومعنى يردوهم: يهلكوهم. ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾[2] ليخلطوا عليهم دينهم. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾: أي ممنوعة على غير من لم يأذنوا له في أكلها.

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾: أي لا يركبونها ولا يحملون عليها.

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾: أي كذبًا على الله عز وجل. ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾.

﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾: أي إناثنا.

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾: أي إن ولد ما في بطن الحيوان ميتًا فهم فيه شركاء الذكور والإناث سواء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[3] ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حمقًا وطيشًا وعدم رشد وذلك لجهلهم[4].

﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾: مما سبق ذكره.

---

(١) في الكلام إيجاز إذ حذف منه المقابل وهو وجعلوا لآلهتهم نصيبًا، وحذفه كان لدلالة ما بعده عليه.

(٢) فإن قيل: وهل كان لهم دين حق؟ الجواب! نعم كان لهم دين حق وهو ما جاءهم به إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وبطول الزمان وفتنة الشيطان فسد عليهم.

(٣) أي كذبهم وقيل في الوصف كذب؛ لأنهم وصفوا بعض الأجنة بالحرمة وبعضًا آخر بالحلية وهو كقوله تعالى من سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾.

(٤) **قال الجزائري أثابه الله تحت عنوان هداية الآيات ج ١، صـ ٦٦٦** تعليقًا على هذه الآية: (حرمة قتل النفس لأي سبب، وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر) ا.هـ. يقصد أثابه الله تعالى حرمة قتل النفس لأي سبب كان إلا بالحق لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(قل).

أَفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ : كذبًا عليه. ﴿قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ : خلق جنات جمع جنة وهي البستان[١].

مَّعۡرُوشَٰتٖ : ما يعمل له العريش من العنب.

وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ : ما لا يعرش له من سائر الأشجار[٢].

وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ : أي ثمره الذي يؤكل منه.

وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا : في الورق.

وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ : في الحب والطعم.

كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ : ما وجب فيه من الزكاة.

يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ : يوم حصاده إن كان حبًّا وجذاذه إن كانَ نخلًا[٣].

وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ : في إخراجه أي: بأن لا تبقوا لعيالكم منه شيئًا.

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ : الحمولة ما يحمل عليها من الإبل.

وَفَرۡشٗاۚ : الفرش: الصغار من الحيوان.

كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ : مسالكه في التحريم والتحليل للإضلال والغواية.

إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ : وهما الكبش والنعجة.

وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ : وهما التيس والعنزة.

قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ[٤] حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ : أنثى الضأن وأنثى الماعز ذكرًا كان أو أنثى.

نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ : خبروني بأيهما حرم بعلم صحيح لا بوسواس الشياطين. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ[٥] حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ﴾[٦].

---

(١) الجنات: جمع جنة وهي البستان وسمي البستان جنة؛ لأنه لكثرة أشجاره يجن أي يستر الكائن فيه، وسمي الجنين في البطن جنينًا لاجتنانه واستتاره ببطن أمه.

(٢) وقيل: المعروشات ما يعنىٰ به من الشجر علىٰ اختلافه، وغير المعروشات وهو شجر البوادي والجبال، وما في التفسير أولىٰ لقوة دلالة اللفظ عليه.

(٣) كان قبل فريضة الزكاة يتعين علىٰ من حصد أو جد ثمره وأتاه المساكين أن يعطيهم شيئًا مما بين يديه قل أو كثر، ولما فرضت الزكاة وحددت مقاديرها خصص هذا بها حيث بيّن الحق المجملُ هنا.

(٤) الاستفهام للإنكار أي ينكر عليهم أن يكون الله حرم ذلك.

(٥) إبطال لما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

(٦) إبطال لقولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم علىٰ أزواجنا، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ =

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا: أي حاضرين وقت تحريمه تعالىٰ ذلك عليكم إن كان قد حرمه كما تزعمون. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾: محظورًا ممنوعًا علىٰ آكل يأكله.

إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا: الميتة: ما مات دون تذكية، والدم المسفوح: المصبوب صبًّا لا المختلط باللحم والعظام.

أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ: نجس وقذر قبيح محرم.

أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ: الفسق الخروج عن طاعة الله، والمراد ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه وإنما ذكر عليه اسم الأصنام أو غيرها، والإهلال رفع الصوت باسم المذبوح له.

فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ: اضطر: ألجأته الضرورة وهي خوف الهلاك، والباغي: الظالم والعادي: المجاوز للحد.

فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟: اليهود.

حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ: صاحب ظفر وهو الحيوان الذي لا يفرق أصابعه كالإبل والنعام[(١)] ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾. أي الشحم العالق بالظهر، والحوايا: المباعر والمصارين والأمعاء[(٢)].

أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ: أي عفا لهم عن الشحم المختلط بالعظم كما عفا عن الحوايا والعالق بالظهر.

ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ: أي بسبب ظلمهم. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾[(٣)].

وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ: بطشه وعذابه.

=

وهما الناقة والجمل، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ وهما الثور والبقرة ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، فهل حرم الذكرين أو الأنثيين. هذه الأزواج الأربعة فإن حرم الذكرين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وحينئذٍ يكون كل مولود منهما محرمًا ذكرًا كان أو أنثىٰ، وبهذا تبين أنكم كاذبون علىٰ الله مفترون؛ فالله تعالىٰ لم يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئًا، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

(١) البط والأوز في ذي الظفر تفاسير أرجحها ما في التفسير وهو ما ليس بمنفرج الأصابع وقيل: الإبل خاصة، وقيل: كل ذي حافر من الدواب.

(٢) إلا ما حملت ظهورهما وأباح لهم من الشحوم ما حملته البقرة أو الشاة علىٰ ظهرها.

(٣) قيل: إن المراد بالمكذبين المشركون، وقيل: اليهود وكلاهما مكذب وكافر واللفظ يصدق عليهما معًا.

عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟: أي جعلوا لله شركاء له يعبدونهم معه.

لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ: أي مما حرموه من البحائر والسوائب والوصائل والحامات.

كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا: أي عذابنا.

قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾: تكذبون[1].

قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ: الدليل القاطع للدعاوىٰ الباطلة.

فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ: أي أحضروهم. ﴿ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا[2] وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾.

وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾: أي به غيره من الأصنام وسائر المعبودات الباطلة.

۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ: أقرأ.

مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ: من فقر.

نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ: جمع فاحشة كل ما قبح واشتد قبحه كالزنىٰ والبخل.

مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ: أي حرم قتلها وهي كل نفس إلا نفس الكافر المحارب.

إِلَّا بِٱلْحَقِّ: وهو النفس بالنفس وزنىٰ المحصن، والردة.

ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ: أي بالخصلة التي هي أحسن.

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ: الاحتلام مع سلامة العقل.

وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ: أي بالعدل.

لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا: طاقتها وما تتسع له. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾: تذكرون فتتعظون.

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ: جمع سبيل وهي الطريق والمقصود الأمر

---

(١) ﴿إن﴾ في الموضعين نافية بمعنىٰ (ما) كما هي في التفسير.

(٢) أي كذّبهم واعلم بأنهم شهداء زور فقوله تعالىٰ ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ معناه كذبهم ولا تقرهم فإنهم شهداء زور لا غير.

باتباع الإسلام والبعد عن غيره من الملل. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ : التوراة.

تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ : تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها وأحكامها. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ : القرآن الكريم.

مُبَارَكٌ : خيريته ونفعه وبركته دائمة.

فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا : اليهود والنصارىٰ.

وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ : أي قراءتهم لكتبهم؛ لأنها بلسانهم ونحن لا نفهم ذلك.
﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا : أعرض عنها ولم يلتفت إليها.

سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ : أي سيئ العذاب وهو أشده. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ : أي علامات الساعة منها طلوع الشمس من مغربها. ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾.

أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا : من الطاعات والقربات.

قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ : جعلوه طرائق ومذاهب تتعادىٰ.

وَكَانُوا۟ شِيَعًا : طوائف وأحزابًا.

لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ : أي أتىٰ يوم القيامة بالحسنة التي هي الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والعمل بطاعته وطاعة رسوله.

فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ : أي بالشرك بالله ومعاصيه.

فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا : أي مستقيمًا.

مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ : أي دين إبرهيم عليه السلام وهو الإسلام.

حَنِيفًا : مائلًا عن الضلالة إلىٰ الهدىٰ.

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى : ذبحي تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ[1].

---

(١) قيل: المراد من الصلاة هنا صلاة العيد لمناسبة النسك وهو الذبح تقربًا وقيل: صلاة نافلة والعموم أولىٰ. وكذا النسك يطلق علىٰ الذبح تقربًا وهو مراد هنا ويطلق علىٰ سائر العبادات من الفرائض والنوافل لأن النسك هو التعبد.

وَمَحْيَايَ : حياتي. ﴿وَمَمَاتِي[(١)] لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾.

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا : أطلب ربًّا: إلهًا معبودًا أعبده.

وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا : الخير والشر عليها.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ : أي لا تحمل نفس وازرة أي: آثمة.

وِزْرَ أُخْرَىٰ : أي إثم نفس أخرىٰ. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ : أي يخلف بعضكم بعضًا جيل يموت وآخر يحيا إلىٰ نهاية الحياة.

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ : أي ليختبركم فيما أعطاكم من الصحة والمرض والمال والفقر والعلم والجهل. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.

❁❁❁❁

---

(١) وقال القرطبي. في الآية: وما أوصي به بعد وفاتي وهو حسن ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾.

٧- سُورَةُ الأَعْرَافِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾: هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا: ألف لام ميم صاد. والله أعلم بمراده بها.

كِتَٰبٌ: أي هذا الكتاب.

أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ: ضيق.

لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾: تذكرة بها يذكرون الله وما عنده وما لديه فيقبلون علىٰ طاعته.

ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ: رؤساؤهم في الشرك.

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾: أي تتعظون فترجعون إلىٰ الحق.

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ: أي كثيرًا من القرىٰ.

أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا: عذابنا ليلًا وهم نائمون.

أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾: أي نائمون بالقيلولة[1] وهم مستريحون.

فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾: أي ما كان دعاؤهم إلا قولهم إنا كنا ظالمين.

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ: هم الأمم والأقوام. ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾.

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ: فلنخبرنهم بأعمالهم متتبعين لها فلا نترك منها شيئًا.

وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾: أي عنهم أيام كانوا يعملون.

وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ: أي العدل.

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ: أي بالحسنات.

فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾: بدخول الجنة.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم: بدخولهم النار والاصطلاء بها أبدًا. ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ: جمع معيشة بمعنىٰ: العيش الذي يعيشه الإنسان والمعنىٰ جعلها قارة ممهدة لا تضطرب ولا تتحرك فيفسد ما عليها.

---

(١) من النوم إلىٰ الظهيرة، وهي إما قبل الظهر أو بعده.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾: أي شكرًا قليلًا والشكر: ذكر النعمة للمنعم وحده والثناء بها عليه والطاعة بفعل محابه وترك مكارهه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ: أي خلقنا[1] أباكم آدم أي: قدرناه من الطين، ثم صورناه على الصورة البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود الإنساني.

ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا: أي سجود تحية لآدم عليه السلام.

إِلَّا إِبْلِيسَ: أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة، وهو الشيطان الرجيم. ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا: أي من الجنة.

فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾: جمع صاغر: الذليل المهان. ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾.

قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي: أي فبسبب إضلالك لي. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[2].

قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا: ممقوتًا مذمومًا مطرودًا. ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾.

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ: هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

الْجَنَّةَ: دار السلام التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج. ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾: أي لأنفسهم.

فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ: الوسوسة: الصوت الخفي، وسوسة الشيطان لابن آدم إلقاء معانٍ فاسدة ضارة في صدره مزينة؛ ليعتقدها أو يقول بها أو يعملها.

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا: ليظهر لهما ما ستر عنهما.

مِن سَوْآتِهِمَا: من عوراتهما. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

وَقَاسَمَهُمَا: حلف لكل واحد منهما. ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾.

---

(١) ويصح أن يقال: خلقناكم نطفًا ثم صورناكم، وما في التفسير أولى بالآية وأصح بدليل قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

(٢) معناه: لأصدنهم عن الحق، وأرغبهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة وهذا غاية الضلال، وقال بعضهم: المراد من قوله: ﴿مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم.

فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ : أي أدناهما شيئًا فشيئًا بخداعه وتغريره حتىٰ أكلا من الشجرة. ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾.

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما.

وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا : أي بأكلهما من الشجرة.

وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾: الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها.

قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ : مكان استقرار وإقامة.

وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾: تمتع بالحياة إلىٰ حين انقضاء آجالكم. ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾(١).

يَٰبَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ : يستر عوراتكم.

وَرِيشًا : لباس الزينة والحاجة.

وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق.

ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ : دلائل قدرته. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

يَٰبَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في الملكوت الأعلىٰ.

كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم : آدم وحواء. ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا﴾.

إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ: جنوده من الجن. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ : العدل في القول والحكمة والعمل(٢).

وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ : أي أخلصوا العبادة لله واستقبلوا بيته.

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت أحياء. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ﴾.

إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة من غير الله تعالىٰ. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) أي: للحساب والجزاء علىٰ الكسب في الدنيا من خير وشر.

(٢) القسط: العدل، وهو وسط بين الشرك والإلحاد. ولذا قال ابن عباس: القسط: لا إله إلا الله أي: بأن يعبد الله وحده.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ: أي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة.

وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ: في أكل ولا شرب، والإسراف مجاوزة الحد المطلوب في كل شيء.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.

قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ: التحريم: المنع، والزينة: ما يتزين به من ثياب وغيرها(1).

وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ: جمع طيب وهو الحلال غير المستخبث.

قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ : لا يشاركهم فيها الكفار، لأنهم في النار.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾.

قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ: جمع فاحشة والمراد بها هنا: الزنىٰ واللواط السري كالعلني.

وَٱلۡإِثۡمَ: كل ضار قبيح من الخمر وغيرها من سائر الذنوب.

وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ: الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل.

وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ: أي الشرك بالله وهو عبادة غير الله تعالىٰ.

مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا: السلطان: الحجة التي تثبت بها الحقوق المختلف فيها أو المتنازع عليها.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ: وقت محدد تنتهي إليه. ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾.

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ: أصل إما (إن الشرطية وما زائدة) لتقوية الكلام أدغمت فيها إن فصارت إما.

رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي: يتلونها عليكم آية بعد آية مبينين لكم ما دلت عليه من أحكام الله وشرائعه، ووعده وعيده.

فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ: أي الشرك فلم يشرك وأصلح نفسه بالأعمال الصالحة.

فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ: في الدنيا والآخرة.

وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥: علىٰ ما تركوا وراءهم أو فاتهم الحصول عليه من أمور الدنيا. ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾.

فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا المشرك ظالم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لا يستحقها.

أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ: ما قدر لهم في كتاب المقادير.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ: المراد بهم ملك الموت وأعوانه.

قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا: غابوا عنا فلم نرهم ولم نجدهم. ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ

---

(1) الزينة: هنا الملبس الحسن من غير ما حرم كالذهب والحرير علىٰ الرجال، ويطلق لفظ الزينة أيضًا علىٰ مطلق اللباس ولو لم يكن حسنًا.

أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ (٣٧)﴾ .

قَالَ ٱدْخُلُوا فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ : **أي في جملة أمم.**

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا : **أي تداركوا أو لحق بعضهم بعضًا حتىٰ دخلوها كلهم.**

قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ : **الأتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبوعون:** ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ .

فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) : **من الظلم والشر والفساد.** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ .

حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ : **أي يدخل الجمل في ثَقْب الإبرة**(١) .

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ (٤٠) : **الذين أجرموا علىٰ أنفسهم فأفسدوها بالشرك والمعاصي.**

لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ : **فراش يمتهدونه من النار.**

وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ : **أغطية يتغطون بها من النار كذلك.** ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١)﴾ .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ : **طاقتها وما تتحمله وتقدر عليه من العمل.**

أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا : **أي أقلعنا وأخرجنا.**

مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ : **أي من حقد وعداوة.**

تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا : **أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا جزاؤه وهو الجنة.**

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) : **أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد.** ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ .

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ : **أي أعلن بأعلىٰ صوته.**

أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) : **أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلىٰ العذاب.**

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : **سبيل الله هي الإسلام والصد الصرف، فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا غيرهم.**

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا : **يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم.** ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) **الخياط: أي المخيط.**

كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ : أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف.

وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ : سور بين الجنة والنار قال تعالىٰ في سورة الحديد: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ .

يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ : أي كل من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم. ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ .

۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ : أي نظروا إلىٰ الجهة التي فيها أصحاب النار. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ .

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ : السيما العلامة الدالة علىٰ من هي فيه.

قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ : أي للمال وللرجال كالجيوش. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ .

أَهَٰٓؤُلَآءِ : إشارة إلىٰ ضعفاء المسلمين وهم في الجنة. ﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ[1] ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ .

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ : أي من الطعام بعد الشراب.

قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا : منعهما. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ .

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم : أي أهل مكة أولًا ثم سائر الناس.

بِكِتَٰبٍ : القرآن العظيم.

فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ : بيناه علىٰ علم منا فبينا حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقصصه ومواعظه وأمثاله.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ .

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعيد أي عاقبة ما أنذروا به. ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ .

قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم : أي ذهب ولم يعثروا عليه.

مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ : من أن آلهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويدخلونهم الجنة. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ .

---

(١) اختلف في القائل: والراجح أنه الله تعالىٰ، وذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار في النار ولم يبق إلا أصحاب الأعراف فيقول لهم الرب تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾.

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ[١]: هي الأحد إلىٰ الجمعة.

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ: يغطي كل واحد منهما الآخر عند مجيئه.

يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا: سريعًا بلا انقطاع.

وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ: مذللات.

بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا: أداة استفتاح وتنبيه.

لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ: أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له[٢].

تَبَارَكَ ٱللَّهُ: أي عظمت قدرته، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته.

رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾: كل ما سوىٰ الله تعالىٰ فهو عالم أي علامة علىٰ خالقه وإلهه الحق.

ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ: سلوه حوائجكم الدنيوية والأخروية فإنه ربكم فلا تستحيوا من سؤاله.

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً: أي حال كونكم ضارعين متذللين، مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به.

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾: أي في الدعاء وغيره، والاعتداء في الدعاء أن يسأل ما لم تجر سنته بإعطائه أو إيجاده أو تغييره، كـ(أن) يسأل أن يكون نبيًا أو أن يرد طفلًا أو صغيرًا، أو يرفع صوته بالدعاء.

وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ: أي بالشرك والمعاصي.

بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا: بالتوحيد والطاعات.

وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ[٣] مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾: الذين يحسنون أعمالهم ونياتهم بمراقبتهم الله تعالىٰ في كل أحوالهم.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ: جمع ريح وهو الهواء المتحرك.

بُشْرًۢا: جمع بشير: أي مبشرات بقرب نزول المطر، قرئ نشرًا أي تنشر السحاب للأمطار.

بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ: أي رحمة الله تعالىٰ وهي المطر.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا: أي حملت سحابًا ثقالًا مشبعًا ببخار الماء.

---

(١) أصل ستة: سدسة فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها فصارت ستة ولذا تصغر علىٰ سديسة وتجمع علىٰ أسداس، والجمع والتصغير يردان الأسماء إلىٰ أصولها، ويقال: جاء فلان سادس ستة.

(٢) وقال ابن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر إذ قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فالخلق غير الأمر فمن قال: الأمر مخلوق فقد كفر.

(٣) عدم تأنيث قريب مع أنه خبر عن مؤنث، تكلم فيه كثيرًا وأحسن ما قيل في مثله أن لفظ قريب وبعيد إذا أطلق علىٰ النسب تعين التذكير والتأنيث بحسب المخبر عنه نحو: زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر مثلًا، وما كان لغير النسب جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ وقال: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ فذكر في الموضعين مع أن الوصف عائد علىٰ مؤنث.

سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ : لا نبات به ولا عشب ولا كلأ. ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ : أي كذلك نحيي الموتىٰ ونخرجهم من قبورهم أحياء.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ : تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ : أي الطيب التربة.

يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ : أي خبثت تربته بأن كانت سبخة.

لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا : أي إلا عسرًا[1].

كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ : أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في بعضها للهداية والتعليم.

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ : لأنهم هم الذين ينتفعون بالنعم بشكرها بصرفها في محاب الله تعالىٰ.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ : هذا أول الرسل، هذا العبد الشكور هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ أي: إدريس عليه السلام، أحد أولي العزم الخمسة من الرسل عاش داعيًا وهاديًا ومعلمًا ألفًا ومائتين وأربعين سنة، ومدة الدعوة ألف سنة إلا خمسين عامًا، وما بعدها عاشها هاديًا ومعلمًا للمؤمنين. ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ : هو عذاب يوم القيامة.

قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ : أشراف القوم ورؤساؤهم الذين يملئون العين والمجلس. ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ : أريد لكم الخير لا غير.

وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ: الاستفهام للإنكار، وعجبتم الواو عاطفة والمعطوف عليه جملة هي كذبتم أي أكذبتم وعجبتم.

أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ : أي العذاب المترتب علىٰ الكفر والمعاصي.

وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ : أي الله تعالىٰ بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون.

فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ : هم المؤمنون من قومه والفلك: هي السفينة التي صنعها بأمر الله تعالىٰ وعونه.

وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ : جمع عمٍ وهو أعمىٰ البصيرة أما أعمىٰ العينين فيقال فيه: أعمىٰ[2].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ : أي ولقد أرسلنا إلىٰ عاد، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن

---

(١) النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير من الناس، وشبه به البلد الخبيث التربة كذات الحجارة أو السبخة.

(٢) ﴿عَمِينَ﴾ أي: عن الحق وعن معرفة الله وقدرته ولطفه، وإحسانه يقال: رجلٌ عم بكذا أي: جاهل به لا يعرفه.

نوح عليه السلام.

﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾: أخاهم في النسب لا في الدين. وهود هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾: أي أتصرون على الشرك فلا تتقون عذاب الله بالإيمان به وتوحيده، والاستفهام إنكاري أي: ينكر عليهم عدم تقواهم لله عز وجل.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾: السفاهة كالسفه وهو خفة العقل، وقلة الإدراك والحلم. ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾: لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكذبكم، كما أني مأمون على رسالة لا أفرط في إبلاغها. ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾.

﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: أي طولاً في الأجسام، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها.

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نعمه، واحدها إلىٰ والجمع آلاء.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾: بالنجاة من النار في الآخرة، والهلاك في الدنيا.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾: أي نترك.

﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: أي من العذاب. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم(١) مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ(٢)﴾: سخط موجب للعذاب.

﴿وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى﴾: أي أتخاصمونني.

﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ(٣) وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾: أي من حجة ولا برهان يثبت أنها تستحق العبادة. ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾: دابر القوم: آخرهم؛ لأنه إذا هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾: أي أرسلنا إلىٰ ثمود، وثمود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح.

﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾: أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر

---

(١) ﴿قَدْ وَقَعَ﴾ بمعنىٰ: وجب، يقال: وقع الحكم أو القول إذا وجب.

(٢) وفسر الرجس بالعذاب أو الرين على القلوب بزيادة الكفر.

(٣) ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾ أي: في الأصنام التي أطلقوا عليها أسماء كاللات، والعزىٰ ومناة عند قريش ومشركي العرب، فأطلق الاسم وأريد به المسمىٰ.

ابن ثمود. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾.

هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً: علامة علىٰ صدقي في أني رسول الله إليكم [1]. فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ [2] وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾.

وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ: أنزلكم فيها منازل تحيون فيها.

تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ: تنجرون الحجارة في الجبال لتتخذوا منازل لكم لتسكنوها.

فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ: نعم الله تعالىٰ وهي كثيرة.

وَلَا تَعْثَوْا۟: أي لا تفسدوا. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟: عتوا وطغوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به. ﴿مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ: نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها، والناقة هي الآية.

وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ: تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا.

وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ: المرة من رجف إذا اضطرب، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم الرجفة.

فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾: باركين علىٰ الركب كما يجثم الطير أي هلكىٰ علىٰ ركبهم أصل الجثوم للأرانب وما شابهها.

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ: بعد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال راثيًا لحالهم.

وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ثم أعرض عنهم وانصرف [3].

وَلُوطًا: أي وأرسلنا لوطًا ولوط هو لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم عليه السلام ولد في بابل العراق [4].

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ: هي الخصلة القبيحة وهي إتيان الرجال في أدبارهم.

---

(١) إضافة الناقة إلىٰ الله تعالىٰ للتشريف والتخصيص إذ كل ما في الكون هو لله عز وجل.

(٢) أي: ليس عليكم رزقها ومئونتها.

(٣) من الجائز أن يكون قد قال هذا وهم أحياء قبل موتهم كالآيس منهم وكونه قاله بعد موتهم أقرب كما في التفسير.

(٤) أرسله الله تعالىٰ إلىٰ أهل سدوم وعمروة قرب بحيرة لوط بالأردن، وهو المعروف بالبحر الميت، ويقال له: بحيرة لوط.

مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾: أي من الناس. ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾: الباقين في العذاب.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا: أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم.

فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾: أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض.

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا: مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ[1] مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ: أي لا تنقصوا الناس قيم سلعهم وبضائعهم، إذ كانوا يفعلون ذلك. ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ: طريق، وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم[2].

وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا: أي تريدون سبيل الله -وهي شريعته- معوجة حتىٰ توافق ميولكم. ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾.

وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾: هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد. ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾.

فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا: يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ: أشراف القوم الذين يملئون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر إليهم.

ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ: تكلفوا الكبر وهم حقيرون، حتىٰ لا يقبلوا الحق.

مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ: مدينتنا.

---

(١) من الجائز أن يكون الله تعالىٰ قد أعطىٰ نبيه شعيبًا آية ولم تذكر في القرآن، والراجح أنها حجة قوية قهرهم بها ولم يتمكنوا من ردها.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: كانوا يقعدون علىٰ الطرقات المفضية إلىٰ شعيب فيتوعدون من أراد المجيء إليه ويصدون عنه ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ.

ومثله الضرائب الفادحة التي تضرب علىٰ المسلمين في بلادهم والمكوس التي في الأسواق وغيرها مما اقتدىٰ فيه المسلمون بالكافرين.

أَوْ لَتَعُودُنَّ (١) فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم: في دينكم. ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٢).

عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا: أي فوضنا أمرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه.

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا: أي يا ربنا احكم بيننا.

وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾: أي وأنت خير الحاكمين.

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا: أي على ما جاء به من الدين والهدى. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الحركة العنيفة كالزلزلة.

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾: باركين على ركبهم ميتين.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا: أي كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمنًا طويلًا (٣).

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾: إذ هلكوا في الدنيا وأدخلوا النار في الآخرة.

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ: أي أحزن أو آسف شديد الأسف. ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ: القرية: المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة، وفي الجملة إضمار تقديره: وما أرسلنا في قرية من نبي فكذب أهلها إلا أخذناهم.

إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ: بالشدة كالقحط والجوع والحروب.

وَالضَّرَّاءِ: الحالة المضرة كالأمراض والغلاء وشدة المؤونة.

لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾: يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم السوء.

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ: أي بدل الغلاء الرخاء، وبدل الخوف الأمن، وبدل المرض الصحة.

حَتَّىٰ عَفَوا: كثرت خيراتهم ونمت أموالهم، وأصبحت حالهم كلها حسنة.

وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً: أنزلنا بهم العقوبة فجأة.

---

(١) ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: إما أن يراد به أتباع شعيب المؤمنون إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم، وإما أن يراد بكلمة ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرن إذ تكون عاد بمعنى: صار.

(٢) ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا الاستثناء كان من شعيب تأدبًا مع الله تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته، وعودة غيره من أمته ممكنة ولكن عودته هو مستحيلة، وهذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن أي: ما يقع منا العودة إلى الكفر لكن إن شاء الله ذلك كان، والله لا يشاء ذلك فهو إذًا كقولك: لا أكلمك حتى يبيض الغراب أو ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

(٣) وفسر القرطبي الغنى: بالمقام يقال: غني القوم في دارهم أي: طال مقامهم.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا : أي آمنوا بالله ورسوله ووعد الله ووعيده واتقوه تعالىٰ بطاعته وعدم معصيته.

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام. والمطر من بركات السماء، والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض.

وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ : من الشرك والمعاصي.

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا(١) بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ : أي ليلًا وهم نائمون. ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾ .

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ : استدراجه تعالىٰ لهم بإغداق النعم عليهم من صحة الأبدان ورخاء العيش حتىٰ إذا أمنوا مكره تعالىٰ بهم، أخذهم بغتة.

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ : أي أو لم يبين لهم بمعنىٰ يتبين لهم.

لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ : أي بسبب ذنوبهم. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ .

تِلْكَ الْقُرَىٰ : الإشارة إلىٰ قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا : أي من أخبارها.

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ : بالحجج والبراهين الدالة علىٰ توحيد الله وصدق رسله.

فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ(٢) : أي من قبل خلقهم ووجودهم إذ علم الله تعالىٰ تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ .

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم(٣) التي أخذت عليهم يوم أخذ الميثاق.

وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم : أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

---

(١) الاستفهام للإنكار والتعجب معًا، ومكر الله تعالىٰ: إمهالهم وإغداق الخير عليهم مع شركهم وكفرهم، إذ المكر: أن يظهر المرء الإحسان لمن يمكر به ليأخذه فجأة، والأمن من مكر الله تعالىٰ زيادة علىٰ أنه كبيرة من كبائر الذنوب فإنه يؤدي بالأمن إلىٰ هلاكه دنيا وأخرىٰ.

(٢) اختلف في المضاف إليه المحذوف في قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ هل المراد: من قبل خروجهم للحياة الدنيا وهم في عالم الأرواح حيث أمروا بالإيمان فكذبوا فكتب الله عليهم ذلك فلن يكون إلا هو، أو لو أحييناهم بعد إهلاكهم بذنوبهم لما آمنوا بما كذبوا به فكان سبب هلاكهم، أو سألوا المعجزات ليؤمنوا فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا من قبل رؤيتهم المعجزات، والراجح من هذه المقولات ما هو في التفسير إذ هو قول ابن جرير إمام المفسرين.

(٣) وجائز أن يكون ما أخذ عليهم من قبل الأنبياء أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه ولا يعصوه.

مُوسَىٰ : هو موسىٰ بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

بِـَٔايَٰتِنَآ : هي تسع آيات: العصا، واليد، والسنون المجدبة، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس علىٰ أموال فرعون.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ : أي بعث موسىٰ الرسول إلىٰ فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان، ملك مصر.

وَمَلَإِيْهِۦ : أي أشراف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء.

فَظَلَمُواْ بِهَا : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدىٰ حيث كفروا بها. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ [1] إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ [2] عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ .

قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ : حجة قاطعة وبرهان ساطع علىٰ أني رسول الله إليكم. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ .

وَنَزَعَ يَدَهُۥ : أخرجها بسرعة من جيبه. ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ .

إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ : أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدَّع.

يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ : أي من بلادكم ليستولي عليها ويحكمكم.

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ : أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل.

قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ : أي أمهله وأخاه ولا تعجل عليه قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات.

وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ : مدن المملكة الفرعونية.

حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ : رجالًا يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة. ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾ [3] .

---

(١) فرعون: علم جنس لمن يملك مصر في القديم ككسرىٰ: لكل من يملك فارسًا وقيصر: لكل من يملك الروم ونمرود: لمن ملك الكنعانيين، والنجاشي: للأحباش، وتبع: لحمير، ونداء موسىٰ له بقول يا فرعون، فيه نوع احترام، إذ ناداه بعنوان الملك والسلطان.

(٢) قرأ نافع: (حقيقٌ عليّ) بياء الضمير المشددة وهي بمعنىٰ: واجب علي خبر ثانٍ لأن في قوله: ﴿إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقرأ غيره (علىٰ) حرف جر أي: محقوق بأن لا أقول علىٰ الله إلا الحق، فحقيق: فعيل بمعنىٰ مفعول كقتيل بمعنىٰ مقتول.

(٣) حيث كان الملوك وأشباههم يقربون السحرة منهم للسيطرة بهم علىٰ الناس، روىٰ الإمام أحمد في حديث قصة أصحاب الأخدود أن رسول ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر..» وقد ذكره ابن كثير رحمه الله بطوله في تفسيره لسورة البروج. ومن أعظم أنواع وسائل السحر في عصرنا هذا تلك الأجهزة المرئية (التليفزيون) والتي للأسف قد غزت كثيرًا من بيوت المسلمين حتىٰ بعض الملتزمين منهم و(إنا لله وإنا إليه راجعون).(قل) .

وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ : السحرة: جمع ساحر هو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس بسحره.

قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾: أي ثوابًا من عندك أي: أجرًا تعطيناه إن نحن غلبنا. ﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾.

إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ (١) ﴿١١٥﴾: لعصينا. ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ ﴾.

فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصى السحر وحبالهم يشاهدونها حيات وثعابين تملأ الساحة.

وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ : أي أدخلوا الرهب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم. ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾.

۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ : تأخذ بسرعة فائقة وحذق عجيب.

مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾: ما يلقبون بسحرهم وتمويههم.

فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ : ثبت وظهر. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾: ذليلين.

وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾: ساقطين على وجوههم سجدًا لربهم رب العالمين. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(٢).

قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ : أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه. ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾.

إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ : أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك. ﴿فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ : بأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس.

ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾(٣): التصليب: الشد على خشبة حتى الموت.

قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾: أي راجعون.

وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ : أي وما تكره منا وتنكر علينا إلا إيماننا بآيات

---

(١) قال القرطبي: تأدبوا مع موسى إذ استشاروه فيمن يبدأ بالإلقاء فنفعهم الله بأدبهم مع نبيه فأسلموا وسعدوا برضوان الله تعالى.

(٢) قالوا: آمنا برب العالمين حال هويهم للسجود إعلامًا منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما يفعل الأقباط، وإنما سجدوا لله رب العالمين رب موسى وهارون.

(٣) لم يرد في القرآن ما يدل على أن فرعون نفذ وعيده في السحرة أو لم ينفذه، وعدم ذكر القرآن له لأنه خال من الفائدة، وذكر القرطبي بصيغة التمريض فقال: قيل: إن فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطئ النهر وأنه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمائة ألف، والله أعلم.

ربنا لما جاءتنا.

رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا : أي أفض علينا صبرًا قويًّا حتىٰ نثبت علىٰ ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾.

وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ: أي لفرعون.

أَتَذَرُ مُوسَىٰ: أي أتترك موسىٰ.

وَقَوۡمَهُۥ: أي بني إسرائيل.

لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي في البلاد بالدعوة إلىٰ مخالفتك، وترك طاعتك.

وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ : أصنامًا صغارًا وضعها ليعبدها الناس وقال: أنا ربكم الأعلىٰ وربها.

قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ (١) نِسَآءَهُمۡ : نبقي علىٰ نسائهم لا نذبحهن كما تذبح الأطفال الذكور. ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ (٢) رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ﴾.

وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي يجعلكم خلفاء فيها تخلفون الظالمين بعد هلاكهم. ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩﴾.

وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ : أي عاقبناهم بسني الجدب والقحط.

وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ : بالجوائح تصيبها، وبعدم صلاحيتها. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾.

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ : ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية.

قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ: نحن مستحقوها وجديرون بها.

وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ : ضد الحسنة وهي الجدب والغلاء والمرض.

يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ : أي يتشاءمون بموسىٰ وقومه. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾.

فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ : الطوفان: الفيضانات المغرقة، والجراد: معروف بأكل الزرع والثمار، والقمل: جائز أن يكون القمل المعروف وجائز أن يكون سوسًا في الحبوب، والضفادع: جمع ضفدعة حيوان يوجد في المياه والمستنقعات.

وَٱلدَّمَ : والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف، أو تحول الماء ماء الشراب إلىٰ دم عبيط

---

(١) آنس قومه بهذه الجملة من الكلام وأذهب عنهم روح الهزيمة، ولم يقل: سنقتل موسىٰ؛ لعلمه أنه لا يقدر عليه ولما أصابه من الرعب منه حتىٰ قيل: إنه كان إذا رآه يبول من شدة الخوف منه وهي آية موسىٰ عليه السلام.

(٢) عسىٰ من الله واجب أي ليست للرجاء فقط بل ما يذكر معها يقع لابد ولا يتخلف، ولذا قد تحقق ما ذكر معها هنا كاملًا لا نقص فيه.

في أوانيهم وأفواههم آية لموسىٰ عليه السلام. ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾.

فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾: **حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات، أي: مفسدين حيث حكم بإهلاكهم.**

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ: **العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (١٣٣) الآنفة الذكر.** ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ[1] عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾.

إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾: **المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسىٰ أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب فيمكثون زمنًا، ثم يطالبهم موسىٰ بالإيمان وإرسال بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم.**

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ: **أي أنزلنا بهم نقمتنا.**

فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ: **الذي هو البحر.** ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ: **هم بنو إسرائيل.**

مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا: **هي أرض مصر والشام[2].** ﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ: **هي وعده تعالىٰ لهم في قوله:** ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ **من سورة «القصص».** ﴿بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾.

وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾: **أي يرفعون من مباني الدور، والقصور العالية.**

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ: **أي قطعنا بهم فاجتازوه إلىٰ ساحله.** ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾.

يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ: **يجلسون إلىٰ تماثيل بقر منحوتة من حجر.**

قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ: **أي معبودًا يريدون تمثالًا كالذي شاهدوا.**

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾: **أي العبادة لا تكون إلا لله تعالىٰ.**

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ: **هالك خاسر لا يكسبهم خيرًا ولا يدفع عنهم شرًّا.** ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

---

(١) ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ الباء لتعدية فعل الدعاء، وما موصولة مبهم أي: ادعه بما علمك ربك من وسائل إجابة دعائك عنده ليكشف عنا الرجز.

(٢) كما يصدق هذا علىٰ أرض الشام إذ لها مشارق ومغارب، ومن بينها الأرض المقدسة أرض فلسطين يصدق أيضًا علىٰ أرض مصر وغيرها إذ مملكة بني إسرائيل علىٰ عهد سليمان كانت قد انتظمت المعمورة كلها.

قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (١) ﴿١٤٠﴾ : أي غير ربي عَزَّوَجَلَّ أطلب لكم إلهًا تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم؟

وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ : أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون.

يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ : يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب. ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ : أي اختبار وامتحان قاس شديد.

۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ : أي لمناجاة الله تعالىٰ له بجبل الطور. ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾.

فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً : الميقات: الوقت المعين.

وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى : أي كن خليفتي فيهم.

وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ : الذين يعملون بالمعاصي. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾.

فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ : ثبت ولم يتحول. ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ (٢) رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾.

وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا : سقط على الأرض.

فَلَمَّآ أَفَاقَ : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه وعيه. ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ (٣) إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ : اخترتك. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٤) ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ (١)﴾.

---

(١) هذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون.

(٢) تجلى معناه ظهر، واندكاك الجبل على قوة بنيته وعظيم جسمه كان لعجزه عن رؤية الرب تبارك وتعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

(٣) الإجماع على أن توبة موسى هذه لم تكن من ذنب وإنما هي بمعنى الإنابة إلى الله تعالى وعدم طلب مثل هذا الذي طلب.

(٤) دار الفاسقين: نار جهنم. اهـ.

قال ابن كثير رحمه الله: أي سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتباب، قال ابن جرير: وإنما قال: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غدًا إلى ما يصير إليه حال من خالف أمري على (وجه التهديد) والوعيد لمن عصاه وخالف أمره، وقيل: منازل قوم فرعون، والأول أولى لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه، والله أعلم (قل).

﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ : يعلون ويترفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس. ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ .

﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ : طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى. ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ .

﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾ : طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي. ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ .

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ : لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه وتهدي إليه. ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ .

﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ : فسدت فلا ينتفعون بها؛ لأنها أعمال مشرك والشرك محبط للعمل. ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ .

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ : جمع حلي وهو ما تتحلى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب[1] .

﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتًا لا مجرد صورة على ورق أو جدار.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ : الخوار[2] صوت البقر كالرغاء صوت الإبل. ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ .

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة. ﴿وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[3] .

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ : أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يومًا.

﴿غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾ : أي حزينًا شديد الحزن والغضب. ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ .

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ : أي استعجلتم.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ : أي هارون شقيقه.

﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ : أصلها يا ابن أمي؛ فقلبت الياء ألفًا نحو يا غلامًا، ثم حذفت، وهارون شقيق موسى وإنما ناداه بأمه لأنه أكثر عطفًا وحنانًا. ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ .

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى

---

(١) وقد جمعها السامري بحجة واهية، والسامري نسبة إلى قرية تسمى: سامرة، واسمه: موسى بن ظفر، ولد عام قتل الأبناء كموسى عليه السلام.

(٢) الخوار: صوت العجل، والجؤار: مثله، وفعل الخوار خار يخور خوارًا، وفعل الجؤار جأر يجأر جؤرًا، وأما خور يخور خورًا فمعناه: جبن وضعف.

(٣) أي: عادوا إلى الحق فتضرعوا إلى الله تعالى ودعوه معترفين بخطئهم مستغفرين ربهم؛ رجاء أن ينجيهم من الخسران.

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ : أي إلهًا عبدوه. ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ : الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي بجعل شريك له. ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ .

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ : أزال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب.

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ : أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت.

وَفِي نُسْخَتِهَا : أي وفيما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها. ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ .

لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ : يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه.

وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا : أي أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلًا.

لِّمِيقَاتِنَا : أي للوقت الذي حددناه له ليأتينا مع سبعين رجلًا.

فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ : الصاعقة التي رجفت لها القلوب. ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾ .

أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا : جمع سفيه: وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته، وهم من عبدوا العجل كمن سألوا رؤية الله تعالىٰ.

إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ : أي ما هي إلا فتنتك: أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ .

أَنتَ وَلِيُّنَا : أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك. ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ .

إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ : أي رجعنا إليك وتبنا. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (١) فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ : الذي لا يقرأ ولا يكتب. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ ﴾ .

عَنِ الْمُنكَرِ : المعروف ما عرفه الشرع والمنكر: ما أنكره الشرع.

وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ : أي بإذن الله والخبائث: جمع خبيثة: كالميتة مثلًا.

---

(١) أي لم تضق عن مخلوق من المخلوقات التي أراد الله رحمتها. يحكىٰ أن إبليس عليه لعائن الله لما سمع هذه الآية قال: أنا شيء. فقال الله تعالىٰ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ فقالت اليهود والنصارىٰ: نحن متقون. فقال تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ فخرجوا وبقيت لهذه الأمة وحدها.

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ (١) وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ: الإصر: العهد، والأغلال: الشدائد في الدين.

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ: أيدوه مع توقيره وتعظيمه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾.

وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ: القرآن الكريم.

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾: الفائزون أي: الناجون من النار الداخلون في الجنة. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ: أي لا معبود بحق إلا الله. ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ: المنبئ عن الله والمنبأ من قبل الله تعالىٰ، والأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب نسبة إلىٰ الأم كأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد.

ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ: الذي يؤمن بالله ربًّا وإلهًا، وبكلماته التشريعية والكونية القدرية.

وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾: ترشدون إلىٰ طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين.

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ: أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين الحق، بواسطة ما شرع لهم وهداهم به من الوحي الذي أنزل علىٰ رسله وأنزل به كتبه.

وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾: في قضائهم وحكمهم علىٰ أنفسهم وعلىٰ غيرهم إنصافًا وعدلًا لا جور ولا ظلم.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ (٢) ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا: أسباطًا: جمع سبط وهو بمعنىٰ القبيلة عند العرب ﴿أُمَمًا﴾ بدل من ﴿أَسْبَاطًا﴾ وفائدته: الإخبار بأنهم باركهم الله تعالىٰ فأصبح أهل كل سبط أمة كاملة والسبط أصله شجر يقال له السبط تعلفه الإبل.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ: أي طلبوا منه الماء لعطشهم.

أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ: فانفجرت منه. ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾.

وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ: المن: حلو كالعسل تنزل علىٰ أوراق الأشجار، والسلوىٰ:

---

(١) تقدم لفظ الإصر وهو دال علىٰ جمع لأنه مصدر يقع علىٰ الواحد والجمع ولذا عطف عليه الأغلال، وجمع الإصر: آصار، ومعناه الثقل الذي يصعب معه التحرك، والأغلال جمع غُل، وهو إطار من حديد يجعل في عنق الأسير، والمراد من الآصار والأغلال التكاليف الشرعية الشاقة التي اشتملت عليها التوراة منها: ترك العمل يوم السبت قيل: ومن أشدها عدم مشروعية التوبة من الذنوب، وعدم استتابة المجرم.

(٢) التقطيع: الشدة في القطع والمراد به التقسيم إلىٰ اثنتي عشرة فرقة كل فرقة بمنزلة القبيلة العربية حيث تنتسب إلىٰ أبيها الأعلىٰ أي الأول.

طائر لذيذ لحمه [١].

كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ [٢].

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ: هي حاضرة فلسطين. ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ اسم القرية: أريحا، وكلمة فلسطين عامة في القطر كله.

وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ: أي احطط عنا خطايانا بمعنىٰ الإعلان عن توبتهم. ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ: أي عذابًا من عند الله تعالىٰ. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ: أي علىٰ شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس [٣].

إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ: أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه.

إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ: أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت. والذي قد حرم الصيد فيه.

شُرَّعًا: جمع شارع أي: ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها.

وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ: أي في باقي أيام الأسبوع. ﴿لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾ إذًا هم مبتلون.

كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم: أي نمتحنهم ونختبرهم بالتشديد عليهم فيما يشرع لهم.

بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ [٤]: أي بسبب ما أعلنوه من الفسوق وهو العصيان. ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾.

قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ: أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك؛ وإلا فنهينا يكون عذرًا لنا عند ربنا.

وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء.

فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ: أي أهملوه وتركوه فلم يمتثلوا ما أمروا به ولا ما نهوا عنه، ومعنىٰ نسوا تركوا ولم يلتفتوا إلىٰ وعظ إخوانهم لهم بعدم الصيد يوم السبت.

---

(١) يقال له: السُّماني، بضم السين وفتح النون علىٰ وزن حبارىٰ.

(٢) وما ظلمونا بتمردهم وعدم طاعتهم لربهم حتىٰ نزل بهم ما نزل من البلاء ولكن ظلموا أنفسهم فعرضوها للبلاء، أما الله تعالىٰ فمحال أن يبلغ العبد ظلمه أو ضره.

(٣) يقال لها «أيلة» والمسماة اليوم بالعقبة علىٰ ساحل البحر الأحمر.

(٤) قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في كتاب الله تعالىٰ أن الحلال لا يأتيك إلا قوتًا وإن الحرام يأتيك جزفًا جزفًا يعني: بكثرة كاثرة، قال: نعم في قصة داود وأيلة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ ...﴾ الآية.

أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ : السوء هو كل ما يسيء إلىٰ النفس من سائر الذنوب والآثام.

وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ : أي ذي بأس شديد. ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾[1].

فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ : أي ترفعوا وطغوا فلم يبالوا بالنهي.

قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ : القردة جمع قرد معروف، وخاسئين: ذليلين حقيرين أخساء أي لم يلبثوا ممسوخين حتىٰ هلكوا والعياذ بالله.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ : أعلم وأعلن، وآذن وأذن بمعنىٰ واحد.

لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ : أي ليسلطن عليهم.

مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ : أي يذيقهم ويوليهم سوء العذاب، كالذلة والمسكنة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾.

وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا : أي فرقناهم جماعات جماعات. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ : اختبرناهم بالخير والشر أو النعم والنقم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾.

فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ : الخلف بإسكان اللام: خلف سوء، وبالتحريك خلف خير[2].

وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ : أي التوراة.

يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ : أي حطام الدنيا الفاني وهو المال. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ : أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما حرم. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ : أي رفعناه من أصله فوق رءوسهم[3].

كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ : أي ساقط عليهم.

خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ : أي التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة.

---

(١) اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظون قومًا.. **إلخ نجت** من العذاب أو لا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرىٰ أنها لم تنج حتىٰ أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها **مع الفرقة الناهية، لأن** ترك النهي من الفرقة التي لم تنه كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

(٢) الخلف بسكون اللام: الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلف: بفتح اللام البدل ولدًا كان أو غيره، وقيل الخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح.

(٣) أي: كأنه لارتفاعه سحابة تظل.

وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ : أي لا تنسوا ما التزمتم به من النهوض بأحكام التوراة.

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : أي أخذهم من ظهر آدم[1] عليه السلام بأرض نعمان من عرفات، قال ابن عباس: ببطن نعمان وادٍ إلىٰ جنب عرفة.

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ : أي بأنه تعالىٰ ربهم وإلههم ولا رب لهم غيره ولا إله لهم سواه. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾.

أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ : العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه.

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ : نبينها ونوضحها بتنويع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الأمثال وذكر القصص. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ : اقرأ عليهم. نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا .

فَٱنسَلَخَ مِنْهَا : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعدًا عنها.

فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ : لحقه وأدركه.

فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾.

وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ : مال إلىٰ الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾.

إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث : اللهث: التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

سَآءَ : قبح.

مَثَلًا : أي صفة. ﴿ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ : خلقنا لجهنم أي: للتعذيب بها والاستقرار فيها. ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا : كلام الله ولا كلام رسوله.

وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا : آيات الله في الكون.

وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ : الحق والمعروف.

---

(١) إن الله تعالىٰ أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدها فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت، وهذا العهد العامّ الذي أخذ علىٰ بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ ...﴾.

أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[1] .

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ : أي عن آيات الله وما خلقوا، وما يراد لهم وبهم.

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا : الأسماء جمع اسم والحسنىٰ مؤنث الحسن، والأسماء الحسنىٰ لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته.

وَذَرُواْ : اتركوا.

ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ : يميلون بها إلىٰ الباطل. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ .

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ : أي من الناس. ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ .

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا : أي بآيات القرآن الكريم.

سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ : أي نستميلهم وهم هابطون إلىٰ هوة العذاب درجة بعد درجة حتىٰ ينتهوا إلىٰ العذاب. وذلك بإدرار النعم عليهم مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتىٰ يبلغوا الأجل المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة.

وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ : أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتىٰ ينتهوا إليها بأعمالهم الباطلة، وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ : صاحبهم هو **محمد** ﷺ، والجنة الجنون، والمتحدَّث عنهم كفار قريش. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ .

أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي ملك السموات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من لفظة الملك. ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ .

فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ : أي بعد القرآن العظيم.

مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ : أي يتركهم في كفرهم وظلمهم.

يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ : حيارىٰ يترددون لا يعرفون مخرجًا ولا سبيلًا للنجاة.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ : أي الساعة: بمعنىٰ الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا بالفناء التام.

أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا : أي متىٰ وقت قيامها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ : أي لا يظهرها في وقتها المحدد لها إلا هو ﷻ.

ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض.

لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً : أي فجأة بدون توقع أو انتظار.

يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتىٰ أصبحت تعرف وقت مجيئها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ .

---

(١) قال عطاء: الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام مطيعة لله، والكافر غير مطيع.

وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ : الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة، ولا بعقل. والمراد به هنا: ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد.

وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ : كل ما يسوء العبد في روحه أو بدنه.

إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ : أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بإله يدبر الأمر ويعلم الغيب. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ : هي نفس آدم عليه السلام.

وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا : أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر.

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا : أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه.

فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا : أي وطئها.

حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ : أي ذاهبة جائية تقضي حوائجها لخفة الحمل في الأشهر الأولىٰ.

فَلَمَّآ أَثْقَلَت : أي أصبح الحمل ثقيلًا في بطنها.

دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا : أي ولدًا صالحًا ليس حيوانًا بل إنسانًا. ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾.

جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا : أي سمّوه عبد الحارث وهو عبد الله جل جلاله، حيث سمته حواء عبد الحارث بتغرير(١) من إبليس، إذ اقترح عليهما هذه التسمية، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطبيب هلك فلان.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ : أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصنامًا. ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾.

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ : أي الأصنام. ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ : أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب العالمين. ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾.

قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ : أصنامكم التي تشركون بها.

ثُمَّ كِيدُونِ : بما استطعتم من أنواع الكيد.

فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ : أي فلا تمهلون لأني لا أبالي لكم.

---

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك، قال ابن كثير: وهذا الحديث معلول وقد رجح رحمه الله كونه موقوفًا علىٰ الصحابي وبين أنه غير مرفوع، وضعف ما ورد من آثار كما قال ذلك محقق مختصر ابن كثير.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ : أي المتولي أموري وحمايي ونصرتي الله. ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ﴾.

وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ : أي وترىٰ الأصنام المنحوتة علىٰ شكل رجال ينظرون إليك، إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائمًا. ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾، وهل تبصر الصور والتماثيل؟[1].

خُذِ ٱلْعَفْوَ : ما كان سهلًا لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف.

وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ : أي المعروف في الشرع بالأمر به أو الندب إليه.

وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ : الجاهلون: هم الذين لم تستنر قلوبهم بنور العلم والتقوىٰ، والإعراض عنهم بعدم مؤاخذتهم علىٰ سوء قولهم أو فعلهم[2].

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ : نزغ الشيطان: أي وسوسته بالشر.

فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ : أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي: الله سميع عليم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ : أي الشرك والمعاصي.

إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ : أي ألم بهم شيء من وسوسته.

تَذَكَّرُوا۟ : أمر الله ونهيه ووعده ووعيده. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾.

وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ : أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في الغي.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ : أي لا يكفون عن الغي الذي هو الضلال والشر والفساد.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ : كما طلبوا.

قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ : أي اخترعتها واختلقتها من نفسك وأتيتنا بها[3]. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ﴾.

هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ : أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة علىٰ ما جئت به وأدعوكم إليه فهو أقوىٰ حجةً من الآية التي تطالبون بها. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ : أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له وأنصتوا عند ذلك

---

(١) وجائز أن يكون المرادَ بـ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ المشركون أنفسهم، وكونهم ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ لأنهم لم ينتفعوا بأبصارهم.

(٢) الإعراض عن الجاهلين يكون بعد دعوتهم إلىٰ الحق وإقامة الحجة عليهم فإن لم يستجيبوا يعرض عنهم آذوه أو لم يؤذوه.

(٣) وجائز أن يكون المراد من الآية: آية قرآنية يمدحهم فيها ويمدح أصنامهم و﴿لَوْلَا﴾ هنا أداة تحضيض مثل هلا ولا يليها إلا الفعل ظاهرًا أو مضمرًا.

أي: اسكتوا حتىٰ تسمعوا سماعًا ينفعكم[1]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾.

وَخِيفَةً: أي خوفًا. ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ: الغدو: أول النهار، والآصال: أواخره.

وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥: أي عن ذكر الله تعالىٰ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ: أي الملائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.

وَيُسَبِّحُونَهُۥ: ينزهونه بألسنتهم بنحو سبحان الله وبحمده[2]. ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾.

❁❁❁❁

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:(لما ذكر تعالىٰ أن القرآن بصائر للناس وهدىً ورحمة أمر تعالىٰ بالإنصات عند تلاوته إعظامًا له واحترامًا، لا كما يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ الآية، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة). (قل).

(٢) تسبيح الملائكة معناه: تعظيمهم لله تعالىٰ وتنزيههم له عز وجل عن الشريك والولد.

٨- سُورَةُ الأَنفَالِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ : جمع نفل بتحريك الفاء: ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعًا لهم. ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ : أي حقيقة بينكم، والبين الوصلة والرابطة التي تربط بعضكم ببعض من المودة والإخاء. ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ : أي الكاملون في إيمانهم.

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ: أي خافت، إذ الوجل: هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده ووعده. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾.

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢: علىٰ الله وحده يعتمدون ولأمرهم يفوضون. ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ.

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ: أي أعطيناهم. ﴿يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

أُو۟لَٰٓئِكَ : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة. ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ : منازل عالية في الجنة.

وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤: أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة.

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ : أي المدينة النبوية.

بِٱلْحَقِّ : متلبسًا به حيث خرجت بإذن الله.

وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥: أي الخروج للقتال. ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾.

وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ : العير القافلة أو النفير: نفير قريش وجيشها.

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ[1] : السلاح في الحرب. ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾.

لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ: أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم.

---

(١) ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ أي تحبون أن تكون ﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ وهي عير أبي سفيان ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ وذلك لأنها مَغْنم بلا مغرم لقلة عددها وعُددها.

وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾: كفار قريش المشركون.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ: أي تطلبون الغوث من الله تعالىٰ وهو النصر علىٰ أعدائكم. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾: أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين.

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ: أي الإمداد بالملائكة إلا بشرىٰ لكم بالنصر. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ: أي يغطيكم به، والنعاس: نوم خفيف جدًّا.

أَمَنَةً: أي أمنًا من الخوف الذي أصابكم لقلتكم وكثرة عدوكم[1].

مِّنْهُ: أي من الله تعالىٰ. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾.

وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ: وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم.

وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ: أي يشد عليها بالصبر واليقين.

وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾: أي بالمطر أقدامكم حتىٰ لا تسوخ في الرمال[2]. ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾.

سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ: الخوف والفزع. ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾.

وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾: أي أطراف اليدين والرجلين حتىٰ يعوقهم عن الضرب والمشي.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ: أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾.

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ: أي العذاب فذوقوه.

وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾: أي في الآخرة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

زَحْفًا: أي زاحفين لكثرتهم ولبطء سيرهم كأنهم يزحفون علىٰ الأرض.

فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾: أي لا تنهزموا فتفروا أمامهم فتولوهم أدباركم.

وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ: أي مائلًا من جهة إلىٰ أخرىٰ ليتمكن من ضرب العدو وقتاله.

أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ: أي يريد الانحياز إلىٰ جماعة من المؤمنين تقاتل.

---

(١) ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا عن أحد السلف معناه: (النوم عند الخوف وعند القتال من الرحمن، والنوم عند العلم وعند تلاوة القرآن من الشيطان).(قل).

(٢) هذا عائد علىٰ الماء الذي شدّ دهس أرض الوادي، ويصح أن يكون عائدًا إلىٰ ربط القلوب، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في الحرب.

فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ: أي رجع من المعركة مصحوبًا بغضب من الله تعالىٰ لمعصيته إياه. ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾.

وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ: أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر علىٰ قلة عددهم فيشكروا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾: موهن: أي مضعف.

إِن تَسْتَفْتِحُوا۟: والخطاب للمشركين: أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين محمد ﷺ.

فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ: وهي هزيمتهم في بدر.

وَإِن تَنتَهُوا۟: أي تكفوا عن الحرب وتدخلوا الإسلام.

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟: للحرب والكفر. ﴿نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ﴾.

فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ: أي مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ: أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم.

وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾: كأنكم لا تسمعون. ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ: أي شر ما يدب علىٰ الأرض الكافرون. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ: لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ: اسمعوا وأطيعوا.

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ: أي لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً: أي عذابًا تفتنون به كالقحط أو المرض أو تسلط العدو.

لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ: أي بلاء يعم الصالح والطالح وذلك بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ: أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم. ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾.

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ: جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشارب وغيرها.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾: رجاء أن تشكروه تعالىٰ بصرف النعمة في مرضاته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتهما في الباطن.

وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ : أي ولا تخونوا أمانتكم التي يأتمن عليها بعضكم بعضًا. ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسله. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ : أي بامتثال أمره واجتناب نهيه في المعتقد والقول والعمل.

يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا : نورًا في بصائركم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفاسد.

وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ : أي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ : أي ذنوبكم نغطيها فنسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها. ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ : أي يبيتون لك ما يضرك.

لِيُثْبِتُوكَ : أي ليحبسوك مثبتًا بوثاق حتىٰ لا تفر من الحبس. ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾.

أَوْ يُخْرِجُوكَ : أي ينفوك بعيدًا عن ديارهم.

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ : أي يدبرون السوء ويبيتون لك المكروه، والله تعالىٰ يدبر لهم ما يضرهم أيضًا ويبث لهم ما يسوءهم. ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا : آيات القرآن الكريم. ﴿قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ : الأساطير: جمع أسطورة ما يدون ويسطر من أخبار الأولين.

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ : أي يا ألله حذفت ياء النداء من أوله وعوض عنها الميم من آخره.

إِن كَانَ هَٰذَا : أي الذي جاء به محمد ويخبر به.

هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا : أنزل علينا. ﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار. ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً : تصفيرًا.

وَتَصْدِيَةً : تصفيقًا. ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد ﷺ من قريش. ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً : أي شدة ندامة.

ثُمَّ يُغْلَبُونَ : أي يهزمون. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

لِيَمِيزَ اللَّهُ : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر.

الْخَبِيثَ : هم: أهل الشرك والمعاصي.

مِنَ الطَّيِّبِ : هم: أهل التوحيد والأعمال الصالحة. ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا : عن الكفر بالله ورسوله وحرب الرسول والمؤمنين.

يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ : أي مضىٰ من ذنوبهم من الشرك وحرب الرسول والمؤمنين.

وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ : في إهلاك الظالمين.

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله.

وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ : أي حتىٰ لا يعبد غير الله. ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ : متولي أمركم بالنصر والتأييد. ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ : أي ما أخذتموه من مال الكفار قهرًا لهم وغلبة قليلًا كان أو كثيرًا.

فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ : أي خمس الخمسة الأقسام يكون لله وللرسول.

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ : هم قرابة الرسول ﷺ من بني هاشم وبني المطلب. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾.

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا : أي من الملائكة والآيات.

يَوْمَ الْفُرْقَانِ : أي يوم بدر وهو السابع عشر من رمضان، إذ فرق الله بين الحق والباطل.

يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ : جمع المؤمنين وجمع الكافرين ببدر. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا : العدوة: حافة الوادي، وجانبه، والدنيا: أي القريبة إلىٰ المدينة.

وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ : أي البعيدة من المدينة إذ هي حافة الوادي من الجهة الأخرىٰ.

وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ : أي ركب أبي سفيان وهي العير التي خرجوا من أجلها. أسفل منكم مما يلي البحر. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا : أي لو تواعدتم أنتم والمشركون علىٰ اللقاء في بدر للقتال لاختلفتم لأسباب تقتضي ذلك، منها أنكم قلة وهم كثرة.

لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ: أي بالكفر.

عَنْ بَيِّنَةٍ: أي حجة ظاهرة. ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾.

وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ: أي اختلفتم. ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾.

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ: هذا قبل الالتحام أما بعد فقد رأوهم مثليهم حتىٰ تتم الهزيمة لهم. ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً: طائفة مقاتلة.

فَاثْبُتُوا: لقتالهم واصمدوا.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا: مهللين مكبرين راجين النصر طامعين فيه سائلين الله تعالىٰ ذلك.

لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾: تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة في الدنيا والنار في الآخرة. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا: أي لا تختلفوا وأنتم في مواجهة العدو أبدًا.

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ: أي قوتكم بسبب الخلاف. ﴿وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا: أي للبطر الذي هو دفع الحق ومنعه. ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ: أي مجير لكم ومعين علىٰ عدوكم.

فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ: أي التقتا ورأىٰ كل منهما عدوه.

نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ: أي رجع إلىٰ الوراء هاربًا، لأنه جاءهم في صورة سراقة بن مالك. ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾.

إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ: من الملائكة. ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: أي ضعف في إيمانهم وخلل في اعتقادهم.

غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ: وإلا لما خرجوا لقتال قريش وهي تفوقهم عددًا وعدة فكان قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ: أي يقبض أرواحهم لإماتتهم.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ: أي يضربونهم من أمامهم ومن خلفهم(١). ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ

(١) يقال لهم عند قبض أرواحهم، إذ بمجرد أن تقبض الروح يلقىٰ بها في جهنم، كما يقال لهم يوم القيامة ذلك من

ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾: أي ليس بذي ظلم للعبيد كقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أي دأب كفار قريش كدأب آل فرعون في الكفر والتكذيب، والدأب العادة. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ: تغيير النعمة تبديلها بنقمة بالسلب أو تعذيب أهلها. ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾.

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ(1): هم كل من كان علىٰ دينه من الأقباط مشاركًا له في ظلمه وكفره. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ: من إنسان أو حيوان الذين ذكر الله وصفهم وهم بنو قريظة.

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾: لما علم الله تعالىٰ من حالهم أخبر أنهم يموتون علىٰ الكفر.

ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ: أي يحلونه ويخرجون منه فلا يلتزمون بما فيه.

فِى كُلِّ مَرَّةٍ: أي عاهدوا فيها. ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ: أي إن تجدنهم، و(ما) مزيدة أدغمت فيه إن الشرطية. ﴿فِى ٱلْحَرْبِ﴾.

فَشَرِّدْ بِهِم: أي فرق وشتت. ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾.

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾: أي يتعظون. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾.

فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ: أي اطرح عهدهم.

عَلَىٰ سَوَآءٍ: أي علىٰ حال من العلم تكون أنت وهم فيها سواء، أي كل منكم عالم بنقض المعاهدة، وذلك يكون جهرًا لا سرًّا.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾: الغادرين بعهودهم.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟: أي فاتوا الله ولم يتمكن منهم(2). ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

وَأَعِدُّوا۟ لَهُم: هيئوا وأحضروا.

مَّا ٱسْتَطَعْتُم: ما قدرتم عليه.

مِّن قُوَّةٍ: أي حربية من سلاح علىٰ اختلاف أنواعه. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

يُوَفَّ إِلَيْكُمْ: أي أجره وثوابه. ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

=

قبل الملائكة.

(1) وجائز أن يكون المراد: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: في تعذيبهم عند قبض أرواحهم، وفي قبورهم ويوم القيامة.

(2) أي: من أفلت من وقعة بدر سبق إلىٰ الحياة، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي: في الدنيا حتىٰ يظفرك الله بهم.

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ : أي مالوا إلىٰ عدم الحرب ورغبوا في ذلك. ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ .

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ : أي يكفيك شرهم وينصرك عليهم. ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ .

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ : أي جمع بين قلوب الأنصار بعد أن كانت متنافرة مختلفة. ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ .

إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ : أي غالب علىٰ أمره، حكيم في فعله وتدبير أمور خلقه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ : أي كافيك الله كل ما يهمك من شأن أعدائك وغيرهم.

وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ : أي الله حسبهم كذلك أي: كافيهم ما يهمهم من أمر أعدائهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ : أي حثهم علىٰ القتال مرغبًا لهم مرهبًا.

إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ : أي علىٰ القتال فلا يضعفون ولا ينهزمون بل يثبتون ويقاتلون. ﴿يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ .

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ : أي لا يعرفون أسرار القتال ونتائجه بعد فنونه وحذق أساليبه. ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ .

وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ : حيث لا يقوىٰ الواحد علىٰ قتال عشرة ولا العشرة علىٰ قتال مائة فنسخ الحكم الأول بالثاني الذي هو قتال الواحد للاثنين، والعشرة للعشرين والمائة للمائتين والألف للألفين وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾(١) .

مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ : جمع أسير وهو من أخذ في الحرب يشد عادة بإسار وقيد من جلد فأطلق لفظ الأسير علىٰ كل من أخذ في الحرب.

حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ : أي تكون له قوة وشدة يرهب بها العدو.

تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا : أي المال لأنه عارض ويزول فلا يبقىٰ. ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ .

لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ : وهو كتاب المقادير؛ بأن الله تعالىٰ أحل لنبي هذه الأمة الغنائم.

لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ : أي بسبب ما أخذتم من فداء أسرىٰ بدر. ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ .

---

(١) روىٰ أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة» [صححه الألباني في صحيح الجامع].

والمراد أن الغُلب إن حصل لن يكون سببه قلة العدد وإنما يكون لأمر آخر كعدم الصبر أو عدم الأخذ بأسباب النصر التي يتم بها النصر حسب سنة الله.

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا : الحلال هو الطيب فكلمة طيبًا تأكيد لحلية اقتضاها المقام، وهذا الإذن واقع بعد تخميس الغنيمة لا على إطلاقه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ : أي بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)﴾.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى : أسرى بدر الذين أخذ منهم الفداء كالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا : أي إيمانًا صادقًا وإخلاصًا تامًّا.

يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ : من مال الفداء. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)﴾.

وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ : أي الأسرى.

فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ : أي من قبل وقوعهم في الأسر وذلك بكفرهم في مكة.

فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ : أي أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) : عليم بخلقه، حكيم في صنعه وتدبيره.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا : صدقوا الله ورسوله وآمنوا بلقاء الله وصدقوا بوعده ووعيده.

وَهَاجَرُوا : أي تركوا ديارهم والتحقوا برسول الله ﷺ بالمدينة النبوية.

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي من أجل أن يعبد الله ولا يعبد معه غيره وهو الإسلام.

وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا : أي آووا المهاجرين فضموهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم.

﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾.

وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ : أي طلبوا منكم نصرتهم على أعدائهم. ﴿فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾.

إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ : عهد أي: معاهدة سلم وعدم اعتداء. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

إِلَّا تَفْعَلُوهُ : أي إن لم توالوا المسلمين وتقاطعوا الكافرين. ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ[1] فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾.

وَأُولُو الْأَرْحَامِ : أي الأقارب من ذوي النسب.

بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ: في التوارث أي: يرث بعضهم بعضًا. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾.

---

(١) محنة الحرب وما يتبع ذلك من الغارات والجلاء والأسر، وما إلى ذلك من ويلات الحروب، والفساد الكبير: هو ظهور الشرك. اهـ. قال ابن كثير رحمه الله: أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل. اهـ. (قل).

٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ

«مدنية»

بَرَآءَةٌ[(١)] : أي هذه براءة بمعنىٰ تبرؤ وتباعد وتخلص. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ .

إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم : أي جعلتم بينكم وبينهم عهدًا وميثاقًا. ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ .

فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ : أي سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص.

أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم عيد الأضحىٰ. ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ .

وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢ : مذل الكافرين ومهينهم.

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ : إعلان منه تعالىٰ ورسوله. ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ .

يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ : أي يوم عيد[(٢)] النحر. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم﴾ .

مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا : أي من شروط المعاهدة وبنود الاتفاقية.

وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا : أي لم يعينوا عليكم أحدًا. ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ .

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ : انقضت وخرجت الأشهر الأربعة التي أمنتم فيها المشركين.

فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ : أي في أيِّ مكان لقيتموهم في الحل أو الحرم[(٣)].

وَخُذُوهُمْ : أي أسرىٰ.

وَٱحْصُرُوهُمْ : أي حاصروهم حتىٰ يسلموا أنفسهم.

وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ : أي اقعدوا لهم في طرقاتهم وارصدوا تحركاتهم[(٤)].

فَإِن تَابُواْ : أي آمنوا بالله ورسوله. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت عليًّا رضي الله عنه: لِمَ لَمْ يكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان. هذا أحد خمسة أوجه في عدم كتابة البسملة في براءة وهو أوجهها.

(٢) وقيل: إنه يوم عرفة، والصحيح ما ذكرناه في التفسير وأنه يوم النحر.

(٣) وليس المراد بالأشهر الحرم الثلاثة السرد، والواحد الفرد التي هي القعدة والحجة والمحرم ورجب بل المراد منها ما هو مبين في التفسير، ومعنىٰ كونها حرمًا أنه يحرم قتال المشركين فيها والتعرض لهم بالسوء والأذىٰ.

(٤) المرصد: مكان الرصد، والرصد: المراقبة وتتبع النظر.

فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ : أي اتركوهم فلا حصار ولا مطاردة ولا قتال. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾.

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ : أي طلب جوارك أي: حمايتك. ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾(١).

ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ : أي المكان الذي يأمن فيه. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(٢).

فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ : أي لم ينقضوا عهدهم ولم يخلوا بالاتفاقية. ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾.

كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ : أي يغلبوكم.

لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ : أي لا يراعوا فيكم ولا يحترموا.

إِلًّا وَلَا ذِمَّةً : أي لا قرابة، ولا عهد فالإل: القرابة، والذمة: العهد. ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ۝٨﴾.

ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : أي باعوا آيات الله وأخذوا بدلها الكفر.

فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ : أي أعرضوا عن سبيل الله التي هي الإسلام كما صدوا غيرهم أيضًا.

إِنَّهُمْ سَآءَ : أي قبح. ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾.

لَا يَرْقُبُونَ : أي لا يرعون. ﴿فِى مُؤْمِنٍ﴾.

إِلًّا وَلَا ذِمَّةً : الإل: الله، والقرابة والعهد وكلها صالح هنا. ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾.

فَإِن تَابُوا۟ : أي من الشرك والمحاربة. ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾.

وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم : أي نقضوا وغدروا. ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾.

وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ : أي انتقدوا الإسلام في عقائده أو عباداته ومعاملاته.

فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ : أي رؤساء الكفر المتبعين والمقلدين في الشرك والشر والفساد. ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾.

أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا : ألا أداة تحضيض.

نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ : نقضوها وحلوها فلم يلتزموا بها.

وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ : من دار الندوة، إذ عزموا على واحدة من ثلاث: الحبس أو النفي أو القتل.

---

(١) الآية دليل على أن ما يسمع من صوت القارئ للقرآن هو كلام الله تعالى فيقول العبد: سمعت كلام الله حقًا وصدقًا.

(٢) ﴿كَيْفَ يَكُونُ﴾ إلخ كيف: للتعجب نحو قولك: كيف يسبقني فلان؟! في الآية إضمار كلمة غدر أي كيف يكون لهم عهد مع إضمارهم الغدر بكم؟

وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ : أي في بدر وفرصاء الهجير؛ حيث أعانت قريش بني بكر علىٰ خزاعة. ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ ﴾.

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ : أي يذلهم ويهنهم. ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ : أي يذهب الغيظ الذي كان بها علىٰ المشركين الظالمين. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا : أي بدون امتحان بالتكاليف كالجهاد[(١)]. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَلِيجَةً : أي دخيلة وهي الرجل يدخل في القوم[(٢)] وهو ليس منهم ويطلعونه علىٰ أسرارهم وبواطن أمورهم. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ: أي ليس من شأنهم أو مما يتأتىٰ بهم. ﴿أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾.

أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ : أي بطلَت فلا يثابون عليها ولا ينجحون فيها. ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ : أي بالعبادة فيها، وصيانتها وتطهيرها. ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾.

وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ : أي لم يخف أحدًا غير الله تعالىٰ.

فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ : عسىٰ من الله تعالىٰ كما هي هنا تفيد التحقيق أي: هدايتهم محققة[(٣)].

أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾: أي إلىٰ سبيل النجاة من الخسران والظفر بالجنان.

۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ : مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرام ويسقىٰ منه الحجاج مجانًا.

وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : هنا عبارة عن بنائه وصيانته وسدانة البيت فيه. ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

---

(١) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ أم: هي المنقطعة بمعنىٰ بل إضرابًا عما سبق من الكلام وانتقالًا إلىٰ آخر، والاستفهام للإنكار، والحسبان بمعنىٰ الظن والمعنىٰ كيف تظنون أنكم تتركون بعد فتح مكة دون جهاد لأعداء الله ورسوله، وهم ما زالوا يتآمرون ويتجمعون لقتالكم.

(٢) الوليجة: البطانة، من الولوج في الشيء وهو الدخول فيه، والمراد من هذا الرجل يتخذ من أعداء الإسلام صديقًا يدخل عليه ويدخله عليه؛ فيطلعه علىٰ أسرار المسلمين للنكاية بهم والتسلط عليهم لإضرارهم وإفسادهم وهلاكهم.

(٣) قالت العلماء: «عسىٰ من الله واجبة أي: ما يرجىٰ بها واجب الوقوع، وقيل: هي هنا بمعنىٰ: خليق، أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين».

لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ : إذ عمارة المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوي شيئًا.

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ : أي المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾.

وَرِضْوَٰنٍ : أي رضا الله عَزَّوَجَلَّ عنهم.

وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ : أي دائم لا يزول ولا ينقطع. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ ﴾[1].

أَوْلِيَآءَ : جمع ولي وهو من تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك.

إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ : أي أحبوا الكفر علىٰ الإيمان.

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ : الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ومن أحب من لا تجوز محبته فقد وضع شيئًا في غير موضعه فهو ظالم. ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ ﴾.

وَعَشِيرَتُكُمْ : أي قرابتكم من النسب كالأعمام الأباعد وأبنائهم.

وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا : أي اكتسبتموها.

وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا : بوارها وعدم رواجها. ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾.

فَتَرَبَّصُواْ : أي انتظروا.

حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ : أي بعقوبة هذه المعصية وهو فتح مكة. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ : المواطن جمع موطن بمعنىٰ الوطن وهو محل إقامة الإنسان، ويطلق علىٰ موضع الحرب وموقعها.

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ : وادٍ علىٰ بعد أميال مسيرة من الطائف.

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ : أي كثرة عددكم حتىٰ قال من قال: لن نغلب اليوم من قلة.

فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا : أي لم تُجز عنكم شيئًا -من الإجزاء- إذ انهزمتم في أول اللقاء.

وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ : أي لم تعرفوا أين تذهبون، وكيف تتصرفون كأنكم محصورون في مكان ضيق.

بِمَا رَحُبَتْ : أي علىٰ رحابتها وسعتها. ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

---

(١) لم يذكر الأبناء؛ لأن العادة أن الأبناء تبع لآبائهم وذكر الآباء والإخوان ذكر لأقوىٰ القرابة.

ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ: أي الطُمأنينة في نفوسهم، فذهب القلق والاضطراب.

وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا: أي من الملائكة. ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ: أي ذوو نجس؛ وذلك لخبث أرواحهم بالشرك.

فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا: عام تسعة من الهجرة.

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً: أي فقرًا وفاقة وحاجة. ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ: أي إيمانًا صحيحًا يرضاه الله تعالىٰ لموافقة الحق والواقع.

وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ: أي كالخمر والربا وسائر المحرمات.

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ: أي الإسلام إذ هو الدين الذي لا يقبل دينًا سواه.

مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ: أي اليهود والنصارىٰ.

حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ: أي الخراج المعلوم الذي يدفعه الذمي كل سنة.

عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾: أي يقدمون بأيديهم لا ينيبون فيه غيرهم، وهم صاغرون: أي أذلاء منقادون لحكم الإسلام هذا[(١)].

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ: هو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، واليهود[(٢)] يسمونه: عِزْرا.

وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ: هو عيسىٰ ابن مريم عليه السلام. ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

يُضَٰهِـُٔونَ: أي يشابهون.

قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ: أي من آبائهم وأجدادهم الماضين[(٣)].

قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ: أي لعنهم لأجل كفرهم.

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾: أي كيف يصرفون عن الحق.

---

(١) وفسر قوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ بالقوة علىٰ دفع الجزية بأن يكون المطالب بها قادرًا علىٰ أدائها لغناه وعدم فقره، وهو تفسير حق لأن الفقير منهم لا يطالب بالجزية في حال فقره، وما في التفسير أصح.

(٢) وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ هو كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ..﴾ فهو لفظ عام، والمراد الخصوص إذ ما كل اليهود قالوا بهذه القولة ولا كل الناس وإنما بعضهم.

(٣) أي: شابه قولهم قول الكافرين من قبلهم وهم أسلافهم الذين قلدوهم أو قول العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، تعالىٰ الله عن البنت والولد علوًّا كبيرًا.

ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ : الأحبار جمع: حبر علماء اليهود، والرهبان جمع راهب عابد النصارىٰ.

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ : أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام. ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ : أي الإسلام لأنه هادٍ إلىٰ الإسعاد والكمال في الدارين.

بِأَفْوَٰهِهِمْ : أي بالكذب عليه والطعن فيه وصرف الناس عنه. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ: محمدًا ﷺ. ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ : أي بدون حق أباح لهم أكلها.

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الإسلام الذي هو السبيل المفضي بالعبد إلىٰ رضوان الله تعالىٰ.

وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ : يجمعون المال ويدفنونه حفاظًا عليه ولا يؤدون حقه.

ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ : هما النقدان المعروفان.

وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي حيث رضا الله كالجهاد وإطعام الفقراء والمساكين.

فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾: أي أخبرهم بعذاب أليم: أي موجع.

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ: لأنها تحول إلىٰ صفائح ويحمىٰ عليها ثم تكوىٰ بها جباههم. ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ : أي يقال لهم عند كيهم بها: هذا ما كنزتم لأنفسكم توبيخًا لهم وتقريعًا. ﴿فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

إِنَّ عِدَّةَ : أي عدد.

ٱلشُّهُورِ: جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يومًا أو ثلاثون يومًا. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾.

ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ : أي كتاب المقادير: اللوح المحفوظ. ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ : هي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، الواحد منها حرام والجمع حرم.

ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ: أي الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ : أي لا ترتكبوا في الأشهر الحرم المعاصي فإنها أشد حرمة.
وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً : أي جميعًا وفي كل الشهور حلالها وحرامها. ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ : أي بالتأييد والنصر، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالىٰ.
إِنَّمَا النَّسِيءُ : أي تأخير حرمة شهر المحرم إلىٰ صفر. ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا : أي النسيء عامًا يحلونه وعامًا يحرمونه.
لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ: أي ليوافقوا عدد الشهور المحرم وهي أربعة. ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.
زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ : أي زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل سيئ؛ لأنه افتيات علىٰ الشارع واحتيال علىٰ تحليل الحرام. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ : أي أيُّ شيء ثبت لكم من الأعذار.
إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا : أي اخرجوا مستعجلين مندفعين.
فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ : أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالًا. ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.
إِلَّا تَنصُرُوهُ : أي الرسول محمدًا ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
ثَانِيَ اثْنَيْنِ : أي هو وأبو بكر رضي الله عنه.
إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ : غار ثور أي: في جبل يقال له: ثور بمكة.
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.
فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ: أي طمأنينته. ﴿عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هي الدعوة إلىٰ الشرك.
السُّفْلَىٰ: أي مغلوبة هابطة لا يسمع لها صوت.
وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا : أي دعوة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هي العليا الغالبة الظاهرة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.
انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا: الخفاف: جمع خفيف، وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد ومركوب، والثقال: جمع ثقيل: وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير. الذي لا جدة عنده.
﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ : أي الجهاد بالمال والنفس خير من التثاقل إلىٰ الأرض وترك الجهاد حالًا ومآلًا. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا : غنيمة في مكان قريب غير بعيد.

وَسَفَرًا قَاصِدًا : أي معتدلًا لا مشقة فيه.

لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ : الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء(١).

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

عَفَا اللَّهُ عَنكَ : لم يؤاخذك. ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾(٢).

لَا يَسْتَأْذِنُكَ : أي لا يطلبون منك إذنًا بالتخلف عن الجهاد. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ : أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق.

فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ : أي في شكهم.

يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ : حيارىٰ لا يثبتون علىٰ شيء.

۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً : لهيئوا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب.

وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ : أي خروجهم معكم.

فَثَبَّطَهُمْ : ألقىٰ في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا. ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾(٣).

لَوْ خَرَجُوا فِيكُم : أي مندسين بين رجالكم.

مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا : الفساد في الرأي والتدبير.

وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ : أي لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحريش والإثارة لإبقائكم في الفتنة.

يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ : أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المثيرة الفاسدة. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ : أي عند مجيئك المدينة مهاجرًا.

---

(١) الشقة: بالضم: السفر إلىٰ أرض بعيدة وهي هنا تبوك.

(٢) هؤلاء قوم منافقون قالوا: نستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، أما غير هؤلاء فقد رخص له في الإذن لمن شاء في قوله: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ﴾ من سورة النور.

(٣) القاعدون هم أولو الضرر، والعميان والزمني، والنساء والأطفال

والقائل لهم اقعدوا هو الرسول ﷺ لما طلبوا منه الإذن بالقعود وجائز أن يكون قاله بعضهم لبعض أو قاله الرسول ﷺ حال غضبه عليهم، أو هو تمثيل لخَلْق الله تعالىٰ داعية القعود في قلوبهم حتىٰ لا يخرجوا فيفسدوا.

وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ : بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم.
حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ : بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجًا.
وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ : أي لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه.
وَمِنْهُم : أي من المنافقين وهو الجد بن قيس.
مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي : أي في التخلف عن الجهاد.
وَلَا تَفْتِنِّيٓ : أي لا توقعني في الفتنة بدعوىٰ أنه إذا رأىٰ نساء الروم لا يملك نفسه.
أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ : وأي فتنة أعظم من الشرك والنفاق. ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ : الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية، ومعنىٰ تسؤهم أي يكربون لها ويحزنون. ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾.

يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ : أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم. ﴿وَيَتَوَلَّواْ[1] وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ : الأولىٰ الظفر بالعدو والانتصار عليه، والثانية: الشهادة المورثة للجنة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾.

فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ : أي انتظروا فإنا معكم من المنتظرين[2].

قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا : أي وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون علىٰ الإنفاق. ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾.

إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ : الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم. ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾.

وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ[3] : متثاقلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة. ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ : أي لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ : أي تفيض وتخرج من أجسامهم. ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ

---

(١) ﴿وَيَتَوَلَّواْ﴾ أي: راجعين إلىٰ بيوتهم ومجالسهم وهم كافرون، فهم متولون في الحقيقة عن الإيمان ﴿فَرِحُونَ﴾ أي: معجبون بنجاحهم المؤقت.

(٢) ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ هذا الأمر للتهديد والوعيد، كأنما يقول لهم: انتظروا مواعد الشيطان فإنا منتظرون مواعد الرحمن وشتان بين ما ننتظر وما تنتظرون!

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان في جماعة صلىٰ وإذا انفرد لم يصلِّ. أي: المنافق لأنه لا يرجو علىٰ الصلاة ثوابًا، ولا يخشىٰ علىٰ تركها عقابًا وهذا منشأ الكسل في الصلاة وغيرها من سائر العبادات.

لَمِنكُمْ ﴾(١).

وَمَا هُم مِّنكُمْ : أي في باطن الأمر؛ لأنهم كافرون، ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين.

وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ : أي يخافون خوفًا شديدًا منكم.

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً : أي مكانًا حصينًا يلجئون إليه.

أَوْ مَغَارَاتٍ : جمع مغارة وهي الغار في الجبل.

أَوْ مُدَّخَلًا : أي سربًا في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب.

لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ : يسرعون سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها.

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ : أي يعيبك في شأن توزيعها ويطعن فيك.﴿فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ﴾.

وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ : أي غير راضين.﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ أي من الصدقات (جواب لو محذوف تقديره: لكان خيرًا لهم).

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ : أي كافينا كل ما يهمنا.﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾.

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ : إلىٰ الله وحده راغبون أي: طامعون راجون.

۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ : جمع صدقة: وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال.

لِلْفُقَرَاءِ : جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس.

وَالْمَسَاكِينِ : جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويذل نفسه بالسؤال. [راجع هامش قوله تعالىٰ:﴿...وَالسَّائِلِينَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا : أي علىٰ جمعها وجبايتها وهم الموظفون لها.

وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ : هم أناس يرجىٰ إسلامهم أو بقاؤهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا، وحسن إسلامهم.

وَفِي الرِّقَابِ : أي في فك الرقاب أي: تحريرها من الرق فيعطىٰ المكاتبون ما يسددون به نجوم أو أقساط كتابتهم.وَالْغَارِمِينَ(٢).

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة.

وَابْنِ السَّبِيلِ : أي المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنيًّا ببلاده.

فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ : أي فرضها الله تعالىٰ فريضة علىٰ عباده المؤمنين.﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

---

(١) لأنهم يتخذون أيمانهم الكاذبة وقاية يتقون بها ما يخافونه من بطش المؤمنين بهم إذا عرفوا أنهم كافرون كما قال تعالىٰ في سورتهم: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾.

(٢) **الغارمين**: جمع غارم، وهو من ترتبت عليه ديون بسبب ما أنفقه في طاعة الله تعالىٰ علىٰ نفسه وعائلته. ولم يكن لديه مال لا نقد ولا عرض يسدد به ديونه.

﴿٦٠﴾[1].

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ : أي الرسول محمدًا ﷺ، والأذىٰ: المكروه يصيب الإنسان كثيرًا أو يسيرًا.

وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ : أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذىٰ.

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ : أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر، ولكن لا يقر إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف فهو أذن خير لكم إذ لا أذن شر مثلكم أيها المنافقون.

يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ : أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار، أما غيرهم فإنه إن يسمع منهم لا يصدقهم؛ لأنهم كذبة فجرة. ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ : أي الله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه. ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ: أي يعادهما، ويقف دائمًا في حدٍّ وهما في حدٍّ فلا ولاء ولا موالاة أي: لا محبة ولا نصرة. ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ : أي يخافون ويحترسون.

أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ : أي في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبهم.

تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ : أي تخبرهم بما يضمرونه في نفوسهم.

قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟: الأمر هنا للتهديد.

إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾: أي مخرجه من نفوسهم؛ مظهره للناس أجمعين. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا﴾.

نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ : أي نخوض في الحديث علىٰ عادتنا ونلعب لا نريد سبًّا ولا طعنًا.

قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾: أي تسخرون وتحتقرون. ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ: أي الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم ويسترون الكفر في قلوبهم.

بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ : أي متشابهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد، في الخروج عن الدين، أو هم متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

---

(1) قال القرطبي: فائدة الخلاف في الفقراء والمساكين تظهر فيمن أوصىٰ بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين فمن قال: هما صنف واحد يكون الثلث الموصىٰ به نصفه لفلان ونصفه الآخر للفقراء، ومن قال: هما صنفان يقسم الثلث الموصىٰ به بينهم أثلاثًا.

يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ : أي ما ينكره الشرع لضرره أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ : أي ما عرفه الشرع نافعًا فأمر به من الإيمان والعمل الصالح.

وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ : أي يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله(١).

نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ : أي تركوا الله فلم يؤمنوا به وبرسوله فتركهم من توفيقه وهدايته. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٦٧ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ(٢) نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾(٣).

وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝٦٨ : أي دائم لا يزول ولا يبيد. ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾.

فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ : أي بنصيبهم وحظهم من الدنيا. ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ﴾.

وَخُضْتُمْ: أي في الكذب والباطل. ﴿كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٦٩ أَلَمْ يَأْتِهِمْ(٤) نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ(٥) وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾.

وَالْمُؤْتَفِكَاتِ : أي المنقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن(٦).

أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ : الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم. ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٧٠﴾.

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ : أي الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ : أي يتولى بعضهم بعضًا في النصرة والحماية والمحبة والتأييد. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ : أي يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ : أي يخرجون زكاة أموالهم الصامتة كالدراهم والدنانير والمعشرات،

---

(١) أي: وصفهم بالبخل والشح كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ كما أن امتناعهم عن الخروج إلى الجهاد يعتبر قبضًا لأيديهم.

(٢) الأصل أن الوعد يكون في الخير والإيعاد يكون في الشر، وإطلاق الوعد على الوعيد كما هو هنا تهكم بهم.

(٣) ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ومعناه: أنها كافية ووفاء لجزاء أعمالهم.

(٤) الاستفهام للتقرير، والتحذير بمعنى: ألم يسمعوا بإهلاكنا الكفار من قبلهم.

(٥) هم نمرود بن كنعان وقومه.

(٦) هي: سدوم، وعمورة، وأرمة، وكانت مدنًا متتاخمة بعضها قريب من بعض، والراء قوم لوط عليه السلام.

والناطقة كالأنعام، والإبل والبقر والغنم. ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ[١] أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ[٢] ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ﴾.

فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ : أي إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.

وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ : أي رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ : ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين، ويدخل في هذا الخطاب أمته ﷺ.

وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ : أي في القول والفعل أي شدد عليهم ولا تلن[٣] لهم. ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾.

يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ : أي كلمة يكفر بها من قالها وهي قول الجلاس بن سويد: إن كان ما جاء به محمد حقًّا لنحن شر من الحمير.

وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ : أي هموا بقتل النبي ﷺ في مؤامرة دنيئة وهم عائدون من تبوك.

وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ : أي ما أنكروا أو كرهوا[٤] من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله بعد فقر أعلىٰ مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟ ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٧٤﴾﴾.

۞ وَمِنۡهُم : أي من المنافقين.

مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ : أي مالًا كثيرًا. ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ : أي منعوه فلم يؤدوا حقَّه من زكاة وغيرها. ﴿وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

---

(١) أي: يؤدون الفرائض والسنن فعلًا ويجتنبون المنهيات والمكروهات تركًا.

(٢) السين في ﴿سَيَرۡحَمُهُمُ﴾ للتأكيد وتحمل معنىٰ الخوف والرجاء وهما جناحا المؤمنين لا يطيرون في سماء الكمالات إلا بهما.

(٣) هذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصفح اللذين كان الرسول ﷺ يؤمر بهما إزاء المشركين والمنافقين [وهي تسمىٰ بآية السيف].

(٤) أي: ليس ينقمون شيئًا إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم الله بما كان الرسول ﷺ يعطيهم من الغنائم، قيل لأحدهم: هل تجد في القرآن نظير قولهم اتق شر من أحسنت إليه؟ قال: نعم هو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ : أي فأورثهم البخل نفاقًا ملازمًا لقلوبهم لا يفارقها.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ : أي يلقون الله تعالىٰ.

﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ : أي بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالىٰ به. ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ : أي ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه، وما يتناجون به فيما بينهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ : يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ : أي يعيبون ويطعنون.

﴿الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ : أي المتصدقين بأموالهم زيادة علىٰ الفريضة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ : إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ : أي يستهزئون بهم احتقارًا لهم. ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ : أي: اطلب لهم المغفرة أو لا تطلب. ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ : أي إلىٰ ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ : أي سر الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ : أي قال المنافقون بعضهم لبعض: لا تخرجوا للغزو في الحر.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ : أي لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها لما قالوا: لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ : أي في الدنيا، وليبكوا كثيرًا في الدار الآخرة. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ : أي من المنافقين.

﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ : معك لغزو وجهاد. ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ : أي المتخلفين عن تبوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعذار.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ : أي صلاة الجنازة.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ : أي لا تتول دفنه والدعاء له كما تفعل مع المؤمنين. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ : أي خارجون عن طاعة الله ورسوله. ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾.

وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ: أي تخرج أرواحهم بالموت. ﴿وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾.

ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ: أي طلبوا إذنك لهم بالتخلف.

أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ: أي أولو الثروة والغنىٰ.

وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾: أي اتركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضىٰ والأطفال والنساء.

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ: أي مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب.

وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ: أي توالت ذنوبهم علىٰ قلوبهم فأصبحت طابعًا عليها فحجبتها المعرفة. ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾.

وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُ: أي في الدنيا بالنصر والغنيمة وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾: أي الفائزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحبوب. ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾.

وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ: أي المعتذرون. ﴿مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ﴾.

وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ: أي ولم يأت إلىٰ طلب الإذن بالقعود عن الجهاد منافقو الأعراب. ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾﴾.

لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ: أي كالشيوخ.

وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ: كالعمي والزمنىٰ. ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾.

حَرَجٌ: أي إثم علىٰ التخلف.

إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ: أي لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وذلك بطاعتهم لله ورسوله مع تركهم الإرجاف والتثبيط.

مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ: أي من طريق إلىٰ مؤاخذتهم. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾﴾.

وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ: أي علىٰ رواحل يركبونها. ﴿قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾.

تَوَلَّواْ: أي رجعوا إلىٰ بيوتهم.

وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ: أي تسيل بالدموع الغزيرة حزنًا علىٰ عدم الخروج. ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ: أي الطريق إلىٰ المعاقبة. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ﴾.

وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ: واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم.

رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ: أي النساء والأطفال والعجزة. ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ : أي إذا عدتم إليهم من تبوك، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا.
قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ : أي لن نصدقكم فيما تقولون. ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾.
ثُمَّ تُرَدُّونَ : أي يوم القيامة. ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾.
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ : أي رجعتم من تبوك.
لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ : أي لا تعاقبوا. ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾.
إِنَّهُمْ رِجْسٌ : أي نجس لخبث بواطنهم. ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.
الْأَعْرَابُ : جمع أعرابي؛ وهو من سكن البادية.
أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا : أي من كفار ومنافقي الحاضرة.
وَأَجْدَرُ : أي أحق وأولىٰ.
أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ : أي بشرائع الإسلام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا : أي غرامة وخسرانًا.
وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ : أي ينتظر.
الدَّوَائِرَ : جمع دائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة.
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرهم وهي الهلاك. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.
وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ : جمع قربة؛ وهي المنزلة المحمودة.
وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ : أي دعاءه لهم بالخير. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.
وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ : أي إلىٰ الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد. ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾.
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ : أي في أعمالهم الصالحة.
رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : بسبب طاعتهم وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه.
وَرَضُوا عَنْهُ : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المِنَن. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.
وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ : أي حول المدينة من قبائل العرب.
وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ : مرقوا وحذقوه وعتوا فيه. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾.
سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ : الأولىٰ: قد تكون فضيحتهم بين المسلمين، والثانية: عذاب القبر. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ: مالًا يتقرب به إلىٰ الله تعالىٰ.

تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا: أي تطهرهم من ذنوبهم، وتزكيهم أنت أيها الرسول بها بدعائك لهم وثنائك عليهم.

وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ: أي ادع لهم بالخير.

إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ: أي دعاءك رحمة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ﴾.

ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ: يتقبلها. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ: مؤخرون لحكم الله وقضائه. ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾: أي بخلقه نيات وأموالًا وأعمالًا، حكيم في قضائه وشرعه.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا: أي لأجل الإضرار. ﴿وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وَإِرۡصَادٗا: انتظارًا وترقبًا. ﴿لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ﴾.

إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ: أي إلا الخير والحال الأحسن. ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ: أي لا تقم فيه للصلاة أبدًا.

لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ: أي بني على التقوىٰ وهو مسجد قباء. ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ (١).

فِيهِ رِجَالٞ: هم بنو عامر بن عوف. ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ: أي علىٰ خوف.

وَرِضۡوَٰنٍ: أي رجاء رضوان الله تعالىٰ.

خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ: أي علىٰ طرف جرف مشرف علىٰ السقوط، وهو مسجد الضرار. ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ: أي شكًّا في نفوسهم.

إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ: أي تُفْصَل من صدورهم فيموتوا. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ﴾.

ٱلۡجَنَّةَۚ: هي دار السلام التي أعدها الله تعالىٰ للمتقين.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله ﷺ الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم، وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ ولهذا روىٰ الإمام أحمد.. وذكر الحديث (قل).

يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ: أي الكفار والمشركين. ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾.
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا: أي وعدهم وعدًا حقًا.
فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ: أي مذكورًا في التوراة والإنجيل والقرآن.
وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ: أي لا أحد أوفىٰ بعهده من الله تعالىٰ.
فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾: أي ذلك البيع هو الفوز العظيم.
ٱلتَّٰٓئِبُونَ: أي من الشرك والنفاق والمعاصي.
ٱلۡعَٰبِدُونَ: أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له. ٱلۡحَٰمِدُونَ.
﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد لأعدائه. ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾.
ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ: أي بعبادة الله تعالىٰ وتوحيده فيها.
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ: أي عن الشرك والمعاصي.
وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ: أي القائمون عليها العاملون بها.
وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾: أي بالجنة دار السلام. ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.
أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ: أي يسألوا الله تعالىٰ لهم المغفرة.
وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ: أصحاب قرابة كالأبوة والبنوة والأخوة. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا﴾.
عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ: أي وعد وعده به. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾.
تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ: أي قال: إني بريء منك.
إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾: الأواه: كثير الدعاء والشكوىٰ إلىٰ الله تعالىٰ، والحليم الذي لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنب. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾.
حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ: أي ما يتقون الله تعالىٰ فيه فلا يفعلونه أو لا يتركونه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.
مِن وَلِيّٖ: الولي من يتولىٰ أمرك فيحفظك ويعينك. ﴿وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[1].
وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ: الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة.
وَٱلۡأَنصَارِ: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله ﷺ.
ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ: هي أيام الخروج إلىٰ تبوك لشدة الحر والجوع والعطش.

---

(1) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت التوبة علىٰ النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود دليله قوله تعالىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾؟ وعلىٰ المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلىٰ التخلف عنه.

مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ : أي تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾.

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ : هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية. ومعنىٰ خلفوا. أرجئوا بالبت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ : فقد تخلفت توبتهم لخمسين يومًا.

حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ : أي علىٰ اتساعها، ورحابتها. ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾.

وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ : أي إذ لا مكان للجوء فيه والهرب إليه. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ : في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، والصدق ضد الكذب.

مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ : وهم: مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم.

أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ : أي يطلبوا لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ : أي عطش.

وَلَا نَصَبٞ: أي ولا تعب.

وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي مجاعة شديدة.

وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ : أي يصيبهم بغيظ في نفوسهم يحزنهم.

وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا : أي منالًا من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ﴾.

وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا : الوادي: سيل الماء بين جبلين أو مرتفعين. ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾.

۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ : أي يخرجوا للغزو والجهاد جميعًا.

فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ : أي جماعة معدودة.

لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ: أي ليعلموا أحكام الدين وأسرار شرائعه.

وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ : أي ليخوفوهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله.

إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ : أي عذاب الله تعالىٰ بالعلم والعمل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ: أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم: أي يلون بلادكم وحدودها.

مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ: (من) بَيانِيَّة، أي الكافرين.

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً : أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم.
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ : أي بنصره وتأييده، والمتقون: هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.
وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ : أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها وحدودها.
فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا : أي السورة قوت إيمانه وزادت فيه؛ لأنها كالغيث النافع. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ : فرحين بفضل الله تعالىٰ عليهم.
وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ : أي شك ونفاق وشرك.
فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ : أي نجسًا إلىٰ نجس قلوبهم ونفوسهم. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.
أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ : أي يمتحنون. ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾.
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ : أي لا يتعظون لموات قلوبهم. ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا﴾.
صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم : دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلىٰ الحق بعد انصرافهم عنه.
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ : أي لا يفهمون أسرار الخطاب لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم.
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ : أي محمد بن عبد الله ﷺ من جنسكم عربي.
عَزِيزٌ عَلَيْهِ : أي شاق صعب.
مَا عَنِتُّمْ : أي ما يشق عليكم وصعب تحمله.
حَرِيصٌ عَلَيْكُم : أي حريص علىٰ هدايتكم وما فيه خيركم وسعادتكم.
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ : شفيق.
رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ : يرق ويعطف ويرحم.
فَإِن تَوَلَّوْا : أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدىٰ.
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ : أي كافيَّ الله.
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو.
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ : أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه.
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ : عرش الله تعالىٰ لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل إذ كرسيه تعالىٰ وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلىٰ العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة.

❁❁❁❁

الباب الثالث
من سورة «يونس»
إلى سورة «النحل»

١٠- سُورَةُ يُونُسَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر: هذه السورة الرابعة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة تكتب «الر» وتقرأ ألف. لام. را.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ: أي القرآن العظيم.

ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾: القائل بالحكمة، والقرآن مشتمل علىٰ الحكم فهو حكيم ومحكم أيضًا.

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا: العجب ما يتعجب منه.

أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ: هو محمد ﷺ. أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟.

أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ(١): أي أجرًا حسنًا بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال.

قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا: أي القرآن.

لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾: وفي قراءة (لسحر مبين): أي بيِّن ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل. (هذه قراءة نافع).

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ: أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله.

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ: أي أوجدها من العدم حيث كانت عدمًا فأصبحت عوالم.

فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ: هي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ: أي استوىٰ استواء يليق بذاته ﷻ فلا يقال.. كيف؟

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ(٢) مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ: أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾: أي أتستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون. ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾.

ثُمَّ يُعِيدُهُۥ: أي بعد الفناء والبلىٰ وذلك يوم القيامة. ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ: أي من ماء أحمي عليه وغلي حتىٰ أصبح يشوي الوجوه. ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً: أي جعلها تضيء علىٰ الأرض.

وَٱلْقَمَرَ نُورًا: أي جعل القمر ينور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس ونور القمر.

---

(١) ذكر القرطبي في تفسير ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أقوالًا متعددة منها: سبق السعادة في الأزل، ومنها: أجر حسن، ومنها: منزل صدق، ومنها: ولد صالح قدموه ومنها: يؤثر ذلك عن السلف، وما في التفسير هو الراجح إذ رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله.

(٢) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده، وقيل: يأمر به ويمضيه. قال القرطبي: والمعنىٰ متقارب.

وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك.

لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ : أي قدرهما منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب. ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾.

فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ : أي مساخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالىٰ يوم القيامة، معناه أنهم لا يطلبونه ولا يتوقعونه، ولازم ذلك أنهم لا يخافون عقابًا أخرويًّا ولا ثوابًا.

وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي بدلًا عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة.

وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا : أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها.

وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ : لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها.

أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ : أي النار هي المأوىٰ الذي يأوون إليه وليس لهم سواه. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ : أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نورًا يهتدون به إلىٰ الجنة. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩﴾.

دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ : أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم. ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾.

وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ : أي آخر دعائهم الحمد لله رب العالمين. الدعوىٰ هنا بمعنىٰ الدعاء.

۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ : الشر[1] : كل ما فيه ضرر في العقل أو الجسم أو المال والولد، والخير عكسه: ما فيه نفع يعود علىٰ الجسم أو المال أو الولد.

لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ : لهلكوا وماتوا.

فَنَذَرُ : أي نترك. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾.

فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١ : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان.

وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ : المرض وكل ما يضر في جسمه أو ماله أو ولده. ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ﴾.

مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ : مضىٰ في كفره وباطله كأن لم يكن ذاك الذي دعا بكشف ضره.

كَذَٰلِكَ : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه.

زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٢ : أي إسرافهم في الظلم والشر.

---

(١) فسر الشر بالعقوبة إذ الشر كل ما يلحق الضرر بالإنسان عاجلًا أو آجلًا، والعقوبة كلها شر إذ هي عذاب انتقام ينزل بصاحبه.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ : أي أهل القرون. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾.

وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ : بالحجج والآيات علىٰ صدقهم في دعوتهم. ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾.

ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ : خلائف: أي لهم، تخلفونهم بعد هلاكهم. ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ﴾.

لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة. ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾.

مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ : أي من جهة نفسي. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ : أي لا أعلمكم به.

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ : أي أربعين سنة قبل أن يوحىٰ إليّ. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾.

ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ : المفسدون لأنفسهم بالشرك، والمعاصي.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ : أي إن لم يعبدوه.

وَلَا يَنفَعُهُمْ : أي إن عبدوه. ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ : أي تعلّمون وتخبرون الله. ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ : أي تنزيهًا له.

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ : أي به معه من الأصنام.

وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً : أي علىٰ دين واحد هو الإسلام.

فَٱخْتَلَفُوا۟ : أي تفرقوا بأن بقي بعضٌ علىٰ التوحيد وبعض علىٰ الشرك.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾.

ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ : خارقة كناقة صالح عليه السلام.

فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ : أي إن أمر الآية ما هي مني تأتي من الغيب، والغيب لله وحده فلا أنا ولا أنتم تعلمون إذًا. ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً : أي مطرًا بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنىٰ بعد فاقة.

مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ : حالة من الضر بالمرض والجدب والفقر.

إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا : أي استهزاء بها وتكذيب.

قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا : أي الحفظة من الملائكة. ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ: أي يجعلكم تسيرون بما حولكم من مراكب وما يسّر لكم من أسباب. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾.

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ: أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم.

وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ: أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه. ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي أحدق بهم البلاء من كل جهة. ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾.

إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ: أي يظلمون مجانبين للحق والاعتدال. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: أي صفتها المنطبقة عليها المُتَّفِقة معها.

كَمَآءٍ: أي مطر. ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ: أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه ببعض. واختلط النبات بالمطر أي: شرب منه فتندىٰ وحَسُن واخضرّ.

مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ: كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر.

وَٱلْأَنْعَٰمُ: أي من الكلأ والعشب عادة وإلا فقد يعلف الحيوان الشعير.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا: أي نضرتها وبهجتها.

وَٱزَّيَّنَتْ: أي تجملت بالزهور.

وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ: أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية.

أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا: أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها. ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾.

فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا: أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم.

كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ: أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس.

كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ: أي نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ: دار السلام: الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي. ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ: الحسنىٰ: الجنة، والزيادة النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ: أي لا يغشىٰ وجوههم.

قَتَرٌ: غبرة من الكآبة والحزن. ﴿وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ: جمع سيئة ما يسيء إلىٰ النفس من ذنوب الشرك والمعاصي. ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾.

مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ : أي التزموا مكانكم لا تفارقوه.
فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ : فرقنا بينهم. ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ (٢٩)﴾ .
هُنَالِكَ : أي ثَمَّ.
تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ : أي تختبر.
مَّآ أَسْلَفَتْ : أي ما قدمت. ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ .
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٣٠) : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون.
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ : أي بالغيث والمطر.
وَٱلْأَرْضِ : أي بالنبات والحبوب والثمار.
أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ : أي يملك أسماعكم وأبصاركم: إن شاء أبقاها لكم وإن شاء سلبها منكم.
وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ : أي الجسم الحي من جسم الميت.
وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ : أي والعكس كذلك.
وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ : أي أمر الخلائق كلها بالحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع. ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ .
فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) : أي الله فلا تشركوا به شيئًا ولا تعصوه في أمره ونهيه. ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾ .
فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته؟! والحق هو أنه لا إله إلا الله.
كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ : أي وجبت.
عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) : وذلك لبلوغهم حدًّا لا يتمكنون معه من التوبة البتة.
قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم : جمع شريك وهو من أشركوه في عبادة الله تعالىٰ.
مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ : أي ينشئ الإنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ .
فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته؟ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ .
أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ : أي لا يهتدي. ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ .
فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه؛ لأنه لا يهدي. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ .
وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ : أي افتراء لم يكن هذا القرآن افتراء.

وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ : من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل.

وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ : أي بيان ما فرض الله تعالىٰ علىٰ هذه الأمة وما أحل لها وما حرم.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ : أي اختلقه من نفسه وتقوّله من عنده. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ [1]: أي بما توعدهم الله تعالىٰ به من العذاب.

وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ : أي ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب.

كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلًا. ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾.

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ : وهم دعاة الضلال الذين يفسدون العقول والقلوب، والجملة تهديد لهم.

وَإِن كَذَّبُوكَ : أي استمروا علىٰ تكذيبك. ﴿فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ [2] أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ : أي إذا قرأت القرآن. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك، ولا يهتدي إلىٰ معرفة أنك رسول الله؛ لأن الله تعالىٰ حرمه ذلك. ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ : أي يبعثهم من قبورهم ويجمعهم لساحة فصل القضاء.

كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتًا في قبورهم. ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ: أي نميتك قبل ذلك. ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ : أي في عرصات يوم القيامة.

---

(١) ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾. هذا الكلام الإلهي يحتمل معنيين صحيحين: الأول: هو ما في التفسير، والثاني: المراد بما لم يحيطوا بعلمه: القرآن الكريم، فهم لم يتدبروه، ولم يفهموا ما يدعو إليه وكذبوا به عن جهل مع العناد والمكابرة فـ(ما) في قوله: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ اسم موصول المراد به: القرآن الكريم أما علىٰ المعنىٰ الأول فإن المراد به العذاب الذي كذبوا به، ولم يحل بهم بعد.

(٢) أي لي ثواب عملي علىٰ التبليغ والطاعة لله تعالىٰ، ولكم جزاء عملكم الذي هو الشرك والكفر والتكذيب.

قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ : أي بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ أي: متىٰ العذاب، أو متىٰ القيامة التي يعدنا بها محمد ﷺ.

قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا : أي لا أقدر علىٰ دفع الضر إذا لم يعني الله تعالىٰ.

وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ : أي لا أقدر علىٰ أن أجلب لنفسي نفعًا إذا لم يرده الله تعالىٰ لي.

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ : أي وقت معين لهلاكها.

إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً : أي عن ذلك الأجل.

وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ : أي عليه ساعة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ : أي قل لهم: أخبروني. ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ : أي حل العذاب. ﴿ءَآمَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه. ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ القائلون هم خزنة جهنم.

۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ : أي ويستخبرونك: أي المشركون.

أَحَقٌّ هُوَ : أي عذاب يوم القيامة.

قُلْ إِى وَرَبِّىٓ : أي نعم وربي. ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾.

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ : أي بفائتين العذاب ولا ناجين منه.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ : لقدمته فداء لها.

وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ : أخفوها في أنفسهم علىٰ ترك الإيمان والعمل الصالح. ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ عند معاينة العذاب، وقبل الدخول فيه، والندامة: الحسرة علىٰ وقوع مكروه أو فوات محبوب.

وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ : أي حكم الله بينهم بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقًّا. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم﴾.

مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ : أي وصية من ربكم بالحق والخير وباجتناب الشرك والشر[2].

وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر. ﴿وَرَحْمَةٌ

---

(١) ﴿أَلَآ﴾: كلمة استفتاح وتنبيه يؤتىٰ بها في أول الكلام، معناها: انتبهوا لما أقول لكم.

(٢) والمراد بالموعظة وما بعدها من الصفات: القرآن الكريم، إذ هو الجامع لكل ما ذكر، وإنما عطفت المذكورات لتأكيد المدح.

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ[1]: ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح، واجتناب الشرك والمعاصي. ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾.

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾: أي من المال والحطام الفاني.

قُلْ أَرَءَيْتُم: أي أخبروني.

مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ[2]: أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام. ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾.

قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ: أي في التحريم حيث حرمتم البحيرة والسائبة، وفي التحليل حيث أحللتم الميتة. ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ: أي يختلقون الكذب تزويرًا في أنفسهم.

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ: ما ظنهم يوم القيامة أيغفر لهم ويعفىٰ عنهم؟ بل يلعنون وفي النار هم خالدون. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ: أي في أمر عظيم. ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ﴾ والخطاب للرسول ﷺ والأمة معه وقدم ﷺ لعلو شأنه وسمو مقامه ﷺ.

شُهُودًا[3] إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ: أي تأخذون في القول أو العمل فيه.

وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ: أي يغيب.

مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ: أي وزن ذرة؛ والذرة أصغر نملة. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾.

إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾: أي اللوح المحفوظ، ومبين أي واضح.

أَلَآ: أداة استفتاح وتنبيه.

إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ: جمع ولي وهو المؤمن التقي بشرط أن يكون إيمانه وتقواه علىٰ نور من الله.

لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ: أي لا يخافون عند الموت ولا بعده.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾: علىٰ ما تركوا بعد موتهم.

---

(١) قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، وصحت الإشارة بـ(ذلك) إلىٰ الاثنين؛ لأن العرب تشير بـ(ذلك) إلىٰ المفرد والمثنىٰ والجمع.

(٢) وعبر عن إعطائهم الرزق بإنزاله لهم، لأن أرزاقهم من حبوب وثمار وأنعام كلها متوقفة علىٰ المطر النازل من السماء حتىٰ سمىٰ العرب بني ماء السماء. وشاهده قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا..﴾ الآية.

(٣) شهودًا: أي حضورًا.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ.

وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ : أي ما يسخط الله تعالىٰ من ترك واجب أو فعل محرم.

لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا الصالحة يراها أو ترىٰ له.

لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين؛ لأن الوعد بالكلمة، وكلمة الله لا تبدل.

ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ : النجاة من النار ودخول الجنة.

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ : أي لا يجعلك قولهم تحزن.

إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا : العزة: الغلبة والقهر. ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعباديهم خيرًا أو يدفعون عنهم ضرًّا.

إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ : الظن أضعف الشك.

وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ : أي يحزرون ويكذبون.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ : أي تخلدوا فيه إلىٰ الراحة والسكون عن الحركة.

وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا : أي مضيئًا ترىٰ فيه الأشياء كلها.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ : أي من جعله تعالىٰ الليل سكنًا والنهار مبصرًا.

لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ : أي سماع إجابة وقبول.

قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ : أي تنزه عن النقص وتعالىٰ أن يكون له ولد.

هُوَ ٱلْغَنِىُّ : أي الغنىٰ المطلق بحيث لا يفتقر إلىٰ شيء. ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ : أي ما عندكم من حجة ولا برهان.

بِهَٰذَآ : أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالىٰ. ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا : أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون كل شيء. ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾.

بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي بنسبة الولد إلىٰ الله تعالىٰ، وبعبادتهم غير الله ﷻ.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ : أي اقرأ علىٰ المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى : أي عظم عليكم مقامي بينكم أدعو إلىٰ ربي. ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ : أي اعزموا عزمًا أكيدًا. ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ .

غُمَّةً : أي خفاء ولبسًا لا تهتدون منه إلىٰ ما تريدون.

ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ : أي انفذوا أمركم ما حكمتم به علي من قتلي إن أردتم ذلك.

وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ : أي ولا تمهلوا رحمة بي أو شفقة عليَّ.

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ : أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد. ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ .

فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ : أي في السفينة.

وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ : أي خلف الآخر الأول جيلًا بعد جيل. ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا﴾ .

إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ : أي بالحجج الواضحات علىٰ صدق دعوتهم، وما يدعون إليه من توحيد الله تعالىٰ. ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ﴾ .

كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ : الطبع علىٰ القلب عبارة عن تراكم الذنوب علىٰ القلب حتىٰ لا يجد الإيمان إليه طريقًا(١) .

عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ : الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء علىٰ حدود الشرع. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ .

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا : الآيات التي جاء بها موسىٰ عليه السلام وهي تسع. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا : لتصرفنا وتحول وجوهنا. ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ .

وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ : أي العلو والسيادة والملك علىٰ الناس. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ : أي ذي سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن.

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ : أي ارموا في الميدان لما تريدون إلقاءه من ضروب السحر. ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ﴾ .

إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ : أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ .

وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ : أي يقرر الحق ويثبته.

بِكَلِمَٰتِهِۦ : أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون.

وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ : أهل الإجرام علىٰ أنفسهم وعلىٰ غيرهم وهم الظلمة المفسدون،

---

(١) ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم، إذ الختم والطبع واحد، والطبع يكون بالخاتم.

يريد فرعون وملأه.

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ : أي لم ينقد له ويتبعه.

إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ : أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل.

عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ : أي أشرافهم ورؤسائهم.

أَن يَفْتِنَهُمْ : أي يضطهدهم ويعذبهم.

وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ : قاهر مستبد. ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ[١] ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾.

إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ : مذعنين منقادين لأمره ونهيه. ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾.

فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ : أي لا تفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا كفرًا. ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا : اتخذا لقومكما بمصر بيوتًا تبوءون إليها وترجعون.

وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً : أي مساجد تصلون فيها[٢]. ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ﴾.

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً : أي حليًا وحللًا ورياشًا ومتاعًا.

وَأَمْوَٰلًا : أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا﴾.

لِيُضِلُّوا۟[٣] عَن سَبِيلِكَ : أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذًا.

رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ : أي أزل أثرها من بينهم بإذهابها.

وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ : اربط عليها حتىٰ لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا : أي استجابها الله تعالىٰ[٤].

فَٱسْتَقِيمَا : علىٰ طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر علىٰ الأذىٰ فيه.

---

(١) ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: أي المجاوزين الحد في الكفر؛ لأنه كان عبدًا فادعىٰ الربوبية.

(٢) في هذا جمع بين رأيين: الأول: أن المراد من كلمة قبلة: أنها مساجد والثاني: أنها متقابلة ليتم لهم بذلك حمايتهم من عدوهم بعد أن استقلوا عنه.

(٣) في هذه اللام أقوال: أصحها: أنها لام العاقبة، والصيرورة، أي: يا رب إنك آتيت فرعون وقومه أموالًا ليؤول أمرهم بسبب تلك الأموال إلىٰ ضلالهم.

(٤) كان موسىٰ يدعو، وهارون يؤمن أي: يقول: آمين؛ فاعتبر داعيًا مع أخيه لأن قول آمين معناه: اللهم استجب دعاءنا.

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ : أي طريق الجهلة الذين لا يعرفون محاب الله ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التي أنزل لعباده.

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ : أي قطعنا بهم البحر حتىٰ تجاوزوه.

﴿ٱلۡبَحۡرَ﴾ : بحر القلزم.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ﴾ : أي بغيًا علىٰ موسىٰ وهارون واعتداء عليهما. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ : أي أفي هذا الوقت تقر بالوحدانية وتعترف له بالذلة؟ ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ : أي بجسدك لا روح فيه.

﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ : علامة علىٰ أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك. ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ : أي أنزلناهم منزلًا صالحًا[1] طيبًا مرضيًّا.

﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال.

﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ : وهو معرفتهم أن محمدًا ﷺ هو النبي المنتظر وأنه المنجي[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ﴾ : يحكم بينهم.

﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ : أي في الذي اختلفوا من الحق فيُدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ﴾ : مقابل التصديق فالشاك غير المصدق.

﴿مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ : أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم[3].

﴿فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ : أي التوراة والإنجيل. ﴿مِن قَبۡلِكَۚ﴾.

﴿لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ : أي لا تكونن من الشاكين. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ : أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح المحفوظ. ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾.

﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ : أي يستمرون علىٰ تكذيبهم حتىٰ يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا ينفع الإيمان.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل: هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه(قل).

(٢) بإذن ربه(قل).

(٣) هذا وجه من جملة أوجه فسرت بها الآية.

فَلَوْلَا : أداة «تحضيض» هنا بمعنىٰ هلَّا وفيها معنىٰ التوبيخ والنفي.
كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ: أي أهل قرية آمنوا. ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾.
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ: هو يونس بن متَّىٰ نبي الله ورسوله. ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.
وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾: أي إلىٰ وقت انقضاء آجالهم. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾.
أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ: أي إنك لا تستطيع ذلك. ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ : أي بإرادته وقضائه.
وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ: أي العذاب. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.
قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي من عجائب المخلوقات وباهر الآيات.
وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ: أي ما تغني أيَّ إغناء.
عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾: إذا كان القوم لا يؤمنون.
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ : أي ما ينتظرون.
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ: أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة[1].
قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ : أي العذاب. ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.
ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي من العذاب المنتظر.
كَذَٰلِكَ : أي كذلك الإنجاء. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.
إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى: أي الإسلام في أنه حق. ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ.
ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ: أي يقبض أرواحكم فيميتكم. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.
وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ: أي أمرني ربي أن أقيم وجهي.
حَنِيفًا: للدين الإسلامي حنيفًا أي مائلًا عن كل الأديان إليه دون غيره. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾.
وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين وأوثانهم.
فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾: أي إنك إذا دعوتها من المشركين الظالمين لأنفسهم.
وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ: أي لا مزيل للضرر ومبعده عمن أصابه إلا هو عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) المراد من الأيام: العذاب الذي يقع فيها، ويقال فيها الوقائع وهو نحو قولهم: أيام العرب، فلان عالم بأيام العرب أي: ما جرىٰ فيها من أحداث ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالعذاب الذي وقع فيها.

وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ : أي بالفضل والرحمة. ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ : أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ : أي يأهل مكة.

قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ : أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾.

فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ : أي آمن بالله ورسوله وعبد الله تعالىٰ موحدًا له. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾.

وَمَن ضَلَّ : أي أبىٰ إلا الإصرار علىٰ الشرك والتكذيب والعصيان.

فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا : أي وبال الضلال علىٰ نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي.

وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ : أي بمجبر لكم علىٰ الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير. ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾.

وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ : أي في المشركين بأمره.

وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ : أي رحمة وعدلًا وإنفاذًا لما يحكم به لعظيم قدرته.

❁❁❁❁

١١- سُورَةُ هُودٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر : هذا أحد الحروف المقطعة: يكتب الر ويقرأ ألف، لام، را.

كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ : أي نظمت نظمًا متقنًا ورصفت ترصيفًا لا خلل فيه.

ثُمَّ فُصِّلَتْ : أي ببيان الأحكام، والقصص والمواعظ، وأنواع الهدايات.

مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ : أي من عند حكيم خبير وهو الله جل جلاله. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾.

يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا : أي بطيب العيش وسعة الرزق.

إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له.

وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ : أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل[(١)].

وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ : هو عذاب يوم القيامة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ : أي يطأطئون رءوسهم فوق صدروهم ليستتروا عن الله في زعمهم[(٢)].

أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ : يغطون رءوسهم ووجوههم حتىٰ لا يراهم الله في نظرهم الباطل. ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾.

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ : أي حي يدب علىٰ الأرض أي: يمشي من إنسان وحيوان. ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا : أي مكان استقرارها من الأرض.

وَمُسْتَوْدَعَهَا : أي مكان استيداعها قبل استقرارها كأصلاب الرجال وأرحام النساء.

كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ : أي اللوح المحفوظ.

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ : أي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

---

(١) هذا كقوله تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، فالفضل الأول من العبد، وهو العمل الصالح والفضل الثاني من الرب وهو دخول الجنة.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه.

وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ : إذ لم يكن قد خلق شيئًا من المخلوقات سواه، والماء على الهواء.

لِيَبْلُوَكُمْ : أي ليختبركم ليرى. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[1] وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ : أي إلى طائفة من الزمن معدودة[2] ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

وَحَاقَ بِهِم : أي نزل وأحاط بهم. ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨﴾.

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً : أي أنلناه رحمة أي: غنى وصحة.

ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ : أي سلبناها منه.

إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ : أي كثير اليأس أي: القنوط شديد الكفر.

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ : أي خيرًا بعد شر.

لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ : جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب.

إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ : كثير الفرح والسرور والبطر.

إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ : أي على الضراء والمكاره. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ : أي لذنوبهم.

وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١ : أي الجنة دار الأبرار.

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ : فلعلك: للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا يضيق صدرك.

وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ : أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا. ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾.

كَنزٌ : مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك. ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾.

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢ : أي رقيب حفيظ.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ : اختلقه وكذبه. ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾.

وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم : من قدرتم على دعائهم لإعانتكم. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٣﴾

---

(١) قال الفضيل: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه. وهو كما قال.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأمة تستعمل في القرآن في معانٍ متعددة: فيراد بها الأمد كقوله في هذه الآية: ﴿ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ وقوله في يوسف: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ۝٤٥﴾ وتستعمل في الإمام المقتدى به كقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ وتستعمل في الملة والدين كقول المشركين: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ وتستعمل في الجماعة كقوله: ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ وتستعمل في الفرقة والطائفة كقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝١٥٩﴾. اهـ (قل).

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[1] .

فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ : أي أسلموا لله بمعنىٰ انقادوا لأمره وأذعنوا له.

مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب.

نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ[2] فِيهَا : نعطيهم نتاج أعمالهم وافيًا.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ : أي لا ينقصون ثمرة أعمالهم. ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ﴾ .

وَحَبِطَ : أي بطل وفسد. ﴿ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ[3] : أي علىٰ علم يقينيٍّ.

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ : أي يتبعه.

وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ : أي التوراة. ﴿ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ .

وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ : أي بالقرآن.

فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ : أي مكان وعد به فهو لا محالة نازل به.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ : أي في شك منه. ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا : أي لا أحد فالاستفهام للنفي.

أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ : أي يوم القيامة.

وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ : جمع شاهد وهم هنا الملائكة[4] . ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ .

أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ : أي طرده وإبعاده.

عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ : أي المشركين.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي الإسلام.

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا : أي معوجة. ﴿ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

---

(١) العلم: الاعتقاد اليقيني، أي: فأيقنوا أن القرآن ما أنزل إلا بعلم الله أي: ملابسًا له.

(٢) لفظ ﴿ أَعْمَالَهُمْ ﴾ يشمل الأعمال الخيرية والأعمال الدنيوية كصلة الرحم، وقرىٰ الضيف، والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين، فهذه لا يحرمها الكافر بل يجد جزاءها في الدنيا، بركة في ماله وولده وحياته، وأما الأعمال الدنيوية كالصناعة والزراعة والتجارة فهذه يوفي قدر جهده فيها، فبقدر ما يبذل من طاقة يحصل له من الكسب والربح والإنتاج، فكفره لا يمنعه نتاج عمله بقدر ما يبذل فيه.

(٣) اختلف في عود الضمائر في هذه الآية اختلافًا كثيرًا، وقد اخترنا في التفسير عودها إلىٰ النبي ﷺ ولا مانع من عودها علىٰ كل مؤمن صادق الإيمان، بقرينة الخبر وهو قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهم الفريق الذين أسلموا لما شاهدوا الحجج والبراهين.

(٤) ومن الأشهاد: الأنبياء والعلماء والمبلغون لدعوة الله تعالىٰ لعباده وفي صحيح مسلم: «وأما الكفار والمنافقون فينادىٰ بهم علىٰ رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم».

أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ : أي الله عَزَّوَجَلَّ أي فائتين بل هو قادر على أخذهم في أية لحظة.

وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ : أي أنصار يمنعونهم من عذاب الله. ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ : ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه ولا رؤيته. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾.

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونه من شركاء لله تعالى.

لَا جَرَمَ : أي حقًّا وصدقًا. ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين. ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾.

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ : أي تتعظون فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه؟

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا : هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ : أي مخوف لكم من عذاب الله بيِّن النذارة. ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ : هو عذابه يوم القيامة(١).

فَقَالَ ٱلْمَلَأُ : الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ﴾.

إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا : جمع أرذل؛ وهو الأكبر خسة ودناءة.

بَادِيَ ٱلرَّأْيِ : أي ظاهر الرأي، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ : أي أخبروني.

إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي : أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله. ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً﴾.

مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ : أي خفيت عليكم فلم تروها.

أَنُلْزِمُكُمُوهَا : أي أجبركم على قبولها؟ ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ : أي بمبعدهم عني ومن حولي. ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا

---

(١) وجائز أن يكون ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ في الدنيا وهو عذاب الطوفان وقد كان.

تجهلون ﴿٢٩﴾ ويقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ﴿٣٠﴾ ولا أقول لكم﴾.

عندي خزائن الله : التي فيها الفضل والمال. ﴿ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾.

ولا أقول للذين تزدري أعينكم : تحتقر أعينكم. ﴿لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين ﴿٣١﴾﴾.

قالوا ينوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا : أي خاصمتنا تريد إسقاطنا وعدم اعتبارنا في ديننا وما نحن عليه.

فأتنا بما تعدنا : أي من العذاب إن لم نؤمن بما تدعونا إليه.

إن كنت من الصادقين ﴿٣٢﴾ : أي في دعواك النبوة والإخبار عن الله عز وجل. ﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾.

وما أنتم بمعجزين ﴿٣٣﴾ : أي بغالبين ولا فائتين الله تعالىٰ متىٰ أراد عذابكم.

﴿ولا ينفعكم نصحي﴾: أي بتخويفي إياكم عذاب ربكم إن بقيتم علىٰ الكفر به وبلقائه ورسوله. ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾.

إن كان الله يريد أن يغويكم : أي يوقعكم في الضلال ويبقيكم فيه فلا يهديكم أبدًا. ﴿هو ربكم وإليه ترجعون ﴿٣٤﴾﴾.

أم يقولون : أي بل يقولون.

افتراه : أي اختلقه وقال من نفسه ولم يوح به إليه(١).

قل إن افتريته فعلي إجرامي : أي عاقبة الكذب الذي هو الإجرام تعود عليَّ لا علىٰ غيري.

وأنا بريء : أي أتبرأ وأتنصل من إجرامكم فلا أتحمل مسئوليته.

مما تجرمون ﴿٣٥﴾ : أي علىٰ أنفسكم بإفسادها بالشرك والكفر والعصيان.

وأوحي إلى نوح : أي أعلم بطريق الوحي الذي هو الإعلام السريع الخفي. ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾.

فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴿٣٦﴾ : لا تحزن ولا يشتد بك الحزن فإني منجيك ومهلكهم.

واصنع الفلك : أي السفينة التي أمرناك بصنعها لحمل المؤمنين عليها. ﴿بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴿٣٧﴾ ويصنع الفلك﴾.

وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه : أي استهزءوا به كقولهم: تحمل هذا الفلك إلىٰ

(١) فسرت الآية في التفسير بالقول الراجح وهو: أن المراد بمن يقول افتراء النبي ﷺ. والآية معترضة أحاديث قصة نوح وذهب بعضهم نقلًا عن ابن عباس أنها من محاورة نوح عليه السلام مع قومه: واستظهروها من أجل السياق السابق واللاحق، والله أعلم.

البحر أو تحمل البحر إليه.﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ : أي يذله ويهينه.

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ : أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ : أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز.

قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ : أي من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع المخلوقات اثنين.

وَأَهْلَكَ : أي زوجتك وأولادك.

إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ : أي بالإهلاك كامرأته وولده كنعان.﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ .

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ : أي إجراؤها وإرساؤها.﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ .

وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ : الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع.

وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ : أي في معزل[1] من السفينة حيث رفض الركوب.﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ .

قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ : يمنعني من الماء أن يغرقني.﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ .

وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ : أي نقص بنضوبه في الأرض.

وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ : أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل.

وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ : أي هلاكًا لهم.﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ .

فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى : أي من جملة أهلي من أزواج وأولاد.

وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ : أي الثابت الذي لا يخلف.﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ : أي الذين وعدتك بإنجائهم[2] .

إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ : أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح[3] .﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ﴾ .

إِنِّىٓ أَعِظُكَ : أي أنهاك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين.

أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ : أي من الذين لا يعرفون جلالي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما ليس لك به علم.﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ .

---

(١) وقيل: في معزل أي: من دين أبيه.

(٢) لأنه غير دينك وعلى خلاف منهجك.

(٣) قرأ ابن عباس، وعروة، وعكرمة، ويعقوب، والكسائي: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيرَ صَالِحٍ) أي: إن ابنك عمل عملًا غير صالح، وهو الكفر والتكذيب، وقرأ الباقون ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ أي: ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف.

وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ : أي بالأرزاق والمتع إلىٰ نهاية آجالهم.

ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ : ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ﴾.

إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ : أي الذين يتقون الله فيعبدونه ولا يشركون به شيئًا.

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا : أي وأرسلنا إلىٰ قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين أخاهم هودًا. وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح عليه السلام.

قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ : أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره.

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ : أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره.

إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ : أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون.

يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا : أي لا أطلب منكم أجرًا علىٰ بلاغي دعوة التوحيد إليكم.

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي : أي خلقني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا : أي كثيرة الدرور للمطر النازل منها.

وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ : أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين علىٰ أنفسكم بالشرك بالله.

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ: أي بحجة وبرهان علىٰ صحة ما تدعونا إليه من عبادة الله وحده.

وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا: أي عبادة آلهتنا.

عَن قَوْلِكَ: لأجل قولك: إنها لا تستحق أن تعبد. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ : أي أصابك.

بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ : أي بخَبل فأنت تهذي وتقول ما لا يقبل ولا يعقل. ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾.

جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾: أي لا تمهلون. ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ﴾.

آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا : أي مالكها وقاهرها ومتصرف فيها. فلا تملك نفعًا ولا ضرًا إلا بإذنه.

إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾: أي علىٰ طريق الحق والعدل.

فَإِن تَوَلَّوْا : أصلها تتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدىٰ التائين ومعناه تُدبروا. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾.

إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾: أي رقيب ولا بد أنه يجزي كل نفس بما كسبت.

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا: أي بعذابهم وهي الريح الصرر.

نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا: أي بفضل منا ونعمة. ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ

عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُۥ وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ﴾ .

جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ : أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله.

وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ : أي ولعنة يوم القيامة.

أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ : أي هلاكًا لعاد وإبعادًا لهم من كل رحمة، والبعد: التباعد عن الخير أيضًا.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ : أي وأرسلنا إلىٰ قبيلة ثمود.

أَخَاهُمْ صَٰلِحًا : أي في النسب؛ لأنه من قبيلة ثمود بينه وبين ثمود أبي القبيلة خمسة أجداد. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ .

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا : أي جعلكم عمارًا فيها تعمرونها بالسكن والإقامة فيها. ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى﴾ .

قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ : أي من خلقه إذ العوالم كلها بين يديه، ومجيب: أي لمن سأله. ﴿قَالُوا يَٰصَٰلِحُ﴾ .

قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيدًا فينا. ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ .

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ : أي أخبروني.

إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى : أي علىٰ علم بربي علمنيه ﷻ؛ فهل يليق بي أن أعبد غيره؟

وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً : وهي النبوة والرسالة. ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ .

فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ : أي خسار وهلاك.

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً : أي علامة علىٰ صدقي فيما جئتكم به من أنه لا إله إلا الله.

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ اللَّهِ : أي اتركوها ترع في المراعي غير المحمية لأحد.

وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ : أي كضربها أو قتلها، أو منعها من الماء الذي تشرب فيه. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ .

فَعَقَرُوهَا : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف.

فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتتمتعون في الحياة. ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ .

ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ .

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ : أي ساقطين علىٰ ركبهم ووجوههم.

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ : أي كأن لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يومًا. ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا

بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾.

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ: أي بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾.

فَمَا لَبِثَ: أي ما أبطأ.

أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾: أي مشوي على الحجارة.

فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ: أي لم يتناولوه فيأكلوا منه.

نَكِرَهُمْ: أي لم يعرفهم.

وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً: أي أحس بالخوف وشعر به. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ﴾.

لُوطٍ ﴿٧٠﴾: هو ابن هاران أخي إبراهيم عليه السلام. ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾.

قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ: أي يا ويلتى احضري هذا أوان حضورك. ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾.

وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا: إشارة إلى إبراهيم إذ هو بعلها أي زوجها.

إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾: أي أمر يتعجب منه استبعادًا له واستغرابًا. ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾.

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ: الفزع والخوف.

وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ: أي الخبر السار المفرح للقلب.

يُجَادِلُنَا: أي يخاصمنا.

فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾: أي في شأن هلاك قوم لوط، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران ابن عم إبراهيم.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾: الحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة، والأواه كثير التأوه مما يسيء ويحزن، والمنيب: الراجع.

يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا: أي اترك الجدال في قوم لوط. ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ﴾.

غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾: أي لا يستطيع أحد رده؛ لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ: أي حصل له غمٌّ وهمٌّ بمجيئهم إليه.

بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا: أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر(1).

وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾: أي شديد لا يحتمل.

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ: أي مدفوعين بدافع الشهوة يمشون مسرعين في غير اتزان.

---

(١) أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه.

وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ : أي كبائر الذنوب إتيان الذكور. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(١).

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ : أي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي.

أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ : أي ذو رشد وعقل ومعرفة بالأمور وعواقبها. ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾.

قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ : أي إلىٰ عشيرة قوية تمنعني منكم ولم تكن له عشيرة؛ لأنه من غير ديارهم. ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾.

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ : أي اخرج بهم من البلد ليلًا.

بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ : أي بجزء وطائفة من الليل. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾.

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ : وهو من طلوع الفجر إلىٰ طلوع الشمس. ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾.

جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا : أي عالي القرية سافلها.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ : أي من طين متحجر.

مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ : أي منظم واحدة فوق أخرىٰ بانتظام.

مُّسَوَّمَةً : أي معلمة بعلامة خاصة.

عِندَ رَبِّكَ : أي معلمة من عند الله تعالىٰ. ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾.

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا : أي أرسلنا شعيبًا إلىٰ أهل مدين. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ : أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان. ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾.

عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ : أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منكم(٢).

وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ : أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع والشراء علىٰ حد سواء.

---

(١) أراد نساء الأمة إذ نبي القوم أب لهم شاهده قراءة ابن مسعود، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم، الآية من سورة الأحزاب، لقد قيل: إنهم كانوا خطبوا بناته ولم يزوجهم بهن إذ سنتهم أن الرجل إذا خطب المرأة ثم لم يعطها لا تحل له بعد ولذا قالوا: علمت ما لنا في بناتك من حق، وما في التفسير أوجه.

(٢) جائز أن يكون عذاب إبادة واستئصال وهو ما تم لهم بعد إصرارهم علىٰ الشرك والعصيان، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة وهو كائن لا محالة.

وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ : أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل والوزن وفي غير ذلك.

وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾: أي ولا تعثوا في الأرض بالفساد.

بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ [1]: أي ما يبقىٰ لكم بعد توفية المكيال والميزان خير لكم من الحرام الذي حرم الله عليكم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾: أي رقيب أراقب وزنكم وكيلكم وإنما أنا واعظ لكم وناصح لا غير.

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ : أي كثرة الصلاة التي تصليها هي التي أثرت في عقلك فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف في أموالنا. ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾.

إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾: أي ذو الحلم والرشد، والحلم ضد الطيش، والرشد ضد السفه ولم يكن قولهم هذا مدحًا له وإنما هو استهزاء به. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ : أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتتركوه ثم أفعله بعدكم.

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ : أي ما أريد إلا الإصلاح لكم.

وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ: أي وما توفيقي للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله عليَّ.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾: أي أرجع في أمري كله.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾: أي لا تكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل بقوم نوح والأقوام من بعدهم.

وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾: أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين التي هي بين معان والأردن. ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾.

إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾: أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمتقين.

قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ: أي ما نفهم بدقة كثيرًا من كلامك. ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.

وَلَوْلَا رَهْطُكَ : أي أفراد عشيرتك. ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [2].

---

(١) قال مجاهد: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ يريد: طاعته، وقال الربيع: وصية الله وقال الفراء: مراقبة الله، وقال ابن زيد: رحمة الله، وقال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: حظكم من ربكم خير لكم، كل هذا بشرط الإيمان والتوحيد، وأرجح هذه الأقوال ما في التفسير.

(٢) وقولهم: لرجمناك جائز أن يراد به حقيقته وهو القتل رجمًا بالحجارة؛ إذ كانوا يقتلون من أرادوا قتله كذلك، وجائز أن يكون لرجمناك بالقول سبًّا وشتمًا.

وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ : أي بقوي ممتنع. ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا : أي لم تأبهوا به ولا تلتفوا إليه كالشيء الملقىٰ وراء الظهر. ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾.

وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ : أي علىٰ ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة.

إِنِّي عَٰمِلٌ : علىٰ تمكني من العمل الذي أعمله. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾.

وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ : أي صيحة العذاب التي أخذتهم.

فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ : أي علىٰ ركبهم.

كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ : أي كأن لم يقيموا بها يومًا.

أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ : أي هلاكًا لمدين قوم شعيب. ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ : هو موسىٰ بن عمران كليم الله ورسوله إلىٰ بني إسرائيل.

بِـَٔايَٰتِنَا : هي التسع الآيات التي ذكر أكثرها في آية الأعراف، والآيات: التوراة.

وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ : أي بحجة قوية علىٰ عدو الله فرعون فهزمه بها.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ : أي أشرف رجال دولة فرعون. ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾.

وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ : أي بذي رشد بل هو السفه كله.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ : أي تقدمهم إلىٰ النار. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾.

وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ : أي قبح وساء وردًا يورد النار.

وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً : أي ألحقتهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ : أي قبح الرفد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطىٰ لهم، والمراد لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

ذَٰلِكَ : الإشارة إلىٰ قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة.

مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ : أي أخبار أهل القرىٰ قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين وفرعون. ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾.

مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ : منها مدن بقيت آثارها كمدائن صالح، ومنها مدن لم يبق منها شيء كديار عاد. ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ﴾.

ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ : أي يعبدونها بالدعاء، وغيره كالذبح لها والنذور، والحلف بها. ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ : أي تخسير وهلاك.

وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ : أي عاقبها بذنوبها.

إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ : أي موجع شديد الإيجاع.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ : أي علامة علىٰ أن الذي عذب في الدنيا قادر علىٰ أن يعذب في الآخرة. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ .

وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ : أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة.

وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ : أي أجل الدنيا المعدود الأيام والساعات.

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ : أي إلا بإذن الله تعالىٰ.

فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ : أي فمن أهل الموقف من هو شقي أزلًا وسيدخل النار ومنهم سعيد أزلًا وسيدخل الجنة. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ .

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت[1] ضعيف وهو الشهيق. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ .

عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبدًا.

فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ .

غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ : أي: التوراة. ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ .

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ : أي لولا ما جرىٰ به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء إلىٰ يوم القيامة. ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ .

وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ : أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها. ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ .

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ : أي علىٰ الأمر والنهي كما أمرك ربك دون تقصير.

وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ : أي لا تجاوزوا حدود الله. ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ .

وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ : أي لا تميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم.

---

(١) اختلف في تحديد معنىٰ كل من الزفير والشهيق وما في التفسير خلاصته وهما أصوات المحزونين، والزفير مأخوذ من الزفر وهو الحمل علىٰ الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل مأخوذ من قولهم جبل شاهق طويل، والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار. اهـ.
وقال ابن كثير: قال ابن عباس: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق، لما هم فيه من العذاب(قل) .

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ: أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ: أي صلِّ الصلاة المفروضة.

طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ: أي الصبح، وهي في الطرف الأول والظهر والعصر وهما في الطرف الثاني.

وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ: أي ساعات الليل والمراد: صلاة المغرب وصلاة العشاء.

إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ: أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صغائر الذنوب التي تقع بينهن[1].

ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾: أي ذلك المذكور من قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ موعظة للمتعظين.

وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾: أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم بالإخلاص فيها لله وأدائها علىٰ نحو ما شرع الله وبيّن رسول الله ﷺ.

فَلَوْلَا: لو لا كلمة تفيد الحض علىٰ الفعل والحث عليه[2].

كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ: أي أهل القرون، والقرن: مائة سنة.

أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ: أي أصحاب بقية أي دين وفضل. ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ: أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع.

وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾: أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم علىٰ ذلك، وفي الآية ذم الترف إن اتبعه صاحبه وانقطع به عن طاعة الله ورسوله.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ: أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته. ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً: أي علىٰ دين واحد هو الإسلام.

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾: علىٰ أديان شتىٰ من يهودية ونصرانية ومجوسية وأهل الدين الواحد يختلفون إلىٰ طوائف ومذاهب مختلفة.

---

(١) وكون الحسنات يذهبن السيئات يتناول أمرين: الأول وهو الظاهر أن الحسنات يمحو الله تعالىٰ بها السيئات وهي الصغائر، والثاني أن فعل الحسنات يمنع من فعل السيئات وهو إذهابها.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالىٰ: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمه، ولهذا أمر الله تعالىٰ هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .اهـ (قل).

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ : أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾.

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ : أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك تثبيتًا لفؤادك.

مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ : أي نقص عليك من القصص ما نثبت به قلبك لتصبر على دعوتنا وتبلغيها.

وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ : أي هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك في غيرها.

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ : أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المنتفعون بها. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه علم. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾.

فَاعْبُدْهُ : أي وحده في العبادة ولا تشرك به شيئًا.

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ : أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة به فإنه يكفيك. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

❁❁❁❁

١٢- سُورَةُ يُوسُفَ

«مكية»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر : تكتب الر وتقرأ: ألف، لام، را، والله أعلم بمراده بذلك.

تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾ : أي القرآن المظهر للحق في الاعتقادات والعبادات والشرائع.

إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا: أي بلغة العرب العدنانيين، والقحطانيين سواء. ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾.

نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ: نحدثك متتبعين آثار الحديث علىٰ وجهه الذي كان عليه وتم به(١).

بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ : أي بإيحائنا إليك فالوحي هو أداة القصص.

وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ: أي من قبل نزوله عليك.

لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ : أي من قبل إيحائنا إليك غافلًا عنه لا تذكره ولا تعلم منه شيئًا. ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ : أي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ﷺ.

يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ : أي في منامي.

أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا : أي من كواكب السماء.

وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ : أي نزل الكل من السماء وسجدوا ليوسف وهو طفل.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾.

فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ : أي يحتالوا عليك بما يضرك.

إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ : أي بيِّن العداوة ظاهرها.

وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ : أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ : أي تعبير الرؤيا.

وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ : أي بأن ينبئك ويرسلك رسوله. ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾﴾.

---

(١) قال القرطبي في تفسيره بعد ذكره عدة تأويلات في تسميتها أحسن القصص: (.. وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص؛ لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة، انظر إلىٰ يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضًا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال، فما كان أمر الجميع إلا إلىٰ خير) (قل).

۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ : **عبر للسائلين عن أخبارهم وما كان لهم من أحوال غريبة.** ﴿ إِذْ قَالُوا۟ ﴾ .

لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ : **أي جماعة إذ هم أحد عشر رجلًا.** ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ .

ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا : **أي ألقوه في أرض بعيدة لا يعثر عليه.**

يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ : **أي من النظر إلىٰ يوسف فيقبل عليكم ولا يلتفت إلىٰ غيركم.** ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ .

فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ : **أي ظلمة البئر، أي: في قعر البئر.**

يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ : **أي المسافرين السائرين في الأرض.** ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ .

وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ : **لمشفقون عليه نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا.**

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ : **أي يأكل ويشرب ويلعب بالمسابقة والمناضلة.** ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ : **أي يوقعني في الحزن الذي هو ألم النفس أي ذهابكم به.**

وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ : **حيوان مفترس خداع شرس.** ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ .

وَنَحْنُ عُصْبَةٌ : **أي جماعة قوية.**

إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ : **أي ضعفاء عاجزون عرضة للخسران بفقدنا أخانا.**

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ : **أي أمرهم علىٰ إلقائه في غيابة الجب.**

أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ : **أي في ظلمة البئر.**

وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ : **أي أعلمناه بطريق خفي سريع.** ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً : **أي بعد غروب الشمس أول الليل.** ﴿يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ : **أي بالمناضلة.**

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا : **أي أمتعتنا من ثياب وغيرها.** ﴿ فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ .

وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا : **أي بمصدق لنا.** ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ .

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ : **أي بدم مكذوب أي دم سخلة وليس دم يوسف.**

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ : **أي زينت وحسنت لكم.** ﴿أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ .

وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ : **أي من الكذب.**

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ : **رُفْقَة من الناس تسير مع بعضها.**

فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ : أي الذي يرد لهم الماء.
فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ : أي دلىٰ دلوه في البئر. ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ .
وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً : أي أخفوه كبضاعة من البضائع. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٩﴾ .
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ : أي باعوه بثمن ناقص. ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ .
وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ : أي الرجل الذي اشتراه واسمه قطفير ولقبه العزيز.
لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ : أي أكرمي موضع إقامته بمعنىٰ أكرميه وأحسني إليه.
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا : أي نتبناه فقال ذلك؛ لأنه لم يكن يولد له.
وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ : أي تعبير الرؤيا. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١﴾ .
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ : أي قوته البدنية والعقلية[١] .
ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا : أي حكمة ومعرفة أي: حكمة في التدبير، ومعرفة في الدين. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ٢٢﴾ .
وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا : أي طالبته لحاجتها تريد أن ينزل عن إرادته لإرادتها وهو يأبىٰ. ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ .
وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ : أغلقتها بالمغاليق.
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ : أي تعال عندي[٢] .
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ : أي أعوذ بالله أىٰ أتحصن وأحتمي به من فعل ما لا يجوز.
إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ : أي إقامتي[٣] في بيته. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ .
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ : أي لتبطش به ضربًا.
وَهَمَّ بِهَا : أي ليدفع صولتها عليه.
لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ : ألهمه ربه أن الخير في عدم ضربها.
كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ : السوء ما يسوء وهو ضربها، والفحشاء الخصلة القبيحة.

---

(١) أي: ولنياه حكم مصر فصار الحاكم فيها وآتيناه النبوة والعقل والفهم والعلم بالدين.
(٢) من أعظم أساليب القرآن أنه يتحدث عن مثل هذه الأمور دون إثارة للشهوات بل قد تذرف العينان من خشية الله، وعليه فإن الخطيب البارع والكاتب الناجح هو الذي ينهج هذا النهج.. سبحان الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(قل).
(٣) يعني بقوله ﴿رَبِّىٓ﴾ زوجها؛ أي: سيده.

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ [1]: أي الذين استخلصناهم لولايتنا وطاعتنا ومحبتنا.

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ: أي قطعته من وراء.

وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ: أي وجدا العزيز زوجها وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد؛ لأنه يملك المرأة. ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ: أي ابن عمها.

إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ: أي من قدام. ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ: أي من وراء أي من خلف. ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾.

قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ: أي قولها، ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا [2]. ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا: أي عن هذا الأمر ولا تذكره لكيلا يشيع.

وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾: المرتكبين للخطايا الآثمين.

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ: أي عاصمة مصر يومئذٍ.

ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ: أي عبدها الكنعاني.

قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا: أي دخل حبه شغاف قلبها، أي: أحاط بقلبها فتملكه عليها.

إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾: أي في خطأ بيّن بسبب حبها إياه.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ: أي بما تحدثن به عنها في غيبتها.

أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا: أي وأعدت لهن فراشًا ووسائد للاتكاء عليها. ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ: أي أعظمنه في نفوسهن. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ [3] مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ: أي قلتن كيف تحب عبدًا كنعانيًّا.

وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ: أي امتنع مستمسكًا بعفته وطهارته. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ

---

(١) أرىٰ –والله أعلم– أن من أعظم الأدعية الجالبة للإخلاص الصارفة للسوء والفحشاء خاصة العشق قوله تعالىٰ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فهي آية من كتاب الله وكفىٰ بها مزية، وهي من أدعية الكرب، ولكونها من القرآن إذا قرأها المؤمن جعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا، وهي علىٰ بعض الروايات اسم الله الأعظم، وهي تشتمل علىٰ التوحيد والتسبيح والاستغفار، وهي أيضًا دعوة نبي (قل).

(٢) القائل هو الشاهد وقيل: الزوج، والراجح حسب السياق والعادة أنه الشاهد الذي أصبح حكمًا بينهما. اهـ.
وقد رجح ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أنه الزوج وهو الحق، والله أعلم (قل).

(٣) حاش لله: أي: معاذ الله.

لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا﴾.

مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾: الذليلين المهانين. ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾.

أَصْبُ إِلَيْهِنَّ: أمل إليهن.

وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾: أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾.

ثُمَّ بَدَا لَهُم: أي ظهر لهم.

مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ: أي الدلائل على براءة يوسف. ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ﴾.

قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ: أي أعصر عنبًا ليكون خمرًا. ﴿وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ: أي دين. ﴿ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾.

مَا كَانَ لَنَآ: أي ما انبغي لنا ولا صح منا.

أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ: أي أن أشرك بالله شيئًا من الشرك وإن قل، ولا من الشركاء وإن عظموا أو حقروا.

ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا: أي ذلك التوحيد والدين الحق.

وَعَلَى ٱلنَّاسِ: إذ جاءتهم الرسل به.

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾: أي ولكنهم ما شكروا فلم يتبعوا.

يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ: أي يا صاحبي في السجن وهما الفتيان: صاحب طعام الملك وصاحب شرابه.

ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ: أي آلهة متفرقون هنا وهناك أي في ذواتهم وصفاتهم وأماكنهم. ﴿أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾.

مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ: أي من دون الله ﷻ.

إِلَّآ أَسْمَآءً: أي مجرد اسم إله، وإلا ففي الحقيقة هو ليس بإله إنما هو صنم. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ (١): أي لم يأمر الله تعالىٰ بعبادتها بأي نوع من أنواع العبادة. ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ﴾ (٢) ﴿خَمۡرٗاۖ﴾: أي يسقي سيده الذي هو ملك البلاد شراب الخمر.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ﴾: يقتل مصلوبًا علىٰ خشبة كما هي عادة القتل عندهم. ﴿فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ﴾.

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ۝٤١﴾: أي فرغ منه وبت فيه.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا﴾: أي أيقن أنه محكوم ببراءته. ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾: أي أنسىٰ الشيطان يوسف ذكر ربه تعالىٰ. ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ۝٤٢﴾.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾: ملك مصر الذي العزيز وزير من وزرائه واسمه الريان بن الوليد. ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ﴾.

﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾: هزال غير سمان. ﴿وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾: أيها الأشراف والأعيان من رجال الدولة.

﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ﴾: أي عبروها لي. ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ۝٤٣﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾: أي أخلاط أحلام كاذبة لا تعبير لها إلا ذاك. ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۝٤٤﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: أي وتذكر بعد حين من الزمن أي قرابة سبع سنين. ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ۝٤٥﴾.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: أي يا يوسف أيها الصديق أي يا كثير الصدق؛ علم ذلك منه في السجن. ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۝٤٦﴾.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾: أي متتابعة علىٰ عادتكم.

﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾: أي اتركوه في سنبله لا تدرسوه. ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ۝٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾.

---

(١) أي: من حجة تحكم بمشروعية عبادتها كما تفعلون.

(٢) إطلاق لفظ الرب علىٰ السيد كان عند من قبلنا أما نحن أمة الإسلام، فقد نهينا عن ذلك، روىٰ مسلم قوله ﷺ: «لا يقل أحدكم: اسق ربك أطعم ربك وضئ ربك، ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي وليقل: فتاي، فتاتي، غلامي».

سَبۡعٞ شِدَادٞ : أي صعاب قاسية لما فيها من الجدب.

يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ : أي تحفظونه وتدخرونه للبذر والحاجة.

ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ : أي يغيثهم ربهم بالأمطار وجريان النيل.

وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ : أي ما من شأنه أن يعصر كالزيتون والعنب وقصب السكر.

وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ : أي بيوسف.

فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ : أي مبعوث الملك.

قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ : أي سيدك.

فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ : ما حالهن(١) . ﴿ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾﴾ .

قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ : ما شأنكن. ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ .

قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ : أي تنزيهًا لله تعالىٰ عن العجز أن يخلق بشرًا عفيفًا. ﴿مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ .

ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ : وضح وظهر الحق(٢) . ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ .

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ : أي كثيرة الأمر، والسوء هو ما يُسيء إلىٰ النفس البشرية مثل الذنوب.

إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ : أي إلا من رحمه الله فإن نفسه لا تأمر بالسوء لطيبها وطهارتها. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ .

ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ : أجعله من خلصائي من أهل مشورتي وأسراري. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا﴾ .

مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ : أي ذو مكانة تتمكن بها من فعل ما تشاء، أمين مؤتمن علىٰ كل شيء عندنا.

قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ : أي خزائن الدولة في أرض مصر.

إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾(٣) : أي أحافظ علىٰ ما تسنده إليّ وأحفظه، عليم بتدبيره.

---

(١) ذكر النسوة جملة؛ حتىٰ لا يؤذي امرأة العزيز لو خصها بالذكر إكرامًا منه وحلمًا، وكمالًا خلقيًا وإلا فالمراد زليخا امرأة العزيز، ونفس الحكمة في قوله تعالىٰ: ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ﴾.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ رجح ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالىٰ: أن القائل في الآيتين: هو امرأة العزيز، ورجح آخرون أنه يوسف عليه السلام (قل).

(٣) آيتان في كتاب الله قد انتظمتا آداب من يتولىٰ أمرًا من أمور المسلمين بعد كونه مسلمًا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١] أما الأولىٰ فقوله تعالىٰ هنا: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾ وأما الثانية فقوله تعالىٰ في سورة القصص الآية ٣٦: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾. نعم ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ (قل).

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ : أي ينزل ويحل حيث يشاء بعدما كان في غيابة الجب وضيق السجن. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ : من أرض كنعان لما بلغهم أن ملك مصر يبيع الطعام. ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾.

وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ : أي غير عارفين أنه أخوهم.

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ : أي أكرمهم وزودهم بما يحتاجون إليه في سفرهم بعدما كال لهم ما ابتاعوه منه.

قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ : هو بنيامين لأنه لم يجئ معهم؛ لأن والده لم يقدر علىٰ فراقه. ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾.

وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ : أي خير المضيفين لمن نزل عليهم. ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ : أي سنجتهد في طلبه منه. ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ : أي غلمانه وخدمه.

ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ : أي دراهمهم التي جاءوا يمتارون بها. ﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾.

قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ : أي منع الملك منا الكيل حتىٰ نأتيه بأخينا.

فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ : أي نحصل علىٰ الكيل المطلوب. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ﴾.

عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ : أي كما أمنتكم علىٰ يوسف من قبل وقد فرطتم فيه. ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا﴾.

مَا نَبْغِي : أي أيُّ شيء نبغي. ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ﴾.

إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا : الميرة: الطعام الذي يدخره الإنسان. ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾.

وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ : أي بدل ما كنا عشرة نصبح أحد عشر لكل واحد حمل بعير.

ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ : أي علىٰ الملك لغناه وطوله فلا يضره أن يزيدنا حمل بعير. ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ﴾.

مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ : أي عهدًا مؤكدًا باليمين.

لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ : أي تهلكوا عن آخركم. ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾(١).

وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ أي أراد الله خلافه. ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ ﴾.

إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ : هي إرادة دفع العين عن أولاده شفقة عليهم. ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ : أي ضمه إليه أثناء الأكل وأثناء المبيت.

قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ : أي لا تحزن. ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ : أي صاع الملك وهو من ذهب كان يشرب فيه ثم جعله مكيالًا يكيل به.

فِي رَحۡلِ أَخِيهِ : أي بنيامين.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : نادىٰ منادٍ.

أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ : أي القافلة. ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ : أي صاع الملك. فالصاع والصواع بمعنىٰ واحد. ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾.

وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ : أي بالحمل كفيل.

قَالُواْ تَٱللَّهِ : أي والله. ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾.

مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ : أي ولم نسرق الصواع كما أنا لم نسرق من قبل متاع أحد. ﴿ قَالُواْ فَمَا

---

(١) في الآية دليل علىٰ ما يلي:

أ- علىٰ التحرز من العين، والعين حق لحديث: «إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» ولتعوذ الرسول ﷺ منها في غير حديث.

ب- علىٰ المسلم إن أعجبه شيء أن يُبرك، لقول الرسول ﷺ: «ألا بركت»! والتبريك أن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه. [أو ما شاء الله لا قوة إلا بالله].

جـ- إذا أصاب العبد بعينه لأنه لم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال ويجبر عليه.

د- إذا عرف المرء بأذاه للناس بعينه يبعد عنهم وجوبًا.

هـ- الاغتسال من العين: وأن يغسل المعان وجهه ويديه، ومرفقيه وركبتيه، وأطراف رجليه وداخل إزاره في إناء ثم يصب علىٰ المصاب بالعين فيشفىٰ بإذن الله تعالىٰ. اهـ.

حديث: العين تدخل الرجل القبر.... حسن (عد، خل) عن جابر. (عد) عن أبي ذر [انظر صحيح الجامع] ويقول رسول الله ﷺ: (العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا) رواه مسلم، وعليك بقراءة علاج العين من زاد المعاد لابن القيم رحمه الله جـ٤ (قل).

جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ : **أي يؤخذ بالسرقة رقيقًا.**

كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ : **أي في شريعتنا.** ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾.

ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ : **أي في وعاء أخيه الموجود في رحله.**

كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ : **أي يسرنا له هذا الكيد الذي توصل به إلىٰ أمر محمود.**

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ : **أي في شرعه إذ كان يضرب السارق ويغرم بمثل ما سرق.** ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ[(١)] مَّن نَّشَآءُ : **أي كما رفع يوسف عليه السلام.** ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾.

۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ : **أي يأخذ الصواع خفية من حرزه.**

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ : **أي يوسف في صباه**[(٢)].

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ : **أي أخفىٰ هذه التهمة في نفسه**[(٣)].

وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ : **أي لم يظهرها لهم.**

قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا : **أي منزلة ممن رميتموه بالسرقة.**

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ : **أي بحقيقة ما تصفون أي: تذكرون.**

قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا : **أي يعقوب عليه السلام.** ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ[(٤)] إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ : **أي نعوذ بالله من أن نأخذ.**

إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ : **من لم نجد متاعنا أي الصواع عنده.** ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ : **أي يئسوا.**

خَلَصُوا۟ نَجِيًّا : **أي اعتزلوا يناجي بعضهم بعضًا.** ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ ﴾.

قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ : **أي عهدًا وميثاقًا لتأتن به إلا أن يحاط بكم.**

وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ : **أي ومن قبل إضاعتكم لبنيامين فرطتم في يوسف كذلك.**

---

(١) أي: بالإيمان والعلم شاهده: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾.

(٢) كان يسرق الطعام ويعطيه للمساكين، وسرق صنمًا لأبي أمه فكسره حتىٰ لا يعبده وليس هذا من السرقة المحرمة ولا المذمومة بل هي محمودة.

(٣) وجائز أن يكون: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ ﴾: أي أسر كلمة: ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ أي: أخفاها فلم يتلفظ بها إحسانًا إليهم ثم جهر بقوله ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

(٤) أي: خذه عبدًا لتسترقه لأنه سبق أن قيل: إن شريعة يعقوب عليه السلام أن السارق يسترق بالسرقة.

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ [١]: أي لن أفارق الأرض، أي أرض مصر. ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾.

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾: أي لما غاب عنا ولم نعرفه حافظين.

وَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا: أي أصحاب القافلة [٢] التي جئنا معها وهم قوم كنعانيون. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا: أي زينت وحسنت لكم أمرًا ففعلتموه. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ﴾.

أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا: أي بيوسف وأخويه بنيامين وروبيل. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾.

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ: أي معرضًا عن حديثهم.

وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ: أي يا حزني احضر هذا أوان حضورك.

وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾: أي مغموم مكروب لا يظهر كربه.

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ: أي والله لا تزال تذكر يوسف.

حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا: أي مشرفًا على الهلاك لطول مرضك. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي [٣]: أي عظيم حزني إذ البثُّ الذي لا يصبر عليه حتىٰ يبثَّ إلىٰ الغير. ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ: أي اطلبوا خبرهما بلطف حتىٰ تصلوا إلىٰ النتيجة.

وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ: أي من رحمة الله. ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [٤].

وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ: أي بدراهم مدفوعة لا يقبلها الناس لرداءتها. ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ﴾.

إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾: أي يثيب المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة. ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم﴾.

بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾: أي لا تعلمون ما يؤول إليه أمر يوسف. ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ﴾.

قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ: أي أنعم علينا بأن جمع بيننا بعد افتراق طويل أنتم سببه.

---

(١) بأن يطلق سراح أخي فأمضي معه إلىٰ أبينا، أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب حتىٰ أخلص أخي، أو أغلب فأعذر إذ قال والدي: إلا أن يحاط بكم.

(٢) المراد: أهل القرية إذ العادة أن القرية لا تنطق، ولو قال أحد: كلم هندًا وهو يريد غلامها لما جاز.

(٣) البث: الهمّ الشديد.

(٤) أي: أصابهم الضر. من الجدب والقحط والمجاعة.

إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ: أي يتق الله فيخافه فلا يعصه ويصبر علىٰ ما يناله من وصب ونصب. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا: أي فضلك علينا بما عليه من الإنعام والكمال. ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾.

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ: أي لا عتب عليكم ولا لوم[1]. ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ: أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلىٰ أرض فلسطين.

قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ: أشتمها لأن الريح حملتها إليه بأمر الله تعالىٰ.

لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾: أي تسفهون، لصدقتموني فإني وجدت ريح يوسف.

قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ[2] ﴿٩٥﴾: أي خطئك بإفراطك في حب يوسف.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ: هو يهوذا الذي حمل إليه القميص الملطخ بالدم الكذب.

أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا: أي رجع بصيرًا. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾.

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ: أجّل الاستغفار لهم إلىٰ آخر الليل أو إلىٰ ليلة الجمعة. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾.

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ: أي السرير.

وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا: أي سجدوا له تحية وتعظيمًا[3]. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾.

وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ: أي البادية، بادية الشام.

مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ: أي أفسد. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾.

إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ: أي لطيف في تدبيره لمن يشاء من عباده كما لطف بيوسف. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

---

(١) لا يصح تعليق اليوم بـ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ﴾ إذ لا يعلم الغفران متىٰ يتم لهم؛ فكيف يصح أن يقال: يغفر الله لكم اليوم أو غدًا: بل يتعلق اليوم بكلمة لا تثريب.

(٢) أي: لفي ذهاب عن طريق الحق والصواب، والقائلون ليعقوب هذا هم أحفاده أو بعض الأقارب؛ لجهلهم بمقام يعقوب، وهي عبارة فيها خشونة لكن من الجائز أن تكون في عرفهم لا خشونة فيها ولا إساءة أدب.

(٣) علىٰ عادة أهل ذلك الزمان وهو سجود تحية لا عبادة.

۞ رَبِّ: أي يا رب خالقي ورازقي ومالك أمري ومعبودي الذي ليس لي معبود سواه.
قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ : أي من بعض الملك إذ أصبح ملكًا لمصر فقط.
وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ : تعبير الرؤىٰ.
فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي خالقهما علىٰ غير مثال سابق.
أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ : أي متولي أمري في الحياتين الدنيا والآخرة. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾.
ذَٰلِكَ : إشارة إلىٰ ما قص الله تعالىٰ علىٰ رسوله من قصة يوسف وإخوته.
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ: أي أخبار الغيب. ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ : أي لدىٰ إخوة يوسف.
إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ : أي اتفقوا علىٰ إلقاء يوسف في غيابة الجب.
وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۝١٠٢ : أي يحتالون علىٰ إخراجه وإلقائه في الجب. ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾[1].
وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : أي علىٰ القرآن وإبلاغه من ثواب: أي مال.
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ : أي ما هو إلا ذكر أي موعظة يتعظ بها المؤمنون. ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥﴾.
وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦ : أي يعترفون بأن الخالق الرازق هو الله ومع ذلك يعبدون معه غيره.
أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ: أي نقمة من نقمه تعالىٰ تغشاهم أي تحوط بهم.
أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً : فجأة وهم مقيمون علىٰ شركهم وكفرهم. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٠٧﴾.
قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ : أي دعوتي وطريقتي التي أنا عليها.
أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ : أي علىٰ علم يقين مني. أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي.
وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ : أي تنزيهًا لله وتقديسًا أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم﴾ رد علىٰ القائلين: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾.
مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ : من أهل المدن والأمصار لا من أهل البوادي. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[2].

---

(1) في الآية تسلية للرسول ﷺ إذا آلمه عدم إيمان قريش بعد أن سألوه عن هذه القصة ليؤمنوا فلما قصها عليهم لم يؤمنوا فآلمه ذلك.

(2) ﴿فَيَنظُرُواْ﴾ إلىٰ مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم وما جاءوهم به من الهدىٰ ودين الحق من أجل هدايتهم، وسعادتهم.

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ﴾ : أي الله تعالىٰ بأداء فرائضه وترك نواهيه.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾ : أي أفلا يعقل هؤلاء المشركون هذا الذي يتلىٰ عليهم ويبين لهم فيؤمنوا ويوحدوا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ : أي يئسوا من نصرهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ : أي ظن الأمم المرسل إليهم أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر. ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾(1).

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا﴾ : أي عذابنا الشديد.

﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ : أي الذين أجرموا علىٰ أنفسهم بالشرك والمعاصي وأجرموا علىٰ غيرهم بصرفهم عن الإيمان.

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ﴾ : أي الرسل عليهم السلام. ﴿عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾.

﴿مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾ : أي ما كان هذا القرآن حديثًا يختلق.

﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ : أي ما قبله من الكتب الإلهية إذ نزل مصدِّقًا لها في الإيمان والتوحيد. ﴿وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ أي: مما يحتاج إليه البشر من الحلال والحرام، والشرائع والأحكام.

❁❁❁❁

---

(1) المراد بالنصر: النصر وهو الذي ذكره ابن كثير رحمه الله. لا العذاب كما في أيسر التفاسير (قل).

١٣- سُورَةُ الرَّعْدِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ : هذه الحروف المقطعة تكتب المر وتقرأ ألف لام ميم را. والله أعلم بمرادها. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ : العمد جمع عمود أي: مرئية[1] لكم إذ الجملة نعت.

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ : استواء يليق به عَزَّ وَجَلَّ.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ : أي ذللها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلىٰ أجلها. ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ : أي بسطها للحياة فوقها.

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ : أي جبالًا ثوابت. ﴿وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا﴾.

زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ : أي نوعين وضربين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلًا.

يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ : أي يغطيه حتىٰ لا يبقىٰ له وجود بالضياء.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ : أي دلالات علىٰ وحدانية الله تعالىٰ. ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ : أي بقاع متلاصقات[2]. ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾.

وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ : أي عدة نخلات في أصل واحد يجمعها، الصنو[3] الواحد والجمع صنوان. ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

فِى ٱلْأُكُلِۚ : أي في الطعم هذا حلو، وهذا مر، وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا خلافه. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

❁ وَإِن تَعْجَبْ : أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.

فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ : أي فأعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها؛ بل بإذنه وأمره وتسخيره، وضعف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرأي القائل: إن لها عمدًا ولكن لا ترىٰ. اهـ. بتصرف (قل).

(٢) أي: وأخرىٰ غير متجاورات فحذفت علىٰ حد قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ حيث حذف المقابل وهو: تقيكم البرد.

(٣) غير صنوان: كل نخلة قائمة علىٰ أصلها، والصنو: المثل.

الحجج.

أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ: أي نرجع كما كنا بشرًا أحياء. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾.

وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ: أي موانع الإيمان والاهتداء في الدنيا، وأغلال تشد بها أيديهم إلىٰ أعناقهم في الآخرة. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٥﴾.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ: أي بالعذاب.

قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ: أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب.

وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ: أي العقوبات واحدها مَثُلة التي قد أصابت المكذبين في الأمم الماضية. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٦﴾.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ: أي هلَّا أنزل، ولو لا أداة تحضيض كـ(هلّا).

ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ: أي معجزة كعصا موسىٰ وناقة صالح مثلًا.

إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧: أي نبي يدعوهم إلىٰ ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركوا به غيره.

ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ: أي من ذكر أو أنثىٰ واحدًا أو أكثر أبيض أو أسمر، ﴿كُلُّ أُنثَىٰ﴾ يفيد عموم كل أنثىٰ في الإنسان والحيوان، وهو كذلك.

وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ: أي تنقص من دم الحيض، وما تزداد منه، إذ غيضها ينقص من مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ العادة أن انحباس الحيض دال علىٰ العلوق أي: الحمل، وفيضان الدم دال علىٰ عدم الحمل، وتفسير الآية بهذا حسن، فالله تعالىٰ يعلم ما تغيض الأرحام من الدم، لانشغال الرحم بالعلقة ثم بالجنين، وما تزداد من الدم حتىٰ يفيض عنها، ويخرج، وهو دم من لا حمل لها، وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح.

وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن﴾.

جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ[1] وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠: أي ظاهر في سربه أي طريقه مكشوفًا معلومًا لله تعالىٰ.

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ: أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار. ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ﴾[2].

مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ: أي بأمر الله تعالىٰ وعن إذنه وأمره[3].

---

(١) يمشي في ظلامه.

(٢) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة موكلون بالعبد يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء أمر الله أي: قدره تخلوا عنه، والكتبة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٣) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالىٰ ذكروا أن الله ﷻ جعل أوامره علىٰ وجهين: أحدهما: قضىٰ وقوعه =

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ : أي من عافية ونعمة إلىٰ بلاء وعذاب.

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ : من طهر وصفاء وبالإيمان والطاعات إلىٰ الذنوب والآثام. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن﴾.

دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ : أي وليس لهم من دون الله من يلبي أمرهم فيدفع عنهم العذاب. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ : أي من الخوف منه وهيبته[1] وجلاله. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾.

وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ : أي القوة والمماحلة.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ : أي لله تعالىٰ الدعوة الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾.

لِيَبْلُغَ فَاهُ : أي الماء فمه. ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾.

وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ : أي في ضياع لا حصول منه علىٰ طائل. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم﴾.

بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ : أي بالبُكَر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية. ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها. ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ﴾.

زَبَدًا رَّابِيًا : أي غثاءً عاليًا إذ الزبد: هو وَضَرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار.

وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ : أي كالذهب والفضة والنحاس.

ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ : أي طلبًا لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني.

زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ : أي مثل زبد السيل[2]. ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾.

=

وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضىٰ مجيئه ولم يقض حلوله ووقوعه بل قضىٰ صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة.

(١) والملائكة تسبح أيضًا من خوف الله تعالىٰ.

(٢) هو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي زبد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزبد ما يعلو ماء السيل.
﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾ أي طلبًا للحلية، ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ أي طلبًا لمتاع يتمتع به كالأواني؛ إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النُحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكير فيعلو ما كان فاسدًا غير صالح علىٰ صورة الزبد، وما كان صالحًا يبقىٰ في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية.

فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ : أي زبد السيل أو زبد ما أوقد عليه النار.

فَيَذْهَبُ جُفَآءً : أي باطلًا مرميًّا به بعيدًا إذ هو غثاء ووضر لا خير فيه.

وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ : أي يبقىٰ في الأرض زمنًا ينتفع به الناس. ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[1].

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ : أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة.

وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه. ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾.

لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ : أي من العذاب.

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ : وهي المؤاخذة بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء.

وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم. ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾.

كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ : أي لا يرىٰ الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به.

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ : أي أصحاب العقول. ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام. ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾.

سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ : أي يدفعون بالحلم الجهل، وبالصبر الأذىٰ.

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة[2].

جَنَّٰتُ عَدْنٍ : أي جنات إقامة دائمة. ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده.

وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ : أي من الإيمان والأرحام.

وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ : أي بترك الصلاة ومنع الزكاة وبارتكاب السيئات وترك الحسنات، وبصفة عامة بالشرك وارتكاب المعاصي.

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ : أي البعد من رحمة الله تعالىٰ.

---

(١) أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقائه والباطل في ذهابه وتلاشيه وإن علا وطغىٰ في بعض الأوقات، ﴿يَضْرِبُ﴾ أي يبين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهتدوا فيكملوا ويسعدوا.

هذا مثل للحق والباطل إذا اجتمعا فإنه لا ثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقىٰ بل يذهب ويتلاشىٰ ويضمحل، والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك.

(٢) جائز أن يكون معنىٰ ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: الجنة، وجائز أن يكون عقبىٰ الدار: دار الدنيا؛ إذ عقباها الدار الآخرة وفيها الجنة، إذ كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عقبىٰ الدنيا؛ إذ عقبىٰ الدار بمعنىٰ عاقبتها.

﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾: أي جهنم وبئس المهاد.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي يضيق ويقتر. ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

﴿إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾: قدر يسير يتمتع به زمنًا ثم ينقضي. ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾: أي لهم طوبىٰ شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسلنا أرسلناك[1]. ﴿فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾.

﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيرًا وتعليمًا ونذارة وبشارة.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾: إذ قالوا: وما الرحمن وقالوا: لا رحمن إلا رحمان اليمامة. ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾: أي توبتي ورجوعي.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: أي نقلت من أماكنها.

﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾: أي شُقَّت فجعلت أنهارًا وعيونًا.

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أي أحيوا وتكلموا[2].

﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: أي يعلم. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم﴾.

﴿بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾: أي داهية تقرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم.

﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: أي القارعة أو الجيش الإسلامي.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾: نصر الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي أمهلتهم وأخرتهم مدة طويلة. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أي حافظها ورازقها وعالم بها وبما كسبت ويجازيها بعملها، وليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولي لأمور الخلق بالحفظ والتدبير.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾: أي صِفُوهم له من هُم.

﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي أتخبرونه بما لا يعلم في الأرض.

﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع. ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

---

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبه الإنعام علىٰ من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام علىٰ من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي التي تهدي بل لله الأمر جميعًا يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ : أي أشد.

وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ : أي مانع يمنعهم من العذاب.

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ : أي صفتها التي نقصها عليك. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾.

أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا : أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ. ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾.

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ : أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود.

يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ : أي يُسرون به؛ لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم.

وَمِنَ الْأَحْزَابِ : أي من اليهود والمشركين.

مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ : أي بعض القرآن، فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا: لا رحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب[1] ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ[2] ﴿٣٦﴾﴾.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا : أي بلسان العرب لتحكم به بينهم[3]. ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾.

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ : أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة.

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ : أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو المنسوخ وما أبقاه هو المحكم.

وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ : الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت والحياة والسعادة والشقاء[4].

---

(١) تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

(٢) أرجع في أموري كلها إليه دون غيره.

(٣) وقيل: المراد من ﴿حُكْمًا﴾ الحكمة كقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي: الحكمة، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية، وكونه من الحكم أولى لأنه يحكم به في الأمور كلها.

(٤) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾أي لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ وكان الضحاك يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾: أي لكل كتاب أجل. يعني لكل كتاب أنزل من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ منها ﴿وَيُثْبِتُ﴾ يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ اختلف المفسرون في ذلك: فقال الثوري، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو الله ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وفي =

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ : أي من العذاب.

أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ : أي قبل ذلك. ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾.

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا : أي بلدًا بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها.

وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ : أي لا رادَّ له بحيث لا يتعقب حكمه فيبطل. ﴿وَهُوَ سَرِيعُ

=

رواية: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ قال: كل شيء إلا الموت والحياة، والشقاء والسعادة، فإنه قد فرغ منهما[1]، وقال منصور: سألت مجاهدًا فقلت: أرأيت دعاء أحدنا، يقول: اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم، واجعله في السعداء، فقال: حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسألته عن ذلك، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ الآيتين، قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو معصية، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب السعادة والشقاوة فهو ثابت لا يغير، وقال الأعمش عن أبي وائل: إنه كان كثيرًا يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه، واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب[2]، وقال ابن جرير، عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت ويبكي: اللهم إن كنت كتبت عليَّ شقوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. فاجعله سعادة ومغفرة.

ومعنىٰ هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر**»[3]. وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر: «**إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض**». وقال الكلبي: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه، وقال العوفي عن ابن عباس: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله، ثم يعود لمعصية الله فيموت علىٰ ضلالة، فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتىٰ يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾. وجملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب، وقال مجاهد: قالت كفار قريش لما نزلت ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: ما نرىٰ محمدًا يملك شيئًا وقد فرغ من الأمر. فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا. ونحدث في كل رمضان، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم. وقال الحسن البصري ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي يجري إلىٰ أجله. وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله، وقوله: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ قال: الحلال والحرام، وقال قتادة: أي جملة الكتاب وأصله، وقال ابن جريج عن ابن عباس: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ قال: الذكر ا.هـ(قل).

---

(١) وهذا قول مجاهد أيضًا حيث قال: (إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما لا يتغيران).

(٢) أخرجه ابن جرير.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. [ضعيف -انظر ضعيف الجامع].

ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1].

فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا : أي إذا فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾.

وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ : من مؤمني اليهود والنصارى.

❁❁❁❁

(١) أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ أنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه.

١٤- سُورَةُ إبرَاهِيمَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب الر وتقرأ ألف لام را، والتفويض فيها أسلم وهو قول: الله أعلم بمراده بذلك.

كِتَٰبٌ : أي هذا كتاب عظيم.

أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ : يا محمد ﷺ.

لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ : أي من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان[1].

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ : أي المحمود بآلائه. ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي الإسلام.

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا : أي معوجة. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ : أي المعجزات التسع: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، ونقص الثمرات. ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ : أي ببلائه ونعمائه. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ : أي اذكر إذ قال موسىٰ لقومه: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

يَسُومُونَكُمْ : يذيقونكم. ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ : أي يستبقونهن للخدمة ولعدم الخوف منهن.

وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ : أي ابتلاء واختبار ويكون بالخير والشر.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ : أي أعلم ربكم. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى

(١) لتخرج الناس: أي: بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك.

لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ: بالحجج الواضحة علىٰ صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخر.

فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ: أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا. ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ﴾.

مُرِيبٍ ﴿٩﴾: موقع في الريبة.

۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ: أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام إنكاري. ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن﴾.

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى: أي إلىٰ أجل الموت. ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.

فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾: بحجة ظاهرة تدل علىٰ صدقكم. ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ: أي بالنبوة والرسالة علىٰ من يشاء[1] لذلك. ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا: أي طرقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه. ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ: أي من ديارنا.

أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا: أو لتعودن في ديننا. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾.

ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي: أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء. وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾.

وَٱسْتَفْتَحُواْ: أي طلب الرسل الفتح لهم أي: النصر علىٰ أقوامهم الظالمين.

وَخَابَ: أي خسر وهلك.

كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾: أي ظالم يجبر الناس علىٰ مراده عنيد كثير العناد. ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾[2].

وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾: أي هو ما يخرج سائلًا من أجواف أهل النار مختلطًا من قيح ودم وعرق.

---

(١) ومما منّ الله به عليهم، الحكمة والمعرفة والهداية إلىٰ ما يوجب رضاه ومحبته.

(٢) لفظ وراء يطلق علىٰ ما كان خلفًا وما كان أمامًا، لأن كل ما وري أي: استتر فهو وراء.

يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ : أي يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراده لقبحه ومرارته.

وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ : أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموت حاصلة.

وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ : ولكن لا يموت. ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ : أي الصالحة منها: كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير. والفاسدة: كعبادة الأصنام بالذبح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد. ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾.

لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ : أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوها على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾﴾.

وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ : أي بصعب ممتنع عليه.

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا : أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة.

فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا : أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون.

فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ : أي دافعون عنا بعض العذاب. ﴿قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾.

مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ : أي من ملجأ ومهرب أو منجى.

وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ : بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾.

مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ : أي بمغيثكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ: أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ : هي النخلة[1]. ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي؟ قال: هي النخلة».

تُؤْتِي أُكُلَهَا : أي ثمرها الذي يؤكل منها. ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ : هي كلمة الكفر.

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ : هي الحنظل.

اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ : أي اقتلعت جثتها أي: جسمها وذاتها. ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾.

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ : هو لا إله إلا الله. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وَفِي الْآخِرَةِ : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن ربه ودينه ونبيه. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا : أي بدلوا بالتوحيد والإسلام الجحود والشرك.

وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (١) ﴿٢٨﴾ : أي جهنم. ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا : أي شركاء. ﴿لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ﴾.

أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالة تنفع ولا صداقة. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا﴾.

لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث. ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾.

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ : جاريين في فلكهما لا يفتران أبدًا حتى نهاية الحياة الدنيا. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ (٢) مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ﴾.

إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفار عظيم الكفر، هذا ما لم يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا : أي اجعل مكة بلدًا آمنًا يأمن كل من دخله.

وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ : بعّدني وبني.

أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ : عن أن نعبد الأصنام.

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ : أي بعبادتهم لها.

فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني. ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

---

(١) ﴿الْبَوَارِ﴾: الهلاك.

(٢) ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ﴾ أي: من كل مسئول سألتموه شيئًا فحذف مسئول لدلالة الكلام عليه، والمقابل محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإن هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إياها، وهذا الحذف كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ..﴾ وسرابيل تقيكم البرد: فحذف.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[١].

رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي : أي من بعض ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذٍ. ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ : تحنُّ إليهم وتميل رغبة في الحج والعمرة. ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾.

عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ : أي مع الكبر إذ كان سنه يومئذ تسعًا وتسعين سنة وولد له إسحاق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة. ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾.

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك.

وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ : أي يوم يقوم الناس للحساب.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم.

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ : أي تنفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ[٢] : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر رافعي رءوسهم.

لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ[٣] وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ : أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفزع. ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾.

نُّجِبْ دَعْوَتَكَ : أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك. ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾.

أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ : أي عن الدنيا إلى الآخرة. ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ : أي مكرت قريش بالنبي ﷺ حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه. ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾.

---

(١) فوض الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذبه، وقيل: قال إبراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٢) ﴿مُقْنِعِي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكرو، وقد يطلق الإقناع أيضًا على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأطأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٣) الطرف: العين.

وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ : أي لم يكن مكرهم بالذي تزول منه الجبال فإنه تافه لا قيمة له فلا تعبأ به ولا تلتفت إليه. ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ : أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال.

ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ : أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصىٰ رسوله.

يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ : أي اذكر يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض.

غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ : وكذلك السموات.

وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ : أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم.

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ : أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلىٰ رقابهم.

فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ : الأصفاد جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره.

سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ : أي قمصهم التي يلبسونها من قطران. ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾.

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ : أي هذا القرآن بلاغ للناس. ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ : أصحاب العقول.

❁❁❁❁

١٥- سُورَةُ الحِجْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر : الله أعلم بمراده بذلك، تكتب الر. ويقرأ ألف، لام، را.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ : الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن. ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١﴾.

رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢ : يود: يحب ويرغب متمنيًا أن لو كان من المسلمين.

ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ : أي بالملذات والشهوات.

وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ : أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية. ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾.

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ : أي أجل محدود لإهلاكها.

مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا : أي لا يتقدم أجلها المحدود لها و(من) زائدة للتأكيد. ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾.

وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ : أي القرآن الكريم. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾.

لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ : أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ : أي ممهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ : أي القرآن. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ : أي في فرق وطوائف الأولين. ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١﴾.

كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ : أي التكذيب بالقرآن أو النبي [1] ﷺ. ﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾.

---

(١) عود الضمير في ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: أرسل فيهم رسلًا وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم ينتفعوا لإعراضهم عنها فتعيها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك، وهي الكبر والحسد والعناد، وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر، وتلك سنة الله تعالى في أمثالهم، وأصل السلك: إدخال الشيء في آخر.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾: أي مضت سنة الأمم السابقة. ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾.

فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾: أي يصعدون.

لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا: أي سدت كما يُسكرُ النهر أو الباب. ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا: أي كواكب ينزلها الشمس والقمر. ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾.

وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾: أي مرجوم بالشهب.

إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾: كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يخبله أي يفسده.

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا: أي بسطناها.

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ: أي جبالًا ثوابت لئلا تتحرك الأرض.

وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾: أي مقدر معلوم والمقدار لله تعالىٰ.

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ: جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية.

وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾: كالعبيد والإماء والبهائم. ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾.

وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾: أي المطر.

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ: أي تلقح السحاب فيمتلئ ماء، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلىٰ أنثاه. ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾.

فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾: أي لا تملكون خزائنه فتمنعوه، أو تعطوه من تشاءون.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ: أي من هلكوا من بني آدم إلىٰ يومكم هذا.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾: والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا[1] بعد إلىٰ يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ: أي آدم عليه السلام.

مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾: أي طين يابس له صلصلة من حمإ[2] أي طين أسود متغير.

وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾: نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثُقب الجلد البشري.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) ويدخل في معنىٰ الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضًا المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك.

(٢) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا: تراب بل بالماء فصار طينًا ثم ترك حتىٰ أنتن فصار حمأً مسنونًا أي: متغيرًا ثم يبس فصار صلصالًا والمسنون: المتغير، بسبب مكثه مدة كسنة مثلًا.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ : أي أتممت خلقه.

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ : أي خروا له ساجدين. ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾.

قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا : أي من الجنة.

فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ : أي مرجوم مطرود ملعون. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١) ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ : أي وقت النفخة الأولىٰ التي تموت فيها الخلائق كلها.

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى : أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي. ﴿ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ : أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم.

قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ : أي هذا طريق مستقيم موصل إليَّ وعليّ مراعاته وحفظه. ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ : أي أبواب طبقاتها السبع التي هي جهنم، ثم لظىٰ، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. ﴿ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ : أي الذين خافوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم من العبادات. ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ : أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء.

إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ : أي ينظر بعضهم إلىٰ بعض ما داموا جالسين وإذا انصرفوا دارت بهم الأسرّة فلا ينظر بعضهم إلىٰ قفا بعض.

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ : أي تعب. ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ : أي الموجع شديد الإيجاع.

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ : هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلىٰ قوم لوط لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب من الناس. ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾.

قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ : أي خائفون وذلك لما رفضوا أن يأكلوا. ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾.

بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ : أي بولد ذي علم كثير هو إسحاق عليه السلام. ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ ﴾.

فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ : أي تعجب من بشارتهم مع كبره بولده.

---

(١) أراد اللعين بسؤاله إلىٰ يوم يبعثون ألا يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضًا.

قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ : أي الآيسين. ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ : أي ما شأنكم؟ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ : هم قوم لوط عليه السلام.

إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ : أي لإيمانهم وصالح أعمالهم.

إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ : أي الباقين في العذاب. ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ : أي لا أعرفكم.

قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم.

﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ .

وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ : أي إلىٰ الشام حيث أمروا بالخروج إليه.

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ : أي فرغنا إلىٰ لوط وأوحينا إليه. ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1] .

وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ : أي مدينة سدوم أي فرحين بإتيانهم الفاحشة. ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي.

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ : أي عن إجازتك لهم واستضافتك. ﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ : أي غوايتهم وشدة غمتهم[2] التي أزالت عقولهم يترددون.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ : أي وقت شروق الشمس. ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ .

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ : أي طين طبخ بالنار.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ : أي الناظرين المعتبرين.

---

(١) ﴿مُّصْبِحِينَ ﴾ أي: داخلين في الصباح، ومثله: مشرقين، أي: داخلين في وقت الإشراق.

(٢) وهي انقيادهم للشهوة أي وحياتك يا رسولنا، إنهم أي قوم لوط ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشريفًا له، وأصل عمرك بضم العين وفتحت لكثرة الاستعمال، وجاز أن يكون القسم بحياة لوط أيضًا، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجًا بهذا القسم الإلهي؛ فإن لله تعالىٰ أن يقسم بما شاء من خلقه، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه، وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذي.

[صحيح - (حم، ت، ك) عن ابن عمر انظر صحيح الجامع.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾: أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: أي قوم شعيب عليه السلام، والأيكة غيضة شجر بقرب مدين. ﴿لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾: أي قوم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح. والطريق طريق قريش إلى الشام.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾: أصحاب الحجر: هم قوم صالح ومنازلهم بين المدينة النبوية والشام.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾: أي في الناقة وهي أعظم آية. ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (١) ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾: من بناء الحصون وجمع الأموال. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾.

﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾: أي أعرض عنهم إعراضًا لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾: هي آيات سورة «الفاتحة» سبع. ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾.

﴿أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾: أي أصنافًا من الكفار.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أي ألن جانبك. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾: المبين النذارة.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾: أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: كهانة.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾: هم المقسمون للقرآن وجعلوه عضين جمع عضة وهي القطعة والجزء من الشيء. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾: أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾: أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.

❁❁❁❁

---

(١) وقوله: ﴿آمِنِينَ﴾ أي: من أن تسقط عليهم أو تخرب فلا تصلح للسكن فيها.

١٦- سُورَةُ النَّحْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ: **أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون (١) فلا تستعجلون.**

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾: **أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل بإرادته وإذنه.**

عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: **وهو هنا محمد ﷺ.** ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾.

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ: **أي قطرة من المني.**

فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤: **أي يقول من يحيي العظام وهي رميم.**

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ: **أي ما تستدفئون به.**

وَمَنَافِعُ: **من العسل واللبن والركوب.**

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥: **اللحم.**

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ: **منظر حسن.**

حِينَ تُرِيحُونَ: **أي حين تردونها من مراحها.**

وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦: **أي وحين إخراجها من مراحها إلىٰ مسارحها: الأماكن التي تسرح فيها.**

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا﴾.

بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ: **أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة.** ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾.

وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨: **من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر.**

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ: **أي تفضلًا منه وامتنانًا ببيان السبيل القاصدة وهي الإسلام.**

وَمِنْهَا جَائِرٌ: **أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية.** ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾.

وَمِنْهُ شَجَرٌ: **أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات.**

فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠: **ترعون مواشيكم.** ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ

---

(١) من الجائز أن يراد بـ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ القيامة لقول الله تعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

أحمد

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ(١) بِأَمۡرِهِۦٓۚ : أي بإذنه وقدرته. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة. ﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ﴾.

لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا : هي اللؤلؤ والمرجان.

وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ : أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبخار اليوم.

وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ : أي من فضل الله تعالىٰ بالتجارة. ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ : أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها(٢) ويسقط. ﴿وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ : أي عدًّا فتضبطوها فضلًا عن شكرها للمنعم بها عز وجل. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾﴾.

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ : من المكر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلىٰ أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولًا ثم اللفظ العام فالله يعلم كل سر وعلانية في أي أحد.

وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ : أي يصورون من الحجارة وغيرها.

أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ : أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة ولا يبعث فيه عابدوها من دون الله.

إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ : أي جاحدة للوحدانية والنبوة والبعث والجزاء.

وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ : لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون.

لَا جَرَمَ : أي حقًّا. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ﴾.

قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ : أي أكاذيب الأولين.

---

(١) ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ أي: مذللات لمعرفة الأوقات ونضج الثمار، والاهتداء بالنجوم في الظلمات.

(٢) أي ألقىٰ في الأرض جبالاً ثوابت. ﴿وَعَلَٰمَٰتٖ﴾ أي: وجعل لكم علامات للطير، وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار لكل ما يستدل به علىٰ الطريق والناحية.

لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ : أي ذنوبهم. ﴿كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ : أي بئس ما يحملون من الأوزار.

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره.

فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من رأسه.

فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها. ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾.

الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه، وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها.

قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ : أي الأنبياء والمؤمنون.

إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾.

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ : بالشرك والمعاصي(١).

فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ : أي استسلموا وانقادوا. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلًا.

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ : أي اتقوا الشرك والمعاصي.

مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوا بها وفق مراد الله تعالىٰ.

حَسَنَةٌ : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة.

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ : أي الجنة دار السلام.

جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾.

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح وبما أبعدوها عنه من الشرك والمعاصي.

يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ : أي يقول لهم ملك الموت (عزرائيل)(٢) وأعوانه. ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

---

(١) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلىٰ المدينة وبقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفًا من المشركين، ومن بينهم الذين لما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلىٰ الشرك.

(٢) تسمية ملك الموت بـ (عزرائيل) لم ترد في الكتاب والسنة بل سماه الله تعالىٰ ملك الموت فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١](قل).

أحمد

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون.

أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلىٰ الله عز وجل. ﴿كَذَٰلِكَ (١) فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ : أي نزل بهم العذاب وأحاط بهم وقد كانوا به يستهزئون.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ : هم كفار قريش ومشركوها.

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ : كالسوائب والبحائر والوصائل والحامات [قد تقدم شرحها في سورة «المائدة»]. ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾.

فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ : أي ما علىٰ الرسل إلا البلاغ؛ فالاستفهام للنفي.

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ : أي عبادة الأصنام والأوثان.

فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ : أي وجبت في علم الله أزلًا. ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ : أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم. ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ﴾.

بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا : أي بلىٰ يبعث من يموت وقد وعد به وعدًا وأحقه حقًّا فهو كائن لا محالة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك.

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ : أي في قولهم (لا نبعث بعد الموت)(٢).

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ : أي خرجوا من مكة في سبيل الله نصرة لدينه وإقامته بين الناس.

مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ : أي لننزلنهم دارًا حسنة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة لمن نزلت فيهم الآية.

وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ : أي علىٰ أذىٰ

---

(١) الإشارة بـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلىٰ الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن مكروا برسلهم وأهلكهم الله جل جلاله.

(٢) وفي إنكارهم التوحيد والنبوة أيضًا.

المشركين وهاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ : أي أيها الشاكون فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل كلهم كانوا بشرًا مثله.

إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ : أي أرسلناهم بشرًا بالبينات والزبر(١) لهداية الناس.

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ : أي القرآن. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ : علة لإنزال الذكر؛ فوظيفة الرسل البيان. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ : أي مكروا المكرات (السيئات) وصف للمكرات التي مكروها.

﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٢).

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ : أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: بسابقين الله ولا فائتيه.

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ : أي تنقص(٣).

فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ أي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ : أي تتميل من جهة إلى جهة.

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ : أي خضعًا لله كما أراد منهم.

وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ : أي صاغرون ذليلون. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ : من أعلى منهم إذ هو فوق كل شيء ذاتًا وسلطانًا وقهرًا.

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ : أي ما يأمرهم ربهم تعالى به.

۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ : أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد. ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ الرهبة: الخوف، فمعنى ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾: خافوني ولا تخافوا سواي.

وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا، إذًا فما تعبدونه مع الله هو لله ولم يأذن بعبادته.

---

(١) الزبر: أي الكتب.

(٢) وقد تم لهم وذاقوا مرًا يوم بدر بقتل صناديدهم وأسرهم.

(٣) بأن يهلكهم واحدًا بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يُبقي منهم أحدًا، وقد أخذ منهم ببدر من أخذ وفي أحد، وللآية معنيان: الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلًا.

والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التخوف: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا : أي خالصًا[1] دائمًا واجبًا. ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾.

فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ : أي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه. ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ : تهديدًا على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالىٰ.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ : أي يجعلون لآلهتهم نصيبًا من الحرث والأنعام.

تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ : أي تختلقون بالكذب وتفترون على الله عز وجل.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ : إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ : أي الذكور من الأولاد، تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا : أي متغيرًا بالسواد لما عليه من كرب.

وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ : أي ممتلئ بالغم. ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾.

أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ : أي يدفن تلك المولودة حية وهو الوأد. ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ : أي الصفة القبيحة.

وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ : أي الصفة العليا[2] وهي لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾.

مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ : أي الجنة إذ قال بعضهم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾.

لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ : أي مقدمون إلىٰ جهنم متروكون فيها.

تَٱللَّهِ : أي والله. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ : أي رسلًا.

فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ : فكذبوا لذلك الرسل.

فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ : أي الشيطان هو وليهم أي في الدنيا. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا

---

(١) لفظ الدين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه، وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وصالح لأن يكون الديانة، والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلىٰ نفسه عز وجل وقد قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ فالجواب: إن قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلًا يقتضي نقصًا وتشبيهًا بالخلق، والمثل الأعلىٰ هو وصفه تعالىٰ بما لا شبيه له ولا نظير.

بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾(١).

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً : أي دلالة واضحة علىٰ صحة عقيدة البعث الآخر. ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً : أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلىٰ العلم؛ لأن العبرة من العبور.

نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ : أي ثفل الكرش، أي الروث الموجود في الكرش.

وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا : أي ليس فيه شيء من الفرث ولا الدم لا لونه ولا رائحته ولا طعمه.

﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ فلا يغص به شارب ولا يشرق به.

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ : أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمر.

تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا : أي خمرًا وهي السكر، والتمر والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ : أي أنهمها أن تفعل ما تفعله بإلهام منه تعالىٰ. ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾.

وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ : أي يبنون لها.

ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا : أي طرق ربك مذللة فلا يعسر عليك السير فيها ولا تضل عنها، أو المراد به النحلة نفسها، وذلل جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة.

يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ : أي عسل. ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾.

فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ : أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته إلىٰ عقار آخر. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ : أي أخسه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل. ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ : أي فمنكم الغني ومنكم الفقير. ومنكم المالك ومنكم المملوك.

فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ : أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليكهم من العبيد. ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا : إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف الرجال.

وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً : أي خدمًا من زوجة وولد ولد وخادم وختن. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾.

أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ : أي بعبادة الأصنام يؤمنون؟ ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) كون المسند فعلًا وهو: أنزل من السماء ماءً أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء، والمراد من السماء السحاب.

مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾.

مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا: **أي بإنزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض.** ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا: **أي هو عبدًا مملوكًا.إلخ.** عَبْدًا مَّمْلُوكًا: **أي ليس بحر بل هو عبد مملوك لغيره.** ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾.

هَلْ يَسْتَوُۥنَ: **أي العبيد العجزة والحر المتصرف والجواب لا يستوون قطعًا.** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾(1).

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا: **أي هو.** ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾: **أي ولد أخرس وأصم لا يسمع.**

لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ: **أي لا يَفهم ولا يُفهم غيره.**

وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ: **أي ابن عمه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء.** ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾.

وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾: **وهو الله ﷻ يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء.**

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: **أي ما غاب فيهما.**

وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ: **أي أمر قيامها، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها.** ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾.

وَٱلْأَفْـِٔدَةَ: **أي القلوب.** ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ: **أي مذللات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء أي: مذللات لأمر الله تعالىٰ، ومذللات لمنافعكم أيضًا.**

مَا يُمْسِكُهُنَّ: **أي عند قبض أجنحتها وبسطها، واصطفافها** ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: **تعالىٰ بقدرته وسننه في خلقه.** ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا: **أي مكانًا تسكنون فيه وتخلدون للراحة.**

وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا: **أي خيامًا وقبابًا.**

تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ: **أي ارتحالكم في أسفاركم.** ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ ﴾.

أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾: **كبسط وأكسية تبلىٰ وتتمزق وترمىٰ.** ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾.

---

(1) لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم؛ لأن الله تعالىٰ هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق، فلذا الحمد له وحده.

وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا : **أي ما تستظلون به من حر الشمس، وما تسكنون به في غيران الجبال.**

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ : **أي قمصانًا تقيكم الحر والبرد.**

وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ : **أي دروعًا تقيكم الضرب والطعان في الحرب.**

كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ : **أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبدوه وحده.** ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

وَيَوْمَ نَبْعَثُ : **أي اذكر يوم نبعث.** ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ : **هو نبيها.**

ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ : **أي بالاعتذار فيعتذرون.**

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ : **أي لا يطلب منهم العتبىٰ أي الرجوع إلىٰ اعتقاد وقول وعمل ما يرضي الله عنهم.** ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ **أي: عذاب جهنم بالدخول فيها، ومعنىٰ ينظرون: يمهلون.**

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ : **أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين.** ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾.

فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ : **أي ردوا عليهم قائلين لهم:** ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ : **أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.**

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ : **من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وتنجيهم من عذابه، ومعنىٰ ضل: غاب.**

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ : **أنه عقارب وحيات كالنخل الطوال والبغال الموكفة.** ﴿بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ : **أي القرآن.**

تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ : **أي لكل ما بالأمة من حاجة إليه في معرفة الحلال والحرام، والحق والباطل، والثواب والعقاب.** ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ : **الإنصاف، ومنه التوحيد.** ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ : **أداء الفرائض وترك المحارم مع مراقبة الله تعالىٰ.**

وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ : **أي إعطاء ذي القربىٰ حقوقهم من الصلة والبر.**

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ : **الزنا.** ﴿وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ﴾ : **أي يأمركم وينهاكم.**

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ : **أي تتعظون.** ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟

ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[(١)].

بَعْدَ تَوْكِيدِهَا : أي تغليظها. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾.

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا : أي أفسدت غزلها بعدما غزلته، وهي حمقاء مكة وتدعىٰ ربطة بنت سعد بن تيم قرشية.

مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ : أي إحكام له وبرم.

أَنكَٰثًا : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام.

تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ : الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة.

أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ : أي أكثر منها عددًا وقوة[(٢)]. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ : أي لأجل الإفساد والخديعة.

فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ : أي العذاب. ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ : يفنىٰ وينتهي. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ : أي والحال أنه عندما عمل صالحًا كان مؤمنًا إذ بدون إيمان لا عمل يقبل.

فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال، وفي الآخرة هي حياة الجنة.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ : أي يجزيهم علىٰ كل أعمالهم حسنها وأحسنها بحسب الأحسن فيها.

فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ : أي أردت أن تقرأ القرآن.

فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لحمايتك من

---

(١) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم «لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام، لأن الإسلام جاء بنصرة المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبين في شريعته.

(٢) إفسادًا وخديعة كأن تحالفوا جماعةً وتعاهدوها، ثم تنقضوا عهدكم وتحلوا ما أبرمتم من عهد وميثاق وتعاهدوا جماعة أخرىٰ لأنها أقوىٰ وتنتفعوا بها أكثر. هذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة أكثر من جماعة رجالًا وسلاحًا أو مالًا ومنافع.

وسواسه.

إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾: **أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم ما داموا متوكلين على الله.** ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ: **أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد.** ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ: **أي جبريل عليه السلام.**

مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟: **أي على إيمانهم.** ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾.

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ: **يعنون قينًا (حدادًا) نصرانيًّا في مكة.**

لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ: **أي يميلون إليه.** أَعْجَمِىٌّ.

وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾: **أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي.** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ: **أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به.** ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا: **أي فتح صدره للكفر وشرحه له فطابت نفسه له.** ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾.

وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾: **أي عما يراد بهم.**

لَا جَرَمَ: **أي حقًّا.**

أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾: **أي لمصيرهم إلى النار خالدين فيه أبدًا.**

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟: **أي إلى المدينة.**

مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟: **أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين.**

ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا: **أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على الإيمان والجهاد.**

لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾: **أي غفور لهم رحيم بهم.**

۞ يَوْمَ تَأْتِى: **أي اذكر يا محمد يوم تأتي.** ﴿كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ : هي مكة.

كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا: أي واسعًا.

مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ : أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش.

فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ : أي بسبب قحط أصابهم حتىٰ أكلوا العهن لمدة سبع سنين.

وَٱلۡخَوۡفِ : حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم. ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

فَكُلُواْ : أيها الناس. ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾: أي غير حرام ولا مستقذر.

وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ . أي بعبادته وحده وبالانتهاء إلىٰ ما أحل لكم عما حرمه عليكم.

إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾: أي إن كنتم تعبدونه وحده فامتثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم وذروا ما حرم عليكم[1].

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ : أي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير تذكية شرعية.

وَٱلدَّمَ : أي الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم.

وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ : أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالىٰ.

فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ : أي غير باغ علىٰ أحد ولا عاد أي متجاوز حد الضرورة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾﴾.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ : أي لا تحلوا ولا تحرموا بألسنتكم كذبًا علىٰ الله فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله تعالىٰ. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ: أي اليهود[2].

حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ : أي في سورة «الأنعام» [الآية ١٤٦]. ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾. إلخ. ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ : أي ثم إن ربك غفور رحيم للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا.

---

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ لتمييز الطيب من الخبيث ذكر تعالىٰ هنا أربع محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلا أن هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذُبح علىٰ النصب فالخمسة الأولىٰ تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله.

(٢) تقديم الجار والمجرور: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا ﴾ للاهتمام وللإشارة إلىٰ أن ذلك التحريم كان انتقامًا منهم، ولم يكن شرعًا لإكمالهم وإسعادهم.

إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا : أي من بعد الجهالة والتوبة. ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩﴾.

إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ : أي إمامًا جامعًا لخصال الخير كلها قدوة يقتدىٰ به في ذلك.

قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا : أي مطيعًا لله حنيفًا: مائلًا إلىٰ الدين القيم الذي هو الإسلام. ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾.

شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ : أي ربه اصطفاه للخُلّة بعد الرسالة والنبوة. ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾.

وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ : هي الثناء الحسن من كل أهل الكتب السماوية. ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾.

إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ : أن اليهود أُمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا إلا السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم فيه عقوبة لهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤﴾.

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ : أي إلىٰ طاعته إذ طاعة الله موصلة إلىٰ رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.

بِٱلۡحِكۡمَةِ : أي بالقرآن والمقالة الحكيمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.

وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ : هي مواعظ القرآن، والقول الرقيق الحسن.

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ : أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾.

وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ : أي خير من الانتقام عاقبة. ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾.

وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ : أي لا تهتم بمكرهم، ولا يضق صدرك به.

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ : أي اتقوا الشرك والمعاصي.

وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ : أي في طاعة الله، ومعيتُه تعالىٰ هي نصره وتأييده لهم في الدنيا.

❁❁❁❁

الباب الرابع
من سورة «سبحان» أي: «الإسراء»
حتى سورة «الفرقان»

١٧ - سُورَةُ الإِسْرَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ : **أي تنزه وتقدس عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وهو الله جل جلاله.**

ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ : **أي بعبده ورسوله محمد ﷺ .**

لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ : **أي الذي بمكة.**

إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا : **أي الذي ببيت المقدس.** ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾[١] .

لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ : **أي من عجائب قدرتنا ومظاهر ذلك في الملكوت الأعلىٰ.** ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١﴾ .

وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ **أي التوراة.** ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى﴾ : **أي جعلنا الكتاب أو موسىٰ هدىٰ أي هاديًا.**

لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝٢ : **أي حفيظًا أو شريكًا.**

ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ : **أي في السفينة.** ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ۝٣﴾ .

وَقَضَيۡنَآ : **أي أعلمناهم قضاءنا فيهم.** ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ : **أي التوراة.**

لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ[٢] وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ۝٤ : **أي بغيًا عظيمًا.**

فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا : **أي أولىٰ المرتين.** ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ : **أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون.**

وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ : **أي منجزًا لم يتخلف.**

ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ : **أي رجالًا في الحرب.**

إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ : **أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها علىٰ الوجه المشروع لها.**

أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ : **أي أن الأجر والمثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا علىٰ غيركم.**

وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ : **أي في الطاعة فإلىٰ أنفسكم سوء عاقبة الإساءة.**

فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ : **أي المرة الآخرة المقابلة للأولىٰ[٣] وقد تقدمت.**

---

(١) أي حول المسجد الأقصىٰ معنىٰ حوله: خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار، وأما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجرها؛ إذ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة أجرًا ومثوبة.

(٢) أي: بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب.

(٣) وتم هذا - أي وقت المرة الأولىٰ - لما أفسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالىٰ حتىٰ قتلوا نبيهم (أرميا) عليه السلام، وكان هذا علىٰ يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم

﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهمِّ الذل.
﴿وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ﴾ : أي بيت المقدس.
﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميرًا.
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ : أي وإن رجعتم إلىٰ الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم.
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ : أي محبسًا وسجنًا وفراشًا يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم.
﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ : أي الطريقة التي هي أعدل وأصوب.
﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ : إنها الجنة دار السلام.
﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ : إنه عذاب النار يوم القيامة.
﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ : أي علىٰ نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب.
﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ : أي يدعو بالشر كدعائه بالخير.
﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ : أي سريع التأثر بما يخطر علىٰ باله فلا يتروىٰ ولا يتأمل.
﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ : أي علامتين دالتين علىٰ وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته.
﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ : أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس.
﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ : أي يبصر الإنسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها.
﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ : أي عدد السنين وانقضائها وابتداء دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾.
﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ : أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء.
﴿فِي عُنُقِهِ﴾ : أي ملازم له لا يفارقه حتىٰ يفرغ منه. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾.
﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ : أي كفىٰ نفسك حاسبًا عليك. ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾.
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ : أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرىٰ. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

=

مع جيوشه ما أخبر تعالىٰ به في قوله: ﴿فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ﴾.

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا : منعميها من أغنياء ورؤساء.

فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ : أي بالعذاب. ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا : أي بالعذاب.

مِنَ ٱلْقُرُونِ : أي من أهل القرون السابقة.

مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ : أي عليمًا بصيرًا بذنوب العباد.

مَّن كَانَ يُرِيدُ : أي الدنيا لسرعة انقضائها. ﴿ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾.

ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ : أي يدخلها ملومًا مبعدًا من الجنة.

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ : أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيمان والعمل الصالح.

فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ : أي عملهم مقبولًا مثابًا عليه من قبل الله تعالىٰ.

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ : أي كل فريق من الفريقين نعطي.

مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ : أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظورًا أي ممنوعًا عن أحد.

ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ : أي في الرزق والجاه. ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾.

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ : أي لا تعبد مع الله تعالىٰ غيره من سائر المعبودات الباطلة.

فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ : أي فتصير مذمومًا من الملائكة والمؤمنين، مخذولًا من الله تعالىٰ.

۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ : أي أمر وأوصىٰ.

أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا وذلك ببرهما. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾.

فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ : أي تبًّا أو قبحًا أو خسرانًا.

وَلَا تَنْهَرْهُمَا : أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية.

وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ : جميلًا لينًا.

وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ : أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما. ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾ أي: مؤدين لحقوق الله تعالىٰ وافية وحقوق عباده كذلك.

فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ : أي الرجاعين إلىٰ الطاعة بعد المعصية. ﴿غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾.

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ : أي أعط أصحاب القرابات حقوقهم من البر والصلة.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾: أي ولا تنفق[1] المال في غير طاعة الله ورسوله. ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾: أي كثير الكفر كبيره لنعم ربه تعالىٰ، فكذلك المبذر أخوه.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾: أي عن المذكورين من ذي القربىٰ والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئًا.

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أي طلبًا لرزق ترجوه من الله تعالىٰ.

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾: أي لينًا سهلًا بأن تعدهم بالعطاء عند وجود الرزق.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلىٰ عنقك فلا تستطيع أن تعطي شيئًا.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تُبق شيئًا.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.

﴿مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾: أي منقطعًا عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي يوسعه ويقدر أي يضيقه امتحانًا وابتلاء. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: أي خوف الفقر وشدته.

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾: أي إثمًا عظيمًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسبيلًا بئس السبيل. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أي لوارثه تسلطًا علىٰ القاتل[2].

﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾: أي لا يقتل غير القاتل[3]. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أي إلا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته والإنفاق عليه منه بالمعروف.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾: أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾: أي عنه وذلك بأن يسأل العبد يوم القيامة لم نكث عهده؟

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: أي أتموه ولا تنقصوه.

---

(١) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذرًا، ولو أنفق مدًّا في غير حق كان مبذرًا.

(٢) الولي: هو المستحق الدم رجلًا كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

(٣) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.

إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ : أي الميزان السوي المعتدل.

ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ : أي مآلًا وعاقبة.

وَلَا تَقْفُ : أي ولا تتبع. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ أي القلب.

كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ : أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة.

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا : أي ذا مرح بالكبر والخيلاء.

إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ : أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك. ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾.

ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ : أي التي هي معرفة المحاب لله تعالىٰ للتقرب بها إليه ومعرفة المساخط لتتجنبها تقربًا إليه تعالىٰ بذلك.

وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ : أي تلوم نفسك علىٰ شركك بربك مبعدًا من رحمة الله تعالىٰ.

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ : الاستفهام للتوبيخ والتقريع، ومعنىٰ أصفاكم: خصكم بالبنين واختارها لكم. ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ : أي بينًا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبر.

لِيَذَّكَّرُوا: أي ليذكروا فيتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾.

إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾: أي لطلبوا طريقًا إلىٰ الله تعالىٰ للتقرب إليه وطلب المنزلة عنده. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾.

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ : أي في السموات من الملائكة والأرض من إنسان وجانٍّ وحيوان.

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ: أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات.

وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة علىٰ معصيتكم إياه وعدم طاعتكم له.

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾: أي ساترًا لهم فلا يسمعون كلام الله تعالىٰ[1].

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ: أكنة: أي أغطية علىٰ القلوب فلا تعي ولا تفهم، أن يفقهوه أي: لئلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه.

---

(١) ساترًا: أي للرسول ﷺ حتىٰ لا يراه من أراده بسوء، ومستورًا: أي الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً ولكن لا يُرىٰ.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾: أي ثقلًا فلا يسمعون القرآن ومواعظه.

﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ٤٥﴾: أي فرارًا من السماع حتىٰ لا يسمعوا.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ.

﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾: أي يتناجون بينهم يتحدثون سرًّا.

﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٤٦﴾: أي مغلوبًا علىٰ عقله مخدوعًا.

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: أي قالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: شاعر.

﴿فَضَلُّواْ﴾: أي عن الهدىٰ. ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ٤٧﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾: الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والرفات الأجزاء المتفرقة. ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٨ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠﴾.

﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾: أي يعظم عن قبول الحياة(١) في اعتقادكم.

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ﴾: خلقكم.

﴿أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾: أي يحركون رءوسهم تعجبًا.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ﴾: الاستفهام للاستهزاء أي متىٰ هذا البعث الذي تعدنا. ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾.

﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾: أي يناديكم من قبوركم علىٰ لسان إسرافيل.

﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾: أي تجيبون قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ٥٢﴾: وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا قليلًا.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾: أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾: أي يفسد بينهم.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾: أي بين العداوة ظاهرها.

﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ﴾: هذه هي الكلمة التي هي أحسن. ﴿إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ﴾.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾، عن مجاهد: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: هو الموت، وعن ابن عمر أنه قال في تفسير هذه الآية: لو كنتم موتىٰ لأحييتكم وكذلك قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم.

ومعنىٰ ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلىٰ الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذ أراده. وقال مجاهد: ﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾: يعني السماء والأرض والجبال، وفي رواية: ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم، وقوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾: أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدًا أو خلقًا آخر شديدًا ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئًا مذكورًا، ثم صرتم بشرًا تنتشرون، فإنه قادر علىٰ إعادتكم ولو صرتم إلىٰ أي حال. اهـ(قل).

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾: أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان. ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾.

وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾: أي كتابًا هو الزبور، هذا نوع من التفضيل(1).

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ: أي لا يستطيعون.

كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ: أي إزالته بشفاء المريض.

وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾: أي للمرض من شخص مريض إلىٰ آخر صحيح ليمرض به.

أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ: أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم.

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ: أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات. ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ﴾.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾: أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالىٰ. ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ﴾(2)

كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾: أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبًا.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ: أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلىٰ جبل ذهب. أو إزالة جبال مكة لتكون أرضًا زراعية وإجراء العيون فيها.

إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ: إذ طلب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله تعالىٰ.

وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً: أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بيِّنة.

فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ: أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالىٰ.

وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾: إلا من أجل تخويف العباد بأنا إذا أعطيناهم الآيات ولم يؤمنوا أهلكناهم.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ: أي قدرة وعلمًا فهُم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم.

وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا(3) ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ: هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب

---

(1) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلىٰ ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد، والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن علىٰ محمد ﷺ.

(2) ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلا بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل وعدل، وأرحم من يرحم ورحم، وقد جاء هذا الوصف في عدة آيات منها: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا﴾ وفي الآية تهديد ووعيد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنىٰ والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(3) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب علىٰ الرؤيا في المنام، ويطلق علىٰ رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ..﴾ إلخ قال: هي الرؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلىٰ بيت المقدس.

خلق الله تعالىٰ.

إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ [(١)] وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في «الصافات» و«الدخان».

وَنُخَوِّفُهُمْ : بعذابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة، وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم.

فَمَا يَزِيدُهُمْ : أي التخويف. ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝٦٠ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾.

قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١ : أي من الطين.

قَالَ أَرَءَيْتَكَ : أي أخبرني.

هَٰذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ : أي فضلته علي بالسجود له. ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾.

لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ : لأستولين عليهم فأقودهم إلىٰ الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في حنكها، تقاد حيث شاء راكبها.

إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢ : منهم ممن تستخلصهم لعبادتك.

قَالَ اذْهَبْ : أي منظرًا إلىٰ وقت النفخة الأولىٰ.

فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝٦٣ : أي وافرًا كاملًا.

وَاسْتَفْزِزْ : أي واستخف.

مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ : أي بدعائك إياهم إلىٰ طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني واللهو [(٢)].

وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم : أي صح فيهم.

بِخَيْلِكَ : أي بركبانك.

وَرَجِلِكَ : أي مشاتك.

وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَٰلِ : بحملهم علىٰ أكل الربا وتعاطيه.

وَالْأَوْلَٰدِ : بتزيين الزنا ودفعهم إليه.

وَعِدْهُمْ : أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء.

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤ : أي باطلًا.

إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ : أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تتسلط عليهم بها.

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ۝٦٥ : أي حافظًا لهم منك أيها العدو.

---

(١) أي لأهل مكة اختبارًا لهم هل يصدقون أو يكذبون.

(٢) من أقوال أحد أعداء الإسلام: (كأس ومغنية يفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعله مائة مدفع). حقًّا كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧﴾ [النساء: ٢٧] (قل).

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ: **أي يسوقها فتسير فيه.**

لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ: **أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلىٰ آخر** ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾.

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ: **أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق.**

ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ: **أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم.**

فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ: **أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك.** ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

أَفَأَمِنتُمْ: **الله تعالىٰ.**

أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ: **جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر**[1].

أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا: **أي ريحًا ترمي بالحصباء لشدتها.**

ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾: **أي حافظًا منه أي من الخسف أو الريح الحاصب.**

أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ: **أي ريحًا شديدة تقصف الأشجار وتكسرها لقوتها.**

فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾: **أي نصيرًا ومعينًا يتبعنا ليثأر لكم منا.**

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ: **أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق.**

وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ: **في البر علىٰ البهائم، والبحر علىٰ السفن.** ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ: **أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر.** ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾.

وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾: **أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.**

وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ: **من كان في الدنيا أعمىٰ عن حجج الله تعالىٰ الدالة علىٰ وجوده وعلمه وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبده.**

فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾: **أي أشد عمىً وأضل سبيلًا.**

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ: **أي يستزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.**

لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ: **أي لتقول علينا افتراء غير الذي أوحينا إليك.**

وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾: **أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لاتخذوك خليلًا لهم.** ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾.

إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ: **أي لعذبناك عذاب الدنيا مضاعفًا وعذاب الآخرة كذلك.** ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

---

(1) الميناء.

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ : أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.

لِيُخْرِجُوكَ [(١)] مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾: أي لا يبقون خلفك أي بعدك إلا قليلًا ويهلكهم الله.

سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ : أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل؛ سنتنا في الأمم.

وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾: أي عما جرت به في الأمم السابقة.

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ : أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلىٰ جهة الغرب[(٢)].

إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ : أي إلىٰ ظلمة الليل، إذ الغسق الظلمة.

وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ : صلاة الصبح.

إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ : تشهده الملائكة ملائكة الليل وملائكة النهار.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ : أي بالقرآن.

نَافِلَةً لَّكَ : أي زائدة عن الفرض وهي التهجد بالليل.

عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ : هو الشفاعة العظمىٰ يوم القيامة حيث يحمده الأولون والآخرون.

وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ : أي المدينة، إدخالًا مرضيًّا لا أرىٰ فيه مكروهًا.

وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ : أي من مكة إخراجًا لا ألتفت بقلبي إليها. ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾.

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ : أي عند دخولك مكة فاتحًا لها بإذن الله تعالىٰ.

إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ : زهق الباطل أي ذهب واضمحل. ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ [(٣)] أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ : أعرض عن الشكر فلم يشكر ونأىٰ بجانبه: أي ثنىٰ عطفه متبخترًا في كبرياء. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ : أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدىٰ والضلال. ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾.

---

(١) الاستفزاز: الحمل علىٰ الترحل، وهو استفعال من فز يفز بمعنىٰ: بارح المكان، والمعنىٰ: كادوا أن يخرجوك من بلدك كرهًا، ثم صرفهم الله عنك حتىٰ خرجت برضاك واختيارك؛ فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من بلدك.

(٢) وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر وهو الأشهر، ويرىٰ البعض أن دلوك الشمس هو غروبها.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن و«أل» فيه للجنس فيشمل اللفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلىٰ الإسلام.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ : أي يسألك المشركون بواسطة أهل الكتاب عن الروح الذي يحيا به البدن.

قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى : أي من شأنه وعلمه الذي استأثر به ولم يعلمه غيره. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾.

وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ : أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف لفعلنا.

ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ : يمنع ذلك منا ويحول دون ما أردناه منك.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ : أي لكن أبقيناه عليك رحمة من ربك فلم نذهب به. ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾.

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ : من الفصاحة والبلاغة والمحتوىٰ من الغيوب والشرائع والأحكام.

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ : أي معينًا ونصيرًا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ : بينا للناس مثلًا من جنس كل مثل ليتعظوا به فيؤمنوا ويوحدوا.

فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ : أي أهل مكة إلا كفورًا أي جحودًا للحق وعنادًا فيه. ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ : عينًا لا ينضب ماؤها فهي دائمة الجريان.

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ : بستان كثير الأشجار. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾﴾.

أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا : قطعًا، جمع كسفة كقطعة.

أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ : مقابلة لنراهم عيانًا[1].

أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ : من ذهب.

أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ : تصعد في السماء. ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ : علىٰ أني رسول الله إليكم بلغتكم، وعلىٰ أنكم كفرتم

---

(١) فسر قبيلًا بعدة تفسيرات: قال ابن عباس: كفيلًا، وقال مقاتل: شهيدًا، وقال مجاهد: جمع القبيلة أي: بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل: ضمناء يضمنون لنا إتيانك به، وما في التفسير أولىٰ وأظهر في تفسير الآية.

وعاندتم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ﴾.

فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ : يهدونهم.

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ : أي يمشون علىٰ وجوههم.

عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ : لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون[1].

مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ : أي سكن لهبها زدناهم سعيرًا أي تلهبًا واستعارًا.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ : أي منكرين للبعث. ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾.

۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ : أي أناسًا مثلهم.

وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ : وقتًا محددًا ﴿فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ : أي من المطر والأرزاق.

إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ : أي منعتم الإنفاق.

خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ : خوف النفاد.

وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ : أي كبير الإقتار أي: البخل والمنع للمال.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ : أي معجزات بينات أي واضحات وهي اليد والعصا والطمس... إلخ. فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ : أي مغلوبًا علىٰ عقلك، مخدوعًا.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ : أي الآيات التسع. ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾.

وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ : هالكًا بانصرافك عن الحق والخير.

فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ : أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر. ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾.

وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ : أي أرض القدس والشام.

فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ : أي الساعة.

جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ : أي مختلطين من أحياء وقبائل شتىٰ.

وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ : أي القرآن.

---

(١) هذا في حال حشرهم إلىٰ جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصرحة بذلك منها: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ..﴾ ومنها: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، ومنها: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ..﴾.

وَبِالْحَقِّ نَزَلَ : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾.

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ : أي نزّلناه مفرقًا في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك.

لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ : أي علىٰ مهل وتؤدة ليفهمه المستمع إليه.

وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ : أي شيئًا فشيئًا حسب مصالح الأمة لتكمل به ولتسعد عليه.

قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ : أي مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي.

إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ : أي سجدًا علىٰ وجوههم، ومن سجد علىٰ وجهه فقد خر علىٰ ذقنه ساجدًا.

وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ : منجزًا واقعًا، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت به كتبه وأنزل عليه كتابه. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما: الله أو الرحمن.

أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنىٰ وهذان منها.

وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن.

وَلَا تُخَافِتْ بِهَا : أي ولا تسر به إسرارًا حتىٰ ينتفع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك بصلاتك.

وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ : أي اطلب بين السر والجهر طريقًا وسطًا.

وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا : كما يقول الكافرون.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ : كما يقول المشركون.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك الملك ذو الجلال والإكرام. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾[1] : أي عظمه تعظيمًا كاملًا عن اتخاذ الولد والشريك والولي من الذل.

❁❁❁❁

(١) الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر بعد طبع الكتاب وجدت كلامًا نحو هذا للنووي رحمه الله في التبيان (قل).

١٨- سورة الكهف

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ : الحمد الوصف بالجمال، والله عَلَم على ذات الرب تعالىٰ.

ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ : القرآن الكريم.

وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ : أي ميلًا عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه.

قَيِّمًا : أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه من التوحيد والعبادة والآداب والشرائع والأحكام.

لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا : عذابًا ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة.

مِّن لَّدُنْهُ : من عنده سبحانه وتعالى.

وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ : أي الجنة إذ هي أجر المؤمنين العاملين بالصالحات. ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ : أي عظمت فرية وهي قولهم: الملائكة بنات الله.

إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ : أي ما يقولون إلا كذبًا بحتًا لا واقع له من الخارج.

فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ [1] نَّفْسَكَ : قاتل نفسك كالمنتحر.

عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ : أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن الشديد. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾.

وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ : أي ترابًا لا نبات فيه، فالصعيد هو التراب، والجرز الذي لا نبات فيه.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ : النقب الواسع في الجبل والضيق منه يقال له: (غار).

وَٱلرَّقِيمِ : لوح حجري رقمت فيه أسماء أصحاب الكهف. ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾[2].

إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ : اتخذوه مأوىٰ لهم ومنزلًا نزلوا فيه، والفتية: جمع فتىٰ وهم شبان مؤمنون.

---

(١) ﴿بَٰخِعٌ﴾ مهلك نفسك، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما الباخع بقاتل نفسه من شدة الحزن.

(٢) ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلق ومخلوقات السموات والأرض، بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير، وإن إماتة الأحياء أعجب من إماتة أصحاب الكهف.

فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ : أي يسر لنا طريق رشد وهداية.

فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ : أي ضربنا علىٰ آذانهم حجابًا يمنعهم من سماع الأصوات والحركات.

فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ : أي أعوامًا عدة.

ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ : أي من نومهم بمعنىٰ أيقظناهم.

لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ : أي أضبط لأوقات بعثهم في الكهف.

أَمَدًا ﴿١٢﴾ : أي مدة محدودة معلومة.

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ : أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ : أي إيمانًا وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتىٰ صبروا علىٰ الهجرة.

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتىٰ قالوا كلمة الحق عند سلطان جائر.

إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا : لن نعبد من دونه إلهًا آخر. ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾.

لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ : أي هلَّا يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالىٰ يدعوها ويعبدها.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ : أي انزلوا في الكهف تستترون به عن أعين أعدائكم المشركين.

يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ : أي يبسط من رحمته عليكم بنجاتكم مما فررتم منه.

وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم : وييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب.

مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ : أي ما ترتفقون به وتنتفعون من طعام وشراب وإواء.

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ : أي تميل.

عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ : تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم.

ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ : متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها.

ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ : أي دلائل قدرته. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾.

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا : جمع يقظ أي منتبهين لأن أعينهم منفتحة. ﴿وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾.

بِٱلْوَصِيدِ : فناء الكهف.

لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ : منعهم الله بسببه من الدخول

عليهم.

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ: أي كما أنمناهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم من رقادهم بعثًا خارقًا للعادة أيضًا فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم كذلك. ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾.

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ: أي في الكهف نائمين.

قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ: لأنهم دخلوا الكهف صباحًا واستيقظوا عشية. ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ: بدراهم الفضة التي عندكم.

إِلَى ٱلْمَدِينَةِ: أي المدينة التي كانت تسمىٰ أفسوس وهي طرسوس اليوم.

فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا: أي أيُّ أطعمة المدينة أحل أي: أكثر حلية.

فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ: أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء. ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾.

إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ: أي يقتلوكم رميًا بالحجارة. ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ: أطلعنا عليهم أهل بلدهم.

لِيَعْلَمُوٓاْ: أي قومهم.

أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ: أن البعث حق للأجساد والأرواح معًا.

وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ: أي الكفار قالوا: ابنوا عليهم أي حولهم بناء يسترهم.

فَقَالُواْ: أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم. ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾.

رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ: وهم المؤمنون.

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾: لنتخذن حولهم مسجدًا يصلىٰ فيه[1]. ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

---

[1] وفعلاً بنوه علىٰ مقربة من فم الغار بالكهف.

(ويظهر بهذا):

١- مصداق قول الرسول ﷺ «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وقوله: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا علىٰ قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق يوم القيامة» (في الصحيحين).

٢- مصداق قوله ﷺ «لتتبعن سَنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع» (رواه مسلم). إذ قد بنىٰ المسلمون علىٰ قبور الأولياء والصالحين المساجد بعد القرون المفضلة حتىٰ أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو قبور.

رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ : أي قذفًا بالظن غير يقين علم. ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾.

مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ : أي من الناس.

فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ : لا تجادل في عدتهم.

إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا : أي جدالًا بينًا.

وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ : أي من أهل الكتاب، الاستفتاء: الاستفهام والسؤال.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾.

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ : أي إلا أن تقول: إن شاء الله(1).

وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ (2) وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ : هداية وأظهر دلالة علىٰ نبوتي من قصة أصحاب الكهف.

وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ : أي أن الفتية لبثوا في كهفهم رقودًا من ساعة دخوله إلىٰ أن أعثر الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين بالحساب القمري.

قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ : أي علم غيب السموات والأرض وهو ما غاب فيهما.

أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ : أي أبصر بالله وأسمع به صيغة تعجب، والأصل ما أبصره وما أسمعه.

مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ : أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله ولىٰ أي: من ناصر.

وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ : لأنه غني عما سواه ولا شريك له.

وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ : أي اقرأ القرآن تعبدًا ودعوة وتعليمًا.

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.

وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ : أي ملجأ تميل إليه احتماءً به.

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ : أي احبسها.

---

(1) جاء في كتاب «منهاج المسلم» للشيخ الجزائري أيضًا أثابه الله ص ٤٩٩ تحت عنوان ما تسقط به الكفارة: (٢ – أن يستثني حال حلفه بأن يقول: إن شاء الله، أو إلا أن يشاء الله، إذا كان الاستثناء بالمجلس الذي حلف فيه، لقوله ﷺ : «من حلف فقال: إن شاء الله لم يحنث» وإذا لم يحنث فلا إثم عليه ولا كفارة. رواه أصحاب السنن إلا أبا داود وفيه ضعف، والجمهور علىٰ العمل به لما يشهد له من رواية أبي داود عن ابن عمر: «من حلف علىٰ يمين فقال: إن شاء الله فقد استثنىٰ» أقول: والشرط في ذلك كله الصدق في القسم والاستثناء خاصة أثناء القسم وعند حدوث العذر المانع من إبرار القسم والله أعلم .ا.هـ(قل) .

(2) ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج.

مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ : أي طاعته ورضاه لا عرضًا من عرض الدنيا.

وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ : أي لا تتجاوزهم بنظرك إلىٰ غيرهم من أبناء الدنيا.

تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ : أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر.

وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا : أي جعلناه غافلًا عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا.

وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ : أي ضياعًا وهلاكًا. ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾.

إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ : حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار.

وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ : أي كعكر الزيت أي الدردي وهو ما يبقىٰ في أسفل الإناء ثخنًا رديئًا. ﴿يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾.

بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ.

وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ : أي ما رق من الديباج.

وَإِسۡتَبۡرَقٖ : ما غلظ منه أي من الديباج. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾﴾.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ : أي اجعل لهم مثلًا هو رجلين..إلخ.

جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ : أي بستانين.

مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ : أي أحطناهما بنخل. ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾﴾.

كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا : أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل.

وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ : أي ولم تنقص منه شيئًا بل أتت به كاملًا ووافيًا.

وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ : أي خلال الأشجار والنخيل نهرًا جاريًا.

وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ : أي يحادثه ويتكلم معه.

أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ : أي عشيرة ورهطًا.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا[1] ﴿٣٥﴾ : أي تفنىٰ وتذهب.

وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ : أي مرجعًا في الآخرة.

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ : الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب باعتبار الأصل هو آدم.

ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ : أي مني.

---

(١) الظن هنا بمعنىٰ الاعتقاد، ومعنىٰ تبيد: تفنىٰ وتهلك.

ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ : أي عدلك وصيرك رجلًا.

لَّٰكِنَّا۠ : أي لكن أنا، حذفت الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكنا.

هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي : أي أنا أقول: الله ربي. ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾.

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ : أي يكون وما لم يشأ لم يكن (١).

لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ : أي لا قوة لأحد علىٰ فعل شيء أو ترك شيء إلا بإقدار الله تعالىٰ له وإعانته عليه. ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾.

وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ : أي عذابًا ترمىٰ به فتتول إلىٰ أرض ملساء دحضًا لا يثبت عليها قدم.

فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ : ترابًا أملس لا ينبت زرعًا ولا يثبت عليه قدم.

أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ : أي غائرًا في أعماق الأرض فلا يقدر علىٰ استنباطه وإخراجه.

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء.

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ : ندمًا وحسرة.

عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا : من جهد كبير ومال طائل.

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا : أي ساقطة علىٰ أعمدتها التي كان يعرش بها للكرم، وعلىٰ جدران مبانيها. ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه. ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾.

هُنَالِكَ : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة.

ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ : أي الملك والسلطان الحق لله تعالىٰ.

هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ : أي الله تعالىٰ خير من يثيب وخير من يعقب أي: يجزي بخير.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : المثل: الصفة المعجبة. ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾.

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا : يابسًا متفتتًا.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة، وقد روي في حديث مرفوع عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله علىٰ عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرىٰ فيه آفة دون الموت» أخرجه الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي وكان يتأول هذه الآية: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾. [ضعيف: انظر ضعيف الجامع](قل).

﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾: أي تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويبوسته.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾: أي كامل القدرة لا يعجزه شيء.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي يتجمل بما فيها.

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾: هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾: أي ما يأمله الإنسان وينتظره من الخير.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: أي تقتلع من أصولها وتصير هباء منبثًا[1].

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة إذ فني كل ما كان عليها من عمران.

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾: لم نترك منهم أحدًا. ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾: أي معيدًا لبعثكم أحياء للحساب والجزاء.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن بيمينه والكافر بشماله.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾: خائفين.

﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾: أي يا هلكتنا احضري هذا أوان حضورك.

﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها غدًا.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: مثبتًا في كتابهم، مسجلًا فيها. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: أي حيوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾: أي الشيطان أبىٰ السجود ورفضه وهو معنىٰ فسق عن أمر ربه أي خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: الاستفهام للاستنكار، ينكر تعالىٰ علىٰ بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجبًا لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك ؟!

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾: قبح بدلًا طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله. ﴿۞ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾: أي ما كنت متخذ الشياطين من الإنس والجن أعوانًا في الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصونني؟ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾.

---

[1] هذا علىٰ قراءة (تُسَيَّر) بالتاء المضمومة للبناء للمفعول.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾: أي واديًا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعًا هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق: حاجز بين المشركين وما كانوا يعبدون بدليل قوله: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾.

وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا: أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبدًا[1].

وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾: أي مكانًا غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها[2].

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا: أي بينا وكررنا البيان. ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾: المثل: الصفة المستغربة العجيبة.

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾: أي مخاصمة[3] بالقول.

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ: أي العذاب بالإبادة الشاملة والاستئصال التام.

أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾: عيانًا ومشاهدة. ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾.

وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ: أي يبطلوا به الحق.

وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾: أي مهزوءًا به. ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾.

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً: أغطية.

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا: أي ثقلًا فهم لا يسمعون. ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾.

بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾: أي مكانًا يلجئون إليه. ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.

وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾: أي وقتًا معينًا لإهلاكهم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ: أي اذكر إذ قال موسىٰ بن عمران نبي بني إسرائيل لفتاه يوشع بن نون ابن أفرايم بن يوسف عليه السلام.

لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ: أي حين التقىٰ البحران: بحر فارس وبحر الروم.

أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾: الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب[4].

---

(١) ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين، وهو كثير في القرآن الكريم.

(٢) ﴿مَصْرِفًا﴾: أي: مهربًا لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلًا.

(٣) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ويحتمل المسلم؛ إلا أنه في الكافر أظهر وأكثر.

(٤) قال النحاس: الحقب: زمان من الدهر مبهم غير محدود، وورد الحقب مقدرًا بثمانين سنة، إلا أنه في قول موسىٰ هذا مراده الأول وهو زمن غير محدود.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ : أي طريقه في البحر سربًا أي: طريقًا كالنفق.

فَلَمَّا جَاوَزَا : أي المكان الذي فيه الصخرة، ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سربًا. ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ .

فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ : أي عجبًا لموسىٰ حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر طريقًا كالنفق في الجبل.

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ : أي يتتبعان آثار أقدامهما.

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ : هو الخضر عليه السلام. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ .

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ : أي ما هو رشاد إلىٰ الحق ودليل علىٰ الهدىٰ. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ .

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ : أي علمًا.

قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ : أي أنتهي إلىٰ ما تأمرني به وإن لم يكن موافقًا هواي.

قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ : أي بيانًا وتفصيلًا لما خفي عليك.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ .

لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ : أي فعلت شيئًا منكرًا. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ .

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا أطيق حمله فتضيق علي صحبتي إياك.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب.

بِغَيْرِ نَفْسٍ : أي بغير قصاص.

لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكر! وهو المنكر الشديد النكارة.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ : أي قال خضر لموسىٰ عليه السلام. ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ .

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا : أي بعد هذه المرة.

فَلَا تُصَٰحِبْنِى : أي لا تتركني أتبعك.

قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ : أي من قبلي (جهتي) عذرًا في عدم مصاحبتي لك.

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ : مدينة أنطاكية.

ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف.

فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ : أي قارب السقوط لميلانه.

فَأَقَامَهُۥ : أي الخضر بمعنىٰ أصلحه حتىٰ لا يسقط.

قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ : أي جُعلًا علىٰ إقامته وإصلاحه.

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ : أي قولك هذا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية الفراق.

سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ : أي تفسير ما كنت تنكره علي حسب علمك. ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾.

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب.

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ : أي يؤجرون سفينتهم للركاب.

فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا : أي أجعلها معيبة حتىٰ لا يرغب فيها.

وَكَانَ وَرَاءَهُم (١) مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ : أي قهرًا.

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ : أي يغشاهما ظلمًا وجحودًا.

فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنىٰ واحد. ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي ﷻ وعظمُ سلطانه. ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

وَيَسْأَلُونَكَ : أي كفار قريش بتعليم يهود لهم.

عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ : الإسكندر باني الإسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التابعة وكان عابدًا صالحًا.

قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ : سأقص عليكم من حاله خيرًا يحمل موعظة وعلمًا.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ : بالحكم والتصرف في ممالكها. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٢) ﴿٨٤﴾﴾ : أي يحتاج إليه سببًا موصلًا إلىٰ مراده.

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ : أي فأتبع السبب سببًا آخر حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مراده.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما

---

(١) جائز أن يكون الوراء علىٰ حقيقته: أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنىٰ أمام ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: (وكان أمامهم ملك).

(٢) أصل السبب الحبل واستعير لكل ما يتوصل به إلىٰ الشيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علمًا يتسبب به إلىٰ ما يريد فتوصل إلىٰ فتح البلاد وقهر الرجال الأعداء.

هو في نظر العين وإلا فالشمس في السماء والبحر في الأرض.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾: أي كافرين. ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾.

﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾: أي عظيمًا فظيعًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾: أي لينًا من القول سهلًا من العمل. ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا[(١)] ﴿٨٩﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي مكانًا تطلع منه.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾: القوم هم الزنج ولم يكن لهم.

﴿سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾: يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون فيها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي الأمر[(٢)] كما قلنا لك ووصفنا. ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾﴾ أحطنا بما لديه من قوة وأسباب مادية وروحية (خيرا) أي: علمًا كاملًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك: سد ذو القرنين ما بينهما فقيل فيهما سدان.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا[(٣)] قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾: لا يفقهون كلام من يخاطبهم إلا بشدة وبطء وهم يأجوج ومأجوج.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: قبيلتان من أولاد يافث بن نوح عليه السلام والله أعلم. ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: أي جُعلًا مقابل العمل.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾: السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ[(٤)] أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾: حاجزًا حصينًا وهو السد.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجرة التي يبنى بها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾: أي صدف الجبلين أي جانبهما.

﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾: القطر النُحاس المذاب.

---

(١) ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدم في مواصلة الغزو والفتح في المشرق.

(٢) جائز أن يكون المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير، وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك.

(٣) قوله: ﴿مِن دُونِهِمَا﴾؛ يعني: أمام السدين لا خلفهما إذ خلفهما يأجوج ومأجوج.

(٤) القوة: الرجال والمال.

فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ : أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته.

وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ : أي فتح ثغرة تحت تحته ليخرجوا منها.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ : أي ترابًا مساويًا للأرض. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ : أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون[1] ويجيئون في اضطراب كموج البحر. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾.

ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى : أي عن القرآن لا يفتحون أعينهم فيما تقرؤه عليهم بغضًا له أو أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لا تبصر الحق ولا تعرفه.

وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ : لبغضهم للحق والداعي إليه.

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ : الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى : كالملائكة وعيسىٰ ابن مريم والعزير وغيرهم[2].

مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ : أربابًا يعبدونهم بأنواع من العبادات.

إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ : النزل: ما يعد للضيف من قِرًىٰ وهو طعامه وشرابه ومنامه. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾.

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي بطَل عملُهم وفسد عليهم فلم ينتفعوا به.

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ : أي بعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء.

أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ : أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية.

وَلِقَآئِهِۦ : أي كفروا بالبعث والجزاء.

فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ : أي لا نجعل لهم قدرًا ولا قيمة بل نزدريهم ونذلهم.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ[3] جَهَنَّمُ : أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك؛ لأنهم بكفرهم وحبوط أعمالهم أصبحوا غثاء كغثاء السيل لا خير فيه ولا وزن له، فحسن أن يشار إليه بـ(ذلك). ﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ : أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح.

---

(١) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض: يأجوج ومأجوج، وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم الشياطين. وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعوهم إلىٰ عبادتهم.

(٣) وجائز أن تكون الإشارة بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلىٰ ترك الوزن وخسة القدر والخير، ﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾. و﴿جَهَنَّمُ﴾ بدل من ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ بدلًا مطابقًا فيه زيادة توكيد.

جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ : هو وسط الجنة وأعلاها، ونزلًا منزل إكرام وإنعام.

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ : أي لا يطلبون تحولًا منها لأنها لا خير منها أبدًا.

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا : أي ماؤه مدادًا.

لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ: أي ولم تنفد هي أي لم تفرغ.

قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى : أي قبل أن تفرغ. ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ : يأمل وينتظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقىٰ ربه تعالىٰ.

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ : أي لا يرائي بعمله أحدًا ولا يشرك في عبادة الله تعالىٰ غيره تعالىٰ.

❁❁❁❁

١٩ - سُورَةُ مَرْيَمَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾: هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص، وتقرأ كاف ها يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ: أي هذا ذكر رحمة ربك. ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾.

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ: أي قال: يا رب ليسأله الولد.

نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾: أي سرًّا بعدًا عن الرياء.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي: أي رق وضعف لكبر سني.

وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا: أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب.

وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾: أي إنك لم تخيبني فيما دعوتك فيه قبل فلا تخيبني اليوم فيما أدعوك فيه.

وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى: أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي[(١)].

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا: لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم.

فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾: أي ارزقني من عندك ولدًا.

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ: أي جدي يعقوب العلم والنبوة.

وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾: أي مرضيًا عندك. ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ[(٢)] ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾.

لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾: أي مسمىٰ يحيىٰ.

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ: أي من أي وجه وجهة يكون لي ولد.

وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾: أي يبست مفاصلي وعظامي. ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾[(٣)].

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً: أي علامة تدلني علىٰ حمل امرأتي.

---

(١) الموالي هنا: الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب، لأن العرب تسمي بني العم موالي.

(٢) تضمنت هذه البشرىٰ ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة، والثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسم بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ إشارة إلىٰ أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسمًا وذاتًا وحالًا وهو محمد ﷺ.

(٣) أي: فخلق الولد كخلقك.

قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ : أي حال كونك سويَّ الخلق ما بك عليه خرس.

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ : المصلىٰ الذي يصلي فيه وهو المسجد.

فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ : أومأ وأشار عليهم. ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾[1].

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ : الحكم والحكمة بمعنىٰ واحد وهما الفقه في الدين ومعرفة أسرار الشرع.

وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا : أي عطفًا علىٰ الناس موهوبًا له من عندنا.

وَزَكَوٰةٗۖ : أي طهارة من الذنوب والآثام. ﴿وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾﴾.

وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ : أي متعاليًا لا يقبل الحق، عصيًّا لا يطيع أمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر والديه.

وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ : أي أمان له من الشيطان أن يمسه بسوء يوم ولد.

وَيَوۡمَ يَمُوتُ : وأمان له من فتاني القبر يوم يموت.

وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ : وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حيًّا.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها.

مَرۡيَمَ : هي بنت عمران والدة عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

إِذِ ٱنتَبَذَتۡ : أي حين اعتزلت أهلها باتخاذها مكانًا خاصًّا تخلو فيه بنفسها.

مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ : أي شرق الدار التي بها أهلها.

فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا : أي ساترًا يسترها عن أهليها وذويها.

فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا : جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ : أي تام الخلق حتىٰ لا تفزع ولا تروع منه.

قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ : أي عاملًا بإيمانك وتقواك لله فابعدني ولا تؤذني.

قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ : ولدًا طاهرًا لم يتلوث بذنب قط.

قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ : أي لم أتزوج.

وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ : أي زانية.

قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب.

هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتىٰ يكون الولد.

---

(١) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيًّا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة؛ لأنه لم يقدر علىٰ الكلام؛ إذ جعل الله تعالىٰ عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.

وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ : أي على عظيم قدرتنا.

وَرَحْمَةً مِّنَّا : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ما جاء به.

وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتمًا لا محالة.

۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ : فاعتزلت به[1].

مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ : أي بعيدًا من أهلها.

فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ : أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة.

إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة.

قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ : أي شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ : أي عيسىٰ عليه السلام بعدما وضعته[2] ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ﴾.

سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ : أي نهرًا يقال له: سري.

وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ : الرطب الجني: ما طاب وصلح للاجتناء.

فَكُلِى وَٱشْرَبِى : أي كلي من الرطب واشربي من السري.

وَقَرِّى عَيْنًا : أي وطيبي نفسًا وافرحي بولادتك إياي[3] ولا تحزني.

فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا : أي إمساكًا عن الكلام وصمتًا. ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ : أي بولدها عيسىٰ عليه السلام.

قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ : أي عظيمًا حيث أتيت بولد من غير أب.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأن الله تعالىٰ ذكر الانتباه عقب الحمل: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (اختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال ابن عباس: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ جبريل، ولم يتكلم عيسىٰ حتىٰ أتت به قومها، أي ناداها من أسفل الوادي - إلىٰ أن قال رحمه الله مرجحًا كونه جبريل عليه السلام - والقول الأول أظهر) ا. هـ (قل).

والذي يؤيد هذا الرأي والله أعلم - أن في مناداة الملك لها أكثر اطمئنانًا لقلبها وإن كان كل بأمر الله، وأن الله أراد أن يطمئنها علىٰ يد جبريل عليه السلام كما أفزعها ولا يكفي - وهي في مصيبتها قوله لها: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ فهي تمتثل لأمر ربها لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ لكن القلب ما زال يرتجف فكان في مناداة جبريل عليه السلام لها بعد الولادة ما يذهب عنها الروع وكأنه يقول لها مثلما قال يعقوب عليه السلام لبنيه بعد أن ارتد بصيرًا: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ هذا مع كون تأخر نطق عيسىٰ عليه السلام أمامها وأمام قومها في آن واحد أبلغ مثلما كان تأخر تحول عصا موسىٰ عليه السلام أمام قومه إلىٰ حية آية له ولقومه في آن واحد أيضًا. والله المستعان.

(٣) علىٰ قول كونه جبريل عليه السلام يكون اللفظ بولادتك (إياه) (قل).

يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ : أي يا أخت الرجل الصالح هارون.

مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ : أي رجلًا يأتي الفواحش.

وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ : أي إلىٰ عيسىٰ وهو في المهد. ﴿قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾﴾.

قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ[1] ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ : أي الإنجيل باعتبار ما يكون مستقبلًا. ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾﴾[2].

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ : أي حيثما وجدت كانت البركة في ومعي ينتفع الناس بي. ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾﴾.

وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي : أي محسنًا بها مطيعًا لها لا ينالها مني أدنىٰ أذىٰ.

وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ : ظالمًا متعاليًا ولا عاصيًا لربي خارجًا عن طاعته. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾﴾.

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ : أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسىٰ ابن مريم.

قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ : أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالىٰ به.

ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ : يشكون.

مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ : أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولدًا وهو الذي يقول للشيء: كن فيكون.

سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ : أي تنزيهًا له عن الولد والشريك والشبيه والنظير. ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾.

وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ : أي طريق مستقيم لا يضل سالكه.

فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ : أي في شأن عيسىٰ فقال اليهود: هو ساحر وابن زنا، وقال النصارىٰ: هو الله وابن الله، تعالىٰ الله عما يصفون.

فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ : هو يوم القيامة.

أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ : أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب. ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾﴾.

وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ : أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما يشاهدون أهل الجنة فيورثون منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار فتعظم الحسرة ويشتد الندم. ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) قيل: لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيرًا بسبابته اليمنىٰ: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالىٰ، وفي هذا رد علىٰ الذين ألهوه وعبدوه من دون الله تعالىٰ.

(٢) لما قال ما قال في المهد: إني عبد الله...إلىٰ قوله: ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ لم يتكلم حتىٰ بلغ سن التكلم.

وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ : أي في القرآن.
إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ : أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلىٰ فيه.
إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ : يا أبي وهو آزر. ﴿لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾.
أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ : أي طريقًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه يفضي بك إلىٰ الجنة.
يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ : أي لا تطعه في دعوته إياك إلىٰ عبادة الأصنام.
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ : أي عاصيًا لله تعالىٰ فاسقًا عن أمره.
يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ : أي قريبًا منه قرينًا له فيها أي: النار.
قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ : أي عن التعرض لها وعيبها.
لَأَرۡجُمَنَّكَۖ : بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذرني.
وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ : أي سليمًا من عقوبتي.
قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ : أي أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني، وهذا يسمىٰ بسلام المتاركة، وليس هو بالتحية.
سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ : أي لطيفًا بي مكرمًا لي يجيبني لما أدعوه له. ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾.
عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ : بل يجيب دعائي ويعطيني مسألتي.
فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ : بأن هاجر إلىٰ أرض القدس وتركهم.
وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ : أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له علىٰ هجرته قومه. ﴿وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾﴾.
وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا : خيرًا كثيرًا، المال والولد بعد النبوة والعلم.
وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ : أي رفيعًا بأن يثنىٰ عليهم ويذكروا بأطيب الخصال.
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ : أي في القرآن تشريفًا وتعظيمًا.
مُوسَىٰٓۚ : أي ابن عمران نبي بني إسرائيل عليه السلام.
إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا : أي مختارًا مصطفًىٰ علىٰ قراءة فتح اللام (مخلَصًا) وموحدًا لربه، مفردًا إياه بعبادته بالغًا في ذلك أعلىٰ المقامات علىٰ قراءة كسر اللام. ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾﴾.
وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ : الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر.
ٱلۡأَيۡمَنِ : هو بالنسبة إلىٰ يمين موسىٰ عليه السلام أما الجبل فلا يمين له ولا شمال (ابن جرير الطبري).

وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾: أي أدنيناه إدناء تشريف وتكريم مناجيًا لنا مكلمًا من قبلنا.
وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾: إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبأه وأرسله معه إلىٰ فرعون.
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ: أي اذكر في القرآن تشريفًا وتعظيمًا إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ: لم يخلف وعدًا قط. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾.
وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ: أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.
وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾: أي رضي الله تعالىٰ قوله وعمله ليقينه وإخلاصه.
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ: هو جد أبي نوح عليه السلام. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾.
وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾: إلىٰ السماء الرابعة. ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.
وَإِسْرَٰٓءِيلَ: أي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.
وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ: أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبيناهم بنبوتنا.
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ الرَّحْمَٰنِ: أي تقرأ عليهم وهم يستمعون إليها.
خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾: جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم يبكون.
۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ: أي عقب سوء. ﴿أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ﴾: أهملوها فتركوها فكانوا بذلك كافرين.
وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ: انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر.
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾: أي واديًا في جهنم يلقون فيه. ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.
وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾: أي لا ينقصون شيئًا من ثواب حسناتهم.
جَنَّٰتِ عَدْنٍ: أي إقامة دائمة.
الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِالْغَيْبِ: أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم إذ هي في السماء وهم في الأرض.
إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾: أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتيًا لا محالة.
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا: أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه.
إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾: أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس فيكون فيها نهار وليل.
تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾: أي من كان في الحياة الدنيا تقيًا لم يترك الفرائض

ولم يغش المحارم.

وَمَا نَتَنَزَّلُ: التنزل النزول وقتًا بعد وقت.

إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ: أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء.

لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا: أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة.

وَمَا خَلْفَنَا: أي ما مضىٰ من الدنيا.

وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ: مما لم يمض في الدنيا إلىٰ يوم القيامة أي: له علم ذلك كله.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾: أي ذا نسيان فإنه تعالىٰ لا ينسىٰ فكيف ينساك ويتركك؟

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا: أي مالكهما ومتصرف فيهما.

فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ: أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتىٰ الموت.

هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾: أي لا سمي له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد، لم يكن له كفوًا أحد.

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ: أي الكافر بلقاء الله تعالىٰ: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾.

أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾: أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا صفة.

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾: أي جاثمين علىٰ ركبهم في ذل وخوف وحزن.

ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ: أي طائفة تعاونت علىٰ الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه.

أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾: أي تكبرًا عن عبادته وظلمًا لعباده.

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾: أي أحق بها اصطلاءً واحتراقًا وتعذيبًا في النار.

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا: أي مارًّا بها إن وقع هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾: أي أمرًا قضىٰ به الله تعالىٰ وحكم به وحتمه فهو كائن لا بد.

ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾: أي في النار جاثمين علىٰ ركبهم بعضهم إلىٰ بعض.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ: أي آيات القرآن البينات الدلائل الواضحات الحجج.

قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا: نحن أم أنتم، والمقام المنزل ومحل الإقامة، والمراد هنا المنزلة.

وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾: أي ناديًا وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾: أي مالًا ومتاعًا ومنظرًا. ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾.

إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ: أي بالقتل والأسر، وأما الساعة فالقيامة المشتملة علىٰ نار جهنم.

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا : أي منزلة.

وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ : أي أقل أعوانًا. ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾.

وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ : أي ما يرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا : هو العاص بن وائل. ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ : يريد في الآخرة.

أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ[(١)] : أي فعرف أنه يعطىٰ مالًا وولدًا يوم القيامة. ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾.

كَلَّا : ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهد.

سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ : أي نضاعف له العذاب يوم القيامة.

وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ : أي نسلبه ما تبجح به من المال والولد ويبعث فردًا ليس معه مال ولا ولد.

وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ : أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتىٰ لا يعذبوا.

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ : أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم.

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ : أي أعداء لهم وأعوانًا عليهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ : أي تزعجهم إزعاجًا وتحركهم حراكًا شديدًا نحو الشهوات والمعاصي. ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾[(٢)].

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ : أي راكبين علىٰ النجب تحوطهم الملائكة حتىٰ ينتهوا إلىٰ ربهم فيكرمهم.

وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ : أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشًا.

لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾[(٣)] : هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ : أي قال العرب: الملائكة بنات الله وقال النصارىٰ: عيسىٰ ابن الله.

لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ : أي منكرًا عظيمًا.

---

(١) ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: أنظر في اللوح المحفوظ؟، وقال مجاهد: أعلم الغيب حتىٰ يعلم أفي الجنة هو أم لا؟

(٢) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإنا نعد لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلىٰ انتهاء آجالهم.

(٣) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالىٰ إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضًا بدليل السنة الصحيحة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العهد أيضًا بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالىٰ.

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ: يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه.

وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾: أي تسقط وتتهدم وتنهدم.

أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾: أي من أجل ادعائهم أن للرحمن عَزَّوَجَلَّ ولدًا.

وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾: أي لا يصلح ولا يليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه.

إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾: أي خاضعًا منقادًا كائنًا من كان. ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾﴾.

وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾: أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾: أي حبًّا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالىٰ[1].

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ: أي يسرنا القرآن أي: قراءته وفهمه بلغتك العربية.

لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾: أي ألداء شديدي الخصومة والجدل بالباطل وهم كفار قريش.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ: أي كثيرًا من أهل القرون من قبلهم أهلكناهم.

هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ: أي هل تجد منهم أحدًا؟

أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾: أي صوتًا خفيًّا والجواب: لا. لأن الاستفهام إنكاري.

❁❁❁❁

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «إذا أتىٰ الرجل القوم فقالوا له: مرحبًا، فمرحبًا به يوم القيامة يوم يلقىٰ ربه، وإذا أتىٰ الرجل القوم فقالوا له: قحطًا، فقحطًا له يوم القيامة» رواه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع(قل).

٢٠- سُورَةُ طه

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ : أي يا رجل. ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾﴾.

إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ : أي يتذكر بالقرآن من يخشىٰ عقاب الله عز وجل.

تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ : أي ارتفع عليه وعلا[1].

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾[2] : الثرىٰ التراب الندي يريد ما هو أسفل الأرضين السبع.

وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو كائن ولكن لم يكن بعد.

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ : الحسنىٰ مؤنث الأحسن المفضل علىٰ الحسن.

وَهَلْ أَتَاكَ : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق.

حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ : أي خبره وموسىٰ هو ابن عمران نبي بني إسرائيل.

إِذْ رَأَىٰ نَارًا : أي حين رؤيته نارًا.

فَقَالَ لِأَهْلِهِ : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد.

امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا : أي أبصرتها من بعد.

لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ : القبس: عود في رأسه نار.

أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ : أي ما يهديني الطريق وقد ضل الطريق إلىٰ مصر.

فَلَمَّا أَتَاهَا : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألأ نورًا لا نارًا.

نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ : أي ناداه ربه قائلًا له: يا موسىٰ.

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ : طوىٰ اسم للوادي المقدس المطهر،

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (المسلك الأسلم طريقة السلف، وهو إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل).ا.هـ(قل).

سبحانك يا رب آمنا بكلامك علىٰ مرادك، وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه وكانت له جارية: (قلت: يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «ائتني بها»، فأتيته بها، فقال لها: «أين الله»؟ قالت: في السماء، قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

(٢) ما تحت الثرىٰ: هو باطن الأرض كله.

اخلع نعليك: وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه.

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ : من قومك لحمل رسالتي إلىٰ فرعون وبني إسرائيل.

فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ : أي: إليك وهو قوله تعالىٰ.

إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ : أي لأجل أن تذكرني فيها.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا : أي أبالغ في إخفائها حتىٰ لا يعلم وقت مجيئها أحد.

لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ : أي سعيها في الخير أو في الشر.

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ : أي تهلك.

وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية.

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا : أي أعتمد عليها.

وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.

وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ : أي حاجات أخرىٰ كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حمله علىٰ عاتقه وقتل الهوام. ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ .

فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ : أي ثعبان عظيم، تمشي علىٰ بطنها بسرعة كالثعبان الصغير المسمىٰ بالجان.

قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ : أي إلىٰ حالتها الأولىٰ قبل أن تنقلب حية.

وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ : أي إلىٰ جنبك الأيسر تحت العضد إلىٰ الإبط.

تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ : أي من غير برص تضيء كشعاع الشمس. ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ : أي رسولًا إليه.

إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ : تجاوز الحد في الكفر حتىٰ ادعىٰ الألوهية.

قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة.

وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ : أي سهله حتىٰ أقوىٰ علىٰ القيام به.

وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ : أي عجمة حتىٰ أُفهم من أخاطب. ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ ﴾ .

هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ : أي قوِ به ظهري.

وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ : أي اجعله نبيًّا كما نبأتني. ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ .

قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ : أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبئة أخيك.

وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ : أي أنعمنا عليك مرة أخرىٰ قبل هذه.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ : أي في شأنك وهو قوله: ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ ﴾ .إلخ[1] .

أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ : أي الصندوق.

فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ : أي في نهر النيل. ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ .

وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ : تربىٰ بمرأىٰ مني ومحبة وإرادة.

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ : ليكمل له رضاعه. ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ﴾ .

وَقَتَلْتَ نَفْسًا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون.

فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ : إذ استغفرتنا فغفرنا لك، وتآمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم.

وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ : أي اختبرناك اختبارًا وابتليناك ابتلاءً عظيمًا.

فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلىٰ فرعون.

وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا.

اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصىٰ واليد وغيرها.

وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ : أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما علىٰ أداء رسالتكما.

اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية.

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا : أي خاليًا من الغلظة والعنف.

لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ : أي فيما تقولان فيهتدي إلىٰ معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل.

قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له.

أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ : أي يزداد طغيانًا وظلمًا.

قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ : أي أسمع ما تقولانه وما يقال لكما، وأرىٰ ما تعملان وما يعمل لكما.

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي لنذهب بهم إلىٰ أرض المعاد أرض أبيهم إبراهيم. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ[2] مِّن رَّبِّكَ ۖ﴾ : أي معجزة تدل علىٰ صدقنا في دعوتنا وأنَّا

---

(١) هذا إلهام لها أو منام إذ لم تكن نبية إجماعًا.

(٢) هي اليد والعصا.

رسولا ربك حقًا وصدقًا.

وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ : أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقىٰ، إذ الهدىٰ إيمان وتقوىٰ.

إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾(١): أي كذب بالحق ودعوته، وأعرض عنهما فلم يقبلهما. ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ : أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره.

ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ : أي الحيوان منه إلىٰ طلب مطعمه ومشربه، ومسكنه ومنكحه.

قَالَ فَمَا بَالُ (٢) ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ : أي قال فرعون لموسىٰ ليصرفه عن إدلائه بالحجج حتىٰ لا يفتضح: فما بال القرون الأولىٰ كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى : أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي، دعنا من هذا فإنه لا يعنينا.

فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ : أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزيهم بأعمالهم، إن ربي لا يخطئ ولا ينسىٰ، فإن عذب أو أخَّر العذاب؛ فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا : مهدًا: فراشًا، وسلك: سهل، وسبلًا: طرقًا. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ : أزواجًا: أصنافًا شتىٰ مختلفة الألوان والطعوم.

كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ : لدلائل واضحات علىٰ قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته.

لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ : أي أصحاب العقول، لأن النهية العقل وسمي نهية؛ لأنه ينهىٰ صاحبه عن ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي.

۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ : أي من الأرض.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ : بعد الموت.

وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ : عند البعث يوم القيامة.

تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ : أي مرة أخرىٰ: إن الأولىٰ كانت خلقًا من طين الأرض وهذه إخراجًا من الأرض.

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ : أي أبصرناه حججنا وأدلتنا علىٰ حقيقة ما أرسلنا به رسولينا موسىٰ وهارون إليه كلها فرفضها وأبىٰ أن يصدق بأنهما رسولان إليه من رب العالمين.

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ هذه أرجىٰ آية للموحدين؛ لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

(٢) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا : أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها.

بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ : يشير إلىٰ العصا واليد البيضاء. ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ ﴾.

مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ : أي مكان عدل بيننا وبينك ونَصَفٍ، صالحًا للمباراة بحيث يكون ساحة كبرىٰ مكشوفة مستوية يرىٰ ما فيها كل ناظر إليها.

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ : أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل.

وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ : أي وأن يؤتىٰ بالناس من كل أنحاء البلاد للنظر في المباراة.

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ : أي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسىٰ وهارون في كبرياء وإعراض.

فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ : أي ذوي كيده وقوته من السحرة. ﴿ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ : دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك. ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ : أي يهلككم بعذاب من عنده. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾.

فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ : أي في شأن موسىٰ وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران؟

وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ : وهي قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ ...﴾ إلخ. ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾.

وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ : أي ويغلبا علىٰ طريقة قومكم وهما أشرافهم وساداتهم.

فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ : أي أحكموا أمر كيدكم حتىٰ لا تختلفوا فيه. ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾.

وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ : أي قد فاز من غلب.

قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ : أي عصاك. ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾﴾.

قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ : أي فخيل إلىٰ موسىٰ أنها حية تسعىٰ، لأنهم طلوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت؛ فخيل إلىٰ موسىٰ أنها تتحرك.

فَأَوْجَسَ [1] فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ : أي أحس بالخوف في نفسه.

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ : أي الغالب المنتصر.

وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ : أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي.

إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ : أي كيد سحر لا بقاء له ولا ثبات.

وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ : أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان.

---

(1) ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أي أحس ووجد أي: خاف أن يفتتن الناس قبل أن يلقي العصا.

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا : أي ألقوا بأنفسهم ورءوسهم على الأرض ساجدين. ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ : أي لمعلمكم. ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ .

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ : أي يد يمنى مع رجل يسرى. ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ .

وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ : يعني نفسه -لعنه الله- ورب موسى أشد عذابًا وأدومه على مخالفته وعصيانه.

قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ : أي لن نفضلك ونختارك. عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا : أي خلقنا ولم نكن شيئًا.

فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ : أي اصنع ما قلت: إنك تصنعه بنا. ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ : أي خير منك ثوابًا إذا أطيع وأبقى منك عذابًا إذا عصي.

إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا : مجرمًا أي على نفسه مفسدًا لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي. ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ .

وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ : أي ثواب من تطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى : أي سر ليلًا من أرض مصر.

فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا : طريقًا في وسط البحر يابسًا لا ماء فيه.

لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخش غرقًا.

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ : أي فغطاهم من ماء البحر ما غطاهم حتى غرقوا فيه.

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين.

وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ : أي لم يهدهم كما وعدهم بقوله ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ .

يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دينًا ودنيا.

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ : المن: شيء أبيض كالثلج، والسلوى: طائر يقال له السمانى.

كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ : أي بالإسراف فيه، وعدم شكر الله تعالى عليه. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ .

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت.

﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم. ﴿يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ .

قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى : أي آتون بعدي وليسوا ببعيدين مني.

وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ : أي استعجلت المجيء إليك طلبًا لرضاك عني.

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل.

وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى.

فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا : أي شديد الغضب والحزن.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم لتكملوا عليها وتسعدوا.

أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يومًا قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يومًا. ﴿أَمْ [1] أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ .

فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى [2] ﴿٨٦﴾ : بترككم المجيء بعدي.

قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا : أي بأمرنا وطاقتنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على إنجاز الوعد بالسير وراءك.

وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ : أي أحمالًا من حلي نساء الأقباط وثيابهم.

فَقَذَفْنَٰهَا : أي ألقيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام.

فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية، وما ألقاه هو التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، ألقاه أي قذفه على الحلي.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا : أي ذا جثة.

لَّهُۥ خُوَارٌ : الخوار صوت البقر، والخوار صوت العجل، والجؤار مثله.

فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه.

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا : أنه لا يكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ : أي ابتليتم به أي بالعجل. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٢) المراد من موعده إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾[1].

قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ : أي لن نزال عاكفين على عبادته. ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾.

قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ : أي بعبادة العجل واتخاذه إلهًا من دون الله تعالىٰ.

أَلَّا تَتَّبِعَنِ : ألا تتبعني: أي بمن معك من المؤمنين وترك المشركين. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾[2].

قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ : حيث أخذ موسىٰ من شدة غضبه بلحية أخيه وشعره يجره إليه يعذله ويلوم عليه. ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ : أي ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ : أي ما شأنك وما هذا الأمر العظيم الذي صدر منك؟

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ : أي علمت من طريق الإبصار والنظر ما لم يعلموا به؛ لأنهم لم يروه.

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام.

فَنَبَذْتُهَا : أي ألقيتها وطرحتها على الحلي المصنوع عجلًا.

وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل.

قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ : أي اذهب تائهًا في الأرض طول حياتك وأنت تقول: لا مساس أي لا يمسني أحد ولا أمسه، لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك.

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ : أي العجل.

ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا : أي ظللت طوال الوقت عاكفًا عليه.

لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفًا.

إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ : أي لا معبود لكم إلا الله. ﴿ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسىٰ وفرعون وموسىٰ وبني إسرائيل نقص عليك من أنباء الرسل. وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ : أي قرآنًا وهو القرآن الكريم.

---

(١) أي: لا أمر السامري أو: فاتبعوني في مسيري إلىٰ موسىٰ ودعوا العجل فعصوه.

(٢) أمره هو قوله له عند مغادرة بني إسرائيل إلىٰ جبل الطور: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم نسبه إلىٰ عصيانه ومخالفة أمره، وهذا دليل علىٰ واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيًا حكمه كحكمهم.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ : أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به.
فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ : أي حملًا ثقيلًا من الآثام. ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾﴾.
يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ ۚ : أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث، والصور هو القرن.
وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ : أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم.
يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ : أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ أي: في الدنيا أو في القبور.
نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً : أي أعدلهم رأيًا في ذلك، وهذا كله لعظم الموقف وشدة الهول والفزع. ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾.
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ : أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة؟
فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ : أي يفتتها ثم تذروها الرياح فتكون هباء منبثًا.
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ : أي مستويًا. (أي أرضًا مستوية).
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ : أي لا ترىٰ فيها انخفاضًا ولا ارتفاعًا.
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ : أي إلىٰ المحشر يدعوهم إليه للعرض علىٰ الرب تعالىٰ.
لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ : فلا يميلون عن صوته يمنة ولا يسرة.
وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ : أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت الأقدام الخفي.
يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ : بأن قال: لا إله إلا الله من قلبه صادقًا.
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ : الله تعالىٰ يعلم ما بين أيدي الناس وما خلفهم وهم لا يحيطون به علمًا.
وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ۖ : أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت.
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ : أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك.
وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ : أي لا يخاف ظلمًا بأن يزاد في سيئاته ولا هضمًا بأن ينقص من حسناته.
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا : أي مثل ذلك الإنزال أنزلنا قرآنًا عربيًّا أي بلغة العرب ليفهموه.
وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ : أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروي.
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ : أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون.
فَتَعَـٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ : أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون.
وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ : أي بقراءته.

مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ: أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ: أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

فَنَسِيَ: أي عهدنا وتركه.

وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾: أي حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ: أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.

ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾: أي امتنع من السجود لِكْبرٍ في نفسه؛ إذ هو ليس من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم.

فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ: أي حواء ومعنىٰ عدو: أنه لا يحب لكما الخير بل يريد لكما الشر.

فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾: أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتىٰ تتغذىٰ.

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾: أي لا تعطش ولا يصيبك حر شمس الضحىٰ المؤلم في الأرض.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ: أي التي يخلد من أكل منها.

وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾: أي لا يفنىٰ ولا يبيد، ولازم ذلك الخلود.

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا: أي ظهر لكل منهما قُبُل صاحبه ودبره فاستاءا لذلك.

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ: أي أخذا وجعلا يلزقان ورق الشجر عليهما سترًا لسوءاتهما.

وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾: أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها.

ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾: أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبدًا صالحًا.

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا: أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وأهبط..

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ: أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم وحواء وذريتهما.

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى: أي فإن يأتكم مني هدىٰ وهو كتاب ورسول.

فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ: أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن.

فَلَا يَضِلُّ: أي في الدنيا.

وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾: في الآخرة.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي: أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه.

فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا : أي ضيقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة.

وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ : أي أعمىٰ البصر لا يبصر.

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث.

قَالَ كَذَٰلِكَ : أي الأمر كذلك.

أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ : أي فكما نسيتها تنسىٰ في جهنم.

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في المعاصي ولم يقف عند حد.

وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي ولا ينتهي.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ : أي أفلم يبين لهم.

كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ : أي من أهل القرون.

يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ : أي الذين هم يمشون في مساكنهم.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ : أي بتأخير العذاب عنهم.

لَكَانَ لِزَامًا : أي العذاب لازمًا لا يتأخر عنهم بحال.

وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ : أي عند الله في كتاب المقادير لا يتبدل ولا يتغير.

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ : من كلمات الكفر، ومن مطالبتهم بالآيات. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ[1].

وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ : أي ساعات الليل واحدها أنىٰ أو أنو.

فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ : أي رجاء أن تثاب الحسن الذي ترضىٰ به.

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ : أي رجالًا منهم من الكافرين[2].

زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي زينة الحياة الدنيا وقيل: فيها زهرة؛ لأنها سرعان ما تذبل وتذوىٰ.

لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ : أي لنبتليهم في ذلك أيشكرون أم يكفرون. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾.

---

(١) والتسبيح ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ هو صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ هو صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ أي: ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ هو صلاة الظهر؛ لأنها تقع بين طرفي النهار أي: نصفه الأول ونصفه الثاني وذلك عند زوال الشمس.

(٢) أزواجًا: رجالًا ونساءً لأن الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير بلفظ أزواج لأجل الدلالة علىٰ العائلات والبيوت أي: إلىٰ ما متعناهم به من مال وبنين.

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ (١٣٢) : العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوىٰ.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا﴾ : أي هلا فهي أداة تحضيض وحث علىٰ وقوع ما يذكر بعدها.

﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ﴾ : أي معجزة تدل علىٰ صدقه في نبوته ورسالته.

﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ (١٣٣) : أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسلهم.

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ : من قبل إرسالنا رسولنا محمدًاﷺ وإنزالنا كتابنا القرآن.

﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾ (١٣٤) : أي من قبل أن يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم.

﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ﴾ : أي منتظر ما يئول إليه الأمر.

﴿فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ﴾ : أي يوم القيامة.

﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ : أي الدين الصحيح وهو الإسلام.

﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (١٣٥) : أي من ضل نحن أم أنتم؟

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

❁❁❁❁

٢١- سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ : أي عما هم صائرون إليه.

مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ : أي عن التأهب ليوم الحساب بصالح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي.

مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ : أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول.

إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ : أي ساخرين مستهزئين.

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ (١) وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى : أي أخفوا مناجاتهم بينهم. ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾.

بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ : أي أخلاط رآها في المنام.

بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ : أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه. ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ : أي لا يؤمنون فالاستفهام للنفي.

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ : يا محمد. ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ .

فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ : أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب. ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ .

وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا : أي أجسادًا آدمية. ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾ .

ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ : أي الذي واعدناهم.

فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ : أي في الظلم والشرك والمعاصي.

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا : هو القرآن العظيم.

فِيهِ ذِكْرُكُمْ : أي ما تذكرون به ربكم، وما تُذكرون به من الشرف بين الناس. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ : أي وكثير من أهل القرىٰ قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم.

كَانَتْ ظَالِمَةً : أي كان أهلها ظالمين. ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا بَأْسَنَآ﴾ .

إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ : أي فارِّين هاربين.

---

(١) لاهية: ساهية معرضة عن ذكر الله تعالىٰ.

لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ : أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب.

لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ : أي عن شيء من دنياكم علىٰ عادتكم. ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾﴾.

فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ : أي دعوتهم التي يرددونها وهي: (يا ويلنا إنا كنا ظالمين).

حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ : أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ : أي عابثين لا مقصد حسن لنا في ذلك.

لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا : أي زوجة وولدًا.

لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ : أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة. ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ : أي نرمي بالحق علىٰ الباطل.

فَيَدْمَغُهُۥ : أي يشج رأسه حتىٰ تبلغ الشجة دماغه فيهلك.

فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ : أي ذاهب مضمحل.

وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ : أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديّان بأن له زوجة وولدًا وللرسول بأنه ساحر ومفتر.

وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : خلقًا وملكًا وتدبيرًا لا شريك له في ذلك.

وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ : أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركوا التسبيح.

يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ : عن التسبيح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من النفس ولا يشغله عنه شيء.

أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ : أي من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر[1].

هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ : أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهًا حقًّا إلا من يحيي الموتىٰ.

لَوْ كَانَ فِيهِمَآ : أي في السموات والأرض.

ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا : أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع عادة وهو يقضي بفساد النظام.

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ : أي تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وكماله.

رَبِّ ٱلْعَرْشِ : أي خالقه ومالكه والمختص به.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ : أي الله تعالىٰ من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك.

---

(١) ﴿أَمِ﴾ بمعنىٰ: بل والاستفهام التعجبي، أي: بل اتخذوا من دون الله آلهة يا للعجب.

لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ : إذ هو الملك المتصرف وغيره يُسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوبًا.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون.

هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ : أي القرآن ذكر أمتي.

وَذِكْرُ مَن قَبْلِى : أي التوراة والإنجيل، وغيرهما من كتب الله، الكل يشهد أنه لا إله إلا الله.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ : أي توحيد الله ووجوبه على العباد. ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ : أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي.

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا : أي من الملائكة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

سُبْحَـٰنَهُۥ : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد.

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ : هم الملائكة، ومن كان عبدًا لا يكون ابنًا ولا بنتًا.

لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ : أي لا يقولون حتى يقول هو، وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء.

وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ (١)

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ : أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له.

وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ : أي خائفون.

۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله.

فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها.

فَفَتَقْنَـٰهُمَا : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين.

وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ (٢).

وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ : أي جبالًا ثابتة.

أَن تَمِيدَ بِهِمْ : أي تتحرك فتميل بهم.

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا : أي طرقًا واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون.

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا.

(٢) ﴿وَجَعَلْنَا﴾ بمعنى: خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أن كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان والنبات خلق من الماء، والثاني: أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث: «كل شيء خلق من الماء». رواه أحمد وإسناده على شرط الشيخين.

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ : إلىٰ مقاصدهم في أسفارهم. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا[1] مَّحْفُوظًا﴾ من السقوط ومن الشياطين.

وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا : من الشمس والقمر والليل والنهار. ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾.

كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ : الفلك: كل شيء دائر.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ : أي البقاء في الدنيا. ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ : أي مرارة مفارقة الجسد.

وَنَبْلُوكُم : أي نختبركم.

بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ : فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنىٰ والصحة.

فِتْنَةً : أي لأجل الفتنة لننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون؟ ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا : أي ما يتخذونك إلا هزوًا أي مهزوءًا بك.

أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ : أي يعيبها.

وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ : حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالىٰ وقالوا: ما الرحمن؟

خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة علىٰ عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه[2].

سَأُورِيكُمْ آيَاتِي : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ : أي لا يمنعون ولا يدفعون. ﴿عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة.

فَتَبْهَتُهُمْ : أي تحيرهم.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ : أي يمهلون ليتوبوا[3].

---

(١) سميت السماء سقفًا؛ لأنها مرفوعة فوق الأرض مظللة لها كالسقف علىٰ الدار.

(٢) إن طبع الإنسان العجلة، إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرته، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان أو آدم عليه السلام.

(٣) جواب لو: محذوف تقديره: لمَا استعجلوا، أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لا تزول فيه النار عن وجوههم وعن ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾ : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ : أي من يحفظكم ويحرسكم. ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾.

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم.

﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ : أي هم عن القرآن.

﴿مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾ : فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾ : أي لا يجدون من يجيرهم من عذابنا.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات(١).

﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾(٢) : فانغرُّوا بذلك. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ : أي بالفتح على النبي وأصحابه المؤمنين.

﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ : الله هو الغالب.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ : أي بأخبار الله تعالىٰ التي يوحيها إليّ وليس هناك شيء من عندي. ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ : أي وقعة من عذاب خفيفة.

﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ : أي يقولون : يا ويلنا: أي يا هلاكنا.

﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ : أي العادلة. ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ : لا بنقص حسنة، ولا بزيادة سيئة.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ : أي زنة حبة من خردل.

﴿أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ : أي محصين في كل شيء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن(٣).

﴿وَضِيَآءً﴾ : أي يهدي إلىٰ الحق في العقائد والشرائع.

﴿وَذِكْرًا﴾ : أي موعظة. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريدُ أهل مكة. أي: بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها.

(٢) ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبر حجج الله عز وجل.

(٣) وفسر الفرقان بالتوراة أيضًا، وهو حق أيضًا،جائز أن يكون النصر، إذ معنىٰ الفرقان: أنه ما يفرق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل.

واجب ولا بفعل حرام.

وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون.

وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ : أي القرآن الكريم تنال بركتُه قارئه والعامل به.

أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ : الاستفهام للتوبيخ؛ يوبخ تعالىٰ من أنكر أن القرآن كتاب الله.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ[1] : أي هداه بمعرفة ربه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه. ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ[2] ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ .

مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ : جمع تمثال: وهو الصورة المصنوعة علىٰ شبه إنسان أو حيوان.

ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ : أي مقبلون عليها ملازمين لها تعبدًا. ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ .

أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون.

قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض.

ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ : أي أنشأهن خلقًا وإيجادًا علىٰ غير مثال سابق. ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ .

وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم : أي لأحتالن علىٰ كسر أصنامكم وتحطيمها. ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ .

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا : فتاتًا وقطعًا صغيرة.

إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره.

لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحدوه بعد أن يظهر لهم عجز آلهتهم[3] .

قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ : أي بأصنامهم التي سموها آلهة؛ لأنهم يعبدونها ويؤلهونها بذلك. ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ .

قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ : أي بالعيب والانتقاص. ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ .

قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ : أي ظاهرًا يرونه بأعينهم.

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ويشهدون العقوبة التي ننزلها به.

قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب. ﴿بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ .

---

(١) جائز أن يكون من قبل موسىٰ وهارون، وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه. والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾.

(٣) جائز أن يكون المراد بالرجوع إلىٰ الصنم في تكسيرها.

قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا : أشار بإصبعه نحو الصنم الأكبر الذي علق به الفأس قائلًا: بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَّىٰ بإصبعه تحاشيًا للكذب[1]. ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ : أي بعد التفكر والتأمل حكموا علىٰ أنفسهم بالظلم لعبادتهم ما لا ينطق. ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ : أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلىٰ إقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلىٰ.

لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ : فكيف تطلب منا أن نسألهم.

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ : أي آلهة لا تنفعكم شيئًا ولا تضركم إن أرادت ضركم.

أُفٍّ لَّكُمْ : أي قبحًا لكم. ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ : أي أحرقوه بالنار انتصارًا لآلهتكم التي كسرها.

قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ : فكانت كذلك فلم يُحرق منه غير وثاقه (الحبل الذي وثّق به).

وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا : وهو تحريقه بالنار للتخلص منه.

فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ : حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدُهم ولم يحصلوا علىٰ شيء.

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا : أي ابن أخيه هاران[2].

إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ : وهي أرض الشام.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً : زيادة علىٰ طلبه الولد، فطلب ولدًا فأعطاه ما طلب وزاده آخر[3].

---

(١) قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذًا؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم؛ ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتىٰ يرجع إلىٰ الحق من ذات نفسه؛ فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) هذه النجاة ثانية. الأولىٰ كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلىٰ أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذٍ، وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج إبراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة ﷺ، ونصب لوط علىٰ المفعول معه، وضمن فعل نجيناه معنىٰ الإخراج فعدي بـ ﴿إِلَى﴾.

(٣) قال ابن كثير: النافلة: ولد الولد: يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ اهـ (قل).

وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ : أي وجعلنا كل واحد منهم صالحًا من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً : أي يُقتدىٰ بهم في الخير.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا : أي يرشدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالىٰ لهم بذلك حيث جعلهم رسلًا مبلغين. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾.

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ : أي خاشعين مطيعين قائمين بأمرنا.

وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا : أي أعطينا لوطًا حكمًا أي فصلًا بين الخصوم وفقهًا في الدين، وكل هذا يدخل تحت النبوّة والرسالة وقد نبَّأه وأرسله.

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ : كاللواط وغيره من المفاسد.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ : أي عصاة متمردين علىٰ الشرع تاركين للعمل به. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ[1] : أي واذكر نوحًا إذ دعا ربه علىٰ قومه الكفرة.

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ : أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض. ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾[2].

وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ : أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلًا[3].

إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ : أي رعته ليلًا بدون راعٍ.

وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ : أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفىٰ علينا شيء من ذلك.

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ : أي القضية التي جرىٰ فيها الحكم.

وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا : أي كلًّا من داود وولده سليمان، أعطيناه حكمًا: أي النبوة، وعلمًا بأحكام الله عز وجل وفقهها.

وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ : أي معه إذا سبح.

---

(١) من قبل إبراهيم ولوط عليهما السلام.

(٢) السَّوء: بفتح السين مصدر: القبيح المكروه من القول والفعل، وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسموا العنب الكرْم، فإن الكرْم المسلم» متفق عليه. وهذا لفظ مسلم، وفي رواية: «فإنما الكرْم قلب المؤمن»(قل).

وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا.

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ : هي الدروع وهي من لباس الحرب.

لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح.

فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا.

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا : أي أرض الشام. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾﴾.

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ : أي في أعماق البحار لاستخراج الجواهر.

وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات.

وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ : أي لأعمالهم حتىٰ لا يفسدوها.

﴿ وَأَيُّوبَ : أي واذكر أيوب.

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ : أي دعاه لما ابتلي بفقد ماله وولده ومرض جسده.

أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ : هو ما ضر بجسمه أو ماله أو ولده. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾.

وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ : أي عظة للعابدين؛ ليصبروا فيثابوا.

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا : بأن نبأناهم فانخرطوا في سلك الأنبياء. ﴿إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وَذَا النُّونِ : هو يونس بن متىٰ عليه السلام وأضيف إلىٰ النون الذي هو الحوت في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾. لأن حوتة كبيرة ابتلعته.

إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا : أي لربه تعالىٰ حيث لم يرجع إلىٰ قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ : أي لن نحبسه ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته.

فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل. ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[1].

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة بقرينة، ويرث من آل يعقوب. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

---

(١) ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم، أو في الخروج من غير إذن له؛ فنزه ربه عن الظلم ونسبه إلىٰ نفسه اعترافًا واستحقاقًا.

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ : أي طمعًا فينا، ورهبًا منا: أي خوفًا ورجاءً. ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا : أي صانته وحفظته من الفاحشة.

فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا : أي جبريل حيث نفخ في كم درعها[1].

وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ : أي علامة على قدرة الله تعالىٰ[2] ووجوب عبادته بذكره وشكره.

إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً : أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلىٰ العهد المحمدي، إذ دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله تعالىٰ وحده بما يشرع لهم.

وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ : أنا إلهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة إلا لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري.

وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ : تفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها.

كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ : أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة إلينا وسوف نجزيها بكسبها. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ[3] فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ : أي لا نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزىٰ به وافيًا.

وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ : إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرها وشرها.

وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ : أي ممتنع رجوعهم إلىٰ الدنيا.

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ : قبيلتان موجودتان وراء سدهما الذي سيفتح عند قرب الساعة، وفي الكلام حذف تقديره: حتىٰ إذا فتح سد يأجوج ومأجوج.

وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ : أي مرتفع من الأرض.

يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ : أي يسرعون المشي.

وَٱقْتَرَبَ[4] ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ : يوم القيامة. ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى

---

(١) إضافة الروح إلىٰ الله تعالىٰ: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله؛ لأنه مبعوث من قبله ﷻ.

(٢) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسىٰ عليه السلام آية.

(٣) ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من للتبعيض إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وموحد أيضًا فإن الشرك محبط للعمل.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنىٰ: حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثلة: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ أي: للجبين ناديناه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب =

غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ : أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث. ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ : أي من الأصنام والأوثان.

حَصَبُ جَهَنَّمَ : أي ما توقد به جهنم. ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً : أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قريش.

مَّا وَرَدُوهَا : أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار، لأنهم آلهة قادرون علىٰ ذلك، ولكنهم ليسوا آلهة حق، فلذا لا يمنعون عابديهم من دخول النار.

وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ : أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ : أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ وأنهم فيها لا يسمعون لكثرة الأنين وشدة الأصوات وفظاعة ألوان العذاب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ : أي كتب الله تعالىٰ أزلًا أنهم أهل الجنة. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ أي عن جهنم مبعدون.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا : أي حس صوتها. ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ : أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم آمنين غير خائفين. ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ : أي يطوي الجبار السماء طي الورقة لتدخل في الظرف.

كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ : أي يعيد الله الخلائق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلًا، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء. ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ: أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ : أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أَنَّ ٱلْأَرْضَ : أي أرض الجنة.

يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ : هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة.

إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا: أي إنَّ في القرآن لبلاغًا أي: لكفاية وبُلغة لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة.

لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ : أي مطيعين الله ورسوله.

=

إذا: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ ويكون ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾: معطوفًا.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾: أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة، والكافرون ينجون من عذاب الإبادة والاستئصال الذي كان يصيب الأمم السابقة. ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾: أي أسلموا فالاستفهام للأمر.

فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ: أي أعلمتكم.

عَلَىٰ سَوَآءٍ: أنا وأنتم أنه لا تلاقي بيننا فأنا حرب عليكم وأنتم حرب عليّ.

وَإِنْ أَدْرِىٓ: ما أدري. ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾.

وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ[1] فِتْنَةٌ لَّكُمْ: أي اختبار لكم. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾.

عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾: من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولدًا، وأن القرآن شعر.

❁❁❁❁

(١) لعله أي الإمهال والتأخير.

٢٢- سُورَةُ الحَجّ (١)

«مكية ومدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ: أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوىٰ.

إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ: أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة. ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾.

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ: أي من شدة الهول والخوف تنسىٰ رضيعها وتغفل عنه. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: أي تُسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفزع.

وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ: أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارىٰ وما هم بسكارىٰ. ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ: أي يقول: إن الملائكة بنات الله، وإن الله لا يحيي الموتىٰ.

وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾: أي متجرد من كل خير، لا خير فيه البتة.

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ: فرض فيه أن من تولاه أي اتبعه يضله عن الحق. ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ: الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث الحياة بعد الموت.

فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ: قطرة المني التي يفرزها الزوجان.

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ: أي من قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يومًا.

ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ: أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة إليها بعد أربعين يومًا.

مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ: أي مصورة خلقًا تامًّا، وغير مخلقة هي السقط يسقط قبل تمام خلقه.

لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ: أي قدرتنا علىٰ ما نشاء، ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون.

وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ: أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلىٰ نهاية مدة الحمل، ثم نخرجه طفلًا سويًّا. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

---

(١) ذكر القرطبي عن الغزنوي أنه قال: سورة الحج من أعاجيب سور القرآن، نزلت ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، مكيًّا ومدنيًّا، سلميًّا وحربيًّا، ناسخًا ومنسوخًا، محكمًا ومتشابهًا.

ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم.

وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ [(١)] وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ : أي سن الشيخوخة والهرم فيخرف.

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا : أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسىٰ كل علم علمه.

وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً : خامدة لا حراك لها ميتة.

فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ : أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت.

وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ : أي من كل نوع من أنواع النباتات جميل المنظر حسنه.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ : أي الإله الحق الذي لا إله سواه، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل.

﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ : أي القيامة. ﴿ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾.

وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ : أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم أحياءً كما كانوا قبل موتهم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ : أي في شأن الله تعالىٰ فينسب إلىٰ الله تعالىٰ ما هو منه براء كالشريك والولد والعجز عن إحياء الموتىٰ، وهذا المجادل هو أبو جهل.

بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي بدون علم من الله ورسوله.

وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق ويبطل الباطل.

ثَانِىَ عِطْفِهِۦ : أي لاوٍ عنقه تكبراً، لأن العطف الجانب من الإنسان. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ : وقد أذاقه الله تعالىٰ يوم بدر إذ ذُبح هناك واحتز رأسه. ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾.

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ : أي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ : أي علىٰ شك في الإسلام؛ هل هو حق أو باطل؟ وذلك لجهلهم به وأغلب هؤلاء أعراب البادية.

فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ : أي سكنت نفسه إلىٰ الإسلام ورضي به.

وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه.

ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ : أي رجع عن الإسلام إلىٰ ما كان عليه من الكفر الجاهلي.

خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾.

---

(١) قبل بلوغ أشده.

يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ : أي صنمًا لا يضره إن لم يعبده ولا ينفعه إن عبده. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾.

يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ : أي قبح هذا الناصر من ناصر.

وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير. ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ : من إكرام المطيع وإهانة العاصي، وغير ذلك من رحمة المؤمن وعذاب الكافر.

مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ : أي محمدًا ﷺ. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ : أي بحبل.

إِلَى ٱلسَّمَآءِ : أي سقف بيته وليختنق غيظًا. ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ﴾.

هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيظه(١).

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.

ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ : أي اليهود.

وَٱلصَّٰبِـِٔينَ : فرقة من النصارى.

وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ : عبدة النار والكواكب. ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ : أي عالم به حافظ له.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ : أي ألم تر بقلبك فتعلم.

يَسْجُدُ لَهُۥ : أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى.

مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ : من الملائكة. ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾.

وَٱلدَّوَآبُّ : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض.

وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به.

وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ : أي يشقه في عذاب مهين.

فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده، وقد أشقاه الله.

إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾.

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ : خصم مؤمن وخصم كافر، كل واحد يريد أن يخصم صاحبه.

---

(١) ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ : أي ثم ليقطع الحبل وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل كيده هذا يذهب عنه الذي يغيظه؟

ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ : أي في دينه.

فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم.

مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾.

يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ: أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها. ﴿وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾.

وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ : جمع مقمعة، وهي آلة من حديد كالمِجنَ.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾.

وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ : أي يقال لهم توبيخًا وتقريعًا: ذوقوا عذب النار.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ.

يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ (١) : أي أساور من لؤلؤ محلاة بالذهب. ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ : هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل إلى رضاه وجنته.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ : جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم.

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ: يمنعون الناس من الإسلام، ويصرفونهم عنه.

وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ : مكة المكرمة والمسجدُ الحرام ضمنها.

ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ: المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام.

وَٱلۡبَادِۚ: الطارئ على مكة النازح إليها.

وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ: إلحادًا: أي ميلًا عن الحق ملتبسًا بظلم لنفسه أو لغيره.

الباء في بإلحاد: الإجماع على أنها صلة لتقوية الكلم لشيوع مثلها في كلام العرب، والأصل: ومن يرد فيه إلحادًا.

﴿نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾.

وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ : أي اذكر يا رسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين له مكان البيت (٢).

أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئًا من الشرك والشركاء.

وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ : ونظف بيتي من أقذار الشرك وأنجاس المشركين.

---

(١) نصب على تقدير: ويحلون لؤلؤًا.

(٢) معنى بوأنا لإبراهيم، أي: أريناه أصله، وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه.

﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾.

وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ: أعلم في الناس بأعلىٰ صوتك.

يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ: مشاة وركبانًا علىٰ ضوامر الإبل.

يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧: طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض. ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾.

وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ: هي أيام التشريق.

عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ: أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدي إلا منها.

فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ٢٨: أي الشديد الفقر.

ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ: أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة علىٰ مدة الإحرام.

وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ: أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا.

وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٢٩ ذَٰلِكَ: أي الأمر هذا مثل قول المتكلم: هذا أي ما ذكرت كذا وكذا.

وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ: جمع حرمة، ما حرم الله تعالىٰ انتهاكه من قول أو فعل.

فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ: أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمات الله فلا ينتهكها.

وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ: أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به.

فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ: أي اجتنبوا عبادة الأوثان.

وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ٣٠: وهو الكذب، وأعظم الكذب ما كان علىٰ الله تعالىٰ والشرك وشهادة الزور، وكذلك الكذب علىٰ رسول الله ﷺ.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ: موحدين له مائلين عن كل دين إلىٰ الإسلام. ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾.

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ: أي سقط.

فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ: أي تأخذه بسرعة. ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ٣١﴾.

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ: أعلام دينه، وهي هنا البُدْن بأن تختار الحسنة السمينة منها.

فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢: أي تعظيمها ناشئ من تقوىٰ قلوبهم.

لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ: منها ركوبها، والحمل عليها بما لا يضرها، وشرب لبنها.

إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى: أي وقت معين، وهو نحرها بالحرم أيام التشريق.

ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ٣٣: أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا: أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلىٰ الله تعالىٰ، ومكان الذبح يقال له: منسك. ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ : أي انقادوا ظاهرًا وباطنًا لأمره ونهيه.
﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾ : أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.
﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ : أي خافت من الله تعالىٰ أن تكون قصرت في طاعته.
﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾ .
﴿وَالْبُدْنَ﴾ : جمع بدنة، وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ.
﴿جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ : أي من أعلام دينه ومظاهر عباداته. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ .
﴿صَوَافَّ﴾ : جمع صافة وهي القائمة علىٰ ثلاث معقولة اليد اليسرىٰ.
﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ : أي بعد أن تسقط علىٰ جنوبها علىٰ الأرض لا روح فيها.
﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ : القانع[1] : السائل، والمعتر: الذي يتعرض للرجل ولا يسأله حياءً وعفةً.
﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ : أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦﴾ : أي لأجل أن تشكروا الله تعالىٰ بحمده وطاعته.
﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ : أي لا يرفع إلىٰ الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به، وترك ما نهىٰ عنه. ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ .
﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ : أي تقولوا: الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق.
﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ : شكرًا له علىٰ هدايته إياكم.
﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٧﴾ : أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالىٰ وحده ويؤدونها علىٰ الوجه المشروع.
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : قُرئ يدفع: أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين.
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ : كثير الخيانة لأمانته وعهوده.
﴿كَفُورٍ ۝٣٨﴾ : أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه.
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ : أي بسبب ظلم المشركين لهم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾[2].
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ : أي استوجب إخراجهم من ديارهم.

---

(١) القانع: اسم فاعل من قَنَعَ يقْنَعُ، فهو قانع إذا سأل وتذلل في السؤال، أما القانع: بمعنىٰ ذي القناعة ففعله: قَنِعَ بكسر النون، قناعة إذا اكتفىٰ بما عنده ولم يسأل.
(٢) هذه الآية نزلت بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إلىٰ المدينة، وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأول فهي أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم.

إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ : أي إلا قولهم: ربنا الله والله حق، وهل قول الحق يسوغ إخراج قائله؟

وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ(١) وَبِيَعٌ : معابد الرهبان وكنائس النصارىٰ.

وَصَلَوَٰتٌ : معابد اليهود باللغة العبرية، مفردها صلوءًا.

وَمَسَٰجِدُ : أي بيوت الصلاة للمسلمين. ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ : أي ينصر دينه وعباده المؤمنين.

إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ : قادر علىٰ ما يريد، عزيز لا يمانع فيما يريد.

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ : أي نصرناهم علىٰ عدوهم ومكنا لهم في البلاد؛ بأن جعلنا السلطة بأيديهم. ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾.

وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ : أي آخر أمور الخلق مردها إلىٰ الله تعالىٰ الذي يُثِب ويعاقب.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ : أي إن يكذبك قومك. ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾.

وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ : إذًا فلا تأس، فلست وحدك المكذّب.

وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ : هم قوم شعيب عليه السلام.

وَكُذِّبَ مُوسَىٰ : أي كذبه فرعون وآله الأقباط.

فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ : أي أمهلتهم فلم أعجل العقوبة لهم.

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ : أي بالعذاب المستأصل لهم.

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ : أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعًا موقعه؟ نعم. إذ الاستفهام للتقرير.

فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا : أي ساقطة علىٰ سقوفها.

وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ : أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها.

وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ : مرتفع مجصص بالجص. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾.

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ : أي فإنها أي: القصة لا تعمىٰ الأبصار فإن الخلل ليس في أبصارهم، ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوىٰ وأفسدتها الشهوة والتقليد لأهل الجهل والضلال.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ : أي يطالبونك مستعجلينك بما حذرتهم منه من عذاب الله. ﴿وَلَن

---

(١) في الآية دليل علىٰ أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارىٰ، وإنما يمنعون من زيادة البناء حتىٰ لا يكون ذلك إذنًا بالبقاء علىٰ الكفر وهو حرام.

يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾.

وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾: أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة.

وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ: أي وكثير من القرىٰ أي العواصم والحواضر الجامعة لكل أسباب الحضارة.

أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ: أي أمهلتها فمددت أيام حياتها، ولم أستعجلها بالعذاب. ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾.

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾: منذر أي مخوف عاقبة الكفر والظلم بيِّن النذارة.

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾: أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة.

وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ: أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا، وما تحمله من دعوة إلىٰ التوحيد وترك الشرك والمعاصي. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ: الرسول ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بإبلاغه، والنبي مقرر لشرع من قبله.

إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ: أي قرأ في أمنيته أي: في قراءته.

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ: أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة، يحكم الله آياته أي يثبتها. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾﴾.

لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ: أي اختبارًا للذين في قلوبهم مرض الشرك الشك.

وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ: هم المشركون. ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾﴾.

وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ: أي تتطامن وتخشع له قلوبهم. ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾﴾.

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ: أي في شك منه وريب من القرآن. ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾.

أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾: هو عذاب يوم بدر إذ كان يومًا عقيمًا لا خير فيه لهم. ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾.

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾: أي جنات ذات نعيم لا يبلغ الوصف مداه.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾: أي يهان فيه صاحبه فهو عذاب جسماني نفساني.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا : أي هجروا ديار الكفر، وذهبوا إلى ديار الإيمان المدينة النبوية على ساكنها السلام.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله، وينصروا دينه وأولياءه.

ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا : أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨)﴾.

لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ : أي الجنة يوم القيامة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)﴾.

ذَٰلِكَ : أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه.

وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ : أي ظُلِمَ بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به. ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠)﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : أي يدخل جزءًا من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة، كما أنه يوميًا يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار، ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ : أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه.

وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ : أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)﴾.

أَلَمْ تَرَ : أي ألم تعلم. ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً : أي بالعشب والكلأ والنبات. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) : الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ : أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به. ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥)﴾.

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ : أي أوجدكم أحياءً بعدما كنتم عدمًا. ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) : أي كثير الكفر والجحود لربه ونعمه عليه.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا : أي مكانًا يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها. ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾.

فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ : أي لا ينبغي أن ينازعوك.

وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) : أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق.

﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ : هو اللوح المحفوظ. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ(١) ﴿٧٠﴾﴾.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا : أي حجة وبرهانًا. ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ : أي الإنكار الدال عليه عبوس الوجه وتقطيبه.

يَكَادُونَ يَسْطُونَ : يبطشون. ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾.

قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ : هو النار. ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ : أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ ...﴾ إلخ. ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا : لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر الخيوانات تتخلق من العفونات.

وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ : أي علىٰ خلقه فإنهم لا يقدرون، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز.

وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ : أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم.

ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ : أي العابد والمعبود.

مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ : أي ما عظم المشركون الله تعالىٰ حق قدره أي عظمته. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ : أي يجتبي ويختار كجبريل عليه السلام(٢).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ : كمحمد ﷺ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ(٣): أي أطيعوه في أمره ونهيه في تعظيم هو غاية التعظيم وذلٍ له هو غاية الذل.

وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ : أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورغبكم فيه من صالح الأقوال والأفعال.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ : أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ : أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالىٰ وأمر به، وهو جهاد الكفار والشيطان والنفس والهوىٰ.

---

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك علىٰ الله يسير، إذ هو تعالىٰ لا يعجزه شيء، ويقول للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

(٢) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أن الله يصطفي من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلىٰ من يصطفي من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد علىٰ المعترضين علىٰ الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

(٣) خص الركوع والسجود من بين أركان الصلاة؛ لأنهما أشرف أجزائها وأدل علىٰ خضوع العبد لربه وذلته له.

هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلىٰ الناس كافة.

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ : أي من ضيق وتكليف لا يطاق.

مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له.

هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ .

وَفِى هَٰذَا : أي القرآن. ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ : أي تمسكوا بدينه وثقوا بنصرته وحسن مثوبته. ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ .

فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ : أي هو تعالىٰ نعم النصير: أي الناصر لكم.

٢٣- سُورَةُ المُؤْمِنُونَ (١)

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ : أي فازوا قطعًا بالنجاة من النار، ودخول الجنة.

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ : أي ساكنون مطمئنون لا يتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ : اللغو كل ما لا رضىٰ فيه لله من قول وعمل وتفكير. معرضون أي منصرفون عنه.

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ : أي مؤدون.

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ : أي صائنون لها عن النظر إليها لا يكشفونها وعن إتيان الفاحشة.

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : من الجواري والسراري إن وجدن. ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾.

فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ : أي طلب ما دون زوجته وجاريته المملوكة شرعًا.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ : أي الظالمون المعتدون علىٰ حدود الشرع.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم.﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾.

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ : أعلىٰ درجة في الجنة في أعلىٰ جنة. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ (٢) مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ : السلالة ما يستل من الشيء، والمراد بها هنا ما استل من الطين لخلق آدم.

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ : النطفة قطرة الماء.

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً : العلقة: الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه بإصبعه كمخ البيض.

---

(١) سورة «المؤمنون» وليس المؤمنين لأنها توقيفية من عند الله تعالىٰ (قل).

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم، وأن يكون أحد ذريته، إذ السلالة: الشيء المستل أي: المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين.

فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً : والمضغة هي قطعة لحم قدر ما يمضغ الآكل. ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ﴾.

خَلْقًا ءَاخَرَ : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنسانًا.

فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين. ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ : أي سبع سموات. كل سماء يقال: لها: طريقة؛ لأن بعضها مطروق فوق بعض. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ : أي بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص. ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ : جبل يقال له: طور سيناء.

تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ [1] : أي تنبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ : أي يغمس الآكل فيه اللقمة ويأكلها.

وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً : الأنعام الإبل والبقر والغنم، والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها ومنافعها.

نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا : أي من اللبن.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ : أي من لحومها.

وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ : أي تركبون الإبل في البر، وتركبون السفن في البحر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ [2] : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله غيره.

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ : أي أتعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه.

فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ : أي أعيان البلاد وكبراء القوم.

مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ : أي ما نوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه.

يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ : أي يسودكم ويصبح آمرًا ناهيًا بينكم.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلًا. ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ

---

(١) الباء في ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوبًا بسلامة.
وفي الآية إشارة إلىٰ أن شجر الزيتون أولَ ما وجد علىٰ الأرض وجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلىٰ آخر، فقوله: ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ إعلام بأول منبت لها.

(٢) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ موطئة للقسم، أي: وعزتنا لقد أرسلنا نوحًا.

ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ : أي مصاب بمس من جنون.

فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ : أي فلا تسمعوا له وتطيعوا وانتظروا به هلاكه أو شفاءه. ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أن اصنع الفلك.

بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا : أي بمرأى منا ومنظر، وبتعليمنا إياك صنعها.

فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان.

فَٱسْلُكْ فِيهَا : أي أدخل في السفينة.

مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ : [راجع سورة هود](1).

وَأَهْلَكَ : أولادك ونساءك. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾.

وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ : أي لا تكلمني في شأن الظالمين.

إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ : فإني حكمت بإغراقهم. ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا : أي وادعني قائلًا: يا رب أنزلني منزلًا مباركًا من الأرض. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ : أي لدلائل وعبرًا.

وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ : أي لمختبرين.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوما آخرين هم عاد قوم هود.

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ : هو هود عليه السلام.

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ : أي قولوا: لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش. ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾.

أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي ذكرًا وأنثىٰ من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك. اهـ(قل).

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾: أي بَعُد بعدًا كبيرًا وقوع ما يعدكم.

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا: أي ما هي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرىٰ. ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (١).

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ: أي ما هو إلا رجل.

افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: أي كذب علىٰ الله تعالىٰ. ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾.

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ: أي عن قليل من الزمن.

لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾: ليصيرن نادمين علىٰ كفرهم وتكذيبهم.

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ: أي صيحة العذاب والهلاك.

فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً: كغثاء السيل، وهو ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس.

فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾: أي هلاكًا لهم.

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾: أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب. ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا: أي يتبع بعضهم بعضًا الواحد عقب الآخر. ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي أهلكناهم وتركناهم قصصًا تُقص وأخبارًا تتناقل. ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾.

بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾: الآيات هي التسع الآيات، وهي الحجة والسلطان المبين.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾: أي علوا أهل تلك البلاد قهرًا واستبدادًا وتحكمًا. ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾.

وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾: أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: أي التوراة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (٢).

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ: أي عيسىٰ وأمه (٣).

---

(١) إن قيل: كيف قالوا: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب: إما أن يكون مرادهم نكون نطفًا ميتة ثم نحيا، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي: نحيا فيها ونموت نحو ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ وإما بموت الآباء وحياة الأبناء.

(٢) خص موسىٰ بإيتائه الكتاب دون هارون؛ لأن هارون يوم إعطاء موسىٰ الكتاب (التوراة) كان مع قومه، وموسىٰ كان وحده في الطور للمناجاة.

(٣) أدمج أمه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتانًا عظيمًا.

ءَايَةً : أي حجة وبرهانًا علىٰ وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده.
وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ : أي إلىٰ مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب وفواكه وخضر[1].
يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ : أي من الحلال.
وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل. ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.
وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ : أي ملتكم الإسلامية. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.
وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ : أي بامتثال أمري واجتناب نهيي.
فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف: هذه يهودية وتلك نصرانية. ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾.
فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ : أي في ضلالتهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.
نُسَارِعُ لَهُمْ : أي نعجل. ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.
بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ : أن ذلك استدراج لهم.
إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ : أي خائفون. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾.
وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ : أي بعبادته أحدًا.
وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ : أي خائفون أن لا يقبل منهم ذلك[2].
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ : أي لأنهم إلىٰ ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.
أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ : أي بإذن الله وفي علمه.
وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا : إلا طاقتها وما تقدر عليه.
وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق.
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ : أي بنقص حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة علىٰ سيئاتهم.
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا : أي جهالة بالقرآن وعمىٰ.
وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي: الخشية والإيمان بالآيات والتوحيد والمراقبة.
هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالىٰ بها. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾.

---

(١) المعين: هو الماء الجاري علىٰ ظهر الأرض ظاهر للعيون.
(٢) روىٰ الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات».

إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ : أي يصرخون بأعلىٰ أصواتهم ضاجِّين مستغيثين مما حل بهم من العذاب.
لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ .

نَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ : أي ترجعون علىٰ أعقابكم كراهية سماع القرآن.

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ : أي بالحرم أي كانوا يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد لأنا أهل الحرم.

سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ : أي تسمرون بالحرم ليلًا هاجرين الحق وسماعه علىٰ قراءة فتح التاء، وعلىٰ قراءة ضمها: تُهجرون أي: تقولون الهجر من القول كالفحش والقبح.

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ (١)

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ : أي محمدًا ﷺ. ﴿فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ .

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ : أي مجنون. ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ : أي ما يهوونه ويشتهونه. ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ .

بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكرهم فيه يُذكرون وتُذكرون. ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا : أي مالًا مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم.

فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ : أي ما يرزقكه الله خير. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾ .

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ : أي إلىٰ الإسلام.

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ : أي عن الإسلام أي متنكبونه أي جاعلوه علىٰ منكب أي جانب، عادلون عنه.

﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ : أي لتمادوا في طغيانهم مصرين عليه. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ .

فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ : أي ما ذلّوا ولا خضعوا. ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو معركة بدر وما أصاب المشركين من القتل.

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٢) ﴿٧٧﴾ : أي آيسون قانطون.

---

(١) وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ الذي يسمعونه من نبينا محمد ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم، وقيل: القول: القرآن؛ وسمي قولًا لأنهم خوطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقريع والتأنيب.
﴿أَمْ جَاءَهُم﴾ إلخ..أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنىٰ بل الانتقالية بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به؛ فلذا أنكروه وتركوا التدين به، والفاء في: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل علىٰ ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء.

(٢) الإبلاس: شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة.

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ : أي خلق وأوجد وخلق لكم الأسماع والأبصار.
وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ : جمع فؤاد وهو القلب.
قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ : أي ما تشكرون إلا قليلًا.
وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ : أي خلقكم. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.
وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وإخراجكم من قبوركم.
وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ (١) ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ : أي إليه تعالىٰ إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار.
أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق. ﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ﴾.
إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ : أي ما تقولون من البعث والحياة الثانية ما هو إلا حكايات وأساطير، وأخبار الأولين، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة. ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾.
قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ : فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقًا وملكًا قادر علىٰ البعث وأنه لا إله إلا هو. ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾.
قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.
قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ : أي ملك كل شيء يتصرف كيف يشاء.
وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ : أي يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمىٰ عليه ويحفظ من أراده بسوء. ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾.
سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ : أي كيف تُخدعون وتُصرفون عن الحق.
بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء. ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾.
وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ : أي قهرًا وسلطانًا.
سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ : أي من الكذب كزعمهم أن لله ولدًا وأن له شريكًا، وأنه غير قادر علىٰ البعث. ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.
قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ : أي إن تريني أي من العذاب. ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

---

(١) ﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ هذه اللام: لام الاختصاص إذ لا قدرة لأحد سواه علىٰ اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر، والضياء والظلام، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات علىٰ اختلافها وتنوعها.

ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ : أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك[١] كالصفح والإعراض عنهم. ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾.

وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده.

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨ : أي في أموري حتىٰ لا يفسدوها عَلَيَّ.

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ : أي رأىٰ علاماته ورآه. ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾.

وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ[٢] : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل.

إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ : أي في القرن المعبر عنه بالبوق نفخة القيام من القبور[٣] للحساب والجزاء. ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾.

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة. ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾.

تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ : أي تحرقها.

وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ : الكالح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه.

أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ : أي يوبخون ويذكرون بالماضي؛ ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات: آيات القرآن. ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥﴾.

قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا : أي الشقاوة الأزلية إنها تكتب علىٰ العبد في كتاب المقادير قبل وجوده. ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦﴾.

رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا : أي من النار، فَإِنۡ عُدۡنَا : إلىٰ الشرك والمعاصي. ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾.

قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا : أي ابعدوا في النار أذلاء مخزيين. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾.

إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي : هم المؤمنون المتقون. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾.

فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا : أي جعلتموهم محطَّ سخريتكم واستهزائكم. ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾.

إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ : أي علىٰ الإيمان والتقوىٰ.

---

(١) هذا بالنسبة إلىٰ الأمة فهو محكم باقٍ، وهو الصفح وعدم المؤاخذة فيما بينه، وأما بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادعة لهم لا غير إلىٰ أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد.

(٢) البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ.

(٣) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث والحشر، والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والأخيرة نفخة الحساب والجزاء.

أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾: أي الناجون من النار المنعمون في الجنة.

قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾: أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياءً وأمواتًا في قبوركم؟ ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا﴾.

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾: يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو من يعد أمَّا نحن فلم نعرف. ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا: أي لا بحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا. ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ: أي تنزه الله عن العبث. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ: الجملة صفة لـ ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ لا مفهوم لها إذ لا يوجد برهان ولا يوجد حجة علىٰ صحة عبادة غير الله تعالىٰ؛ إذ الخلق كله مربوب لله مملوك له.

فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ: أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾[1].

❁❁❁❁

(١)رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (قل)

٢٤- سُورَةُ النُّورِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا : أي هذه السورة أنزلناها.

وَفَرَضْنَاهَا : أي فرضنا ما فيها من أحكام.

وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ : أي وأنزلنا ضمنها آيات: أي حججًا واضحات تهدي إلىٰ الحق وإلىٰ صراط مستقيم.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ : أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام.

الزَّانِيَةُ : من أفضت إلىٰ رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة. ﴿وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾.

مِائَةَ جَلْدَةٍ : أي ضربة علىٰ جلد ظهره.

وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ : شفقة ورحمة. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا : أي إقامة الحد عليهما.

طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ : أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولىٰ من الثلاثة.

الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً : أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لا يقع وطء إلا علىٰ مثله. ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ : أي يقذفون.

الْمُحْصَنَاتِ : أي العفيفات والرجال هنا كالنساء[1]. ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾.

فَاجْلِدُوهُمْ : أي حدًّا عليهم واجبًا. ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾.

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا : لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ : فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم. ﴿وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

---

(١) قيل: خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم؛ لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفوس ومن حيث هو هوىٰ الرجال.

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ : أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول: زنت أو هذا الحمل الذي في بطنها ليس منه. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾.

إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ : أي فيما رماها به من الزنا.

وَٱلْخَٰمِسَةُ : أي والشهادة الخامسة. ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ وهذا ما يعرف باللعان: لأن كلًّا من الزوجين يلعن نفسه إن كان كاذبًا.

وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ : أي يدفع عنها حد الزنا وهو هنا الرجم حتىٰ الموت.

أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ: أي شهادتها أربع شهادات. ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ وسميت الأيمان هنا شهادة؛ لأنها أقيمت مقام الشهود وأصبحت بدلًا عنها.

وَٱلْخَٰمِسَةُ: هي قولها. ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ: أي لفضح القاذف والمقذوف ببيان كذب أحدهما. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ (١): الإفك: الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبة: الجماعة.

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ : الشر ما غلب ضرره علىٰ نفعه، والخير ما غلب نفعه علىٰ ضرره، والشر المحض النار يوم القيامة، والخير المحض الجنة دار الأبرار. ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾.

وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ: أي معظمه وهو ابن أُبَيٍّ ابن سلول كبير المنافقين. ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

لَّوْلَآ: أداة تحضيض وحث بمعنىٰ هَلَّا. ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا (٢) جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ: أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ. ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ: أي تتلقونه: أي يتلقاه بعضكم من بعض. ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

---

(١) والمقصود بالإفك هنا ما رمىٰ به ابن أُبَيٍّ كبير المنافقين، ما رمىٰ به المسلمة المؤمنة القانتة التائبة العابدة السائحة الغافلة الغشيمة المطهرة الصِّديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما برأها الله منه من فوق السماء السابعة والتي رضي الله عنها ما وقعت في حرج إلَّا وجعل الله لها وللمؤمنين منه مخرجًا وفرجًا رضي الله عنها وعن أبيها (قل).

(٢) هَلَّا وهي للحض والحث علىٰ فعل الشيء، إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيرًا إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقلتم: لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين: أي ظاهر لا يقبل ولا يُقرُّ عليه، هكذا كان الواجب عليكم ، ولكنكم ما فعلتم.

وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾: أي تحسبونه من صغار الذنوب وهو عند الله من كبائرها؛ لأنه عِرْض مؤمنة هي زوج رسول الله ﷺ. ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾.

سُبْحَٰنَكَ: كلمة تقال عند التعجب، والمراد بها تنزيه الله تعالىٰ عما لا يليق به.

هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾: البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه.

يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا: أي ينهاكم نهيًا مقرونًا بالوعيد حتىٰ لا تعودوا لمثله أبدًا. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾.

أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟: أي تعم المجتمع وتنتشر فيه، والفاحشة: هي الزنا. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ: جواب لولا محذوف وتقديره: لعاجلكم بالعقوبة أيها العُصبة. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ: نزغاته ووساوسه. ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا: أي ما طهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ: أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وَٱلسَّعَةِ: أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلىٰ الغير. ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ: أي العفيفات بالزنا.

ٱلْغَٰفِلَٰتِ: أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها[1].

ٱلْمُؤْمِنَٰتِ[2]: أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾.

بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾: أي من قول أو عمل.

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ: أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

---

(١) الغافلات: هن اللائي لا علم لهن بما رُمين به، وذلك لسلامة صدورهن وبعدهن -بحكم إيمانهن- عن مواطن الريب.

(٢) الإجماع علىٰ أن حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياسًا واستدلالًا وحكمًا وقضاءً.

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ: الخبيثات من النساء والكلمات للخبيثين من الرجال[١]. ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾.

وَٱلطَّيِّبَٰتُ: من النساء والكلمات.

لِلطَّيِّبِينَ: أي من الرجال. ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾.

أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ: أي صفوان بن المعطل وعائشة رضي الله عنهما أي مبرءون مما قاله عُصبة الإفك. ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟: أي صدَّقوا الله ورسوله فيما أخبرا به من الغيب والشرع[٢].

لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟: أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي.

وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا: أي تقولوا السلام عليكم أأدخل؟ ثلاثًا.

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾: أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله أمركم بالاستئذان. ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾.

هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ: أي أطهر وأبعد عن الريبة والإثم. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ: أي إثم ولا حرج. ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ: أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ: أي ما تظهرونه.

وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾: أي ما تخفونه، إذًا فراقبوه تعالىٰ، ولا تضمروا ما لا يرضىٰ فإنه يعلمه.

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ[٣]: أي يخفضوا من أبصارهم حتىٰ لا ينظروا إلىٰ نساء لا يحل لهم أن ينظروا إليهن.

وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ: أي يصونوها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة كالزنا واللواط.

ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ: أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي مواضع الزينة كالساقين حيث يوضع الخلخال، وكالكفين، والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء، والرأس حيث الشعر، والأقراط في الأذنين، والتزجيج في الحاجبين، والكحل في العينين والعنق والصدر حيث السخاب والقلائد.

---

(١) الابتداء بذكر الخبيثات لأن الغرض من الكلام الاستدلال علىٰ براءة عائشة أم المؤمنين، واللام في الخبيثين: للاستحقاق.

(٢) الصحيح أن تكون العبارة كالآتي: صدقوا الله ورسوله في كل ما أمر الله به من الغيب والشرع (قل).

(٣) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج؛ لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمىٰ رائد الموت.

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيء، والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة.السموات

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي فتحات الثياب في الصدر وغيره حتىٰ لا يبدو شيء من جسمها.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: البعل: الزوج، والجمع: بعول. ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: أي المسلمات فيخرج الذمِّيات فلا تتكشف المسلمة أمامها.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: أي العبيد والجواري، فللمسلمة أن تكشف وجهها لخادمها المملوك.

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن لا حاجة لهم إلىٰ النساء.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾: أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ.

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾: أي لم يبلغوا سنًّا تدعوهم إلىٰ الاطلاع علىٰ عورات النساء للتلذذ بهن.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: أي الخلاخل في الرجلين.

﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾: أي تفوزون بالنجاة من العار والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾: أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم.

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾: أي وزوجوا أيها القادرون والقادرات علىٰ أعباء الزواج من عبيدكم وإمائكم.

﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي إن يكن الأيامىٰ فقراء[1] فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم فإن الله يغنيهم.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾: أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكرمًا.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: أي يطلبون المكاتبة[2] من المماليك.

---

(١) في الآية دليل علىٰ تزوج الفقير بل قال عمر: عجبًا لفقير لم يطلب الغنىٰ بالزواج لقول الله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾.

(٢) وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكاتبه. وكان أهلًا للتحرر بأن يقدر علىٰ تسديد مال المكاتبة، ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلىٰ مالكه أن يكاتبه، وأن يعينه علىٰ ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة، ولا تكون المكاتبة إلا علىٰ أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا علىٰ نجم واحد.

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا : أي قدرة على السداد والاستقلال عنكم [(١)].
وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ : أي أعينوهم بثمن نجم من نجوم المكاتبة من الزكاة وغيرها.
وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا : أي الزنى، تحصنًا أي تعففًا وتحفظًا من فاحشة الزنا.
لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي المال.
وَمَن يُكْرِههُّنَّ : أي على البغاء (الزنا). ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [(٢)].
وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه.
وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ : أي قبلكم: أي قصصًا من أخبار الأولين كقصة يوسف وقصة مريم، وهما شبيهتان بحادثة الإفك.
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة.
۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي منورهما، فلولاه لما كان نور في السموات، ولا في الأرض، والله تعالىٰ نور وحجابه النور.
مَثَلُ نُورِهِۦ : أي في قلب عبده المؤمن.
كَمِشْكَوٰةٍ : أي كوة. ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾.
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ : أي مضيء إضاءة الدر الوهاج. ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.
نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ : أي نور النار على نور الزيت.
يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ : أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته.
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ : أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا ما يدعوهم إليه. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾.
فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ : هي المساجد، ورفعها: إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة. ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾.
يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ : جمع غداة، وهو الصباح.
وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ : جمع أصيل، وهو المساء. ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾.
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ [(٣)] ﴿٣٧﴾ : يوم القيامة. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ

---

(١) ﴿خَيْرًا﴾ أي: صلاحًا وتقوىٰ وقدرة على الأداء.
(٢) ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بهن لأن المكره لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل، فامتنع المنافق من ذلك.
(٣) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلىٰ التصديق واليقين، وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء، =

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾.

وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾: أي بلا عَدٍّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيرًا.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ: السراب شعاع أبيض يُرىٰ في نصف النهار وكأنه ماء، والقيعة جمع قاع، وهو ما انبسط من الأرض.

يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ: العطشان. ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ[1] فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ: أي ذي لجج، واللجة معظم الماء وغزيره كما هي الحال في المحيطات.

يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ: يعلوه ويغطيه موج آخر. ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ: ينزه ويقدس بألفاظ التسبيح والتقديس كـ(سبحان الله) ونحوه، والصلاة من التسبيح. مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ.

وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ: باسطات أجنحتها.

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ: أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلاته وتسبيحه، كما أن كل مسبِّح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا: أي يسوق برفق ويسر.

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ: أي يجمع بين أجزائه وقطعه.

ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا: أي متراكمًا بعضه فوق بعض.

فَتَرَى ٱلْوَدْقَ: أي المطر.

يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ: أي خلاله وهي فرجه ومخارجه.

وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ: أي من جبال من برد في السماء، والبرد حجارة بيضاء كالثلج.

فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ: أي فيصيب بالبرد من يشاء. ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ﴾.

=

وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين، أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلىٰ الزرق والعمىٰ بعد الإبصار.

(١) قيل: المراد بالظلمات: أعمال الكفر، وبالبحر اللجي: قلب الكافر، وبالموج فوق الموج: ما يغشىٰ قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين والختم والطبع علىٰ قلبه، ولذا قال أبي بن كعب: الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلىٰ ظلمة النار.

يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ: أي لمعانه.

يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾: أي الناظرة إليه. ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً: أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده. ﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾.

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ: أي حيوان من نطفة[1].

فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ: كالحيات والهوام.

وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ: كالإنسان والطير.

وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ: أي كالأنعام والبهائم. ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾.

وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾: أي إلى الإسلام.

وَيَقُولُونَ: أي المنافقون.

ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا: أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوة الرسول محمد ﷺ.

ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم: أي يعرض. ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾: أي عن المجيء إلى الرسول ﷺ.

وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾: أي مسرعين منقادين مطيعين.

أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: أي كفر ونفاق وشرك.

أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ: أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ.

أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ: أي في الحكم فيظلموا فيه. ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ: هو قولهم سمعنا: وأطعنا أي سمعًا وطاعة. ﴿إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[2].

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾: أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[3].

---

(١) فخرج الملائكة والجن، إذ الملائكة خلقوا من نور، والجن من النار.

(٢) لم يقل ليحكما، لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ، وإنما قدم اسم الله تعظيمًا ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبين ومنفذ لا غير.

(٣) حكي أن رجلًا من دهاقين الروم أسلم فقيل له: هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيرًا من كتب الأنبياء فسمعت أسيرًا يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت. وقيل له: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾. في الفرائض، ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾. في السنن، ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ فيما مضى من عمره ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾. والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر: قال النبي ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم».

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: أي حلفوا بالله بالغِينَ غاية الجهد في حلفهم.

لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ: أي بالخروج إلىٰ الجهاد.

قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ: أي طاعة معروفة للنبي ﷺ فيما يأمركم به وينهاكم خير من إقسامكم بالله. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

فَإِن تَوَلَّوْا: أي فإن تتولوا أي تعرضوا عن الطاعة.

فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ: أي من إبلاغ الرسالة وبيانها بالقول والعمل.

وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ: أي من وجوب قبول الشرع والعمل به عقيدة وعبادة وحكمًا.

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا: أي وإن تطيعوا الرسول في أمره ونهيه وإرشاده تهتدوا إلىٰ خيركم. ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ: أي يجعلهم خلفاء لغيرهم فيها بأن يديل لهم من أهلها فيسودون فيها ويحكمون. ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ: أي بأن يظهر الإسلام علىٰ سائر الأديان ويحفظه من الزوال. ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا [1] يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ [2] بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ: أي أدوها أداءً كاملًا تامًّا مراعين فيها شروطها، وأركانها، وواجباتها وسننها، حتىٰ تثمر الزكاة والطهر في نفوسكم.

وَآتُوا الزَّكَاةَ: أي المفروضة من المال الصامت كالذهب والفضة والحرث، والناطق كالأنعام من إبل وبقر وغنم.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ: أي محمدًا ﷺ في أمره ونهيه والأخذ بإرشاده وتوجيهه.

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾: أي رجاء أن يرحمكم ربكم في دنياكم وآخرتكم فلا يعذبكم فيهما.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ: أي معجزين الله تعالىٰ بحيث لا يدركهم، ولا ينزل بهم نقمته وعذابه، والأرض في الآية هي أرض الدنيا هذه.

---

(١) فإن قيل: وأين الأمن وقد قتل عمر وعثمان وعلي غيلة؟ فالجواب: ليس الأمن مانعًا من الموت فالموت حتم مع الأمن ومع الخوف لأنها آجال محدودة لا تزيد ولا تنقص:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

وأخرج مسلم قوله ﷺ: «والله ليتمن هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب علىٰ غنمه ولكنكم تستعجلون».

(٢) المراد بالكفر: كفران النعم، وقد حصل هذا بعد القرون المفضلة حيث فسدت العقائد وتمزقت الروابط، وأهمل الدين، وسلب الله ما أعطىٰ.

وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه، ويصيرون إليه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ : أي ليطلب الإذن منكم في الدخول عليكم.

ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ : من عبيد وإماء.

وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمس عشرة سنة فما فوق. ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾.

مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ : أي وقت القيلولة للاستراحة والنوم. ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾.

ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ : العورة ما يستحىٰ من كشفه، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة. ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ : أي للخدمة.

بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ : أي بعضكم طائف على بعض. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ : أي في جميع الأوقات؛ لأنهم أصبحوا رجالًا مكلفين. ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾.

وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن.

فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار.

غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال.

وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ : بأن لا يضعن ثيابهن خير لهن من الأخذ بالرخصة. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ : الحرج: الضيق، والمراد به هنا الإثم، أي: لا إثم على المذكورين في مؤاكلة غيرهم. ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ﴾.

أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ (١) أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو بالوكالة، كوكالة على بستان أو ماشية.

---

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلة في بيوت الآباء للحديث: «أنت ومالك لأبيك» [هـ - طب - صحيح - انظر صحيح الجامع]. ومن المعلوم أن الأولاد عادة وعرفًا يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكروا.

أَوْ صَدِيقِكُمْ : أي من صدقكم الود وصدقتموه[1].

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا : أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين.

فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ : لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من عند الله فهو خير عظيم.

مُبَارَكَةً طَيِّبَةً : أي تطيب بها نفس المسلَّم عليه. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ : كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره، كاجتماع لأمر هام كحرب ونحوها.

لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ : أي يطلبوا منه ﷺ الإذن. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ : أي لبعض أمورهم الخاصة بهم. ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ : أي نداءه فلا ينادىٰ بـ«يا» محمد، ولكن بـ«يا» نبي الله ورسول الله.

كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا : أي كما ينادي بعضكم بعضًا بـ«يا» عمر ويا سعيد مثلًا.

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا : أي ينسلون واحدًا بعد واحد، يستر بعضهم بعضًا حتىٰ يخرجوا خفية.

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ : أي زيغ في قلوبهم. فيكفروا[2]. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ : أي من الإيمان والنفاق، وإرادة الخير أو إرادة الشر. وقد هنا للتأكيد عوملت معاملة رُبَّ إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحيانًا. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾.

❁❁❁❁

---

(١) قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولًا حسنًا في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبذولًا، فإذا كان محرزًا دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلىٰ الادخار. ولا إلىٰ ما ليس بمأكول وإن كان غير محرز عنهم إلا بإذنهم.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (قل).

٢٥- سُورَةُ الفُرْقَانِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ : أي تكاثرت بركته، وعمت الخلائق كلها.

ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ : أي الله الذي نزل القرآن فارقًا بين الحق والباطل.

عَلَىٰ عَبْدِهِۦ : أي محمد ﷺ.

لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ : أي ليكون محمد ﷺ نذيرًا للعالمين من الإنس والجن، أي مخوفًا لهم من عقاب الله وعذابه، إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحدوه. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ .

وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ : أي سواه تسوية قائمة علىٰ أساس لا اعوجاج ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة. ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا : أي لا دفع ضر ولا جلب نفع.

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ : أي لا يقدرون علىٰ إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثًا للأموات.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ : أي ما القرآن إلا كذب افتراه محمد، وهو ليس بكلام الله تعالىٰ. هكذا قالوا. ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾[1] .

فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام المعجز الهادي إلىٰ الإسعاد والكمال البشري إفكًا مختلقًا، وزورًا بنسبة ما هو بريء منه إليه.

وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا : أي طلب كتابتها له فكتبت له. ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾[2] .

قُلْ أَنزَلَهُ[3] ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي ما يسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في نفوسهم.

إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ هم: أبو فكيهة مولىٰ ابن الحضرمي وعداس وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب.

(٢) ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيب القُصَّاص وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم.

(٣) أي القرآن.

مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾.

أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ : أي من السماء، فينفق منه، ولا يحتاج معه إلىٰ الضرب في الأسواق.

أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا : بستان فيه ما يغنيه من أنواع الحبوب والثمار.

وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ : مخدوعًا مغلوبًا علىٰ عقله.

ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ : أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلىٰ ذلك.

فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ : فضلوا الطريق الحق، وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فلا يهتدون.

تَبَارَكَ : أي تقدس وكثر خيره وعمت بركته.

ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ : أي الذي اقترحه المشركون عليك.

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ : أي كثيرة لا قصرًا واحدًا كما قال المشركون[1].

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ : أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هو السبب في ذلك. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ : أي صوتًا مزعجًا من تغيظها علىٰ أصحابها المشركين بالله الكافرين به.

وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ : أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد.

دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾: أي نادوا يا ثبورنا، أي يا هلاكنا، إذ الثبور الهلاك. ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ[2] ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾: أي ثوابًا علىٰ إيمانهم وتقواهم، ومصيرًا صاروا إليها لا يفارقونها. ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾: أي مطالبًا به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين: ربنا وآتنا ما وعدتنا، والملائكة تقول: ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ : أي يجمعهم.

وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ : من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾: أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلىٰ ذلك.

---

(١) القصر في اللغة: كل بناء رفيع عال حصين، وأما البيت فقد يكون من لبن وطين، وقد يكون من شعر.

(٢) أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك.

قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ : أي تنزيهًا لك عما لا يليق بجلالك وكرمك. ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾.

وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ : أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم.

حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ (١) وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ : أي هلكى، إذ البوار: الهلاك.

فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا : أي للعذاب عنكم.

وَلَا نَصْرًا : ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.

وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ : أي ومن يشرك منكم أيها الناس. ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً : أي بلية، فالغني مبتلىٰ بالفقير يقول: ما لي لا أكون كالغني، والمريض يقول: ما لي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول: ما لي لا أكون كالشريف.. مثلًا.

أَتَصْبِرُونَ : أي اصبروا علىٰ ما تسمعون ممن ابتليتم بهم، إذ الاستفهام للأمر هنا.

وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا : أي المكذبون بالبعث، إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة.

لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ : أي هلَّا أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله.

أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك.

لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غرورًا منهم.

وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ : أي طغوا طغيانًا كبيرًا حتىٰ طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالىٰ. ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ : أي تقول لهم الملائكة: حرامًا محرمًا عليكم البشرىٰ.

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ : أي عمدنا إلىٰ أعمالهم الفاسدة التي لم تكن علىٰ علم وإخلاص.

فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ : الهباء ما يرىٰ من غبار في شعاع الشمس الداخلي من الكوىٰ.

أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ : المقيل: مكان الاستراحة في نصف النهار في أيام الحر.

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ : أي عن الغمام، هو سحاب أبيض رقيق كالذي (٢) كان لبني إسرائيل في التيه.

---

(١) ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قومًا بورًا أي هلكىٰ خاسرين. قيل: الذكر: القرآن، وقيل: الشكر علىٰ الإحسان، وما في التفسير أشمل.

(٢) الباء: بمعنىٰ عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس، والغمام: سحاب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال تعالىٰ فيه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾.

﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ﴾ : أي الملك الحق لله، ولم يبق لملوك الأرض ومالكيها ملك في شيء ولا لشيء. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ : أي صعبًا شديدًا.

وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ : المشرك الكافر. ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ : أي ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله.

يَـٰقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ : أي طريقًا إلىٰ النجاة بالإيمان والطاعة.

يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ : أي أبي بن خلف خليلًا صديقًا ودودًا.

لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ : أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح. ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ .

وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ : شيطان الجن وشيطان الإنس معًا. ﴿لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾(١) .

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ : أي شيئًا متروكًا لا يلتفت إليه. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ .

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ : أي هاديًا لك إلىٰ طريق الفوز والنجاح، وناصرًا لك علىٰ كل أعدائك.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً : أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفرقة.

كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ : أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها.

وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ : أي أنزلناه شيئًا فشيئًا آيات بعد آيات وسورة بعد أخرىٰ؛ ليتيسر فهمه وحفظه. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٢) ﴿٣٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ .

أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا : أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها. ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ : أي التوراة. ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ : أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة.

فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا : هم فرعون وآله. ﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ .

---

(١) الخذول: كثير الخذلان، وخذله: إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان: معناهما: ترك نصر المستنجد مع القدرة علىٰ نصره.

(٢) هذا كقولهم: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ وقولهم: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقولهم: ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ وقولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ وقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كل هذا الذي قالوه رد عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعاويهم.

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ : أي نوحًا عليه السلام(١). ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾.

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً : أي علامة على قدرتنا في إهلاك وتدمير الظالمين وعبرة للمعتبرين. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾.

وَعَادًا وَثَمُودَ : أي اذكر قوم عاد وثمود. إلخ.

وَأَصْحَابَ الرَّسِّ : الرس بئر رس فيها قبر نبيهم، أي رموه فيها ودسوه في التراب. .

وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ : أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قرونًا كثيرًا. ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾.

وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ : أي دمّرناهم تدميرًا.

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ : هي سدوم قرية قوم لوط. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾.

بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ : أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ : أي ما يتخذونك. ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ : أي مهزوءًا به.

أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ : أي في دعواه، لا أنهم معترفون برسالته، والاستفهام للتهكم والاحتقار.

إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا : أي قارب أن يصرفنا عن آلهتنا.

لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا : أي لصرفنا عنها. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾.

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ : أي أخبرني عمن جعل هواه معبوده فأطاع هواه، فهل تقدر على هدايته. ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.

إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ : أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾(٢).

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ : أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف يبسطه.

وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا : أي ثابتًا على حاله في الطول والامتداد، لا يقصر ولا يطول.

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ : أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل.

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ : أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءًا فجزءًا حتى ينتهي.

---

(١) هذا كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ فإن الذي يكذب برسول يعتبر قد كذب بكل الأنبياء ولو لم يكونوا في زمانه لأن شرط الإيمان: الإيمان بكل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (قل).

(٢) إذ الأنعام تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها، وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا لنداء رسوله إليهم.

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس.

وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار.

وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ : أي حياة، إذ النوم بالليل كالموت، والانتشار بالنهار كالبعث.

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله، والمطر هو: الرحمة.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ.

لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا : أي بالزروع والنباتات المختلفة.

وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ : أي حيوانًا وأناسًا كثيرين.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرىٰ لحكم عالية[1].

لِيَذَّكَّرُوا۟ : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحدوا.

فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ : أي فلم يذكروا، وأبىٰ أكثرهم إلا كفورًا وجحودًا للنعمة.

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ : أي رسولًا ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر.

فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ : أي بالقرآن جهادًا كبيرًا تبلغ فيه أقصىٰ غاية جهدك.

۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ : أي خلط بينهما، وفي نفس الوقت منع الماء المالح أن يفسد الماء العذب.

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا : أي حاجزًا بين المالح منهما والعذب.

وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ : أي وجعل بينهما سدًّا مانعًا فلا يحلو المالح، ولا يملح العذب.

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا : أي خلق من الماء الإنسان، والمراد بالماء النطفة.

فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ : أي ذكرًا وأنثىٰ، أي نسبًا ينسب إليه، وصهرًا يصهر إليه أي يتزوج منه. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ : أي أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ : أي معينًا للشيطان علىٰ معصية الرحمن. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾.

قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : أي علىٰ البلاغ من أجر أتقاضاه منكم.

إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ : أي طريقًا يصل به إلىٰ مرضاته[2] والفوز بجواره،

---

(١) وجائز أن يراد بقوله ﴿صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ القرآن الكريم، إذ جرىٰ ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضًا.

(٢) قال الصابوني أثابه الله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي لكن من شاء أن يتخذ طريقًا يقربه إلىٰ الله بالإيمان والعمل الصالح فليفعل كأنه يقول: لا أسألكم مالًا ولا أجرًا وإنما أسألكم الإيمان بالله وطاعته =

وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ : أي قل سبحان الله وبحمده. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾[1].

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ : أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد.. والجمعة.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ : العرش سرير الملك، والاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

﴿الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ : أي أيها الإنسان اسأل خبيرًا بعرش الرحمن[2] ينبئك فإنه عظيم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ : أي القول لهم: اسجدوا للرحمن زادهم نفورًا من الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ : هي اثنا عشر برجًا[3].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ : أي شمسًا. ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ : أي يخلف كلٌّ منهما الآخر كما هو مشاهد[4].

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ : أي ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ : أي شكرًا لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ : في سكينة ووقار.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ : أي بما يكرهون من الأقوال.

﴿قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ : أي قولًا يسلمون به من الإثم، ويسمىٰ هذا سلام المتاركة، وهو أن يقول قولًا يسلم به من أذىٰ الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتي هي أحسن من الكلمات.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ : أي يصلون الليل، سجدًا جمع ساجد. ﴿وَالَّذِينَ

=

وأجري على الله. اهـ. من صفوة التفاسير (قل).

(١) أي لا تحزن عليهم من أجل كفرهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محصي... عليهم أعمالهم وسيجزيهم بها.

(٢) رجح بعضهم أن الباء هنا بمعنىٰ عن أي: اسأل عن الرحمن خبيرًا ورأىٰ ابن كثير أن المسئول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق وبعزته وعظمته جل جلاله.

(٣) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: وهي منازل الكواكب السبعة السيَّارة، فلهذا سميت بروجًا جمع برج وهو القصر الكبير، وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. والكواكب السبعة السيَّارة هي: المريخ والزهرة وعطارد والقمر والشمس والمشتري وزحل. فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها.

(٤) روىٰ مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ﴾.

إن عذابها كان غرامًا ﴿٦٥﴾ : أي عذاب جهنم كان لازمًا لا يفارق صاحبه.

إنها ساءت مستقرًا ومقامًا ﴿٦٦﴾ : أي بئست مستقرًّا وموضع إقامة واستقرار.

والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا : أي لم يُبذروا ولم يضيقوا.

وكان بين ذلك قوامًا ﴿٦٧﴾ : أي بين الإسراف والتقتير وسطًا. ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ﴾.

ولا يقتلون النفس التي حرم الله : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافر المحارب.

إلا بالحق : وهو واحد من ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنىٰ بعد إحصان، أو قتل ظلم وعدوان. ﴿ولا يزنون ﴾.

ومن يفعل ذلك يلق أثامًا [(١)] ﴿٦٨﴾ : أي عقوبة شديدة. ﴿ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا ﴿٦٩﴾ إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك ﴾.

يبدل الله سيئاتهم حسنات : بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم. ﴿وكان الله غفورًا رحيمًا ﴿٧٠﴾ ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا ﴿٧١﴾ ﴾.

والذين لا يشهدون الزور : أي لا يحضرون مجالسه، ولا يشهدون بالكذب[(٢)] والباطل.

وإذا مروا باللغو : أي بالكلام السيئ القبيح وكل ما لا خير فيه (كالغناء).

مروا كرامًا ﴿٧٢﴾ : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه .

والذين إذا ذكروا بآيات ربهم : أي إذا وعظوا بآيات القرآن.

لم يخروا عليها صمًا وعميانًا ﴿٧٣﴾ : أي لم يطأطئوا رءوسهم حال سماعها، عميًا لا يبصرون، ولا صمًّا لا يسمعون، بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه، ويبصرون ما تعرضه. ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾: أي ما تقر به أعيننا، وهو أن تراهم[(٣)] مطيعين لك يعبدونك وحدك.

واجعلنا للمتقين إمامًا ﴿٧٤﴾ : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك، قدوة يقتدون بنا في الخير.

---

(١) وقيل: الأثام: قيل فيه إنه وادٍ في جهنم.

(٢) قيل في الزور: إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد. وقال ابن عباس: إنه أعياد المشركين. وقال عكرمة: اللعب كان في الجاهلية يسمىٰ الزور، وقال مجاهد: الغناء، والحكم في شاهد الزور أن يجلد أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر ﷺ. وتسخيم الوجه أن يسود بالفحم.

(٣) تراهم أعيننا.

أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ : أي الدرجة العليا في الجنة.

بِمَا صَبَرُواْ : أي على طاعتك بامتثال الأمر واجتناب النهي. ﴿ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ ﴾.

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ : أي صلحت وطابت مستقرًّا لهم أي موضع استقرار وإقامة.

قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي : أي ما يكترث، ولا يعتد بكم ولا يبالي.

لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ : إياه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره.

فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧ : أي العذاب لزامًا أي لازمًا لكم في بدر، ويوم القيامة.

❁❁❁❁

الباب الخامس
من سورة «الشعراء»
حتى سورة «يس»

٢٦- سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ : الله أعلم بمراده بذلك.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ : أي القرآن المبيِّن للحق من الباطل.

لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ : أي قاتلها من الغم.

أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ : أي من أجل عدم إيمانهم بك.

إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً : كرفع جبل نخوفهم به. ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ[1] لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾.

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ : أي من القرآن مما يحدثه الله إليك. ويوحي به إليك.

إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ : أي غير ملتفتين إليه. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن﴾.

كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ : أي صنف حسن. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[2].

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ : الغالب علىٰ أمره ومراده.

ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ : بالمؤمنين من عباده.

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ : أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادىٰ ربك موسىٰ.

أَنِ ٱئْتِ : أي بأن ائت. ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ : ألا يخافون الله ربهم، ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾[3].

وَيَضِيقُ صَدْرِى : أي من تكذيبهم لي.

وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى : أي للعقدة التي به.

فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ : أي إلىٰ أخي هارون ليكون معي في إبلاغ رسالتي.

وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ : أي ذنب القبطي الذي قتله موسىٰ قبل خروجه إلىٰ مدين. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ

---

(١) والأعناق: جمع عنق، بضم العين والنون، وهو الرقبة، أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنون حينئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا ينفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري.

(٢) المراد ممن نفي الإيمان عن أكثرهم هم: أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافرًا أما غيرهم فندر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجًا.

(٣) ﴿أَن يُكَذِّبُونِ﴾: الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولىٰ للناصب. وهو ﴿أَن﴾ فصارت يكذبوني ثم حذفت ياء الضمير لدلالة الكسرة عليها فصارت ﴿يُكَذِّبُونِ﴾.

﴿١٤﴾ .

قَالَ كَلَّا : أي قال الله تعالىٰ له: كلَّا: أي لا يقتلونك.

فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا : أنت وهارون. ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ .

فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ (1) : أي إليك. ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾ .

قَالَ : أي قال فرعون ردًّا علىٰ كلام موسىٰ في السياق السابق.

أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا : أي في منازلنا، وليدًا: أي صغيرًا قريبًا من أيام الولادة.

وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ : أي أقمت بيننا قرابة ثلاثين سنة، وكان موسىٰ يُدعىٰ ابن فرعون، لجهل الناس به، ورؤيتهم له في قصره يلبس ملابسه ويركب مراكبه.

وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ : أي قتلت الرجل القبطي.

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ : أي الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ : إذ لم يكن عندي يومئذٍ من علم ربي ورسالته ما عندي الآن.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ (2) .

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ : أي هل تعبيدك لبني إسرائيل يعد نعمة فتمن بها علي؟!(3) .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ : أي الذي قلت: إنك لرسوله من أي جنس هو(4) .

قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي خالق ومالك السموات والأرض وما بينهما.

إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ : بأن السموات والأرض وما بينهما من سائر المخلوقات مخلوقة قائمة فخالقها ومالكها هو رب العالمين.

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : أي من أشراف قومه ورجال دولته.

أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ : أي جوابه الذي لم يطابق السؤال في نظره. ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ : أي أتسجنني ولو جئتك ببرهان وحجة علىٰ رسالتي؟

---

(1) قيل: أقام بنو إسرائيل في مصر أربعمائة سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمائة ألف.

(2) أي: فررت منكم إلىٰ أرض مدين.

(3) أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيدًا لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك إياي ولدًا حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون؟

(4) لما غلب فرعون في جداله لموسىٰ استفهم بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن رب العالمين تجاهلًا منه ومكابرة فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وكان المطلوب أن يقول: ومن رب العالمين؟ ولكنه العلو والتكبر.

قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ : أي فأت بهذا الشيء المبين إن كنت من الصادقين فيما تقول.

فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ : أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك.

وَنَزَعَ يَدَهُۥ : أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه. ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ : أي متفوق في علم السحر. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ : أي أخر أمرهما.

وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ : أي جامعين للسحرة.

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ : أي متفوق في الفن أكثر من موسىٰ.

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ : هو ضحىٰ يوم الزينة عندهم.

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ : أي اجتمعوا كي نتبع السحرة علىٰ دينهم إن كانوا هم الغالبين. ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾.

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ : أي لكم الأجر، وهو الجُعل الذي جعل لهم وزادهم مزية القرب منه.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ : أمرهم بالإلقاء توسلًا إلىٰ ظهور الحق. ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ : أي ما يقلِّبونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيهم حيات تسعىٰ[1]. ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر.

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ .

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ : أي يد كل واحد اليمنىٰ ورجله اليسرىٰ.

وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف علىٰ الأخشاب.

قَالُواْ لَا ضَيْرَ : أي لا ضرر علينا.

إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾.

أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ : أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم؛ لأنهم سبقوا بالإيمان.

---

(١) ومعنىٰ ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: أي تبتلع في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه: أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات وثعابين.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ : السرىٰ: المشي ليلًا والمراد من العباد بنو إسرائيل.
إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾: أي من قبل فرعون وجيوشه. ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ: أي طائفة من الناس. ﴿قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾(١).
وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾: أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا(٢).
وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾: أي متيقظون مستعدون. ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ ﴾.
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾: أي مجلس حسن كان للأمراء والوزراء.
كَذَٰلِكَ: أي كان إخراجنا كذلك أي علىٰ تلك الصورة. ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾: أي تلك النعم.
فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾: أي وقت شروق الشمس.
فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ: أي رأىٰ بعضهما بعضًا لتقاربهما، والجمعان: جمع بني إسرائيل وجمع فرعون.
قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾: أي قال أصحاب موسىٰ من بني إسرائيل إنا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده.
قَالَ كَلَّآ: أي قال موسىٰ عليه السلام كلًا أي لن يدركونا، ولن يلحقوا بنا. ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾.
فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ: أي انشق.
فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾: أي شق: أي الجزء المنفرق، والطود: الجبل.
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾: أي قربنا هنالك الآخرين، أي فرعون وجنده.
﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً: أي عبرة وعظة توجب الإيمان برب العالمين برب موسىٰ وهارون. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ(٣) ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾.
وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾: أي اقرأ يا رسولنا علىٰ قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم، والمقصود

(١) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقير شأن بني إسرائيل، والشرذمة الطائفة القليلة العدد.
(٢) الغيظ: أشد الغضب.
(٣) وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه؛ لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وقد رد القرطبي رحمه الله الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إلىٰ فرعون وملئه فقال: لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا فرعون...إلخ في حين أن أكثر المفسرين علىٰ أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وجه العبرة من السياق.اهـ. ولا مانع من الجمع بين القولين، والله أعلم.
فيكون المعنىٰ: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: كما لم يؤمن أكثر قوم فرعون لم يؤمن أكثر قومك يا محمد ونفس المعنىٰ يقال في قصة إبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب عليهم السلام مع مراعاة تفسير آخر الآية الثامنة من نفس السورة خاصة الهامش (قل).

طلب هداية قريش إلىٰ الحق بإسماعهم أخبار الأولين.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ : أي آزر والبابليين. ﴿مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ : أي فنقيم أكثر النهار عاكفين[1] علىٰ عبادتها. ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾.

قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ : أي لا تسمع ولا تنفع ولا تضر، بل وجدنا آباءنا لها عابدين فنحن تبع لهم. ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ : أي أعداء لي يوم القيامة إذا أنا عبدتهم لأنهم يتبرءون من عابديهم.

إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ : فإن من يعبده لا يتبرأ منه يوم القيامة بل ينجيه من النار ويكرمه بالجنة.

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ : أي إلىٰ ما ينجيني من العذاب ويسعدني في دنياي وأخراي. ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾.

وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ : أي يميتني عند انتهاء أجلي ثم يحيني ليوم الدين.

وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ : أي يوم الجزاء والحساب، وهو يوم القيامة والبعث الآخر.

رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا : أي يا رب أعطني من فضلك حكمًا، أي علمًا نافعًا وارزقني العمل به.

وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ : لأعمل عملهم في الدنيا وأكون معهم في الدار الآخرة.

وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ : أي اجعل لي ذكرًا حسنًا أُذكر به فيمن يأتي بعدي. ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾.

وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ : كان هذا منه قبل أن يتبين له أنه عدو لله.

وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ : أي لا تفضحني. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ : أي من الشرك والنفاق، وباقي المهلكات.

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ : أي أدنيت وقربت للمتقين.

وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ : أي أظهرت وجليت للغاوين. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ : أي بدفع العذاب عنكم.

أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ : أي لأنفسهم بدفع العذاب عنها.

فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا : أي ألقوا علىٰ وجوههم في جهنم ودحرجوا فيها حتىٰ انتهوا إلىٰ قعرها[2].

هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ : جمع غاوٍ وهو الفاسد القلب المدنس الروح من الشرك والمعاصي.

---

(١) ﴿فَنَظَلُّ﴾ هذا اللفظ يدل أنهم يقضون فترة طويلة من النهار حولها لعبادتها، وأما الليل فيعبدون الكواكب لمشاهدتها، والتماثيل إنما هي صورة لها فإذا غابت عبدوا صورها بالنهار.

(٢) ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ أي: كبوا فيها كبًّا بعد كب لأن كبكبوا مضاعف: كبوا بالتكرير نحو: كفكف الدمع أي: كفه مرة بعد مرة.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾: أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (١)
﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾.

﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾: أي في العبادة، فعبدناكم كما يعبد الله جَلَّ جَلَالُهُ. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ
﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾: أي يهمه أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمي به من أن نعذب.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾: كرة: أي رجعة إلىٰ الدنيا لنؤمن ونوحد ونعبد ربنا بما شرع
لنا. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾: قوم نوح التي بعث فيها، والمراد من المرسلين: نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾: أي في النسب.

﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾: أي اتقوا الله ربكم فلا تعصوه بالشرك والمعاصي.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾: أي علىٰ ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي لا أسألكم علىٰ إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾: أي كيف نتبعك علىٰ ما تدعونا إليه وقد اتبعك أراذل
الناس، أي سفلتهم وأهل الخسة فيهم. ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾: أي ما حسابهم إلا علىٰ ربي. ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ (٢) ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ فلست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾: أي عن دعوتنا إلىٰ ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (٣) ﴿١١٦﴾﴾: أي المقتولين رجمًا بالحجارة. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: أي احكم بيني وبينهم حكمًا بأن تهلكهم. ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١١٨﴾﴾.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾﴾: أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرىٰ.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾: أي بعد إنجائنا نوحًا والمؤمنين بركوبهم في السفينة(٤)، أغرقنا الكافرين،

---

(١) من الجائز أن يكون هذا من كلام إبراهيم إلا أن كونه من كلام الله تعالىٰ موعظة لأمة محمد ﷺ أولىٰ وقد استظهره ابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ وجملة ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ حالية، وجملة تالله إلخ مقول القول.

(٢) قيل لسفيان: إن امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾.

(٣) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رميًا بالحجارة إلا قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ فإنه بمعنىٰ لأسبنك وأشتمنك.

(٤) ثم: للتراخي الرتبي في الإخبار لأن إغراق أمة كاملة أعظم دلالة علىٰ عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس.

إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ[١] أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ : عاد اسم أبي القبيلة، وسميت القبيلة به.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ : أخوهم في النسب. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ : أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئًا[٢]. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾.

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ : أي مكان عالٍ مرتفع.

آيَةً : أي قصرًا مشيدًا عاليًا مرتفعًا.

تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ : أي ببنيانكم حيث تبنون ما لا تسكنون.

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ : أي حصونًا منيعة وقصورًا رفيعة.

لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ : أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه.

وَإِذَا بَطَشْتُم : أي أخذتم أحدًا سطوتم عليه بعنف وشدة.

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ : أي عتاة متسلطين. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾.

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم : أي أعطاكم منعمًا عليكم. ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ : هي الإبل والبقر والغنم. ﴿وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾.

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة.

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ : أي مستوٍ عندنا وعظك وعدمه، فإنا لا نطيعك.

إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً[٣] وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ : أي كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحًا. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

---

(١) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون: هم أكابر مجرمي مكة وعلىٰ رأسهم المستهزئون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص؛ لأن الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا علىٰ الكفر، أو نفي الإيمان مقيد بزمن معين لا يتعداه.

(٢) الفاء: للتفريع فالجملة متفرعة عن؛ جملة ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ وحذف الياء من فاتقون مراعاة لرءوس الآي.

(٣) أي: بريح صرصر سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسومًا (من سورة الحاقة).

أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾: أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد. ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾.

طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾: أي طلع النخل لين ناعم ما دام في كفراه أي غطائه الذي عليه(١).

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا: أي تنجرون بآلات النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتًا.

فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾: أي حذقين من جهة، وبطرين متكبرين مغترين بطاعتكم من جهة أخرىٰ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾: أي فيما أمرتكم به.

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾: أي في الشر والفساد بالكفر والعناد(٢).

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ: أي بارتكاب الذنوب العظام فيها.

وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾: أي بفعل الطاعات والقربات.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾: الذين سحروا وبولغ في سحرهم حتىٰ غلب عقولهم. ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾.

فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾: إن كنت من الصادقين في أنك رسول الله فأتنا بآية تدل علىٰ ذلك.

قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾: أي لها يوم تشرب فيه من العين، ولكم يوم آخر. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾.

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ(٣) ﴿١٥٧﴾: أي فلم يؤمنوا فقتلوها، فأصبحوا نادمين لما شاهدوا العذاب. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾: لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ: هذه أخوة بلد وسكنىٰ، لا أخوة نسب ولا دين. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾.

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾: أي إني مرسل إليكم لا إلىٰ غيركم، أمين في إبلاغكم رسالتي، ولا أنقص ولا أزيد.

---

(١) الطلع: وعاء كنصل السيف بباطنه شماريخ القنو ويسمىٰ هذا الطلع بالكِم بكسر الكاف ويقال له: الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه ينفلق من نفسه ويُؤبر وبعد قليل يصبح بلحًا فبسرًا فرطبًا فتمرًا وذكر النخل يقال له: فُحال بضم الفاء وتشديد الحاء المفتوحة والجمع فحاحيل.

(٢) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم علىٰ الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام.

(٣) إن قيل: لِمَ لَمْ ينفع الندم وهو توبة؟ فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» [حسن - مم ت هـ حب ك هب -انظر صحيح الجامع].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾﴾: بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي على البلاغ من أجرة مقابل إرشادكم وتعليمكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾: أي أتأتون الفاحشة من الرجال وتتركون النساء.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾: أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في الشر.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾: أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾: أي من بلادنا وطردك من ديارنا.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾: أي من المبغضين له البغض الشديد.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾: أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾﴾: أي نجينا لوطًا الذي دعانا وأهله وهم امرأته المؤمنة وابنتاه.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾﴾: أي فإنا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين، فتركناها معهم حتىٰ هلكت بينهم، لأنها كانت كافرة وراضية بعمل القوم. ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: أي أنزلنا عليهم حجارة من السماء فأمطروا بها بعد قلب البلاد عاليها سافلها.

﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾: أي فقبح مطر المنذَرين ولم يمتثلوا فما كفوا عن الفساد والشر. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾: الأيكة: أي الغيضة وهي الشجر الملتف.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾(١): النبي المرسل شعيب عليه السلام ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أي أتموه.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾: الذين ينقصون الكيل والوزن.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾: أي الميزان السوي المعتدل.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئًا.

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾: أي بالقتل والسلب والنهب. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.

---

(١) هذه بداية قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة (الغيضة)، وهذه الغيضة قريبة من مدينة مَدْين، وشعيب عليه السلام أرسل لهما معًا، وفي سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم فقيل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة فجماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان، فأرسل الله إليهم شعيبًا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾: أي والخليقة أي الناس من قبلكم.

قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾: أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فلست بملك مطاع. ﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾.

وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾: أي وما نحسبك إلا واحدًا من الكاذبين.

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ: أي قطعًا من السماء تهلكنا بها.

إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾: أي فيما تقول. ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ: أي السحابة التي أظلتهم ثم التهبت عليهم نارًا. ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً: أي لعبرة وعلامة، عبرة لمن يعتبر، وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾.

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾: أي القرآن الكريم تنزيل رب العالمين.

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾: جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾: أي كتب الأولين، واحد الزبر: زبرة وكصفحة وصحف.

أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً: أي علامة ودليلًا. ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾.

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾: الأعجمي من لا يقدر على التكلم[1] بالعربية. ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ: أي التكذيب.

فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾: من كفار مكة. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾.

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾: أي ممهلون لنؤمن والجواب قطعًا: لا ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

أَفَرَأَيْتَ: أي أخبرني.

إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾: أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون.

ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾: أي من العذاب.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾: أي: أيّ شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه.

---

(١) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لاعتذروا بأنهم لا يفهمو ، عنه، والمراد من الأعجمي: هو من لا يحسن اللغة العربية وإن كان عربيًا، والأعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية.

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾: أي رسل ينذرون أهلها عاقبة الكفر والشرك[1].

ذِكْرَىٰ: أي عظة. ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾.

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾: أي لا يتأتىٰ ولا يصلح لهم أن يتنزلوا به.

وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾: أي لا يقدرون.

إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾: أي لكلام الملائكة لمعزولون.

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ: أي لا تعبد مع الله إلهًا آخر، لأن الدعاء هو العبادة. ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾.

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾: وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب.

وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ: أي ألن جانبك. ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾.

فَإِنْ عَصَوْكَ: أي أبوا قبول دعوتك إلىٰ التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه.

فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾: أي من عبادة غير الله ﷻ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾.

ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾: أي إلىٰ الصلاة فتصلي متهجدًا بالليل وحدك.

وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾: أي ويرىٰ تقلبك مع المصلين راكعًا ساجدًا قائمًا. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾.

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ: أي أخبركم. ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾.

تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾: أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكًا، أثيم غارق في الآثام.

يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾: أي يلقون أسماعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين فيتلقون منهم مما أكثره كذب وباطل.

وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾[2]: جمع غاوٍ: الضال عن الهدىٰ الفاسد القلب والنية.

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ: أي من أودية الكلام وفنونه.

يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾: أي يمضون في كل شعب وواد من الكلام مدحًا أو ذمًّا، صدقًا كان أو كذبًا.

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾: أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟: أي قالوا الشعر انتصارًا للحق بأن ردوا علىٰ من هجا المسلمين.

وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾: أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم.

❁❁❁❁

---

(١) ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ كتلك القرىٰ التي مر ذكرها في هذه السورة.

(٢) ما يقال في الشعراء يقال في الصحفيين في عصرنا الحاضر والله أعلم (قل).

٢٧- سُورَةُ النَّمْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ : هذا أحد الحروف المقطعة، يقرأ: طا. سين.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ : أي الآيات المؤلفة من هذه الحروف آيات القرآن.

وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ : أي مبين لكل ما يحتاج إلىٰ بيانه من الحق والشرع في كل شئون الحياة، وقيل: مبين: ظاهر واضح بين في نفسه.

هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ : أي أعلام هداية للصراط المستقيم وبشارة للمهتدين. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾.

زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ : أي حببناها لهم حسب سنتنا فيمن لا يؤمن بالبعث والجزاء.

فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ : في ضلال بعيد وحيرة لا تنتهي.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ: أي في الدنيا بالأسر والقتل. ﴿وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾.

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ : أي تلقنه وتحفظه وتعلمه.

مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ : أي من عند حكيم عليم هو الله جل جلاله.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا : أي أبصرت نارًا من بُعْد حصل لي بها بعض الأنس.

سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ : أي عن الطريق حيث ضلوا طريقهم إلىٰ مصر في الصحراء.

أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ: أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.

لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ : أي تستدفئون.

فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ: أي بارك الله جل جلاله من في النار وهو موسىٰ عليه السلام إذ هو في البقعة المباركة التي نادىٰ الله تعالىٰ موسىٰ منها، والمعنىٰ تقدس من في النار التي هي نور الله تعالىٰ.

وَمَنْ حَوْلَهَا : من أرض القدس والشام والله أعلم[(١)].

وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾: أي نزه الرب تعالىٰ نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله من صفات المحدثين.

يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾: أي الحال والشأن أنا الله العزيز الحكيم الذي ناداك وباركك.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي من الملائكة (قل).

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾.

فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ: أي تتحرك بسرعة كأنها حية خفيفة السرعة.

وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ: أي ولم يرجع إليها خوفًا وفزعًا منها. ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾.

ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ: أي تاب فعمل صالحًا بعد الذي حصل منه من السوء. ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ: أي جيب ثوبك.

تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ: أي برص ونحوه شعاع عظيم (١).

فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ (٢): أي ضمن تسع آيات مرسلًا بها. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً: مضيئة واضحة مشرقة. ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾.

وَجَحَدُوا۟ بِهَا: أي لم يقروا ولم يعترفوا بها.

وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ: أي أيقنوا أنها من عند الله.

ظُلْمًا وَعُلُوًّا: أي ردوها لأنهم ظالمون مستكبرون. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا: هو علم ما لم يكن لغيرهم كمعرفة لغة الطير إلىٰ جانب علم الشرع كالقضاء ونحوه.

وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ: أي شكرًا له.

ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾: أي بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين.

وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ: أي ورث أباه بعد موته في النبوة والملك والعلم دون باقي أولاده.

وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ: أي فهم أصوات الطير وما تقوله إذا صَفَّرت.

وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ: أوتيه غيرنا من الأنبياء والملوك. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ: أي جمع له جنوده من الجن والإنس والطير في مسير له.

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ أي يساقون ويرد أولهم علىٰ آخرهم ليسيروا في نظام. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾.

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ: أي لا يكسرنكم ويقتلنكم.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ أي بكم. ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ أي ألهمني ووفقني لأن أشكر نعمتك. ﴿ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي

---

(١) هذه آية أخرىٰ غير الأولىٰ.

(٢) التسع الآيات هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والقحط، وانفلاق البحر، وهو من أعظمها.

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ .
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ : أي تعهدها ونظر فيها.
فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ : أعرض لي ما منعني من رؤيته.﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .
لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا : أي بنتف ريشه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام.﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي ﴾ .
بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ : أي بحجة واضحة على عذره في غيبته.
فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ : أي قليلًا من الزمن وجاء سليمانَ متواضعًا.
فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ : أي اطلعت على ما لم تطلع عليه.
وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ : سبأ قبيلة من قبائل اليمن.﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .
إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً : هي بلقيس الملكة.﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .
وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ : أي سرير كبير.﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ .
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ : أي طريق الحق والهدى.﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .
أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ : أصلها أن يسجدوا أي فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله وزيدت فيها لا وأدغمت فيها النون فصارت ألاَّ، نظيرها [لئلَّا يعلم أهل الكتاب...] من آخر سورة الحديد.
ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي المخبوء في السموات من الأمطار والأرض من النباتات.﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ .
۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ : أي بعد اختبارنا لك.
ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ : أي إلى رجال القصر وهم في مجلس الحكم.
ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ : أي تنح جانبًا متواريًا مستترًا عنهم.
فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ : أي ماذا يقوله بعضهم لبعض في شأن الكتاب.
قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ ﴿٢٩﴾ : أي يا أشراف البلاد وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها.
إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ : أي ألقاه في حجرها الهدهد.﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .
أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ : أي لا تتكبروا انقيادًا للنفس والهوى.
وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ : أي منقادين خاضعين.
قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي : بينوا لي فيه وجه الصواب، وما الواجب اتخاذه إزاءه؟
مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا : أي قاضيته.
حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ : أي تحضروني وتبدوا رأيكم فيه.﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ : أي

أصحاب قوة هائلة مادية وأصحاب بأس شديد في الحروب. ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾(١).

قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً : أي مدينة وعاصمة ملك.

أَفْسَدُوهَا : أي خربوها إذا دخلوها عنوة بدون مصالحة. ﴿وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾.

وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ : أي وكالذي ذكرت لكم يفعل مرسلو هذا الكتاب. ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ : أي رسول الملكة يحمل الهدية ومعه أتباعه. ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾.

فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم : إنه أعطاني النبوة والملك وهو خير مما أعطاكم من المال فقط.

بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ : لحبكم للدنيا ورغبتكم في زخارفها.

ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ : أي بما أتيت به من الهدية.

فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا : أي لا طاقة لهم بقتالها.

وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ : أي من مدينتهم سبأ المسماة باسم رجل يقال له سبأ.

أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ : أي إن لم يأتوني مسلمين أي منقادين خاضعين. ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾.

قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ : فإن لي أخذه قبل مجيئهم مسلمين لا بعده.

قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ : أي جني قوي إذ القوي الشديد من الجن يقال له عفريت. ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾.

قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ : أي من مجلس قضائك وهو من الصبح إلىٰ الظهر.

وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ : أي قوي علىٰ حمله أمين علىٰ ما فيه من الجواهر وغيرها.

قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ : أي سيلمان عليه السلام(٢). ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا : أي غيروا هيئته وشكله حتىٰ لا يعرف إلا بصعوبة.

نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ : أي إلىٰ معرفته. ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ﴾.

قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ : شبهوا عليها إذ لو قالوا هذا عرشك لقالت: نعم.

---

(١) **لأنهم كانوا علىٰ الكفر فقالوا:** ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أما المسلم فإنه يقول: الأمر لله ثم لك قياسًا علىٰ قوله ﷺ فيما رواه أحمد بسند صحيح: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»(قل).

(٢) **قوله تعالىٰ:** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: قال ابن عباس: هو (آصف) كاتب سليمان عليه السلام... وكان صديقًا يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمنًا من الإنس واسمه (آصف) من بني إسرائيل(قل).

قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ : فشبهت عليه فقالت: كأنه هو. ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ[١] مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ : أي صرفها عن عبادة الله مع علمها وذكائها ما كانت تعبد من دون الله. ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ : أي بهو الصرح إذ الصرح القصر العالي، وفي بهوه بركة ماء كبيرة مغطاة بسقف زجاجي ويُرىٰ وكأنه ماء.

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً : أي من ماء غمر يجري.

وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا : ظانة أنها تدخل ماء تمشي عليه فرفعت ثيابها.

قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ : أي مملس من زجاج. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾.

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ : أي بأن اعبدوا الله.

فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ : أي طائفتان مؤمنة موحدة وكافرة مشركة يختصمون[٢].

قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ : أي تطالبون بالعذاب.

قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ : قبل الرحمة.

لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ : أي هلّا تطلبون المغفرة من ربكم بتوبتكم إليه. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ : أي تشاءمنا بك.

وَبِمَن مَّعَكَ : أي من المؤمنين.

قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ : أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه.

بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ : أي تختبرون بالخير والشر.

وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ : أي تسعة رجال ظلمة. ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾[٣].

قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ : أي تحالفوا بالله: أي طلب كل واحد من الثاني أن يحلف له.

لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ : أي لنقتلنه والمؤمنين به ليلًا.

---

(١) اختلف هل قول: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ من قول سليمان أو أحد رجالاته أو هو من قول بلقيس، والراجح أنه من قول سليمان عليه السلام.

(٢) من الخصومة ما قصه الله تعالىٰ في سورة الأعراف في قوله: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

(٣) الأرض: أرض ثمود وأل فيها: للعهد، والرهط: العدد من الثلاثة إلىٰ العشرة كالنفر، ومن بين هؤلاء: قدار بن سالف: عاقر الناقة.

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ : أي ما حضرنا قتله ولا قتل أهله. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وَمَكَرُواْ مَكْرًا : أي دبَّروا طريقة خفية لقتل صالح والمؤمنين.

وَمَكَرْنَا مَكْرًا : أي ودبرنا طريقة خفية لنجاة صالح والمؤمنين وإهلاك الظالمين.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ : بأنا ندبر لهم طريق هلاكهم. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾.

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً : أي فارغة ليس فيها أحد.

بِمَا ظَلَمُوٓاْ : أي بسبب ظلمهم وهو الشرك والمعاصي.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً : أي عبرة. ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : أي صالحًا والمؤمنين. ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

وَلُوطًا : أي واذكر لقومك لوطًا.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ : هم سكان مدن عمورية وسدوم.

أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ : أي الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي اللواط.

وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ : إذ كانوا يأتونها في أنديتهم عيانًا بلا ستر ولا حجاب. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ : أي قبح ما تأتونه وما يترتب عليه من خزي وعذاب[1].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ : أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم: أخرجوا.

ءَالَ لُوطٍ : هم لوط عليه السلام وامرأته المؤمنة وابنتاه[2].

مِّن قَرْيَتِكُمْ : أي مدينتكم سدوم.

إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ : أي يتنزهون عن الأقذار والأوساخ. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ : أي حكمنا عليها أن تكون من الهالكين.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم[3] مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ : أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم إنه

---

(١) ﴿تَجْهَلُونَ﴾: إما أمر التحريم أو العقوبة، ووصفهم بالجهل، وهو اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب وعماه، ووصفهم في الأعراف بالإسراف وذلك نظرًا إلىٰ تعدد مواقف الوعظ والإرشاد.

(٢) من المعلوم أن تعدد الزوجات من سنن الأنبياء والمرسلين - عليهم صلوات الله وسلامه -. قال الله تعالىٰ في سورة الرعد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (قل).

(٣) ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قال ابن كثير: أي من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردءًا لهم علىٰ دينهم وعلىٰ طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها علىٰ ضيفان لوط ليأتوا إليهم.

حجارة من سجيل.

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ : أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته، قال بعضهم: المأمور بالحمد هنا: لوط عليه السلام، ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ.

ءَآللَّهُ خَيْرٌ : أي لمن يعبده. ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾.

حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ : أي بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها. ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ : أي بربهم غيره من الأصنام والأوثان.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا : أي قارة ثابتة لا تتحرك ولا تضطرب بسكانها.

وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا : أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي.

وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ : أي جبالًا أرساها بها حتىٰ لا تتحرك ولا تميل.

وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ : أي فاصلًا لا يختلط أحدهما بالآخر. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾.

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ : أي الضر، المرض وغيره. ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ : أي ما تتعظون إلا قليلًا. ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ : أي مبشرة بين يدي المطر، إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ : أي في الأرحام، ثم يعيده يوم القيامة. ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ : أي حجتكم إن كنتم صادقين أن مع الله إلهًا آخر فعل ما ذكر.

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : الملائكة والناس.

ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ : أي ما غاب عنهم ومن ذلك متىٰ قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه.

وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ : أي متىٰ يبعثون.

بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ : أي تلاحق وهم ما منهم من أحد إلا يظن فقط، فلا علم لهم بالآخرة بالمرة.

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ : أي في عمىً كامل لا يبصرون شيئًا من حقائقها.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ ﴾ .

أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ : **أي أحياء من قبورنا.**

لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا : **أي البعث أحياء من القبور.** ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ .

إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ : **أي أكاذيبهم التي سطروها في كتبهم.** ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ : **أي المكذبين بالبعث كانت دمارًا وهلاكًا وديارهم الخاوية شاهدة بذلك.**

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ : **المراد به تسلية الرسول ﷺ.**

وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ : **أي بك إذ حاولوا قتله ولم يفلحوا.**

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ : **أي بعذابنا.** ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم : **اقترب منكم.**

بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ : **وقد حصل لهم في بدر.**

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ : **أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم.** ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ : **أي ما تخفيه وتستره صدورهم.** ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾ .

وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ : **أي ما من حادثة غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة.**

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ : **أي يذكر أثناء آياته كثيرًا مما اختلف فيه بنو إسرائيل.**

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ : **أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم.**

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ : **أي يحكم بين بني إسرائيل بحكمه العادل.**

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ : **الغالب علىٰ أمره، العليم بخلقه.**

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ : **أي ثق به وفوض أمرك إليه.** ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ .

إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ : **أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتىٰ.**

وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ : **أي ولا تقدر علىٰ إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع.**

إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ : **أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك.** ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ .

إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا : **أي ما تسمع إلا من يؤمن بآيات الله.** ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ .

۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ : **أي حق عليهم العذاب.**

أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ : **حيوان يدب علىٰ الأرض لم يرد وصفها في حديث صحيح يعول**

عليه ويقال به.

تُكَلِّمُهُمْ : بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات.

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ : أي بسبب أن الناس أصبحوا لا يؤمنون بآيات الله وشرائعه أي كفروا فيبلون بهذه الدابة.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ : أي اذكر يوم نحشر أي نجمع.

مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا : أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا.

مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ : أي يجمعون برد أولهم علىٰ آخرهم.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو : أي الموقف مكان الحساب. ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم : أي حق عليهم العذاب.

بِمَا ظَلَمُوا : أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالىٰ.

فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ : أي لا حجة لهم. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾.

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا : أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ : أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والفناء والقيام من القبور. ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ : أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله عز وجل داخرين أي أذلاء صاغرين.

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً : أي تظنها في نظر العين جامدة [1].

وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ : وذلك لسرعة تسييرها. ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ : وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات.

فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا : أي الجنة.

وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ : أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، أي تراها كأنها ثابتة باقية علىٰ ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾. اهـ من ابن كثير.

أما التأويل الذي ذهب إليه فضيلة الشيخ الجزائري في هامش «نهر الخير» فبعيد بعيد، وقد سبق أن نبهت أنني لم أقحم المخترعات العلمية في دائرة التفسير (قل).

هول يوم القيامة.

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ : أي جاء بالسيئة كالشرك، وأكل الربا، وقتل النفس.

فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ : - والعياذ بالله -: أي ألقوا فيها على وجوههم.

هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ : أي ما تجزون إلا بعملكم، ولا تجزون بعمل غيركم.

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ : أي مكة المكرمة، والإضافة للتشريف.

ٱلَّذِى حَرَّمَهَا : أي الله الذي حرم مكة فلا يختلى خلاها ولا ينفّر صيدها ولا يقاتل فيها.﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ : المؤمنين المنقادين له ظاهرًا وباطنًا وهم أشرف الخلق.

وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذارًا وتعليمًا وتعبدًا.﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ .

سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه عند الموت.

وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ : أي وما ربك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزيهم بعملهم.

❁❁❁❁

٢٨- سورة القصص

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ ﴿١﴾: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طا، سين، ميم.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾: أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات القرآن الكريم.

نَتْلُواْ عَلَيْكَ: أي نقرأ عليك قاصين شيئًا.

مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ: أي من خبرهما.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾: أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيمانًا ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة.

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ: أي تكبر وظلم فادَّعىٰ الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلمًا فظيعًا.

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا: أي طوائف بعضهم عدوًا لبعض من باب فَرِّقْ تَسُدْ. ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾.

يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ: أي يبقي على النساء لا يذبح البنات؛ لأنه لا يخاف منهن ويذبح الأولاد. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ: أي ننعم. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ[1] وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾.

مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾: من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم.

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ: أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولىٰ التي لا بد منها ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم.

فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ: أي في البحر وهو نهر النيل.

وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ: أي لا تخافي أن يهلك ولا تحزني علىٰ فراقه. ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾[2].

فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ: أي أعوانه ورجاله.

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا: أي في عاقبة الأمر، فاللام للعاقبة والصيرورة. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ

---

(١) قيل أرض الشام، وقيل، وهو رأي أكثر المفسرين: أرض مصر والشام.

(٢) جمع الله في هذه الآية بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴾.

قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ : أي تقر به عيني وعينك فنفرح به ونُسَر. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا : أي من كل شيء إلا منه عليه السلام أي لا تفكر في شيء إلا فيه.

إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ : أي قاربت بأن تصرخ أنه ولدها وتظهر ذلك. ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾.

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ : أي اتبعي أثره حتىٰ تعرفي أين هو.

فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ : أي لاحظته وهي مختفية تتبعه من مكان بعيد. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ : أي منعناه من قبول ثدي أي مرضعة[1].

مِن قَبْلُ: أي من قبل رده إلىٰ أمه.

فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ: أي قالت أخت موسىٰ.

يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ: يضمونه إليهم، يرضعونه ويربونه لكم.

وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾: أي لموسىٰ ناصحون، فلما قالوا لها: إذًا أنت تعرفينه، قالت: لا، إنما أعنىٰ أنهم ناصحون للملك لا للولد.

فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ: أي رددنا موسىٰ إلىٰ أمه أي قبلوا اقتراح أخته.

كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ: إذ أوحي إليها أنه رادُّه وجاعله من المرسلين.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾: أي أكثر الناس لا يعلمون وعد الله لأم موسىٰ ولا يعلمون أن الفتاة أخته وأن أمها أمه.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ: أي ثلاثين سنة من عمره فانتهىٰ شبابه وكمل عقله.

ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا : أي وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبأ ويرسل. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ: مدينة فرعون وهي: مُنْفُ، بعد أن غاب عنها مدة.

عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا: لأن الوقت كان وقت القيلولة. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾.

هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ: أي علىٰ دينه الإسلامي.

وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ: علىٰ دين فرعون والأقباط. ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾.

فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ: أي ضربه بجمع كفه فقضىٰ عليه أي قتله.

---

(١) ليس تحريمًا شرعيًّا.

قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ : أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي.
إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ : أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدىٰ، مبين ظاهر الإضلال.
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾.
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ : بإنعامك علي بمغفرة ذنبي.
فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ : أي معينًا لأهل الإجرام.
فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ : ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل.
فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ : أي طلب نصرته فنصره.
يَسْتَصْرِخُهُۥ : أي يستغيث به علىٰ قبطي آخر.
قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ : أي لذو غواية وضلال ظاهر.
فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا : أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسىٰ والقبطي معًا.
﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾.
إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ : أي ما تريد إلا أن تكون جبارًا تضرب وتقتل ولا تبالي بالعواقب. ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ﴾.
مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ : أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أو تخاصموا.
وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ : أي مؤمن من آل فرعون أتىٰ من أبعد نواحي المدينة.
قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ : أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك.
فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ : أي اخرج من هذه البلاد إلىٰ أخرىٰ.
فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ : خائف من القتل يترقب ما يحدث له. ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾.
وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ : أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب.
قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ : أرجو ربي أن يهديني وسط الطريق حتىٰ لا أضل فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلىٰ سواء السبيل ووصل مدين. ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾.
وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ : أي مواشيهم من بقر وإبل وغنم.
وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ : أي أغنامهما منعًا لهما من الماء حتىٰ تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة.
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا : قال موسىٰ للمرأتين اللتين تذودان: ما خطبكما أي ما شأنكما؟
قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ : لا نسقي ماشيتنا حتىٰ يصدر الرعاء ويبقىٰ لنا الماء وحدنا. ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.
فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ : أي بعد أن سقىٰ لهما رجع إلىٰ ظل الشجرة التي كان جالسًا

تحتها.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾: أي من طعام محتاج إليه لشدة جوعه ﷺ.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه. ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾: أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلىٰ ماء مدين.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾: أي من فرعون وملائه إذ لا سلطان لهم علىٰ بلاد مدين.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾: أي اتخذه أجيرًا يرعىٰ لنا الغنم بدلنا.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾: ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة. ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

﴿عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي﴾: أي تكون أجيرًا لي في رعي غنمي.

﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾: أي ثماني سنوات إذ الحجة عام، والجمع حجج.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾: أي جعلت الثمانية عشرًا فرغبت عشرًا فهذا من كرمك. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾.

﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾: أي الذين يوفون ولا ينقضون ولا ينقصون.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك.

﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾: أي الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت.

﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾: وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق العشرة.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾: أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله علىٰ العقد بشطريه أي النكاح ورعي الغنم وبذلك تم العقد[1].

۞ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾: أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾[2].

﴿آنَسَ﴾: أبصر. ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: عود غليظ في رأسه نار.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾: أي تستدفئون.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾: أي ناداه الله تعالىٰ بقوله: يا موسىٰ إني أنا الله رب العالمين.

---

(١) اكتفىٰ شعيب وموسىٰ بإشهاد الله تعالىٰ فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور علىٰ عدم صحته بل لا بد من الإشهاد عليه وهو كذلك.

(٢) زوجته وولده في طريقه إلىٰ مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلًا، وكان الفصل شتاء.

مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ : قطعة الأرض[1] التي عليها الشجرة الكائنة بشاطئ الوادي. ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ .

فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ : تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات البيوت.

وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ : رجع هاربًا ولم يعقب لخوفه وفزعه منها. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ۝٣١﴾ .

ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ : أدخلها في جيب قميصك.

تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ : أي عيب كبرص ونحوه.

وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ : اضمم إليك يدك بأن تضعها علىٰ صدرك ليذهب روعك.

فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ : أي آيتان من ربك علىٰ صدق رسالتك. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٣٢﴾ .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا : أي نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر. ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣﴾ .

وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا : أي أبين مني قولًا.

فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا : أي معينًا لي. ﴿يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾ .

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ : أي ندعمك به ونقويك بأخيك هارون.

وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا : أي حجة قوية يكون لكما بها الغلبُ.

فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا : أي بسوء.

بِـَٔايَٰتِنَآ : أي اذهبا بآياتنا. ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٣٥﴾ .

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا : أي العصا واليد وغيرهما من الآيات التسع.

بَيِّنَٰتٍ : أي واضحات.

قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى : أي مختلق مكذوب. ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٦ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾[2] .

وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٣٧ : أي المشركون الكافرون.

---

(١) ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ أي: عن يمين موسىٰ عليه السلام.

(٢) كان مقتضىٰ الكلام في سياق الحوار أن يقال: قال موسىٰ بدون واو العطف إلا أنه خولف هنا وأتىٰ بالواو: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ وهي قراءة الجمهور والمقصود منها هو ذكر التوازن بين حجة فرعون وحجة موسىٰ ليظهر للسامع التفاوت بينهما بخلاف ما لو حذفت الواو كما قرأ ابن كثير فإنها مجرد حكاية قول موسىٰ عليه السلام فليس فيها ما يلفت النظر.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى : أي ربًّا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه ما أكذبه.

فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال.

عَلَى ٱلطِّينِ : أي اطبخ لي الآجُر وهو اللبن المشوي.

فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا : أي بناء عاليًا، قصرًا أو غيره.

لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ : أي أقف عليه وأنظر إليه.

وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ : أي موسىٰ في ادعائه أن له إلهًا غيري[1].

وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾[2].

فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ : أي طرحناهم في البحر غرقىٰ هلكىٰ. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً : أي رؤساء يقتدىٰ بهم في الباطل.

يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ : أي إلىٰ الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾.

وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً : أي خزيًا وبعدًا عن الخير.

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ : أي المبعدين من كل خير المشوهي الخلقة. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا﴾.

ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ : قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم.

بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ : أي فيه من النور ما يهدي كما تهدىٰ الأبصار. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ : أي لم تكن يا رسولنا حاضرًا بالجانب الغربي من موسىٰ.

إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ أي بالرسالة إلىٰ فرعون وقومه.

وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ : حتىٰ تعلمه وتخبر به.

وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ : أي غير أننا أنشأنا بعد موسىٰ أممًا طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي؛ فجئنا بك رسولًا وأوحينا إليك خبر موسىٰ وغيره.

---

(١) نسب موسىٰ إلىٰ جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهًا علىٰ الرعية، ودفعًا للحق الذي بهره نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج.

(٢) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون علىٰ بابه وهو هنا كفر ولو كان علىٰ بابه لأن الشك في العقائد كفر.

وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ: أي ولم تكن يا رسولنا مقيمًا في أهل مدين فتعرف قصتهم. ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)﴾.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا: أي لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسىٰ وأوحينا إليه ما أوحينا حتىٰ تخبر بذلك. ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾.

قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ: أي أهل مكة والعرب كافة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا﴾.

لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧): أي فيقولوا لولا أي هلَّا أرسلت إلينا رسولًا ولولا ذلك لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولًا.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا: أي محمد ﷺ رسولًا مبينًا.

قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ: أي هلَّا أعطي مثل ما أعطي موسىٰ من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتابًا جملة واحدة كالتوراة.

أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ: أي كيف يطالبونك بأن تؤتىٰ مثل ما أوتي موسىٰ وقد كفروا بما أوتي موسىٰ من قبل؛ لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه.

قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا: أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما[1] بعضًا أي قواه. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)﴾.

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ: أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدىٰ من التوراة والقرآن.

فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ: في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ: أي لا أضل منه قط. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١)﴾: أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نقمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون فيؤمنوا ويوحدوا.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ: أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم. ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾.

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ: أي القرآن. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلىٰ قراءة (ساحران تظاهرا) يعنون: موسىٰ وهارون. وهذا قول جيد قوي، وعن ابن عباس... يعنون: موسىٰ ومحمدًا صلىٰ الله عليهما وسلم وهذه رواية الحسن البصري، أما من قرأ ﴿سِحْرَانِ﴾، فالظاهر أنهم يعنون التوراة والقرآن لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ...﴾ اهـ (قل).

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ : أي منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه[1] .

أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ : أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ وآمنوا بمحمد ﷺ .

وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ : أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منهما. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ .

وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ : أي الكلام اللاغي الذي لا يقبل ولا يقر عليه لأنه لا يحقق درهمًا للمعاش ولا حسنة للمعاد. ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ .

سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ : هذا سلام المتاركة أي قالوا قولًا يسلمون به.

لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ : أي لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذىٰ.

إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ : أي هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ .

وَقَالُوٓاْ : أي مشركو قريش.

إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ : أي إن نتبعك علىٰ ما جئت به وندعو إليه وهو الإسلام.

نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ : أي تتجرأ علينا قبائل العرب ويأخذونا. ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ .

يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ : أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شيء من كل ناحية.

رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا : أي رزقًا لكم من عندنا يا أهل الحرم بمكة. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[2] .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ[3] مَعِيشَتَهَا : أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب وطغت في المعاصي. ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا[4] وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ .

حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا : أي في أعظم مدنها وهي العاصمة. ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ .

وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ : بالتكذيب للرسول والإصرار علىٰ الشرك والمعاصي.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ : أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع.

فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا : فهو ما تتمتعون به وتتزينون ثم يزول ويفنىٰ.

---

(١) (ومن قبل نزول القرآن).

(٢) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالىٰ لهم بتمكين الحرم لهم؛ فهم فيه آمنون مطعَمون ألا وهو الجهل فهو علتهم الحاملة لهم علىٰ الإصرار علىٰ الشرك.

(٣) ﴿بَطِرَتْ﴾: جهلت شكر معيشتها.

(٤) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: كالمسافرين الذين يمرون بها وينزلون بها ساعات ويغادرون.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقىٰ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾: لأن من يؤثر القليل الفاني علىٰ الكثير الباقي لا عقل له.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: أي الجنة.

﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة. ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾: أي في نار جهنم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أي الرب تبارك وتعالى.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾: أي أنهم شركاء لي فعبدتموهم معي.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال[(١)].

﴿رَبَّنَا﴾[(٢)] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾: أي فغووا ولم نكرههم علىٰ الغي. ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾[(٣)].

﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾: أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم[(٤)].

﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾: أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه. ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾: أي لما رأوا العذاب ودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أي الله تبارك وتعالىٰ. ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾: أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾: أي انقطعوا عن الكلام.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾: أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أدّىٰ الفرائض والواجبات.

﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾: أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة و(عسىٰ) من الله تعالىٰ لا تفيد مجرد الرجاء بل هي لتحقق الموعود به.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: أي من خلقه.

﴿وَيَخْتَارُ﴾: أي من يشاء لنبوته وطاعته.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾: أي للمشركين.

﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: أي الاختيار في شيء.

---

(١) لم تعطف جملة. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾ بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار.

(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام.

(٣) أي: أضللناهم كما كنا ضالين، وذلك أنهم دعوهم إلىٰ عبادتهم فعبدوهم، ولذا قال قتادة: هؤلاء هم الشياطين، وقيل: هم الرؤساء، والكل صحيح.

(٤) ﴿تَبَرَّأْنَآ﴾ أي: تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدوهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم، وأنكروا أنهم كانوا يعرفونهم.

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾: أي تنزيهًا لله عن الشرك.

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ: أي ما تسر وتخفي من الكفر وغيره. ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ: أي في الدنيا لأنه مولىٰ كل نعمة.

وَٱلْءَاخِرَةِ: أي في الجنة.

وَلَهُ ٱلْحُكْمُ: أي القضاء النافذ.

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾: بعد النشور وذلك يوم القيامة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ: أي أخبروني.

إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ: أي دائمًا، ليلًا واحدًا متصلًا لا يعقبه نهار.

مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ: أي ضوء كضوء النهار. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ: أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ: أي في الليل.

وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ: أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾: أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة. ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا: أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها عليه السلام.

فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ: أي حججكم علىٰ صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم النذارة ولا البشارة.

فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ: أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لا لسواه.

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾: أي وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها علىٰ الرسل عليهم السلام.

۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ: أي ابن عم موسىٰ عليه السلام.

فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ: أي ظلمهم واستطال عليهم.

وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ: أي أعطاه الله من المال ما يثقل عن الجماعة حمل مفاتح خزائنه.

إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾: أي لا تفرح فرح البطر والأشر.

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ: أي اطلب في المال الذي أوتيته الدار الآخرة بفعل الخيرات. ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ

لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ : **أي لعلم الله تعالىٰ بأني أهل لذلك**(١) .﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ﴾ .

وَأَكْثَرُ جَمْعًا : **أي للمال.**

وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ : **أي لعلم الله تعالىٰ بهم فيدخلون النار بدون حساب**(٢) .

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ : **أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية.**﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ : **أي تمنوا لو أن أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون.**

إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ : **أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير.**

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ : **أي أعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء.**

وَيْلَكُمْ : **أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا.**

ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا : **أي ما عند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات وهي الجنة خير من حطام الدنيا الفاني.**

وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ : **أي ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا إلا الصابرون علىٰ الإيمان والتقوىٰ.**

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ : **أي أسخنا الأرض من تحته فساخت به وبداره وكل من كان معه فيها من أهل البغي والإجرام.**﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ : **أي الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الإمارة والزينة والمال والجاه.**

يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ : **أي أعجب عالمًا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده.**

وَيَقْدِرُ : **أي يضيق.**﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ .

وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ : **أي أعجب عالمًا أنه لا يفلح الكافرون أي أنهم لا يفوزون بالنجاة**

---

(١) وقال ابن زيد: لعلم الله تعالىٰ بفضلي ورضاه عني أي: إني أوتيتها باستحقاقي. اهـ.
قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهكذا يقول من قل علمه إذا رأىٰ من وسع الله عليه، لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي (قل) .

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي لكثرة ذنوبهم (قل) .

من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ: أي الجنة، دار الأبرار[1].

نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ: أي بغيًا ولا استطالة على الناس.

وَلَا فَسَادًا: أي ولا يريدون فسادًا بعمل المعاصي.

وَالْعَاقِبَةُ: أي المحمودة في الدنيا والآخرة.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾: الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون ما لا يرضى به الله تعالى.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ: أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.

فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا: أي تضاعف له عشرة أضعاف.

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ: السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعفُ الله تعالى عنه. ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ: أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه.

لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ: أي لمرجعك إلى مكة فاتحًا إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه[2]. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾.

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو: أي تأمل.

أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ: أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك.

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ: لكن رحمة من الله وفضل أنزله عليك.

فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾: أي فَمِن شُكر هذه النعمة أن لا تكون معينًا للكافرين.

وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ: أي لا يصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزالها عليك.

وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ: أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) روى سفيان بن عيينة أن علي بن الحسين وهو راكب مر على مساكين يأكلون كسرًا لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فتلا هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ..﴾ إلى ﴿فَسَادًا﴾ ثم نزل وأكل معهم.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ووجه الجمع بين هذه الأقوال: أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، أنه أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهـ (قل).

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ : **أي لا تعبد مع الله إلهًا آخر بدعائه والذبح والنذر إليه.**

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ : **أي فانٍ.**

إِلَّا وَجْهَهُۥ : **أي إلا الله سبحانه وتعالى فلا يهلك كما يهلك ما عداه.** ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

❁❁❁❁

٢٩- سُورَةُ العَنكَبُوتِ

«مكية»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب ألم وتقرأ ألف لام ميم. ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾.

وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾: أي لا يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكاليف، ومنها الصبر على الأذى.

وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: أي اختبرنا مَن قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس.

فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ: أي في إيمانهم.

وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾: بما يظهر من أعمالهم.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا: أي يفوتونا فلا ننتقم منهم.

سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾: أي بئس الحكم هذا الذي يحكمون به، وهو حسبانهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم.

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ: أي من كان يؤمن بلقاء الله وينتظر وقوعه.

فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ: فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال[1]. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾.

وَمَن جَٰهَدَ: أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس.

فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦ: أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾: أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ: أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا.

بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا: أي إيصاءً ذا حسن، وذلك ببرهما وعدم عقوقهما.

وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى: أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾: أي لندخلهم مدخلهم في الجنة. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ

---

(١) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملًا صالحًا فإنه لا بد أن يأتيه.

أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾.

جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ: أي أذاهم له.

كَعَذَابِ ٱللَّهِ: أي في الخوف منه فيطيعهم فينافق. ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾.

إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ: أي في الإيمان وإنما أكرهنا على ما قلنا بألسنتنا. ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا: أي ديننا وما نحن عليه.

وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ: أي ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم، فالكلام خبر وليس إنشاء. ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ: أي أوزارهم، والأوزار الذنوب.

وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ: أي من أجل قولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا.

وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾: أي يكذبون.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ: أي نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس من ولد شيث بن آدم، بينه وبين آدم ألف سنة.

فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا: أي فمكث فيهم يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ تسعمائة وخمسين سنة.

فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ: أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم فأغرقهم.

وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾: أي مشركون. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾.

وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾: أي عبرة للناس[1] يعتبرون بها فلا يشركون ولا يعصون.

وَإِبْرَٰهِيمَ: أي واذكر إبراهيم علىٰ قراءة النصب لإبراهيم، وعلىٰ قراءة الرفع: ومن المرسلين إبراهيمُ.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ: أي آمنوا به ووحدوه في عبادته واتقوه أن تشركوا به وتعصوه. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا: أصنامًا وأحجارًا وصورًا وتماثيل.

وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا: أي تختلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان: آلهة وتعبدونها. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾.

فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ: أي اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل

---

(١) الضمير في: ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ عائد إلىٰ السفينة، وما في التفسير أعم وأشمل. أي عائد إلىٰ حادثة الطوفان ومنها السفينة.

المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفئوس.

﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾: أي بالإيمان به وتوحيده.

﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾: بطاعته. ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾: أي يا أهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر. ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾: أي محمد ﷺ[1].

﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾: وقد بلغ وبين فبرئت ذمته، وأنتم المكذبون ستحل بكم نقمة الله.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم.

﴿كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ﴾: أي كيف يخلق المخلوق ابتداء.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾: أي ثم هو تعالىٰ يعيده بعد بَدئه وإفنائه يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ وأفنىٰ فهو بالضرورة قادر علىٰ الإعادة.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: أي: إن الخلق الأول والثاني هو الإعادة.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩﴾: أي سهل لا صعوبة فيه، فكيف إذًا ينكر المشركون البعث.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي قل يا رسولنا لقومك المكذبين بالبعث: سيروا في الأرض.

﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾: أي كيف بدأ الله الخلق وأنشأه، تستدلون بذلك علىٰ قدرته علىٰ البعث الآخر.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾[2]: أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث الآخر الذي أنكره الجاهلون. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾.

﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١﴾: أي ترجعون إليه لا إلىٰ غيره أحياء كما كنتم فيحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم، الحسنة بخير منها والسيئة بمثلها جزاء عادلًا.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾: أي بغالبين ولا فائتين بالهروب فإن الله غالبكم.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢﴾: ليس لكم من ولي يتولاكم ولا نصير ينصركم من الله تعالىٰ. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾[3].

---

(١) القصد من هذه الجملة: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه نكاية به أو تشفٍ منه، فإن كان من خطاب الله تعالىٰ لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ وإن كان من كلام إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنويعًا للأسلوب.

(٢) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله ﴿كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع بنفوسهم إلىٰ التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولىٰ وهي بدء الخلق.

(٣) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل علىٰ الأدلة والبراهين والحجج الدالة علىٰ قدرة الله وعلمه وحكمته والمفصلة لأنواع عباداته.

أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي [١] : أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر. ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ : أي قوم إبراهيم عليه السلام.

إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ : أي إلا قولهم اقتلوه أو حرّقوه. ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ : أي في كون النار لم تحرق الخليل وخرج منها سالمًا.

لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ : لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالآيات لحياة قلوبهم. ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ : أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك.

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا.

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ : أي يكفر المتّبوعون بأتباعهم ويتبرءون منهم.﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ : يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ : أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه.

وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ : أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [٢].

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ : أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم إسحاق الابن ويعقوب الحفيد [٣].

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ : فكل الأنبياء بعده من ذريته، وكل الكتب التي أنزلت بعده فهي في ذريته.

وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا : وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على ألسنة كافة الناس من أهل الأديان الإلهية.

وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ : أي هو أحدهم فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا، والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه وصالحو عباده.

---

(١) أخبر عن يأسهم بالفعل الماضي تنبيهًا على تحقق وقوعه وإن كان المعنى أنهم سييئسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

(٢) من قرية كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ، وامرأته سارة، وهو أول من هاجر في سبيل الله وأول من هاجر من أمة محمد ﷺ في سبيل الله تعالى: عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة.

(٣) هذه الهبة كان قبلها هبة إسماعيل إذ ولد قبل إسحاق عليهما السلام.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ : أي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سدوم.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان الذكران في أدبارهم.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ : أي باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفًا منكم.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة أي اللواط. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ .

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ : أي إسحاق ويعقوب بعده.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ : أي قرية لوط وهي سدوم. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ .

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ : أي قالت الرسل: نحن أعلم بمن فيها.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ : أي كانت في علم الله وحكمه من الباقين في العذاب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ : أي حصلت له مساءة وغم بسبب مخافة أن يقصدهم قومه بسوء.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ : أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء. ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ .

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ : الذين طالت أعمارهم وستهلك مع الهالكين. ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ .

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ : أي عذابًا من السماء.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ : أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ : أي تركنا من قرية سدوم التي دمَّرناها آية بينة وهي خرابها ودمارها وتحولها إلىٰ بحر ميت لا حياة فيه.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ : أي وأرسلنا إلىٰ قبيلة مدين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ : أي أخاهم في النسب.

﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا.

﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾: أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه وما يحدث فيه.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦﴾: أي ولا تعيثوا في الأرض فسادًا بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة.

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧﴾: لاصقين بالأرض أمواتًا لا يتحركون.

﴿وَعَادٗا وَثَمُودَاْ﴾: أي وأهلكنا عادًا القبيلة، وثمود القبيلة كذلك.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾: أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر جنوب اليمن.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي سبيل الهدىٰ والحق التي بينتها لهم رسلهم.

﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨﴾: أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلهم[1].

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾: أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي عن عبادة الله تعالىٰ وطاعته وطاعة رسله.

﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ أي فائتين عذاب الله أي فارين منه، بل أدركهم.

﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾: أي فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ أي ريحًا شديدة، كعاد وقوم لوط.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾: أي ثمود.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾: أي كقارون.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾: كقوم نوح وفرعون. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾: أي صفة وحال الذين اتخذوا أصنامًا يرجون نفعها.

﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ أي لنفسها تأوي إليه.

﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ﴾: أضعف البيوت وأقلها جدوىٰ. ﴿لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾

---

(١) ولكن آثروا أهواءهم علىٰ عقولهم فهلكوا، وقيل: المراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمور لما لهم من عقول صالحة للنظر والإدراك، وما في التفسير وجه أحسن من هذا.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ: أي من الأوثان والأصنام وغيرها.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾: أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبير أمور خلقه.

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾: أي العالمون بالله وآياته وأحكام شرعه وأسراره.

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ: أي من أجل أن يعبد لا للهو ولا لباطل. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ: اقرأ يا رسولنا ما أنزل إليك من القرآن.

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ: بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ: أي الصلاة بما توجده من نور في قلب العبد يصبح به لا يقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر.

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ: أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه، كما أن ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة وغيرها. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ: أي لا تحاجُّوا ولا تناظروا اليهود والنصارى.

إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على حججه.

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ: أي الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية، وبقوا حربًا على المسلمين. ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ: أي وكإنزالنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك الكتاب.

فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ: أي كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول وكتابه. ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلًا آمن به كثيرون. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾.

وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ: أي تكتب بيدك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب.

إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾: أي لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك.

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ: أي محمد ﷺ نعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والإنجيل محفوظة.

فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: أي من أهل الكتاب (١).

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾: أي وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول

---

(١) وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به، وهذا لا يتنافى مع ما في التفسير، إذ الوجهان صحيحان.

الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ : أي قال كفار قريش: هلَّا أنزل على محمد آيات من ربه كناقة صالح، وعصا موسى.

قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ : أي قل لهم يا رسولنا: الآيات عند الله ينزلها متى شاء. ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ : أي أو لم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب عليك.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ : أي في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقة صالح. ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(1).

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ : وهو ما يعبد من دون الله.

وَكَفَرُوا بِاللَّهِ : وهو الإله الحق.

أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ : أي حيث استبدلوا الكفر بالإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ : أي يطلبون منك تعجيل العذاب لهم.

وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ : أي وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجاءهم.

وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ : فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾.

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ : أي من كل جانب وهم فيها وذلك. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ : أي ويقول لهم الجبَّار: ذوقوا ما كنتم تعملون أي من الشرك والمعاصي.

يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ : أي هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض الله واسعة.

فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ : فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ : أي لا يمنعنكم الخوف من الموت أن لا تهاجروا في سبيل الله فإن الموت لا بد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة.

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ : أي بعد موتكم ترجعون إلى الله، فمن مات في سبيل مرضاته أكرمه

(1) ﴿شَهِيدًا﴾ أي: يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسول وأن هذا كتابه.

وأسعده، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا : أي لننزلنهم من الجنة غرفًا. ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ : أي صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالىٰ.

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا : أي لا تطيق جمعه ولا حمله لضعفها[1]. ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ : فلا عذر لمن ترك الهجرة خوفًا من الجوع والخصاصة.

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ : أي السميع لأقوال عباده، العليم بنياتهم وأحوالهم وأعمالهم.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم : أي المشركين. ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ : أي ذللهما يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران. ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾.

فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم وهو أن الخالق المدبر هو الإله الحق الذي يجب توحيده في عبادته.

ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ : أي يوسع الرزق على من يشاء من عباده امتحانًا للعبد هل يشكر الله أو يكفر نعمه؟

وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ : أي ويضيق عليه ابتلاء ليرىٰ هل يصبر أو يسخط؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾.

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ : إذًا كيف يشركون به أصنامًا لا تنفع ولا تضر.

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ : أي قل: لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ : أي إنهم متناقضون في فهمهم وجوابهم.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ : أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها[2] فهي لهو يتلهىٰ به الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة.

وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ : أي الحياة الكاملة الخالدة، ولذا العمل لها أفضل من العمل للدنيا.

لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ : أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ : أي في السفينة.

---

(١) ﴿ وَكَأَيِّن ﴾: أصلها (أي) دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنىٰ كم، والتقدير: أي كشيء من العدد من دابة قال ابن عباس: الدواب هي كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر.

(٢) اللهو: ما يلهو به الناس أي: يشتغلون به عن الأمور المكدرة أو يعمرون به أوقاتهم الخالية عن الأعمال.

دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ : **أي دعوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة.**

فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ : **أي يفاجئونك بالشرك[1] وهو دعاء غير الله تعالىٰ.**

لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ : **أي بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم.**

وَلِيَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ : **أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا ألقوا في جهنم.**

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ[2] : **أي يسبون ويقتلون في ديار جزيرتهم.**

أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ : **أي يؤمنون بالأصنام وهي الباطل، ينكر تعالىٰ عليهم ذلك.** ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا : **أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للإسلام والمسلمين.**

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا : **أي لنوفقنهم إلىٰ معرفة ما يوصل إلىٰ محبتنا ورضانا ونعيننَّهم علىٰ تحصيله.** ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

❁❁❁❁

---

(١) قال القرطبي: يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانًا، وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم: لولا الله والرئيس والملاح لغرقنا، وهو كما قال، وإنما هو عند المسلمين من الشرك الأصغر لا الأكبر كقول الرجل: لولا الطبيب لمات فلان، ولولا الكلب لسرقنا.

(٢) الخطف: الأخذ بسرعة. قال الضحاك يتخطف الناس من حولهم: أي يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا فذكرهم الله تعالىٰ بهذه النعمة لعلهم يذعنون له بالطاعة.

٣٠- سُورَةُ الرُّومِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الم، وتقرأ ألف، لام، ميم.

غُلِبَتِ: أي غلبت فارس الروم.

ٱلرُّومُ ﴿٢﴾: اسم رجل هو روم بن عيصر بن إسحاق بن إبراهيم سميت به القبيلة لأنه جدها.

فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ: أي أقرب أرض الروم إلىٰ فارس وهي أرض يقال لها الجزيرة بين «دجلة والفرات»[(١)].

وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾: وهم؛ أي الروم.

فِى بِضْعِ سِنِينَ: من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها أي في فترة ما بين الثلاث السنوات إلىٰ تسع سنين.

لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ: أي الأمر في ذلك أي في غلب فارس أولًا ثم في غلب الروم أخيرًا لله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن.

وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ: أي ويوم تغلب الروم فارسًا يفرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب علىٰ المشركين عبدة النار، وبنصرهم هم علىٰ المشركين في بدر. ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

وَعْدَ ٱللَّهِ: أي وعدهم الله تعالىٰ وعدًا وأنجزه لهم.

لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ: أي ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾: كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده.

يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا: أي لا يعلمون حقائق الإيمان وأسرار الشرع، وإنما يعلمون ما ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة.

وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾: أي عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلىٰ ذلك من عقائد وأفعال وتروك.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم: أي كيف خُلقوا ولم يكونوا شيئًا، ثم كيف أصبحوا رجالًا.

---

(١) اختلف في ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ هل هذا الإدناء إلىٰ أرض الروم أو إلىٰ أرض الفرس كما في التفسير، أو أدنىٰ الأرض إلىٰ أرض الروم أو إلىٰ أرض العرب، والراجح الأول كما في التفسير.

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ : أي لم يخلق الله[1] السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ : وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ : أي بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ .

﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ : أي قلبوها للحرث والغرس والإنشاء والتعمير.

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ : أي عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون.

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ : أي بالدلائل والحجج والبراهين من المعجزات وغيرها كالأحكام الشرعية.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ : أي بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾[2] : أي بالتكذيب والشرك والمعاصي والسوء هي الحالة الأسوأ.

﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ : أي بتكذيبهم بآيات الله القرآنية. ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ : أي بعد إعادة الخلق وبعث الناس.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ : أي ييئسوا من النجاة وتنقطع حجتهم فلا يتكلمون. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟﴾ .

﴿وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ : أي يتبرءون منهم ولا يعترفون بهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ : أي ينقسمون إلىٰ سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ .

﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ : أي في روضة من رياض الجنة يسرون[3] ويفرحون. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ .

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ : أي مدخلون فيه لا يخرجون منه.

---

(١) جائز أن يكون ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ معناه: إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولىٰ وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه. والأجل المسمىٰ: المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فنائها، وهذا التقرير للفناء مستلزم للحياة الآخرة.

(٢) السوءىٰ: تأنيث الأسوأ، كالحسنىٰ تأنيث الأحسن، والأسوأ، الأقبح من الأفعال والأقوال والمعتقدات، وجائز أن يكون المراد بالسوءىٰ هنا جهنم كما أن المراد بالحسنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة.

(٣) ﴿يُحْبَرُونَ﴾: ينعمون ويكرمون ويسرون بالحبور والسرور وأثر النعيم.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: أي سبحوا الله أي صلوا.

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: أي تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب وصلاة العشاء.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾: وتدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض.

﴿وَعَشِيًّا﴾: أي حين تدخلون في العشي وفيه صلاة العصر.

﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾: أي تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: أي يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة.

﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: أي يخرج النطفة من الإنسان الحي والبيضة الميتة من الدجاجة الحية.

﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي يحيها بالمطر فتحيا بالنبات بعدما كانت يابسة ميتة.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾: أي من قبوركم أحياء بعدما كنتم ميتين.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: أي ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد موتكم.

﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: أي خلقه إياكم من تراب وذلك بخلق آدم الأب الأول.

﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾: أي في الأرض بشرًا تعمرونها. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

﴿لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: أي لتسكن نفوسكم إلىٰ بعضكم بحكم التجانس في البشرية.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: أي محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر ويرحمه. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: أي حججه وبراهينه الدالة علىٰ قدرته علىٰ البعث والجزاء. ﴿خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: أي لغاتكم من عربية وعجمية، والعجمية بينها اختلاف كثير.

﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾: أي من أبيض وأصفر وأحمر وأسود والكل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾: أي للعقلاء علىٰ قراءة للعالمين بفتح اللام، ولأولي العلم علىٰ قراءة كسر اللام.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾: أي طلبكم الرزق بإحضار أسبابه من زراعة وتجارة وصناعة وعمل.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾: أي سماع تدبر وفهم وإدراك، لا مجرد سماع الأصوات.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: أي إراءته إياكم البرق خوفًا[١] من الصواعق والطوفان وطمعًا في المطر. ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾: أي قيام السماء والأرض علىٰ ما هما عليه من نشأتهما.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بقدرته وتدبيره.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة إسرافيل.

﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾: أي من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي خلقًا وملكًا وتصرفًا وعبيدًا.

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[٢] ﴿٢٦﴾: أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون له تجري عليهم أحكامه كما أرادها فلا يتعطل منها حكم. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: أي أيسر وأسهل نظرًا إلىٰ أن الإعادة أسهل من البداية.

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي الوصف الأعلىٰ في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوحدانية. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾: أي الغالب علىٰ أمره، الحكيم في قضائه وتصرفه.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا﴾: أي جعل لكم مثلًا[٣].

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي منتزعًا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم.

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: أي إنه ليس لكم من مماليككم وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه أبدًا، فكذلك الله تعالىٰ لا يرضىٰ أن يكون من عبيده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها.

﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي تخوفكم من بعضكم لبعض أيها الأحرار.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: أي نبينها بتنويع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب الأمثال. ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: أي ليس الأمر قصورًا في البيان حتىٰ لم يؤمن المشركون.

﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: وإنما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: أي لا أحد فالاستفهام للنفي. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) جائز أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(٢) ذكر القرطبي لتفسير كلمة ﴿قَٰنِتُونَ﴾ تفاسير عدة من السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة وإما دلالة مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.

(٣) ضرب المثل إيقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لأجلكم.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ : أي سدد وجهك يا رسولنا للدين الإسلامي بحيث لا تنظر إلَّا إليه.

حَنِيفًا : أي مائلًا عن سائر الأديان إليه وهو بمعنىٰ مقبلًا عليه.

فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا : أي صنعة الله التي صنع عليها الإنسان وهي قابليته للإيمان بالله تعالىٰ.

لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ : أي لا تعملوا علىٰ تغيير تلك القابلية للإيمان والتوحيد فالجملة خبرية لفظًا إنشائية معنىٰ.

ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ : أي المستقيم الذي لا يضل الآخذ به.﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ : أي راجعين إليه تعالىٰ بفعل محابه وترك مكارهه.﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾.

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [1] ﴿٣٢﴾ : أي طوائف وأحزابًا كل فرقة فرحة بما هي عليه من حق وباطل.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ : أي إذا مس المشركين ضر أي شدة من مرض أو فقر أو قحط.

دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ : أي راجعين بالضراعة والدعاء دون غيره.

ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً : بكشف ضر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق.

إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ : أي بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغير ذلك.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ : أي ليكون شكرهم لله كفرًا بنعمه والعياذ بالله.

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾.

أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا : أي حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ : أي بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالىٰ في نظام الحياة.

إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ : أي ييئسون من الفرج بزوال الشدة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ : أي يوسعه امتحانًا له.

وَيَقْدِرُ : أي يضيق الرزق علىٰ من يشاء ابتلاء.﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ : أي أعط ذا القرابة حقه من البر والصلة[2].

---

(١) والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشايع أي توافق رأيًا وتجمع عليه، والحزب الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة.

(٢) الخطاب رغم كونه موجهًا للنبي ﷺ فأمته تابعة له في هذا كله وابن السبيل إن استضاف مؤمنًا وجب عليه ضيافته لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» في الصحيح.

وَالْمِسْكِينَ: أي المعدوم الذي لا مال له، أعطه حقه في الطعام والشراب والكساء.
وَابْنَ السَّبِيلِ: أي أعط ابن السبيل أي المسافر حقه في الإيواء والطعام.
ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ: أي ذلك الإنفاق خير من عدمه للذين يريدون وجه الله تعالىٰ إذ يثيبهم ربهم أحسن ثواب. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.
وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا: أي من هدية أو هبة وسميت ربًا لأنهم يقصدون بها زيادة أموالهم.
لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ: أي ليكثر بسبب ما يرده عليكم من أهديتموه القليل ليرد عليكم الكثير.
فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ: أي لا يباركه الله ولا يضاعف أجره. ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾: أي الذين يؤتون أموالهم صدقة يريدون بها وجه الله فهؤلاء الذين يضاعف لهم الأجر أضعافًا مضاعفة. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.
هَلْ مِن شُرَكَائِكُم: أي من أصنامكم التي تعبدونها.
مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ: والجواب لا أحد؛ إذ بطلت ألوهيتها وحرمت عبادتها.
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾: أي تنزه الرب عن الشرك وتعالىٰ عن المشركين.
ظَهَرَ الْفَسَادُ[1] فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: أي ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ: أي بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء.
لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا: أي تم ذلك وحصل ليذيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم.
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾: كي يرجعوا عن المعاصي إلىٰ الطاعة والاستقامة.
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أي قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله: سيروا.
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ: أي كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسلهم وشركهم بربهم، إنها هلاكهم. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ: أي استقم علىٰ طاعة ربك عابدًا له مبلغًا عنه منفذًا لأحكامه.
مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ: أي لا يرده الله تعالىٰ أنه قضىٰ بإتيانه وهو يوم القيامة.
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾: أي يتفرقون فرقتين. ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾.
فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾: أي يوطئون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح أعمالهم. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.
وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ: أي ومن حججه الدالة علىٰ قدرته علىٰ البعث والجزاء والموجبة لعبادته وحده.

---

(١) ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحها وأولاها بفهم الآية الكريمة وأنفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه.

مُبَشِّرَٰتٍ : أي تبشر العباد بالمطر وقربه.

وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ : أي بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق. ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾[1].

وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ : أي لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في البحر.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ : أي كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحدوا ربكم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ : أي كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام.

فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ : أي بالحجج والمعجزات.

فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ : أي أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي.

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ : أي ونصر المؤمنين أحققناه حقًّا وأوجبناه علينا فهو كائن لا محالة.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا : أي تحركه وتهيجه فيسير وينتشر. ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا : أي قطعًا متفرقة في السماء هنا وهناك.

فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ : أي المطر يخرج من خلال السحاب.

فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ : أي فرحون بالمطر النازل لسقياهم. ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾.

لَمُبْلِسِينَ[2] ﴿٤٩﴾ : أي قانطين آيسين من إنزاله عليهم. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾.

إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ : أي القادر علىٰ إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر علىٰ إحياء الموتىٰ وهو الله تعالىٰ. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا : أي رأوا النبات والزرع مصفرًا للجائحة التي أصابته وهي ريح الدبور المحرقة.

لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ : أي أقاموا بعد هلاك زروعهم ونباتهم يكفرون نعم الله عليهم السابقة. ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾.

إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا : أي ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله. ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ : أي من نطفة وهي ماء مهين.

ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً : أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

---

(١) قال بأمره؛ لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فيتعين إرساء السفن والاحتيال علىٰ حبسها إذ ربما عصفت بها الرياح فأغرقتها فمن هنا قال بأمره وإلا فالرياح وحدها لن تغرق السفن وتعوقها عند السير.

(٢) وفسر بآيسيين أي قانطين أزلين كما في الحديث أي في ضيق وشدة وفُسر بيئسين، والكل صحيح.

ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا : **أي من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب.**

وَشَيۡبَةٗۚ : **أي الهرَم.** ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾.

كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ : **أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة، فانصرافهم عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم لمدة لبثهم في قبورهم.** ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ : **أي في إنكارهم للبعث والجزاء.**

وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾: **أي لا يطلب منهم العتبىٰ أي الرجوع إلىٰ ما يرضي الله تعالىٰ بالإيمان والعمل الصالح.**

وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ : **أي جعلنا للناس.** ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

مِن كُلِّ مَثَلٖۚ : **أي من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير كالأمثال لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا**[1].

وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ: **أي ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة.**

لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾: **أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون فيما تقولون وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه.**

كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾: **أي ما أنزل الله علىٰ رسوله وما أوحاه إليه من الآيات البينات.**

فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ : **أي اصبر يا رسولنا علىٰ أذاهم؛ فإن العاقبة لك إذ وعدك ربك بها، ووعدُ الله حقٌ.**

وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾: **أي لا يحملنك هؤلاء المشركون المكذبون بلقاء الله علىٰ الخفة والطيش فتترك دعوتك إلىٰ ربك.**

❁❁❁❁

---

(1) قال القرطبي: أي من كل مثل يدلهم علىٰ ما يحتاجون إليه وينبههم علىٰ التوحيد وصدق الرسل.

٣١- سُورَةُ لُقْمَانَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ : هذه أحد الحروف المقطعة التي تكتب ألم، وتقرأ: ألف لام ميم.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم.

ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ : أي المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله، ولا خلل فيه، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما يحمل من هدىً وتشريع.

هُدًى وَرَحْمَةً : أي هو هدىً يهتدىٰ به ورحمة يرحم بها.

لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ : أي الذين يراقبون الله تعالىٰ في كل شئونهم الذين يجدون الهدىٰ والرحمة في القرآن الكريم، أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون ذلك. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ .

أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ : أي هم على هداية من الله تعالىٰ فلا يضلون ولا يجهلون معها أبدًا.

وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ : أي الفائزون بالنجاة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ : أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش.

مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ : أي الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء.

لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي ليصرف الناس عن الإسلام ويبعدهم عنه فيضلوا.

وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا : أي ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزوًا: أي مهزوءًا به مسخورًا منه. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا : أي رجع في كبرياء ولم يستمع إليها كفرًا وعنادًا وكبرًا كأن لم يسمعها.

كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا : أي ثقلًا يمنع من السماع كالصمم. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ .

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا : أي بدون عمد مرئية لكم ترفعها حتىٰ لا تقع على الأرض[1] .

وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ : أي جبالًا راسية في الأرض بها ترسو الأرض أي تثبت حتىٰ

(١) راجع تفسير الآية الثانية من سورة الرعد(قل) .

لا تميل[١].

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾: أي وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض. ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ⁽١٠⁾﴾: أي من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه.

﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾: أي المذكور مخلوقه لله تعالىٰ إذ هو الخالق لكل شيء.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾: أي من الآلهة المزعومة التي يعبدها الجاهلون.

﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾: أي المشركون. ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ⁽١١⁾﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ﴾: أي أعطينا لقمان السوداني القاضي.

﴿الْحِكْمَةَ﴾: أي الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾: أي اشكر لله ما أنعم به عليك بطاعته وذكره. ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ⁽١٢⁾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: أي ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغبًا له ومرهبًا. ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ⁽١٣⁾﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: أي عهدنا إليه ببرهما وهو كف الأذىٰ عنهما والإحسان إليهما وطاعتهما.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾: أي ضعفًا علىٰ ضعف وشدة علىٰ شدة وهي الحمل والولادة والإرضاع.

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾: أي مدة رضاعة تنتهي في عامين وبذلك يفصل عن الرضاع. ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ⁽١٤⁾﴾.

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي بذلا جهدهما علىٰ حملك علىٰ الشرك.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: أي واصحبهما في حياتهما بالمعروف، وهو البر والإحسانُ وكفُّ الأذىٰ والطاعةُ في غير معصية الله.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: أي رجع إلي بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد ﷺ. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⁽١٥⁾﴾.

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: أي توجد زنة حبة من خردل.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: أي في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد. ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ⁽١٦⁾﴾: أي لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت.

---

(١) أي كراهية أن تميد بكم أي تميل أو لئلا تميد والكل جائز.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ: أي مر الناس بطاعة الله تعالىٰ، وانههم عن معصيته.

وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾: أي مما أمر الله به عزمًا لا رخصة فيه.

وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ: أي ولا تعرض بوجهك عمن تكلمه تكبرًا.

وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ: أي مختالًا أن تمشي خيلاء.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾: أي متبختر فخور كثير الفخر بما أعطاه الله ولا يشكر.

وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ: أي اتئد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر.

وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ: أي اخفض من صوتك وهو الاقتصاد في الصوت.

إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾: أي أقبح الأصوات وأشدها نكارة عند الناس لأن أوله زفير وآخره شهيق.

أَلَمۡ تَرَوۡاْ: أي ألم تعلموا أيها الناس.

أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ: أي من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم.

وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ: أي من أشجار وأنهار وجبال وبحار وغيرها.

وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً: أي أوسع وأتم عليكم نعمه ظاهرة وهي الصحة وكمال الخلق وتسوية الأعضاء[1].

وَبَاطِنَةًۗ: أي المعرفة والعقل.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ: أي يخاصم في توحيد الله منكرًا له مكذبًا به.

بِغَيۡرِ عِلۡمٍ: أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي.

وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾: أي سنة من سنن الرسل ولا كتاب إلهي منير واضح بين. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾.

أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾: أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم إلىٰ موجب عذاب السعير من الشرك والمعاصي.

۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ: أي أقبل علىٰ طاعته مخلصًا له العبادة لا يلتفت إلىٰ غيره من سائر خلقه.

وَهُوَ مُحۡسِنٞ: أي والحال أنه محسن في طاعته إخلاصًا واتباعًا.

فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ: أي تعلق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال.

---

(١) عن ابن عباس أن النعم الظاهرة الإسلام وما حسن من الخلق، والباطنة ما ستر علىٰ العبد من سيئ العمل. وقيل: النعم الظاهرة الصحة وكمال الخلق، والباطنة المعرفة والعقل.

وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ : أي مرجع كل الأمور إلىٰ الله ﷻ. ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾.

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا : أي متاعًا في هذه الدنيا قليلًا إلىٰ نهاية آجالهم.

ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ : أي ثم نلجئهم في الآخرة إلىٰ عذاب النار، والغليظ: الثقيل. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾.

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ : أي احمد الله علىٰ ظهور الحجة بأن تقول: الحمد لله.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ : أي من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم. ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ : أي من شجرة.

مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ : أي يكتب بها.

وَٱلْبَحْرُ : أي المحيط.

يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ : أي تمده.

مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ : أي ما انتهت ولا نقصت.

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ : أي عزيز في انتقامه غالب علىٰ ما أراد، حكيم في تدبير خلقه.

مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ : أي ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم.

إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ : أي إلا كخلق وبعث نفس واحدة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

أَلَمْ تَرَ : أي ألم تعلم أيها المخاطب.

أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ : أي يدخل جزءًا منه في النهار ويدخل جزءًا من النهار في الليل بحسب الفصول.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى : يسبحان في فلكيهما الدهر كله لا يكلان إلىٰ يوم القيامة وهو الأجل المسمىٰ لهما. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ : أي ذلك المذكور من الإيلاج والتسخير بسبب أن الله هو الإله الحق.

وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ : أي وأن ما يدعون من دونه من آلهة هي الباطل. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ : أي بإفضاله علىٰ العباد وإحسانه إليهم حيث هيأ أسباب جريها. ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ : أي صبار علىٰ المعاصي، شكور للنعم.

وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ : أي علاهم وغطاهم من فوقهم.

كَالظُّلَلِ: أي كالجبال التي تظلل[1] من تحتها.

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ: أي بين الكفر والإيمان بمعنىٰ معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر.

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾: أي غدار كفور لنعم الله تعالىٰ[2].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ: أي خافوا فآمنوا به واعبدوه وحده تنجوا من عذابه.

وَاخْشَوْا يَوْمًا: أي خافوا يوم الحساب وما يجري فيه.

لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ: أي لا يغني والد فيه عن ولده شيئًا. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾.

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: أي وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو كائن.

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا: أي فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا.

وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾: أي الشيطان يغتنم حلم الله عليكم وإمهاله لكم فيجركم إلىٰ المعاصي ويسوفكم في التوبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ: أي المطر.

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ: أي من ذكر أو أنثىٰ ولا يعلم ذلك سواه.

وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا: أي من خير أو شر والله يعلمه. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾.

۞۞۞۞

---

(١) الظلل: جمع، ظلة وهو ما أظل من سحاب.

(٢) فسر هذا اللفظ بعدة تفسيرات: منها موفٍ بما عاهد الله عليه في البحر قال الحسن: مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد: مقتصد في القول مضمر للكفر. وقيل: في الكلام حذف والمعنىٰ فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل علىٰ المحذوف قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾. وما في التفسير أشمل وأسلم.

٣٢- سُورَةُ السَّجْدَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ : هذه أحد الحروف المقطعة يكتب ألم، ويقرأ ألف لام ميم.

تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ : أي لا شك في أنه نزل من رب العالمين.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ : أي بل أيقولون أي المشركون اختلقه وكذبه. ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ .

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ : أي من زمن بعيد وهم قريش والعرب.

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ : أي بعد ضلالهم إلىٰ الحق الذي هو دين الإسلام. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ : هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ(١) : أي استوىٰ علىٰ عرشه يدبر أمر خليقته.

مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ : أي ليس لكم أيها المشركون من دون الله ولي يتولاكم ولا شفيع يشفع لكم.

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ : أي أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا.

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ : أي أمر المخلوقات طوال الحياة.

ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ : أي يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شئونها.

أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ : أي من أيام الدنيا.

ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أي ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه.

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ .

وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ : أي بدأ خلق آدم عليه السلام من طين.

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ(٢) ﴿٨﴾ : أي خلق ذرية آدم من علقة من ماء النطفة.

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ : أي سوىٰ الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حيًّا كما سوىٰ آدم أيضًا ونفخ فيه من روحه فكان حيًّا.

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ : أي القلوب.

---

(١) سئل مالك رحمه الله عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

(٢) المهين: الممتهن الذي لا يعبأ به.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ : أي ما تشكرون الله على نعمة الإيجاد والإمداد إلا شكرًا قليلًا لا يوازي قدر النعمة[١].

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ : أي غبنا فيها بحيث صرنا ترابًا فيها.

أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ : أي مبعوثون. ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ : أي المشركون المكذبون بلقاء ربهم.

نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ : أي مطأطئوها من الحياء والذل والخزي.

رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا : أي ما كنا ننكر من البعث.

وَسَمِعْنَا : أي تصديق ما كانت رسلنا تأمرنا به في الدنيا.

فَٱرْجِعْنَا : أي إلى دار الدنيا. ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا : أي لو أردنا هداية الناس قسرًا بدون اختيار منهم لفعلنا.

وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى : أي وجب، وهو. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾[٢].

إِنَّا نَسِينَٰكُمْ : أي تركناكم في العذاب.

وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ : أي العذاب الخالد الدائم.

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ : من سيئات الكفر والتكذيب والشر والشرك.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا : أي وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعيد.

خَرُّوا۟ سُجَّدًا : أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض.

وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون: سبحان ربي الأعلى.

وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ : أي عن عبادة ربهم في كل آحايينهم بل يأتونها خاشعين متذللين.

تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ : أي تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا : أي يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ : أي لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده

---

(١) وجائز أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقًا فهو كناية عن العدم توبيخًا لهم وتأنيبًا، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعني العقول، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله عَزَّوَجَلَّ، فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عَزَّوَجَلَّ. اهـ(قل) .

(٢) النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخاطر النفسي، ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس، والآخر أولى بالآية.

من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسر به وتفرح. ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾.

أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا : أي مصدقًا بالله ورسوله ولقاء ربه.

كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ : أي كافرًا. ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا : النزل ما يعد للضيف من قِرىً. ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠﴾.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ : أي عذاب الدنيا من مصاب القحط والجدب والقتل والأسر.

دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ : هو عذاب الآخرة في نار جهنم.

لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١ : أي يصيبهم بالمصائب الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا.

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ : لا أحد أظلم منه أبدًا.

إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ٢٢ : أي من المشركين أي بتعذيبهم أشد أنواع العذاب.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ : أي أنزلنا عليه التوراة.

فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ : أي فلا تشك في لقائك بموسىٰ عليه السلام[1] ليلة الإسراء والمعراج.

وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٣ : أي وجعلنا الكتاب «التوراة» أي هاديًا لبني إسرائيل.

وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا : أي وجعلنا من بني إسرائيل أئمة أي قادة هداة يهدون الناس بأمرنا لهم بذلك وإذننا به.

لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤ : أي وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه علىٰ عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعيد[2].

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ : أي بين الأنبياء وأممهم، وبين المؤمنين والكافرين، والمشركين والموحدين.

فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٢٥ : من أمور الدين.

أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ : أي أغفلوا ولم يتبين.

كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ : أي إهلاكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم وشركهم وتكذيبهم لرسلهم.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وروىٰ ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ قال من لقاء موسىٰ ربه عز وجل. أخرجه الطبراني (قل).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾

يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ : أي يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلىٰ الشام كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ : أي دلائل وعلامات علىٰ قدرة الله تعالىٰ وأليم عقابه.

أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ : أي أصموا فلا يسمعوا هذه المواعظ والحجج.

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ : أي أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك علىٰ قدرتنا.

إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ : أي اليابسة التي لا نبات فيها.

فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ : أي مواشيهم من إبل وبقر وغنم. ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ : أي أعموا فلا يبصروا أن القادر علىٰ إحياء الأرض بعد موتها قادر علىٰ البعث.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ : أي الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ : أي ولا هم يمهلون للتوبة أو الاعتذار.

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ : أي وانتظر يا رسولنا ما سيحل بهم من عذاب إن لم يتوبوا فإنهم منتظرون بك موتًا أو قتلًا ليستريحوا منك.

❁❁❁❁

٣٣- سُورَةُ الأَحْزَابِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ: أي دم على تقواه بامتثالك أوامره واجتنابك نواهيه.

وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ: أي المشركين فيما يقترحون عليك.

وَالْمُنَافِقِينَ: أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾: أي عليمًا بخلقه ظاهرًا وباطنًا، حكيمًا في تدبيره وصنعه.

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ: أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله خصومك لك من اقتراحات أو تهديدات. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾.

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ: أي فوض أمرك إليه وامض فيما أمرك به غير مبالٍ بشيء. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ: أي لم يخلق الله رجلًا بقلبين كما ادعى بعض المشركين.

وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ: يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ: أي ولم يجعل الدعيّ ابنًا لمن ادعاه.

ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ: أي مجرد قول باللسان لا حقيقة له في الخارج فلم تكن المرأة أمًّا ولا الدعي ابنًا. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾.

هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ: أي أعدل.

فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ: أي أخوة الإسلام وبنو عمكم فمن لم يعرف أبوه فقولوا له: يا أخي أو ابن عمي.

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ: أي لا حرج ولا إثم في الخطأ، فمن قال للدعيّ خطأ يا بن فلان فلا إثم عليه.

وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ: أي الإثم والحرج في التعمد بأن ينسب الدعي لمن ادعاه.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾: ولذا لم يؤاخذكم بالخطأ ولكن بالتعمد.

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ: أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلب منهم هو أحق به من أنفسهم.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ : في الحرمة وسواء من طلقت أو مات عنها منهن رضي الله عنهن[١] . ﴿وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ .

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ : أولىٰ ببعض أي في التوارث من المهاجرين والمتعاقدين المتحالفين.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ : بأن توصوا لهم وصية جائزة وهي: الثلث فأقل.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ : أي عدم التوارث بالإيمان والهجرة والحلف مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ : أي اذكر لقومك أخذنا من النبيين ميثاقهم علىٰ أن يعبدوا الله وحده ويدعوا إلىٰ عبادته.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ : أي وأخذنا خاصة منك ومن نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ابن مريم، وقدم محمدﷺ في الذكر تشريفًا وتعظيمًا له.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ : أي شديدًا والميثاق: العهد المؤكد باليمين.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ : أي أخذ الميثاق من أجل أن يسأل الصادقين[٢] وهم: الأنبياء عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبكيتًا للكافرين بهم.

﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ : أي فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابًا أليمًا أي موجعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ : أي اذكروا نعمة الله دفاعنا عنكم لتشكروا ذلك.

﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ : أي جنود المشركين المتحزبين.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ : هي جنود الملائكة، والريح ريح الصَّبا وهي التي تهب من شرق.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ : أي بصيرًا بأعمالكم من حفر الخندق والاستعدادات للمعركة.

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ : أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة.

﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ : أي من غرب وهم قريش وكنانة.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ : أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة الفزع.

---

(١) هذه الأمومة إنما هي في حرمة النكاح والبر والتعظيم والإجلال، أما في الإرث فلا، كما لا تبيح النظر إليهن والخلوة بهن كالأمهات فلذا ضرب الله الحجاب عليهن وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾.

(٢) جائز أن يراد بالصادقين الأنبياء عن تبليغهم ووفائهم بما عهد إليهم ، هذا هو الأرجح، وجائز أن يسأل الأنبياء عما أجابهم به أقوامهم من طاعة وإيمان أو كفر وعصيان، والحقيقة أن كلًّا من الرسل والمرسل إليهم يسألهم تعالىٰ، فقد جاء في الأعراف قوله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ : أي منتهى الحلقوم من شدة الخوف.

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠﴾ : أي المختلفة من نصر وهزيمة، ونجاة وهلاك[1].

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ : أي ثم في الخندق وساحة المعركة اختبر المؤمنون.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾ : أي حركوا حراكًا قويًّا من شدة الفزع.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ : أي شيء من النفاق لضعف عقيدتهم.

﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢﴾ : أي ما وعدنا من النصر ما هو إلا غرورًا وباطلًا.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾[2] ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ : أي يا أهل المدينة لا مقام لكم حول الخندق فارجعوا إلىٰ دياركم.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ : أي غير حصينة. ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ : أي من القتال إذ بيوتهم حصينة.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ : أي المدينة أي دخلها العدو الغازي. ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾[3].

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا﴾ : أي ثم طلب إليهم الردة إلىٰ الشرك لآتوها أي أعطوها وفعلوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤﴾ : أي ما تريثوا ولا تمهلوا بل أسرعوا الإجابة وارتدوا.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾[4] : أي من قبل غزوة الخندق وذلك يوم أحد قالوا: والله لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلن ولا نولي الأدبار.

﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥﴾ : أي صاحب العهد عن الوفاء به. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾.

﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦﴾ : أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلًا وتموتون.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ : أي من يجيركم ويحفظكم من الله.

---

(١) قرأ الجمهور ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ جمع ظن بألف بعد النون زيدت هذه النون لرعاية الفواصل في الوقف؛ لأن الفواصل مثل الاسجاع، ومن القراء من أثبتها وقفًا وحذفها وصلًا والكل جائز ومثلها في هذه السورة ﴿وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾، ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾.

(٢) جاء في هامش زاد المعاد ج٢ (ص٤٧٢) قال الأرنؤوط أثابه الله تعالىٰ: أخرج البخاري ٤/ ص من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أمرت بقرية تأكل القرىٰ يقولون: يثرب وهي المدينة...».

قال الحافظ: أي: إن بعض المنافقين يسميها يثرب، واسمها الذي يليق بها المدينة، وفهم بعض العلماء من هذا كراهة تسمية المدينة يثرب، وقالوا: ما وقع في القرآن إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين، وروىٰ أحمد من حديث البراء بن عازب رفعه: «من سمىٰ المدينة يثرب فليستغفر الله، طابة، هي طابة... »(قل).

(٣) أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب.

(٤) الأدبار جمع دبر والمراد به الظَّهر، فالأدبار: الظهور، وتولية الأدبار كناية عن الفرار.

إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا : أي عذابًا تستاءون له وتكربون. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾[١].

❁ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ: أي المثبطين عن القتال المفشلين إخوانهم عنه حتىٰ لا يقاتلوا مع رسول الله والمؤمنين.

وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا : أي تعالوا إلينا ولا تخرجوا مع رسول الله ﷺ.

وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ : أي ولا يشهدون القتال إلا قليلًا دفعًا عن أنفسهم تهمة النفاق[٢].

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ : أي بخلاء لا ينفقون علىٰ مشاريعكم الخيرية كنفقة الجهاد وعلىٰ الفقراء. ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾.

تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ : أي تدور أعينهم من شدة الخوف لجبنهم كالمحتضر الذي يغشىٰ عليه أي يغمىٰ عليه من آلام سكرات الموت.

فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ : أي آذوكم بألسنة ذربة حادة كأنها الحديد وذلك بكثرة كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال[٣].

أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ : أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتىٰ القول.

أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ : أي إنهم لم يؤمنوا الإيمان الصحيح، فلذا هم جبناء عند اللقاء بخلاء عند العطاء. ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ : أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الأحزاب وهم: قريش، وغطفان.

لَمْ يَذْهَبُوا۟ : أي لم يعودوا إلىٰ بلادهم خائبين.

وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ : مرة أخرىٰ أي فرضًا.

يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ : أي من جبنهم وخوفهم يتمنون أن لو كانوا في البادية مع سكانها.

يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ : أي إذا كانوا في البادية لو عاد الأحزاب يسألون عن أنبائكم أي أخباركم هل انهزمتم أو انتصرتم؟

وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ : أي ولو كانوا بينكم في الحاضرة ما قاتلوا معكم إلا قليلًا.

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : أي قدوة صالحة تقتدون به ﷺ في القتال والثبات في

---

(١) المراد بالولي من يتولىٰ نفعهم، والنصير من يتولىٰ نصرهم في الحرب.

(٢) سبحان الله: لحالهم في الصلاة والذكر قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ (قل).

(٣) الخوف هنا توقع القتال من الجيشين.

مواطنه. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾.

قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : من الابتلاء والنصر.

وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ : في الوعد الذي وعد به.

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ : أي تصديقًا بوعد الله وتسليمًا لأمر الله.

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ : أي وفوا بوعدهم.

فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ : أي وفىٰ بنذره فقاتل حتىٰ استشهد.

وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ : أي مازال يخوض المعارك مع رسول الله وهو ينتظر القتل في سبيل الله.

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ : أي في عهدهم بخلاف المنافقين فقد نكثوا عهدهم. ﴿لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا : أي ورد الله الأحزاب خائبين لم يظفروا بالمؤمنين.

وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ : أي بالريح والملائكة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾.

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أي ناصروهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم [1].

مِن صَيَاصِيهِمْ : أي من حصونهم والصياصي جمع صيصية وهي كل ما يمتنع به.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ : أي ألقىٰ الخوف في نفوسهم فخافوا. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا : أي لم تطئوها بعد وهي: خيبر إذ فتحت بعد غزوة الخندق. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ : أي اللائي هن تحته يومئذٍ وهن تسع طلبن منه التوسعة في النفقة عليهن ولم يكن عند رسول الله ﷺ ما يوسع به عليهن.

إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ : أي إلىٰ رسول الله ﷺ وكان يومئذٍ قد اعتزلهن شهرًا.

أُمَتِّعْكُنَّ : أي متعة الطلاق المشروعة علىٰ قدر حال المطلق سعة وضيقًا.

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ : أي أطلقكن طلاقًا من غير إضرار بكن.

وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ : أي تردن رضا الله ورسوله والجنة.

فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ : أي عشرة النبي ﷺ زيادة علىٰ الإحسان العام.

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ : أي بنشوز وسوء خلق يتأذىٰ به رسول الله ﷺ [2].

---

(١) المظاهَرون بفتح الهاء هم قريش وكنانة وغطفان والمظاهِرون لهم هم بنو قريظة من أهل الكتاب.

(٢) إذا أطلق لفظ الفاحشة معرفًا بـ«أل» فهو الزنىٰ، وإذا ورد نكرة فهو المعصية كما في هذه الآية.

يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ : أي مرتين على عذاب غيرهن ممن آذين أزواجهن.

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ : أي مضاعفة العذاب يسيرة هينة على الله تعالىٰ.

۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ : أي ومن يطع منكن الله ورسوله. ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾.

نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ : أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتىٰ يكون ضعف عمل امرأة أخرىٰ من غير نساء النبي.

وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ : أي في الجنة.

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ : أي لستن في الفضل كجماعات النساء.

إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ : بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكن لله.

فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ : أي نظرًا لشرفكن فلا ترققن العبارة.

فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ : أي مرض النفاق أو مرض الشهوة.

وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ : أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه.

وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ : أي اقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة.

وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ : أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متغنجات كفعل نساء الجاهلية الأولىٰ قبل الإسلام. ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾.

إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ : أي إنما أمركن بما أمركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليطهركن من الأدناس والرذائل.

وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ : أي الكتاب والسنة لتشكرن الله علىٰ ذلك بطاعته وطاعة رسوله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ : إن الذين أسلموا لله وجوههم فانقادوا لله ظاهرًا وباطنًا، والمسلمات أيضًا.

وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ : أي المصدقين بالله ربًّا وإلهًا والنبي محمد نبيًّا ورسولًا والإسلام دينًا وشرعًا، والمصدقات.

وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ : أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من النساء.

وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ : أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم، والصادقات.

وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ : أي الحابسين نفوسهم علىٰ الطاعات فلا يتركونها وعن المعاصي فلا يقربونها وعلىٰ البلاء فلا يسخطونه ولا يشتكون الله إلىٰ عباده، والحابسات.

وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ : أي المتذللين لله المخبتين له، والخاشعات من النساء كذلك.

وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ : أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه، والمؤديات كذلك. ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾.

وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ : أي عن الحرام إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم بالنسبة للرجال، أما النساء فالحافظات فروجهن إلا علىٰ أزواجهن فقط.

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ : أي بالألسن والقلوب فعلىٰ أقل تقدير يذكرن الله ثلثمائة مرة في اليوم والليلة زيادة علىٰ ذكر الله في الصلوات الخمس[1].

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً : أي لذنوبهم وذنوبهن.

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ : أي الجنة دار الأبرار.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة. ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾.

أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع.

وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأ واضحًا.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق وهو: زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾.

وَٱتَّقِ ٱللَّهَ : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها.

وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ : أي وتخفي في نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجكها الله إبطالًا لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنىٰ.

مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ : أي مظهره حتمًا وهو زواج الرسول ﷺ من زينب بعد طلاقها.

وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ : أي يقولون: تزوج محمد مطلقة مولاه زيد.

وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج.

فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها؛ لتعاليها عليه بشرف نسبها ومحتد آبائها.

زَوَّجْنَٰكَهَا : إذ تولىٰ الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن من أحد، وذلك سنة خمس، وأشبع الناس لحمًا وخبزًا في وليمة عرسها.

لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ : أي إثم في تزوجهم من مطلقات أدعيائهم. ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لا بد كائن. ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾.

---

(١) الأولىٰ: أن يكون الذكر الزائد علىٰ الصلوات الخمس مطلقًا دون تحديد، فإن تحديد العدد يحتاج إلىٰ دليل. والله أعلم (قل).

وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ : أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يبالون بقول الناس.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ : أي حافظًا لأعمال عباده ومحاسبًا لهم عليها يوم الحساب.

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ : أي لم يكن أبًا لزيد ولا لغيره من الرجال؛ إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار.

وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ : أي لم يجئ نبي بعده إذ لو جاء نبي بعده لكان ولده أهلًا للنبوة كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلًا. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي يا من آمنتم بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا.

ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ : أي بقلوبكم وألسنتكم.

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ : أي نزهوه بقول: سبحان الله وبحمده صباحًا ومساء[1].

هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ : أي يرحمكم.

وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ : أي يستغفرون لكم.

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ : أي يرحمكم ليديم إخراجكم من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإيمان. ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ : أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم.

وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ : أي وهيأ لهم أجرًا كريمًا وهو الجنة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا : أي علىٰ من أرسلناك إليهم[2].

وَمُبَشِّرًا : أي من آمن وعمل صالحًا بالجنة.

وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ : أي من كفر وأشرك بالنار.

وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ : أي وداعيًا إلىٰ الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالىٰ.

وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ : أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلىٰ سبيل الفلاح.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾.

وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ : أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك.

وَدَعْ أَذَىٰهُمْ : أي اترك أذاهم فلا تقابله بأذىٰ آخر حتىٰ تؤمر فيهم بأمر.

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ : أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ : أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه.

إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ : أي إذا عقدتم عليهن ولم تبنوا عليهن.

---

(١) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده؛ إذ ورد عنه ﷺ وصح «من قال: سبحان الله وبحمده مائة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٢) قال قتادة: شاهدًا علىٰ أمته بالتبليغ إليهم، وعلىٰ سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم.

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ : أي من قبل الخلوة بهن ووطئهن.

فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة، إذ العدة على المدخول بها.

فَمَتِّعُوهُنَّ : أي أعطوهن شيئًا من المال يتمتعن به جبرًا لخاطرهن.

وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ : أي اتركوهن يذهبن إلى أهليهن من غير إضرار بهن. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾.

أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ : أي أعطيت مهورهن.

وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ : أي مما يسبى كصفية وجويرية. وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ .

اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ : بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر.

وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ : أي وأراد النبي أن يتزوجها بغير صداق. إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا .

خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ : أي بدون صداق.

قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ : أي على المؤمنين.

فِي أَزْوَاجِهِمْ : أي من الأحكام كأن لا يزيدوا على أربع، وأن لا يتزوجوا إلا بولي ومهر وشهود.

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : أي بشراء ونحوه وأن تكون المملوكة كتابية، وأن تستبرأ قبل الوطء.

لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ : أي ضيق في النكاح. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ .

۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ : أي تؤخر من نسائك[1] .

وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ : أي وتضم إليك من نسائك من تشاء فتأتيها.

وَمَنِ ابْتَغَيْتَ : أي طلبت.

مِمَّنْ عَزَلْتَ : أي من القسمة.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك، خيره ربه في ذلك بعد أن كان

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وروى ابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم. وذلك قول الله تعالى: ﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ فجعلت هذه [أي الآية ٥١] ناسخة التي بعدها في التلاوة [أي الآية ٥٢] كآيتي عدة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة التي بعدها، والله أعلم.

وقال آخرون: بل معنى الآية ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ ﴾: أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء، اللاتي أحللنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعمات، والخال والخالات، والواهبة، وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك. اهـ(قل) .

القسم واجبًا.

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء، أقرب أن تقر أعينهن ولا يحزن.

وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه والعزل والإيواء.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ : أي من حب النساء - أيها الفحول - والميل إلىٰ بعض دون بعض، وإنما خير الله تعالىٰ رسوله تيسيرًا عليه لعظيم مهامه.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ : أي عليمًا بضعف خلقه، حليمًا عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل التوبة.

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ : أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترنك إكرامًا لهن وتخفيفًا عنك.

وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ : أي بأن تطلق منهن وتتزوج أخرىٰ بدل المطلقة لا. لا.

وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتتزوج من أعجبك حسنها.

إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسري بالمملوكة، وقد تسرىٰ رسول الله ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر، وولدت له إبراهيم ومات في سن رضاعه - عليه السلام -. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به.

لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ : أي في الدخول بأن يدعوكم إلىٰ طعام.

غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ : أي غير منتظرين وقت نضجه، أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم المدعوين إليه، بأن يستغل أحدكم الإذن بالدعوة للطعام، فيأتي قبل الوقت ويجلس في البيت فيضايق رسول الله ﷺ وأهله. ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟﴾.

فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين إلىٰ بيوتكم أو أعمالكم ولا يبق منكم أحد.

وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضًا.

إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ.

فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ : أي أن يخرجكم.

وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ : أي يقوله ويأمر به، ولذا أمركم أن تخرجوا.

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ : أي ستر. كباب ورداء ونحوه.

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ : أي من الخواطر الفاسدة. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾: أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنبًا عظيمًا.

إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ: أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته، أو تخفوه في نفوسكم فسيجزيكم الله به شر الجزاء. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ: أي لا حرج على نساء الرسول ﷺ في أن يظهرن لمحارمهن المذكورين في الآية.

وَلَا نِسَآئِهِنَّ: أي المؤمنات، أما الكافرات فلا.

وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ: أي من الإماء والعبيد في أن يروهن ويكلموهن من دون حجاب.

وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ: أي يا نساء النبي فيما أمرتن به من الحجاب وغيره. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ: صلاة الله على النبي هي رحمته ورضوانه عليه، وصلاة الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾: أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم تسليمًا، وأعظمها أجرًا الصلاة الإبراهيمية وصيغتها هي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ: أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد. ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟: أي يرمونهم بأمور يوجهونها إليهم تهمًا وهم بغير ما اكتسبوا ما فعلوا ذلك.

فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾: أي تحملوا كذبًا وذنبًا بينًا ظاهرًا. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾.

وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ: أي يرخين على وجههن الجلباب حتى لا يبدو من المرأة إلا عين واحدة، تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ: أي ذلك الإدناء من طرف الجلباب على الوجه أقرب فلا يؤذين.

فَلَا يُؤْذَيْنَ: أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾: أي غفورًا لمن تاب من ذنبه، رحيمًا له بقبول توبته، وعدم تعذيبه بذنب تاب منه.

۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ: أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر.

وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ: أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا.

﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها، كقولهم: العدو علىٰ مقربة من المدينة، أو السرية الفلانية قتل أفرادها وما إلىٰ ذلك.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ : أي لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ : أي في المدينة إلا قليلًا من الأيام ثم يخرجون منها أو يهلكون.

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ : أينما وجدوا أخذوا أسرىٰ وقتلوا تقتيلًا.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ : أي سن الله هذا سنة في الأمم الماضية أينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تقتيلًا.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ : أي منه تعالىٰ إذ هي ليست أحكامًا يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ : أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة، فاليهود سألوه امتحانًا، والمشركون تكذيبًا بها واستعجالًا لها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ : أي أجب السائلين قائلًا: إنما علمها عند ربي خاصة فلم يعلمها غيره.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ : أي لا أحد يدريك أيها الرسول أي يخبرك بها إذ علمها لله وحده.

﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ : أي وما يشعرك أن الساعة قد تكون قريبة القيام.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ : أي نارًا متسعرة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ : أي مقدرًا خلودهم فيها، إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها.

﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ : أي تصرف من جهة إلىٰ جهة كاللحم عند شيه يقلب في النار.

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾ : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ : هذا قول الأتباع يشكون إلىٰ الله سادتهم ورؤساءهم.

﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ : أي طريق الهدىٰ الموصل إلىٰ رضا الله - عز وجل - بطاعته.

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا.

﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ : أي أخزهم خزيًا متعدد المرات في عذاب جهنم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله.

﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ﴾ : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو إسرائيل مع موسىٰ، آذوه بقولهم: إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر.

﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ : أي أراهم أنه لم يكن به أدرة وهي انتفاخ إحدىٰ الخُصيتين.

وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ : أي ذا جاه عظيم عند الله فلا يخيب له مسعىٰ ولا يرد له مطلبًا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ : أي صدقًا صائبًا.

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ : أي الدينية والدنيوية إذ علىٰ الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال والفوز بثمارها. وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ : أي نال غاية مطلوبه وهي: النجاة من النار ودخول الجنة.

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية، وما ائتمنه عليه أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل.

عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة تضييعها.

وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ : أي آدم وذريته.

إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ : أي لأنه كان ظلومًا أي كثير الظلم لنفسه، جهولًا بالعواقب.

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ : أي وتحملها الإنسان قضاءً وقدرًا ليرتب الله تعالىٰ علىٰ ذلك عذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويتوب علىٰ المؤمنين والمؤمنات، فيغفر لهم ويرحمهم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

❁❁❁❁

٣٤- سُورَةُ سَبَإٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ : أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له.

ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصريفًا وتدبيرًا.

وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ : أي يحمده فيها أولياؤه وهم في رياض الجنان، كما له الحمد في الدنيا.

وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ : أي الحكيم في أفعاله، الخبير بأحوال عباده.

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز.

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا : أي من نبات وعيون ومعادن.

وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها.

وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت.

وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ : أي القيامة. ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ .

لَا يَعْزُبُ عَنْهُ : أي لا يغيب عنه.

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ : أي وزن ذرة: أصغر نملة. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ : أصغر من الذرة ولا أكبر منها.

إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه.

لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ : أي أثبته في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزىٰ صاحبه.

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ .

وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا : أي عملوا علىٰ إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم.

مُعَٰجِزِينَ : أي مغالبين لنا ظانين عجزنا عنهم، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم ولا نحاسبهم ولا نجزيهم.

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ : أي عذاب من أقبح العذاب وأسوئه.

وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ : أي ويعلم الذين أوتوا العلم وهم علماء أهل الكتب كعبد الله بن سلام وأصحابه.

ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ : أي القرآن هو الحق الموحىٰ به من الله تعالىٰ.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾: أي القرآن يهدي إلىٰ صراط الله الموصل إلىٰ رضاه وجواره الكريم وهو الإسلام، والعزيز ذو العزة، والحميد المحمود.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي قال بعضهم لبعض علىٰ جهة التعجب.

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: أي محمد ﷺ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: أي قطعتم كل التقطيع.

﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾: أي تبعثون خلقًا جديدًا لم ينقص منكم شيء.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: أي جنون تخيل له بذلك.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾: أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو جنونه، بل الأمر الثابت والواقع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في الآخرة، وفي الضلال البعيد في الدنيا.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾: أي ينظروا.

﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من كل جهة من السماء والأرض.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: أي قطعًا جمع كسفة أي قطعة. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: أي علامة واضحة ودليلًا قاطعًا علىٰ قدرة الله عليهم.

﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾: أي لكل مؤمن منيب إلىٰ ربه رجاع إليه في أمره كله.

۞ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾: أي وقلنا: يا جبال أوبي معه أي رجعي معه بالتسبيح.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: أي والطير تسبح أيضًا معه.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾: أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كيف يشاء.

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: أي دروعًا طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف.

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: أي اجعل المسمار مناسبًا للحلقة، فلا يكن غليظًا ولا دقيقًا، أي اجعل المسامير مقدرة علىٰ قدر الحلق، لما يترتب علىٰ عدم المناسبة من فساد في الدرع وعدم الانتفاع بها. ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من الغداة إلىٰ منتصف النهار مسيرة شهر، ورواحها من منتصف النهار إلىٰ الليل شهر كذلك أي مسافة شهر.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: أي وأسلنا له عين النُحاس. ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه. ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ

﴿ ١٣ ﴾(١).

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ: جمع محراب المقصورة تكون إلىٰ جوار المسجد للتعبد فيها.

وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ: أي وقصاع في الكبر كالحياض التي حول الآبار تجبىٰ إليها الماء.

وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ: أي وقدور كبار ثابتات علىٰ الأثافي لكبرها لا تحول. ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ: أي الأرضة.

تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ: أي عصاه.

فَلَمَّا خَرَّ: أي سقط علىٰ الأرض ميتًا.

تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ: أي انكشف لها فعرفت.

أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾: وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ: أي لقد كان لقبيلة سبأ اليمانية في مسكنهم.

آيَةٌ: أي علامة علىٰ قدرة الله وهي. ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾.

بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾: أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها، والله رب غفور.

فَأَعْرَضُوا: أي عن شكر الله وعبادته.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ: أي سد السيل العرم. وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ: أي صحابتي أكل مُرّ بشع وشجر الأثل. ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾.

ذَٰلِكَ: أي التبديل. ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا: هي قرىٰ الشام مبارك فيها.

قُرًى ظَاهِرَةً: أي متواصلة من اليمن إلىٰ الشام.

وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ: أي المسافات بينها مقدرة بحيث يقيلون في قرية ويبيتون في أخرىٰ. ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾(٢).

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ: أي لمن جاء بعدهم أي أهلكناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولًا بين الناس.

---

(١) هذه الآية من أقوىٰ الأدلة علىٰ أن أمر الرسول ﷺ هو أمر من الله تعالىٰ وهي مطابقة لقول الله تعالىٰ في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾، فإن الله تعالىٰ قال في حق سليمان ﷺ: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: أي من لم يطع أمر سليمان ﷺ، فجعل أمر سليمان ﷺ من أمره سبحانه وتعالىٰ، والآية تنطبق من باب أولىٰ علىٰ رسول الله ﷺ والله أعلم (قل).

(٢) أي حملهم بطر النعمة علىٰ أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتىٰ يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويذوقوا طعم التعب، وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم علىٰ السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا رواحل.

وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ : أي فرقناهم في البلاد كل التفرق.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ : أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبرًا.

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ : أي صبار على الطاعات وعن المعاصي، شكور على النعم.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ : أي صدق ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم.

فَاتَّبَعُوهُ : في الكفر والضلال والإضلال.

إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ : أي من بني آدم وهم المؤمنون المسلمون، فإنهم لم يتبعوه وخاب ظنه فيهم، زاده الله خيبة إلى يوم القيامة.

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ : أي ولم يكن لإبليس من تسليط منا عليهم لا بعصا ولا سيف وإنما هو التزيين والإغراء بالشهوات.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ : أي لكن أذنَّا له في إغوائهم - إن استطاع - بالتزيين والإغراء لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحًا ممن يكفر ويعمل سوءًا[1].

وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ، وسيجزي الناس بما كسبوا.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته.

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ : أي ملكًا استقلاليًا لا يشاركهم الله فيه.

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض.

وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ : أي وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين على شيء.

وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ : أي ولا تنفع الشفاعة أحدًا عنده حتى يأذن هو له بها.

حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ : أي ذهب الفزع والخوف عنها بسماع كلام الرب تعالى.

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ : أي قال بعضهم لبعض استبشارًا ماذا قال ربكم.

قَالُوا الْحَقَّ : أي في الشفاعة.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ : العلي فوق كل شيء علو ذات وقهر، وهو الكبير الذي كل شيء دونه.

۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : من السموات بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات الزرع.

قُلِ اللَّهُ : أي إن لم يجيبوا فأجب أنت فقل: الله، إذ لا جواب عندهم سواه.

وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ : وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا

---

(١) ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب، فأما علم الغيب فقد علمه -تبارك وتعالى-.

لعلىٰ هدىٰ أو في ضلال مبين، وقطعًا فالموحدون هم الذين علىٰ هدىٰ والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تلطفًا بهم لعلهم يفكرون فيهتدوا.

قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا : أي إنكم لا تسألون عن ذنوبنا.

وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ : أي ولا نسأل نحن عما تعملون، وهذا تلطف بهم أيضًا ليراجعوا أمرهم، ولا يحملهم الكلام علىٰ العناد.

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ : أي قل لهم سيجمع: بيننا ربنا يوم القيامة ويفصل بيننا بالحق، وهذا أيضًا تلطف بهم وهو الحق. ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع الله، فإن أروه إياهم أصنامًا لا تسمع ولا تبصر قامت الحجة عليهم وقال لهم: أتعبدون ما تنحتون وتتركون الله الذي خلقكم وما تعملون؟!.

كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ : كلا: لن تكون الأصنام أهلًا للعبادة، بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله العزيز الحكيم.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا : بشيرًا للمؤمنين بالجنة، ونذيرًا للكافرين بالعذاب. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[1] ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ : هو يوم القيامة[2]. ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ : أي من الكتب السابقة وهي التوراة والإنجيل. وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ[3].

يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ : أي يقول الأتباع كذا ويرد عليهم المتبوعون بكذا وهو المبين في الآيات. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾.

أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم : أي ينكر المستكبرون وهم المتبعون أن يكونوا صدوا التابعين لهم عن الهدىٰ بعد إذ جاءهم بواسطة رسوله.

بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ : أي ظلمة فاسدين مفسدين. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾.

---

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتىٰ اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماءه وصفاته وما عنده وما لديه، ولا محابه ولا مكارهه.

(٢) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت، وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته بيانية.

(٣) جواب لو محذوف أي لرأيت أمرًا فظيعًا هائلًا مدهشًا ومحيرًا.

بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ : أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي جعلنا نكفر بالله.

إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا : أي شركاء نعبدهم معه فنناده بهم.

وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ : أي أخفوها إذ لا فائدة منها، أو أظهروها أي أظهروا الندامة إذ أسر الندامة له معنيان أخفى وأظهر [1].

وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ : أي وجعلنا الأغلال جمع غُل: حديدة تجعل في عنق المجرم.

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ : أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ ﴾: أي رؤساؤها المنعمون فيها من أهل المال والجاه. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا : أي من المؤمنين. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ : أي امتحانًا أيشكر أم يكفر؟

وَيَقْدِرُ : أي يضيق ابتلاء أيصبر أم يسخط؟

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ : أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض.

وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ : أي قربى بمعنى تقريبًا.

إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا : أي لكن من آمن وعمل صالحًا هو الذي تقربه تقريبًا. ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾.

ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ : أي من المرض والموت وكل مكروه.

وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا : أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمه.

مُعَٰجِزِينَ : أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا فلم نعاقبهم. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ [2] وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾: أي من مال في الخير. ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾.

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ : أي المعطين الرزق. أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده.

---

(١) الضمير في ﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين، والمعنى أنهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيأ لهم وذلك عقب المحاورة التي دارت بينهم، علموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم أسروا الندامة أي أخفوها لعدم جدواها.

(٢) ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾، أي قل يا نبينا لأولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم: إن ربي جل جلاله يبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا له لا لرضى عنه ولا لبغض له، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء له لا لبغضه ولا لمحبته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا : أي واذكر يوم نحشرهم جميعًا أي جميع المشركين.

ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ : أي يقول تعالىٰ هذا للملائكة تقريعًا للمشركين وتوبيخًا لهم.

قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ : أي قالت الملائكة: سبحانك أي تقديسًا لك عن الشرك وتنزيهًا.

أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم : أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يتبرءون منهم.

بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ : أي الشياطين التي كانت تتمثل لهم فيحسبونها ملائكة فيطيعونها فتلك عبادتهم لها. ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ : أي لا يملك المعبودون للعابدين.

نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا : أي لا يملكون نفعهم فينفعوهم ولا ضرهم فيضروهم.

وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ : أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين.

ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ : أي كنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو النار.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ : أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنىٰ بينة الدلالة.

قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ : أي ما محمد إلا رجل من الرجال.

يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ : أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لآلهتكم التي كان يعبدها آباؤكم من قبل.

وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى : أي إلا كذب مختلق مزور (يعنون القرآن).

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ : أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ : أي ما هذا: أي القرآن إلا سحر مبين، أي محمد ساحر والقرآن سحر.

وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا : أي يقرءونها فأباحت لهم الشرك وأذنت لهم فيه.

وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ : أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم إلىٰ الشرك.

وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ : أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكناهم معاشر ما آتينا هؤلاء من الحجج والبينات (١).

فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، والجواب

---

(١) هذا علىٰ تفسير أن الضمير في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ عائد علىٰ مشركي قريش. أما إن عاد الضمير إلىٰ الأمم السابقة فالمراد القوة كما جرينا عليه في معنىٰ الآيات. اهـ. قال الصابوني أثابه الله في «صفوة التفاسير»: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي وكذب قبلهم أقوام من الأمم السابقين وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة والمال وطول العمر قال ابن عباس: ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ أي من القوة في الدنيا (قل).

كان واقعًا موقعه لم يخطئه بحال. ﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ .

مَثۡنَىٰ : أي اثنين اثنين.

وَفُرَٰدَىٰ : أي واحدًا واحدًا.

ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم : أي محمد ﷺ .

مِّن جِنَّةٍۚ : أي جنون. ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ۝٤٦ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ۝٤٧﴾ .

قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝٤٨ : أي يلقي بالوحي الحق إلىٰ أنبيائه. ويقذف الباطل بالحق أيضًا فيدمغه.

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩ : أي وما يبدي الباطل هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا أثر له.

قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ : أي إثم ضلالي علىٰ نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري.

وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ۝٥٠ : أي سميع لما أقول لكم، قريب غير بعيد فلا يتعذر عليه مجازاة أحد من خلقه.

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ : أي إذا فزعوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم منا بل هم في قبضتنا. ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٥١﴾ .

وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٥٢ :[1] أي لمّا شاهدوا العذاب قالوا: آمنا بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا؟ (التناوش) التناول من مكان بعيد.

وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣ : أي دهاهم اليوم في الدنيا يقذفون بالغيب محمدًا ﷺ بقواصم الظهر مرة يقولون: كاذبٌ، ومرة: ساحر، ومرة: شاعر، وأخرىٰ: مجنون وكل هذا رجمًا بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنىٰ ريبة تدعوهم إليه.

وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم الكفر والباطل.

إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ۝٥٤ : أي في شك بالغ من نفوسهم فأصبحوا به مضطربين لا يطمئنون إلىٰ شيء أبدًا.

۞۞۞۞

---

(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو ليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن؛ إذ الكل واجب الإيمان به، وقد كفروا بالكل وكذبوا.

٣٥- سُورَةُ فَاطِرٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ : أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد، ومقتضىٰ الحمد ما ذكر بعد.

فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي خالقهما علىٰ غير مثال سابق(١).

جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا : أي جعل منهم رسلًا إلىٰ الأنبياء كجبريل عليه السلام.

أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ : أي ذوي أجنحة، جمع جناح كجناح الطائر. ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾.

يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ : أي يزيد علىٰ الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل ستمائة(٢) جناح. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا : من أرزاق، وخيرات، وبركات.

وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ : أي الله. من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره سبحانه وتعالى.

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ : أي الغالب علىٰ أمره، الحكيم في تدبير صنعته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ : أي اذكروا نعمه تعالىٰ عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم في حرمكم.

هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم : أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكم.

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ : أي بإنزال المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو إذًا فاعبدوه ووحدوه.

فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ : أي كيف تصرفون عن توحيده مع اعترافكم بأنه وحده الخالق الرازق.

وَإِن يُكَذِّبُوكَ : أي يا رسولنا فيما جئت به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك.

فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ : أي فلست وحدك كذبت فلا تأسَ ولا تحزن واصبر كما صبروا من قبلك.

وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ : وسوف يجزي المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾.

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ : أي ولا يغرنكم بالله -أي في حلمه وإمهاله-

---

(١) والمراد بالسموات والأرض العالم كله.

(٢) جائز أن يكون في ملاحة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن والحظ الحسن كل هذا مذكور وداخل في العبارة فإنها عامة.

الغرور: أي الشيطان.

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يغركم به وأطيعوا ربكم عَزَّوَجَلَّ.

إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد.

لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ : أي ليؤول أمرهم إلىٰ أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الجنة، وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات.

أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ : أي قبح عمله من الشرك والمعاصي(1).

فَرَءَاهُ حَسَنًا : أي رآه حسنًا زينًا لا قبح فيه. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ : أي علىٰ أولئك الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم.

حَسَرَٰتٍ : أي لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ : وسيجزيهم بصنيعهم الباطل.

وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير.

فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ : أي لا نبات به.

فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع.

كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ : أي البعث والحياة الثانية.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا : أي فليطلب العزة بطاعة الله؛ فإنها لا تنال إلا بذلك.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ : أي إلىٰ الله تعالىٰ يصعد الكلم الطيب، وهو سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.

وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع إلىٰ الله.

وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ : أي يعملونها ويكسبونها. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ : أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ : أي أصلكم وهو آدم.

ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذرية آدم.

ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا : أي ذكرًا وأنثى.

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ : أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه.

---

(1) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالًا فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل: إنهم اليهود والنصارىٰ والمجوس، وسوء عمله معاداة الرسول ﷺ، وقيل: إنهم الخوارج، وسوء عمله تحريف التأويل وقيل: الشيطان وسوء عمله الإغراء، وقيل: كفار قريش وهو الظاهر.

وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ : أي وما يطول من عمر ذي عمر طويل إلا في كتاب.

وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ : أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾.

وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ : أي شديد العذوبة. ﴿سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ(١) وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ : أي شديد الملوحة.

وَمِن كُلّٖ : أي ومن كل منهما.

تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا : أي السمك.

وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ : أي اللؤلؤ والمرجان.

وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ : أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر.

لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ : أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالىٰ.

وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢ : أي رجاء أن تشكروا الله تعالىٰ علىٰ ما رزقكم.

يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ : أي يدخل الليل في النهار فيزيد.

وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ : أي يدخل النهار في الليل فيزيد.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ : أي ذللهما.

كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ : أي في فلكه إلىٰ يوم القيامة. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾.

وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ : أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام.

مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ(٢) ١٣ : أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهي بيضاء رقيقة. ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾.

وَلَوۡ سَمِعُواْ : أي فرضًا. ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾.

وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ : أي يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم.

وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ : أي لا ينبئك أي بأحوال الدارين مثلي؛ فإني خبير بذلك عليم.

۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ : أي المحتاجون إليه في كل حال.

وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره؛ فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها.

إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ : أي بدلًا عنكم.

---

(١) معنىٰ ﴿سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ﴾: أن شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإساغة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة.

(٢) جاء في القرآن ذكر النقير والقطمير والفتيل، واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح: أن النقير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط في وسط النواة، وأن القطمير اللفافة البيضاء علىٰ النواة.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائز الوقوع.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ : أي في حكم الله وقضائه بين عباده أن النفس المذنبة الحاملة لذنبها لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرىٰ، بل كل وازرة تحمل وزرها وحدها[1].

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ : أي بأوزارها حتىٰ لم تقدر علىٰ المشي أو الحركة.

﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض ذنبها، حتىٰ لو دعت ابنها أو أباها أو أمها فضلًا عن غيرهم، بهذا حكم الله ﷻ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ : أي لأنهم ما رأوه بأعينهم. ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ .

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ : أي طهر نفسه من الشرك والمعاصي.

﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ : أي صلاحه واستقامته علىٰ دين الله ثمرتها عائدة عليه. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨﴾ .

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩﴾ : أي لا يستويان فكذلك الكافر[2] والمؤمن لا يستويان.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠﴾ : أي لا يستويان فكذلك الكفر والإيمان لا يستويان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١﴾ : أي لا يستويان فكذلك الجنة والنار لا يستويان.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ : فكذلك لا يستوي المؤمنون والكافرون. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ .

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ : أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ : أي بالدين الحق والهدىٰ والكتاب.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾ : أي سلف فيها نبي ينذرها. ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ .

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ : أي بالحجج والأدلة الواضحة.

﴿وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ : أي وبالصحف كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب: هو واقع موقعه والحمد لله. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ .

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ : أي كأحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره.

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ : أي طرق في الجبال إذ الجدة: الطريق ومنه جادة الطريق.

﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضًا.

---

(١) وإن تدع مثقلة أي أحدًا إلىٰ حملها.

(٢) قال القرطبي: الكافر والمؤمن والعالم والجاهل.

وَغَرَابِيبُ سُودٌ (١) ﴿٢٧﴾ : منها الأبيض والأصفر والأسود الغربيب.

وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود.

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها.

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ : أي العالمين بجلاله وكماله، إذ الخشية متوقفة على معرفة المخشي. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾.

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ : أي يقرءونه تعبدًا به. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها. ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ : أي غفور لذنوب عباده التائبين؛ شكور لأعمالهم الصالحة.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ : أي القرآن الكريم.

هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ : أي من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾.

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ : أي الكتب التي سبقت القرآن إذ محصلها في القرآن الكريم.

الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد ﷺ.

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ : بارتكاب الذنوب.

وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ : مؤدٍ للفرائض مجتنب للكبائر.

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ : مؤدٍ للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر.

بِإِذْنِ اللَّهِ : أي بتوفيقه وهدايته.

ذَٰلِكَ : أي إيراثهم الكتاب. ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

وَلُؤْلُؤًا : أي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب. ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ : أي الإقامة وهي: جنات عدن. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ : أي تعب.

وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ : أي إعياء من التعب، وذلك لعدم التكليف فيها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) الغربيب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير؛ إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب؛ إذ العرب تقول للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غربيب.

لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا: أي بالموت فيموتوا ويستريحوا. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾

كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾: أي كذلك الجزاء نجزي كل كفور بنا وبآياتنا ولقائنا.

وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا: أي يصيحون بأعلىٰ أصواتهم يطلبون الخروج منها يقولون: أي في عويلهم وصراخهم.

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا: أي منها. ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ: أي وقتًا يتذكر فيه من تذكر.

وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ: أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم علىٰ الشرك والمعاصي(1). ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾: أي بما في القلوب من إصرار علىٰ الكفر ولو عاش الكافر طوال الحياة.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ: يخلف بعضكم بعضًا، والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره.

فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ: أي وبال كفره.

وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا: أي إلا غضبًا شديدًا عليهم من الله عز وجل.

وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾: أي في الآخرة إذ يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني.

شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ: أي تعبدون من غير الله وهي: الأصنام.

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ: أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي: أي جزء منها خلقوه؟.

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ: أي أم لهم شركة في خلق السموات(2). ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾(3).

بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾: أي باطلًا إذ قالوا: إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم القيامة وتقربنا إلىٰ الله زلفىٰ.

۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا: أي منعهما من الزوال.

وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ: أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده لعجزه عن ذلك.

إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾: أي حليمًا لا يعجل بالعقوبة، غفورًا لمن ندم واستغفر.

(1) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ أو الشيب [علىٰ خلاف] وما في التفسير أصح.

(2) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء، والمعنىٰ ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وإنزال المطر.

(3) أي ما آتينا هؤلاء المشركين كتابًا يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك علىٰ بينة بصحة الشرك، والجواب: ومن أين لهم الكتاب الذي يبيح الشرك؟

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ : أي رسول.
لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ : أي اليهود والنصارىٰ.
فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ : أي محمد ﷺ.
مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ : أي مجيئه إلا تباعدًا عن الهدىٰ ونفرة منه.
اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ : أي الشرك والمعاصي.
وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ [١] : أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له.
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ : أي سنة الله فيهم وهي: تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه [٢].
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا : أي فلا يبدل العذاب بغيره.
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ : أي تحويل العذاب عن مستحقه إلىٰ غير مستحقه. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.
وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً : أي وأهلكهم الله تعالىٰ بتكذيبهم رسلهم.
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ : أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه. ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾.
إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا [٣] ﴿٤٤﴾ : أي عليمًا بالأشياء كلها، قديرًا عليها كلها.
وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا : أي من الذنوب والمعاصي.
مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ : أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب علىٰ الأرض وهي: كل ذي روح [٤].
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي يوم القيامة [٥].
فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ : فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيرًا كان أو شرًّا.

❁❁❁❁

---

(١) حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روي أن كعبًا قال لابن عباس: إني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال: اقرأ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ومن أمثال العرب: «من حفر لأخيه جبًّا وقع فيه منكبًّا» وجملة لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.

(٢) السنة: الطريقة، والجمع سنن.

(٣) أي هَبْ أنكم أقوىٰ ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفًا في الحياة فإن الله تعالىٰ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وذلك لعلمه وقدرته، إذن فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم.

(٤) قال ابن مسعود: يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة: وقد فعل ذلك زمن نوح ﷺ، قال ابن جرير: هنا الناس وحدهم وهو كذلك.

(٥) قال مقاتل: الأجل المسمىٰ هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل: هو يوم القيامة؛ ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ.

٣٦- سُورَةُ يسٓ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يس، ويقرأ هكذا ياسين، والله أعلم بمراده به.

وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ : أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو لذلك حكيم ومحكم أيضًا بعجيب النظم وبديع المعاني.

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ : أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلىٰ أقوامهم.

عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ : أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام.

تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ : أي القرآن[1] تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به، الرحيم بمن تاب إليه.

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة.

فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ : أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال.

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون.

إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلىٰ أعناقهم بالأغلال.

فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ : أي أيديهم مجموعة إلىٰ أذقانهم، والأذقان: جمع ذقن وهو: مجمع اللحيين.

فَهُم مُّقْمَحُونَ[2] ﴿٨﴾ : أي رافعو رءوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون بأيديهم خيرًا، ولا يذعنون برءوسهم إلىٰ حق. ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾.

فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ : أي جعلنا علىٰ أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون.

وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ : أي استوىٰ إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم.

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ : أي القرآن.

---

(١) هذا علىٰ قراءة أهل المدينة وهي رفع (تنزيلُ) أما علىٰ قراءة النصب فالتقدير: اقرأ تنزيلَ العزيز الرحيم أو امدح التنزيلَ.

(٢) وجائز أن يكون هذا بيانًا لحالهم في النار يوم القيامة، ولكن ما في التفسير أولىٰ وأحق والسياق يؤكده.

وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ : أي بالجنة دار النعيم والسلام.

إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ [1] : أي نحن رب العزة نحيي الموتىٰ للبعث والجزاء.

وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم، وآثارهم أي خطاهم إلىٰ المساجد وما استن به أحد من بعدهم.

وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ : أي في اللوح المحفوظ.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا : أي واجعل لهم مثلًا.

أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ : أي أنطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ : أي رسل عيسىٰ عليه السلام.

إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ : أي قوينا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث وهو حبيب بن النجار. ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي: إبراء الأكمه، والأبرص، والمريض، وإحياء الموتىٰ (بإذن الله).

قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ : أي تشاءمنا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسببكم. ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [2].

قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ : أي شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم.

أَئِن ذُكِّرْتُم : أي وعظتم وخوفتم تطيرتم، وهذا توبيخ لهم.

بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر.

وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ : أي من أقصا دور المدينة وهي أنطاكية العاصمة.

رَجُلٌ : أي جاء حبيب النجار صاحب يس.

يَسْعَىٰ : أي يشتد مسرعًا لما بلغه أن أهل البلد عزموا علىٰ قتل رسل عيسىٰ الثلاثة.

قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ : أي رسل عيسىٰ عليه السلام.

ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا : اتبعوا من لا يطلبكم أجرًا علىٰ إبلاغ دعوة الحق.

وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ : أي الرسل إنهم علىٰ هداية من ربهم ما هم بكذّابين.

وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى : أي خلقني. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أي يوم القيامة، وفيه إشارة إلىٰ أن الله تعالىٰ يحيي قلب من شاء من الكفار، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلىٰ الحق كما قال تعالىٰ بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾. (قل).

(٢) لئن لم تنتهوا من دعواكم بأنكم رسل إلينا بترك آلهتنا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم.

ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ : أي بمرض ونحوه. ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ : أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره.

إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ : أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدها لفي ضلال مبين.

إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ : أي صارح قومه بهذا القول وقتلوه.

قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ : قالت له الملائكة عند الموت: ادخل الجنة.

قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ : قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة.

بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ : وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك[1].

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ : أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية.

مِنۢ بَعْدِهِۦ : أي من بعد موته.

مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ : أي من الملائكة لإهلاكهم.

وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ : أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك.

إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً : أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام.

فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ : أي ساكتون لا حراك لهم ميتون.

يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ[2] : أي يا حسرة على العباد هذا أوان حضورك فاحضري وهذا غاية التألم، والعباد هم: المكذبون للرسل الكافرون بتوحيد الله.

مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ : هذا سبب التحسر عليهم.

أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ : أي ألم ير أهل مكة المكذبون للرسول ﷺ. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ : أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ : أي على صحة البعث ووجوده لا محالة.

أَحْيَيْنَٰهَا : بإنزال المطر عليها فأصبحت حية بالنبات والزروع. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ : أي بساتين. ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ : أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقه.

---

(١) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين.

(٢) الحسرة شدة الندم مشوبًا بتلهف على نفع فائت.

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾: أي أفيرون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف مخزٍ منهم.

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا: أي تنزيها وتقديسًا لله الذي خلق الأصناف كلها.

مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ: أي الذكور والإناث.

وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾: من المخلوقات كالتي في السماء وتحت الأرضين.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ: وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار: أي نزيل النهار عن الليل.

فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾: أي بالليل.

وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا: أي مكان لا تتجاوزه[1].

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾: أي جريها في فلكها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه، العليم بكل خلقه.

وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي: ثمان وعشرون منزلة[2].

حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في الشماريخ، وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر.

لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ: أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر فيجتمعان في الليل.

وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ: أي بأن يأتي قبل انقضائه.

وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلك يسبحون أي يسيرون، والفلك: دائرة مستديرة كفلكة المغزل هو مجرى النيرين والكواكب السيارة[3].

وَءَايَةٌ لَّهُمْ: أي وعلامة لهم على قدرتنا على البعث.

أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ: أي ذريات قوم نوح الذين أهلكناهم بالطوفان[4]. نجينا ذرياتهم لأنهم

---

(١) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمآل أي يصير أمرها فتؤول إلى مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس «أتدري أين تذهب؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع في مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾».

(٢) جائز أن يكون قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلًا ينزل القمر كل ليلة بها بمنزلة وهي: السرطان...

(٣) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون، أي يجرون وجيء بضمير الجمع وهما اثنان الشمس والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشمل الكواكب أيضًا.

(٤) لفظ الذرية أساسًا يطلق على الأولاد وأطلق هنا على الآباء والأجداد؛ إذ الكل ذرية لآدم عليه السلام، والمشحون الموقر بما حمل فيه من سائر المخلوقات.

مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون.

﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾: أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ﴾: أي من مثل فلك نوح. ﴿مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم. ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾: أي وتمتيعًا لهم بالطعام والشراب إلىٰ نهاية آجالهم[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.

﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: أي من عذاب الآخرة إذا أصررتم علىٰ الكفر والتكذيب. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي وما تأتيهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبينة من بيناته الدالة علىٰ توحيد الله وصدق الرسول.

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾: غير ملتفتين إليها ولا مبالين بها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا﴾: أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين: أنفقوا علينا.

﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾: أي من المال.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾: أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟!

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾: أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي أنتم عليه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾: أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه.

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي: نفخة إسرافيل.

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾: أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصية.

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾: بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو المقاهي والملاهي.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ﴾: أي القبور.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾: أي يخرجون بسرعة.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾: أي قال الكفار: من بعثنا من قبورنا؟

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ﴾: أي هذا ما وعد به الرحمن[2].

---

[1] الاستثناء منقطع فهو بمعنىٰ لكن؛ لأن الرحمة ليست من جنس المستثنىٰ منه وهو الصريخ.

[2] جائز أن يكون ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ﴾ إلخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم صرحوا بالحقيقة التي كان يكذبون بها فاعترفوا قائلين: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾، =

وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ : أي فيما أخبروا. ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء، وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام.

فَٰكِهُونَ : أي ناعمون بالتلذذ بالنعم وذلك لطيب العيش. ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾.

فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ : أي على الأسرة ذات الحجلة.

لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ : أي ما يتمنون ويطلبون.

سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ : أي سلام بالقول من رب رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه وتعالى.

وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ : أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها الصالحون إلى الجنة.

۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ : أي ألم أوصكم بترك عبادة الشيطان وهي طاعته. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾.

وَأَنِ ٱعْبُدُونِى : أي وبأن تعبدوني وحدي وذلك في كتبي وعلى ألسنة رسلي.

هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ : أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن هو الإسلام الموصل إلى دار السلام.

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا : أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقًا كثيرًا.

أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ : أي أطعتموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم.

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ : أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم.. إلخ. ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ : أي عندما يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين. ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ : أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لفعلنا، ولكننا لم نشأ ذلك رحمة منا.

فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ : أي فابتدروا الطريق كعادتهم فكيف يبصرون.

=

وجائز أن يقال لهم كما في التفسير. فإن قلنا بالقول الأول لا يصح الوقف على ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾، وإن قلنا بالقول المثبت في التفسير صح الوقف، ويصبح ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ كلامًا مستأنفًا.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾: أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في أمكنتهم التي هم فيها فلا يستطيعون مضيًا ولا يرجعون.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفًا عاجزًا.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾: أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم، فتؤمنون وتوحدون، فتنجون من العذاب وتسعدون.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾: أي وما علمنا رسولنا محمدًا ﷺ الشعر فما هو بشاعر.

﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾: أي وما يصلح له ولا يصح منه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾: أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلا ذكر، أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر؛ لما يظهر من الحقائق العلمية.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾: أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون.

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾: أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين؛ لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾: الأنعام هي الإبل والبقر والغنم. ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: أي سخرناها لهم وجعلناهم قاهرين لها يتصرفون فيها.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾: أي من بعضها يركبون وهي: الإبل، ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ﴾: المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾: أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى هذه النعم بالإيمان والطاعة.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾: أي أصنامًا يعبدونها زعمًا منهم أنها تنصرهم بشفاعتها لهم عند الله.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾: أي لا تقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾: أي لا يقدرون على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند محضرون لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسها أحد بسوء، فبدل أن تنصرهم هم ينصرونها كجند معبئين لنصرتها.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾: أي إنك لست مرسلًا وإنك شاعر وكاهن ومفتر.

إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ : أي إنهم ما يقولون ذلك إلا حسدًا وهم يعلمون أنك رسول الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق.

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ : أي المنكر للبعث كالعاص بن وائل السهمي وأبيٍّ بن خلف.

أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ : أي من مني إلىٰ أن صيرناه رجلًا قويًا.

فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ : أي شديد الخصومة بينها في نفي البعث.

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا : أي في ذلك، إذ أخذ عظمًا وفته أمام رسول الله ﷺ وقال أيحيي ربك هذا؟

وَنَسِيَ خَلْقَهُ : أي وإنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلًا يخاصم، فالقادر علىٰ الخلق الأول قادر علىٰ الثاني.

قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ : أي قد رمت وبليت. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا : أي من شجر المرخ والعفار يحك أحدهما علىٰ الآخر فتشتعل النار. ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم : أي مثل الأناسي.

بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ : أي قادر علىٰ ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا : أي خلق شيء وإيجاده. ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾.

فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي ملك كل شيء، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه.

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة.

❁❁❁❁

الباب السادس
من سورة الصافات
حتى سورة الحجرات

٣٧- سُورَةُ الصَّافَّاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنحتها في الهواء.

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ : أي الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله.

فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ : أي فالجماعات التاليات للقرآن ذكرًا.

إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ : أي إن إلهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد.

رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما.

وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ : أي والمغارب وهي مشارق الشمس ومغاربها إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب. ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ .

وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ : أي وحفظناها حفظًا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة.

لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ : أي لا يستمعون إلىٰ الملائكة في السموات العلا.

وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ : يرمون بالشهب من كل جوانب السماء.

دُحُورًا : أي إبعادًا لهم.

وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ : أي دائم لا يفارقهم.

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب.

فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخلبه أي يفسده.

فَاسْتَفْتِهِمْ : أي استخبر كفار مكة تقريرًا وتوبيخًا.

أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا : أي خلقهم من ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم، أم من خلق تعالىٰ من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات.

إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ : أي يلصق باليد.

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ : أي عجبت يا نبي الله من إنكارهم للبعث وهم يسخرون من دعوتك إلىٰ الإيمان به.

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ : أي إذا وعظوا لا يتعظون.

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقرر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون: أي يستهزئون. ﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ : أي قل لهم يا رسولنا: نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء.

فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ : أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ : أي يوم الحساب والجزاء. ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ : أي أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وَأَزۡوَٰجَهُمۡ : أي قرناءهم من الشياطين. ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

مِن دُونِ ٱللَّهِ : أي من غير الله من الأوثان والأصنام.

فَٱهۡدُوهُمۡ : أي دلوهم وسوقوهم.

إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ : أي إلىٰ طريق النار.

وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ : أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسئولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ : أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا توبيخًا لهم. ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ : أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل، وتحسنون له الشر فتأمرونه[3].

قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ : أي قال قرناؤهم من الجن ردًّا عليهم بل لم تكونوا أساسًا مؤمنين.

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ : أي من حجة ولا قوة علىٰ حملكم علىٰ الشرك والشر والباطل.

بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ : أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالىٰ وتجبرون الناس علىٰ ذلك.

فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ : أي وجب علينا العذاب.

---

(١) جائز أن يكون ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ من قول الله تعالىٰ والملائكة لهم، وجائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

(٢) وفسر أزواجهم أيضًا بأشياعهم وقرنائهم وهم من الجن وما في التفسير أولىٰ.

(٣) اضطرب أهل التفسير في تفسير ﴿تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ وأقوالهم متضاربة: فمنهم من قال: تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قاله قتادة، ومنهم من قال: ﴿ٱلۡيَمِينِ﴾؛ بمعنىٰ: القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق، وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه أنكم تأتوننا من كل جهة تحاولون إغواءنا وإضلالنا.

إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ : أي العذاب نحن وأنتم.

فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ : أي أضللناكم إنا كنا ضالين.

فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ : أي يوم القيامة.

فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفساد.

إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم الرسول.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ : أي قولوا: لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون ولا يوحدون.

وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ : يعنون محمدًا ﷺ.

بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ : أي بل جاء بـ«لا إله إلا الله» وهو الحق الذي جاءت به الرسل وقد صدقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد. ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾.

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ : أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي.

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده، فإنهم يجزون بأكثر أعمالهم إذ الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ : أي في الجنة بكرة وعشيًا.

فَوَٰكِهُ : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه؛ فليس هو لحفظ أجسامهم حية كما في الدنيا.

وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئًا، بخلاف أهل النار يقال لهم: ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ : أي يجري علىٰ وجه الأرض كعيون الماء الجارية علىٰ الأرض.

بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ : أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين.

لَا فِيهَا غَوْلٌ : أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم.

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ : أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا.

وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ : أي لا ينظرون إلىٰ غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهن.

عِينٌ ﴿٤٨﴾ : أي واسعات الأعين، الواحدة عيناء.

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ : أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غبار ولا غيره.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ : أي أقبل أهل الجنة.

يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ : أي عما مر بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ : أي كان لي صاحب ينكر البعث الآخر.

يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ : أي يقول تبكيتًا لي وتوبيخًا أي بالبعث والجزاء. ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾.

أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ : أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكارًا وتكذيبًا.

قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ : أي معي إلىٰ النار لننظر حاله وما هو فيه من العذاب.

فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ : أي في وسط النار.

قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ : أي قال هذا تشميتًا به، ومعنىٰ تردين: تهلكني.

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ : أي المسوقين إلىٰ جهنم المحضرين فيها.

أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ : أمخلدون فما نحن بميتين، والاستفهام للتقرير أي نعم.

إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ : التي ماتوها في الدنيا.﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ : **أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل العاملون، وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئات.**

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا : أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نزلًا وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره.

أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ : المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعمًا ومرارة.

إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ : أي امتحانًا واختبارًا لهم في الدنيا وعذابًا لهم في الآخرة.

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ : أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتها.

طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ : أي ما يطلع من ثمرها أولًا كالحيات القبيحة المنظر. ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ : أي بعد أكلها يسقون ماء حميمًا فذلك الشوب أي الخلط. ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾.

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ : أي وجدوا آباءهم ضالين.

فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ : أي يسرعون مندفعين إلىٰ أتباعهم بدون فكر ولا روية.﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ : **أي رسلًا منذرين لهم من العذاب.**

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ : **إنها كانت عذابًا أليمًا لإصرارهم علىٰ الكفر.**

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ : **فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا.**

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ: أي قال: إني مغلوب فانتصر من سورة القمر[1].

فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾: أي له إذ نجيناه وأهلكنا الكافرين من قومه.

وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾: أي عذاب الغرق بالطوفان.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾: إذ عامة الناس كانوا من ذريته سام، وحام، ويافث.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾: أي أبقينا عليه ثناء حسنًا عند سائر الأمم والشعوب.

سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾: أي سلام منا علىٰ نوح في العالمين أي في الناس أجمعين.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾: أي كما جزينا نوحًا بالذكر الحسن والسلام في العالمين نجزي المحسنين. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.

ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾: أي كفار قومه المشركين بعد إنجاء المؤمنين في السفينة.

۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾: وإن من أشياع نوح علىٰ ملته ومنهاجه إبراهيم الخليل عليه السلام.

إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾: أي أتىٰ ربه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلىٰ غير الرب سبحانه وتعالى.

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾: أي حين قال لأبيه وقومه المشركين أي شيء تعبدون؟

أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾: أي كذبًا هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله.

فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾: أي شيء هو؟ أترون أنه لا يسخط عليكم ولا يعاقبكم فتعبدون غيره وهو ربكم ورب العالمين.

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾: أي إيهامًا لهم إذ كانوا يؤلهون النجوم.

فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾: أي عليل ذو سقم وهو المرض والعلة.

فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾: أي رجعوا إلىٰ ما هم فيه وتركوه قابلين عذره.

فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ: أي مال إليها خفية. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾: أي بقوة يمينه فكسرها بفأس وحطمها.

فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾: أي يمشون بقوة وسرعة.

قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾: أي من الحجارة والأخشاب والمعادن كالذهب والفضة.

وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾: أي وخلق ما تعبدون من أصنام وكواكب.

قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾: واملئوه حطبًا وأضرموا فيه النار فإذا التهب فألقوه فيه.

فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾: أي المقهورين الخائبين في كيدهم إذ نجىٰ الله إبراهيم.

---

(١) نص الآية: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ : **أي إني مهاجر إلىٰ ربي سيهدين إلىٰ مكان أعبده فيه فلا أمنع فيه من عبادته.**

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ : **أي ولدًا من الصالحين.**

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ : **أي ذي حلم وصبر كثير يولد له.**

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ : **أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر علىٰ العمل كسبع سنين فأكثر.** ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ .

فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ : **أي من الرأي الرشد.** ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ .

سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ : **أي علىٰ الذبح الذي أمرت به.**

فَلَمَّا أَسْلَمَا : **أي خضعا لأمر الله الولد والوالد، وانقادا له.**

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ : **أي صرعه علىٰ جبينه بأن وضع جبينه علىٰ الأرض، ولكل إنسان جبينان أيمن وأيسر والجبهة بينهما.** ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ .

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا : **أي بما عزمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلىٰ منىٰ، وصرعه علىٰ الأرض، وإمرار السكين علىٰ حلقه.** ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ : **أي الأمر بالذبح اختبار عظيم.**

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ : **أي كبش كبير.**

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ : **أي أبقينا عليه ثناء وذكرًا حسنًا فيمن جاء بعده من الناس.** ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ .

وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ : **أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية إسحاق حتىٰ إن عامة الأنبياء من ذريتهما.** ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ .

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ : **أي بالنبوة والرسالة.**

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا : **أي بني إسرائيل.**

مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ : **أي استعباد فرعون إياهم واضطهاده لهم.**

وَنَصَرْنَاهُمْ : **علىٰ فرعون وجنوده.** ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ .

وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ : **أي التوراة، الموضح الأحكام والشرائع**[1] .

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ : **أي الإسلام لله رب العالمين.**

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ : **أي أبقينا عليهما في الآخرين ثناء حسنًا.**

---

(١) **موسىٰ أوتي الكتاب أصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسىٰ عليهما السلام.**

سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾: أي سلام منا على موسى وهارون.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾: أي كما جزيناهما نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين.

إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾: أي جزيناهما بما جزيناهما به لإيمانهما.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾: إلياس هو أحد أنبياء بني إسرائيل من سبط هارون، أرسله الله تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

أَتَدْعُونَ بَعْلًا: أي صنمًا يسمى بعلًا.

وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾: أي وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين.

ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾: أي في النار.

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾: أي فإنهم نجوا من النار.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾: أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرًا حسنًا.

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾: أي سلام منا على إلياس. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾: أي وإن لوطًا وهو ابن هاران أخي إبراهيم الخليل لمن جملة الرسل أيضًا.

إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾: أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطًا إذ نجيناه وأهله أجمعين من عذاب مطر السوء.

إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾: أي إلا امرأته الكافرة أهلكت في الغابرين: أي الباقين في العذاب.

ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾: أي أهلكنا الآخرين ممن عدا لوطًا والمؤمنين معه.

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ: أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل والنهار.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾: أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعظون فتؤمنوا وتوحدوا.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾: أي وإن يونس بن متى الملقب بذي النون لمن جملة المرسلين.

إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾: أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب.

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾: أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين.

فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾: أي ابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه. ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ﴾.

كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾: أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء.

لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾: أي لكان بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة.

﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ : أي فألقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض بالساحل.

وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ : أي عليل كالفرخ المنتوف الريش.

وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ : أي الدباء: القرع.

وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ : أي أرسلناه إلىٰ مائة ألف نسمة بل يزيدون بكذا ألف.

فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ : أي فآمن قومه عند معاينة أمارات العذاب فأبقاهم الله إلىٰ آجالهم.

فَٱسْتَفْتِهِمْ : أي استخبر كفار مكة توبيخًا لهم وتقريعًا.

أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ : أي فيختصون بالأفضل الأشرف.﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾.

أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ : من إفكهم ليقولون. ﴿وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ : أي لقولهم: الملائكة بنات الله. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ : أي اختار البنات علىٰ البنين. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾[1].

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ : أي أن الله تعالىٰ منزه عن الصاحبة والولد.

أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ : أي ألكم حجة واضحة علىٰ صحة ما تدعون..

فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ : أي الذي تحتجون بما فيه، ومن أين لكم كتاب؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا : إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ : أي في العذاب.

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ : أي تنزيهًا لله تعالىٰ عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له.

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ : أي فإنهم ينزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ : أي من الأصنام. ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[2].

إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ : أي مقدر له عذاب النار.

وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ : أي مكان في السماء يعبد الله تعالىٰ فيه لا يتعداه.

وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ : أي أقدامنا في الصلاة.

وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ : أي المنزهون الله تعالىٰ عما لا يليق به.

وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ : أي كفار مكة.

---

(١) والمعنىٰ أي شيء حصل لكم؟

(٢) ما أنتم بمضلين أحدًا إلا أحدًا هو صال الجحيم.

لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ : أي كتابًا من كتب الأمم السابقة. ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾.

فَكَفَرُوا بِهِ : أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ : أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحدوا.

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا : هي قوله تعالىٰ: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ : أي للكافرين بالحجة والنصرة.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ : أي أعرض عنهم حتىٰ تؤمر فيهم بالقتال [1].

وَأَبْصِرْهُمْ : أي أنظرهم. ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ : أي العذاب. ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ : أي أعرض عنهم. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾.

سُبْحَانَ رَبِّكَ : أي تنزيهًا لربك يا محمد. ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ : أي تنزيهًا له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك.

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ : أي أمنة من الله لهم في الدنيا والآخرة.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ : أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن علىٰ نصر أوليائه وإهلاك أعدائه.

❁❁❁❁

---

(1) كإذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتىٰ يجيء أجلهم، أو يأتي يوم بدر أو الفتح.

٣٨- سُورَةُ صٓ

«مكية»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب [ص] ويقرأ صاد، الله أعلم بمراده به.

وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ : أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالىٰ، ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر، وشاعر، وكاذب[1] .

بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة؛ فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه.

كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ : أي كثيرًا من الأمم الماضية أهلكناهم.

فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ : أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة.

وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ : أي وما اعتبر أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ .

وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ : أي لما يظهره من الخوارق، ولما يسنده إلىٰ الله تعالىٰ من الإرسال والإنزال.

أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا : أي لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: كيف يسع الخلائق إله واحد؟

إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ : أي جَعْل الآلهة إلهًا واحدًا أمر عجيب.

وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ : أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ وسمعوا منهم قوله لهم: لا إله إلا الله.

وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ : أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد منا تنفيذه.

مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ : أي ملة عيسىٰ عليه السلام.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ : أي ما هذا إلا كذب مختلق.

أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا : أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف.

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى : أي بل هم في شك من القرآن والوحي؛ ولذا قالوا في الرسول ما قالوا.

---

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه: منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفًا له في الدارين كما أنه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل: ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه، وقيل: الموعظة وقيل: فيه أسماء الله وتمجيده.

بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ : أي بل لما لم يذوقوا عذابي، إذ لو ذاقوه ما كذبوا بل آمنوا ولا ينفعهم إيمان.

أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ : أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا.

أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي ليس لهم ذلك.

فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ : أي الموصلة إلىٰ السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو يمنعوا الوحي النازل علىٰ نبينا محمدﷺ وأنىٰ لهم ذلك؟!

جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ : أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر.

مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ : أي من الأمم الماضية التي تحزبت علىٰ رسلها وأهلكها الله تعالىٰ.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ : أي قبل هؤلاء المشركين من قريش.

وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ : أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه[1].

وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ : أي الغيضة وهم قوم شعيب. ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾.

إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ : أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه.

فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ : أي وجبت عقوبتي عليهم.

وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً : هي نفخة إسرافيل في الصور نفخة.

مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ : أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتىٰ تُهلك كل شيء.

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ : أي صك أعمالنا لنرىٰ ما أعددت لنا؛ إذ القِط الكتاب.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ : أي القوة والشدة في طاعة الله تعالىٰ.

إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ : أي رجاع إلىٰ الله في كل أموره.

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ : أي بالمساء بعد العصر إلىٰ الغروب، والإشراق من طلوع الشمس إلىٰ ارتفاع الضحىٰ.

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً : أي والطيور مجموعة. ﴿كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾.

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ : أي وأعطينا داود الحكمة. وهي: الإصابة في الأمور والسداد فيها، وفصل الخطاب: الفقه في القضاء، ومن ذلك البينة علىٰ المدعي واليمين علىٰ من أنكر[2].

---

(١) جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام؛ لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به طنب الخيمة أو حبالها.

(٢) من بين ما ذكره ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَفَصْلَ﴾ وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول من قال [أما بعد] داود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو فصل الخطاب، وكذا قال الشعبي: فصل الخطاب: أما بعد(قل).

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ : الاستفهام هنا للتعجب: أي حمل المخاطب على التعجب.

نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ : أي خبر الخصم الغريب في بابه العجيب في واقعه.

إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول مع الباب فقصدوا سوره ونزلوا من أعلى السور. ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ ﴾.

خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ : أي تعدى بعضنا على بعض.

فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ : أي احكم بالعدل ولا تجر في حكم.

وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق[1].

إِنَّ هَٰذَآ أَخِى : أي على ديني في الإسلام. ﴿ لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ : أي اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكيتها.

وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ : أي غلبني في الكلام الجدلي فأخذها مني.

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ : أي بطلب نعجتك وضمها إلى نعاجه.

وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضًا. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾.

وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ : أي أيقن داود أنما فتنه ربه أي اختبره.

فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ : أي طلب المغفرة من ربه بقوله: أستغفر الله، وسقط ساجدًا على الأرض، وأناب أي رجع تائبًا لربه. ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ ﴾.

وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ : أي وحسن مرجع عندنا وهي الجنة والدرجات العلا فيها.

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ : أي خلفت من سبقك، تدبر أمر الناس بإذننا.

فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ : أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهيه.

فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ : أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى.

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ : أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ : أي عبثًا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق.

ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ : أي ظن أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثًا لا لحكمة مقصودة منها ظن الذين كفروا.

---

(١) سواء الصراط أي وسط الطريق، وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ : أي من وادٍ في النار بعيد غوره كريه ريحه لا يطاق. ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ .

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ : أي لا تفارقه البركة يجدها قارئه والعامل به والحاكم بما فيه.

لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ : أي ليتعظ به أصحاب العقول الراجحة.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ : أي ومن جملة هباتنا لداود الأواب أن وهبنا له سليمان ابنه.

نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ : أي سليمان أي رجاع إلىٰ ربه بالتوبة والإنابة.

إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ : أي الخيل الصافنات أي القائمة علىٰ ثلاث، الجياد أي السوابق.

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي: صلاة العصر؛ لانشغاله باستعراض الخيل للجهاد.

حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين.

رُدُّوهَا عَلَيَّ : أي ردوا الخيل التي استعرضتها آنفًا فشغلتني عن ذكر ربي.

فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل وأعناقها.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ : أي ابتليناه.

وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا : أي شق ولد ميت لا روح فيها[1] .

ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ : أي رجع إلىٰ ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه. ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ .

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي : أي أعطني ملكًا لا يكون لسواي من الناس. ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ .

فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره.

تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ : أي لينة حيث أراد.

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ : أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في البحر.

وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ : أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلىٰ أعناقهم في السجون المظلمة، وذلك إذا تمردوا وعصوا أمرًا من أوامره[2] .

---

(١) نص الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان لأطوفن الليلة علىٰ تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعًا فلم تحمل منه إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون». [والحديث في الصحيح].

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، أي موثوقون في الأغلال، والأكبال ممن تمرد وعصىٰ، وامتنع من العمل وأبىٰ، أو قد أساء في صنيعه واعتدىٰ (قل) .

هَٰذَا عَطَآؤُنَا : أي وقلنا له: هذا عطاؤنا.

فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ : أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ : أي منا لك.

وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ : أي وإن لسليمان عندنا لقربة يوم القيامة.

وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ أي مرجعًا في الجنة في الدرجات العلا.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ : أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم. ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ : أي بضر وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سببًا، وتأدبًا مع الله تعالىٰ.

ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ : أي اضرب برجلك الأرض تنبع عين ماء.

هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ : أي قلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه، وتشرب فتشفىٰ. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا : أي حُزمة من حشيش يابس.

فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ : بترك ضربها.

إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ : أي أيوب عليه السلام.

إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ : أي رجاع إلىٰ الله تعالىٰ.

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ : أي اذكر صبرهم علىٰ ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة. ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى : أي أصحاب القوىٰ في العبادة.

وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ : أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم.

إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ : أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها.

وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ : أي من المختارِينَ، الأخيار جمع خير. ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

هَٰذَا ذِكْرٌ : أي لهم بالثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا.

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ : أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات.

لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ : أي مرجعًا أي عندما يرجعون إلىٰ ربهم بالوفاة. ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾.

مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا : أي علىٰ الأرائك.

يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ : أي يطالبون فيها بفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام والشراب، إيذانًا بأن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرن إلى غيرهم.
﴿أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ : أي أسنانهن متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ .
﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ : أي ليس له انقطاع أبدًا.
﴿هَٰذَا﴾ : أي المذكور للمتقين.
﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد.
﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾ : أي جهنم يصلونها.
﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾ : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي.
﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾ : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه.
﴿حَمِيمٌ﴾ : أي ماء حار محرق.
﴿وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ : أي قيح وصديد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار.
﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ : أي وعذاب آخر كالحميم والغساق أصناف.
﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ : أي يقال لهم عند دخولهم النار: هذا فوج مقتحم معكم.
﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ : أي لا سعة عليهم ولا راحة لهم. ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾ .
﴿قَالُوا۟﴾ : أي الأتباع للطاغين. ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾﴾ .
﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا﴾ : أي الأتباع أي من كان سببًا في عذابنا هذا في جهنم. ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ .
﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ : أي قال الطاغون وهم في النار: ما لنا لا نرىٰ رجالًا؟
﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾﴾ : أي في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب.
﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ : أي كنا نسخر منهم في الدنيا.
﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾﴾ : أي أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم.
﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل النار.
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ : أي يا رسولنا لمشركي قومك أي مخوف من عذاب الله.
﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ : أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار.
﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ : أي الغالب الذي لا يمانع في مراده، الغفار للتائبين من عباده.
﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ : أي قل يا رسولنا لكفار مكة: القرآن نبأ عظيم وخبر جسيم.
﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ : لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ: أي بالملائكة عندما شُووِرُوا في خلق آدم[1]. ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: أي اذكر لهم تدليلًا علىٰ أنه يوحىٰ إليك القرآن إذ قال ربك للملائكة.

إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾: أي خالق آدم من مادة الطين، وقيل فيه بشر؛ لبدو بشرته.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي: الرُّوح جسم لطيف يسري في الجسم سريان النار في الفحم أو الماء في الشجر أو الكهرباء في الأسلاك. ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

إِلَّا إِبْلِيسَ: أي لم يسجد.

اسْتَكْبَرَ: عن السجود لآدم كبرًا وحسدًا له. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ: أي للذي خلقته بيدي وهو: آدم فدل ذلك علىٰ شرفه.

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ[2] ﴿٧٥﴾: أستكبرت الآن أم كنت من قبل من العالين المتكبرين، والاستفهام للتوبيخ والتفزيع لإبليس. ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾.

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا: أي من الجنة.

فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾: أي مرجوم مطرود.

وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾: أي طرده من الجنة وألحقه لعنة وهي الطرد من الرحمة إلىٰ يوم الدين: أي الجزاء وهو يوم القيامة.

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾: أي أخر موتي وأبق عليّ حيًّا إلىٰ يوم يبعثون أي الناس. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾: أي إلىٰ النفخة الأولىٰ وهي نفخة الموت والفناء. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾: أي الذين استخلصتهم للإيمان بك وعبادتك ومجاورتك في الجنة. ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ: لا أسألكم علىٰ البلاغ أجرًا تعطونه لي.

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾: أي المتقولين القرآن، وما أنذركم به من تلقاء نفسي.

---

(١) وهو ما ذكر في الآيات من ٧١: ٨٥ والتي تتكلم عن قصة آدم عليه السلام (قل).

(٢) العلو الشرف فمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي من أهل علو المراتب وشرف المنازل؛ فلذا امتنعت من السجود لآدم عليه السلام.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدىٰ إلا ذكر للعالمين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين.

۞۞۞۞

٣٩- سورة الزمر

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب: أي القرآن.

من الله العزيز الحكيم ﴿١﴾: أي العزيز في ملكه وانتقامه، الحكيم في صنعه وتدبير خلقه. ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله﴾.

مخلصا له الدين ﴿٢﴾: أي مفردًا إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحدًا.

ألا لله الدين الخالص: أي له وحده خالص العبادة لا يشاركه في ذلك أحد سواه.

والذين اتخذوا من دونه أولياء: أي شركاء وهي: الأصنام.

ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى: أي تقريبًا وتشفع لنا عند الله. ﴿إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾.

إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴿٣﴾: أي كاذب أي: علىٰ الله، كفار بعبادته غير الله تعالىٰ. ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾.

سبحانه: أي تنزيهًا له عن الولد والشريك.

هو الله الواحد القهار ﴿٤﴾: أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه، القهار لخلقه.

خلق السماوات والأرض بالحق: أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو والعبث.

يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل: أي يدخل أحدهما في الآخر، فإذا جاء الليل ذهب النهار والعكس كذلك.

وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى: أي ذللهما فلا يزالان يدوران في فلكيهما إلىٰ نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض. ﴿ألا هو العزيز الغفار ﴿٥﴾﴾.

خلقكم من نفس واحدة: هي آدم عليه السلام.

ثم جعل منها زوجها: هي حواء خلقها الله تعالىٰ من ضلع آدم الأيسر.

وأنزل لكم من الأنعام: أي أنزل المطر فأنبت العشب؛ فخلق الأنعام فهذا وجه لإنزالها.

ثمانية أزواج: أي من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين.

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ : أي أطوارًا طور بعد طور نطفة فعلقة فمضغة.

فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾.

لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ : أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال؛ إن أمركم عجب. ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1].

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ : أي لا تحمل نفس ذات وزر وزر نفس أخرى.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ : الإنسان أي المشرك.

ضُرٌّ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه.

دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ : أي سأل ربه كشف ما أصابه من ضر راجعًا إليه معرضًا عمن سواه.

ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ : أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضر.

نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ : أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله تبارك وتعالى.

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا : أي شركاء.

لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ : أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام.

قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا : أي قل يا نبينا لهذا الكافر الضال المضل تهديدًا: تمتع بكفرك بقية أجلك.

إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ : أي أهلها المتأهلين لها بخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم.

أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا : أي مطيع لله أناء الليل أي ساعات الليل ساجدًا وقائمًا في الصلاة. ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ : أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيرة.

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ : أي أحسنوا العبادة.

فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ : أي الجنة.

وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ : أي فهاجروا فيها لتتمكنوا من عبادة الله إن منعتم منها في دياركم. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[2].

---

(١) ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: عائد على الشكر (قل).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفًا، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك، وقال السدي: يعني في الجنة) (قل).

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ : أي أمرني ربي عز وجل.

أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ : أي مفردًا إياه بالعبادة. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ .

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ : أي أول من يسلم في هذه الأمة فينقاد لله بعبادته والإخلاص له فيها.

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي عذاب يوم القيامة.

قُلِ : أي يا رسولنا للمشركين.

اللَّهَ أَعْبُدُ : أي لا أعبد معه سواه.

مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ : أي مفردًا إياه بطاعتي وانقيادي.

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ : أي إن أبيتم أيها المشركون عبادة الله وحده فاعبدوا ما شئتم من الأوثان فإنكم خاسرون.

قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ : أي فحرموها الجنة وخلدوها في النار.

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي الحور العين اللائي كن لهم في الجنة لو آمنوا واتقوا بفعل الطاعات وترك المنهيات. ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ .

لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ : أي دخان ولهب وحر من فوقهم ومن تحتهم.

ذَٰلِكَ : أي المذكور من عذاب النار.

يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ : أي يامن أنا خالقهم ورازقهم ومالكهم وما يملكون، فلذلك اتقون بالإيمان والتقوىٰ.

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا : أي تركوا عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله.

وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ : أي بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ : أي بالجنة عند الموت وفي القبر وعند القيام من القبور. ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ .

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ : أي أوفاه وأكمله وأقربه إلىٰ مرضاة الله تعالىٰ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ﴿هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ .

وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ : أي العقول السليمة.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ : أي وجب عليه العذاب بقول الله تعالىٰ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ .

أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ : أي تخلصه منها وتخرجه من عذابها.

لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ : أي خافوه فآمنوا به وأطاعوه موحدين له في ذلك.

لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : أي من خلال قصورها وأشجارها.

وَعْدَ اللَّهِ : أي وعدهم الله تعالىٰ وعدًا فهو منجزه لهم. ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ : أي أدخله في الأرض فصار جاريًا

تحتها ينبع منها فكان بذلك ينابيع.

ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ: أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر، وأنواعه من بر وشعير وذرة.

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا: أي ييبس فتراه أيها الرائي بعد الخضرة مصفرًّا.

ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا: أي فتاتًا متكسرًا.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾: أي إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلىٰ أن يكون حطامًا تذكيرًا.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ: أي فاهتدىٰ به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد.

فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ: أي فهو يعيش في حياته علىٰ نور من ربه وهو معرفة الله وشرائعه.

فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ: ويل كلمة عذاب، للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم تؤمن به ولم تعمل بما فيه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا: هو القرآن الكريم.

مُّتَشَٰبِهًا: أي يشبه بعضه بعضًا في النظم والحسن وصحة المعاني.

مَّثَانِيَ: أي ثنىٰ فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام.

تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ: أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر وعيده.

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ: أي تطمئن وتلين.

إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ: أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوىٰ بالجنة وما فيها من نعيم مقيم. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ: أي يتلقىٰ العذاب بوجهه لا شيء يقيه منه كمن آمن، وسوء العذاب أي أقساه وأشده.

وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ: أي المشركين في جهنم.

ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾: أي جزاء كسبكم الشر والفساد.

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: أي من قبل أهل مكة.

فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾: أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه، أو من حيث لا يخطر ببالهم.

فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ: أي المسخ والذل والإهانة. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾: أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ: أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من

الأمم السابقة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ : أي يتعظون فينزجروا عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلىٰ الإيمان والتوحيد.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ : أي حال كون المثل المجعول قرآنًا عربيًّا لا لبس فيه ولا اختلاف، فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ﴾.

﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ : أي متنازعون لسوء أخلاقهم.

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ : أي خالصًا سالمًا لرجل لا شركة فيه لأحد.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ : الجواب لا. الأول في تعب وحيرة، والثاني في راحة وهدوء بال.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ : أي علىٰ ظهور الحق وبطلان الباطل. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ : أي مقضي عليك بالموت في وقته.

﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ : أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ : أي تحتكمون إلىٰ الله في ساحة فصل القضاء فيحكم الله بينكم.

۞ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ : أي بأن نسب إليه ما هو بريء منه كالزوج والولد والشريك.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ : أي بالقرآن والنبي والتوحيد والبعث والجزاء.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ : أي مأوىٰ ومكان إقامة ونزول.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول الله ﷺ.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي. ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ : أي ييسر الله لهم ذلك ويوفقهم إليه ليكفر عنهم ذنوبهم. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ : بلىٰ. هو كافٍ عبده ورسوله محمدًا ﷺ كل ما يهمه.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ : أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك ويضرك. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ : بلىٰ بل هو عزيز غالب علىٰ أمره صاحب انتقام شديد علىٰ من عاداه. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ : أي لوضوح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحجة.

قُلْ أَفَرَءَيْتُم : أي أخبروني. ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾.

هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ : والجواب: لا لا.

قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ : ولا حاجة لي بغيره. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ : أي علىٰ حالتكم التي أنتم عليها من الكفر والعناد.

إِنِّى عَٰمِلٌ : أي علىٰ حالتي التي أنا عليها من الإيمان والانقياد. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط.

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح، وهو عذاب النار بعد الموت.

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ : أي أنزلنا عليك يا رسولنا القرآن بالحق أي ملتبسًا به. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ : أي ليس عليك أمر هدايتهم فتجبرهم علىٰ الإيمان.

ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا : أي ينهي حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء مقبوض.

فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ : أي يقبضها لحكمه بالموت عليها حال النوم.

وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلىٰ نهاية أجله[1].

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ : أي في قبض الأرواح وإرسالها والقدرة علىٰ ذلك، دلائل وبراهين علىٰ قدرة الله تعالىٰ علىٰ البعث الذي أنكره المشركون.

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ : أي أن كفار مكة لا يتفكرون ولو كانوا يتفكرون لما أنكروا البعث، ولا اتخذوا من دون الله شفعاء لوضوح بطلان ذلك.

قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ : أي قل لهم: أيشفع شركاؤكم لكم ولو كانوا لا يملكون شيئًا، ينكر عليهم دعواهم الشفاعة لهم وهي: أصنام لا تملك ولا تعقل.

قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا : أي أخبرهم أن جميع الشفاعات لله وحده، فشفاعة الأنبياء والشهداء والعلماء والأطفال مملوكة لله فلا يشفع أحد إلا بإذنه. ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ

(١) المراد بالأنفس: الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق علىٰ الذات، ويطلق علىٰ الروح. قال ابن عباس وغيره من المفسرين. إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلىٰ الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلىٰ أجسادها، قال علي رضي الله عنه: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلىٰ جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها فلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ : أي وإذا ذكر الله وحده كقول الرسول ﷺ: لا إله إلا الله؛ نفرت نفوس المشركين، وانقبضت وظهر الغضب والسخط في وجوههم.

وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ : أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تعالىٰ.

إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ : أي فرحون جذلون؛ وذلك لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالىٰ وهو عبادته وحده مقابل خلقه ورزقه لهم.

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : قل يا نبينا: يا ألله يا خالق السموات والأرض.

عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ : أي يا عالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار، والحواس، والشهادة خلاف الغيب.

أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ : أي من أمور الدين عقائد وعبادات.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ : أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي. ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ : أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنونه. ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ﴾.

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ : وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به.

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا : أي أصاب الإنسان الكافر ضر أي: مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضره.

ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا : ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ : قال أي ذلك الكافر: إنما أوتيت ذلك العطاء علىٰ علم من الله بأني أستحقه، أو علىٰ علم بوجود كسب المال حتىٰ لا يحمد الله.

بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ : أي تلك النعمة لم يعطها لأهليته لها، وإنما أعطيها فتنة واختبارًا له.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ : أي أن ما أعطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس رضا الله تعالىٰ عنهم.

قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ : أي قال قولتهم من كان من قبلهم، كقارون فلم يلبثوا أن أخذوا. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك والشر والفساد.

وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ : أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي: من كفار قريش.

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا : أي كما أصاب من قبلهم، وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر[(١)].

وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ : أي فائتين الله تعالىٰ ولا غالبين له.

أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ : أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق أي: يوسعه لمن يشاء امتحانًا، ويضيقه ابتلاء.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحانًا والتضييق ابتلاء لآيات أي علامات علىٰ قدرة الله وكمال تدبيره لأمور خلقه.

۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ : أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي.

لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ : أي لا تيئسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة.

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا : أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحًا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ : أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة[(٢)].

وَأَسْلِمُوا لَهُ : أي أخلصوا له أعمالكم. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾[(٣)].

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم : أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ : أي نفس الكافر والمجرم يا حسرتي أي يا ندامتي.

عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ : أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيري.

وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي المستهزئين بدين الله تعالىٰ وعباده المؤمنين. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ[(٤)] ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ﴾.

لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ : أي لو أن لي رجعة إلىٰ الدنيا فأكون إذًا من المؤمنين الذين أحسنوا القصد والعمل.

بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي : أي ليس الأمر كما تزعم أنك تتمنىٰ الهداية بل قد جاءك آياتي. ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي بأن يبعث الناس من قبورهم.

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه ﷻ.

---

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي.

(٢) الإنابة التوبة ولما في التوبة من معنىٰ الرجوع عدي الفعل بـ﴿إِلَىٰ﴾.

(٣) النصر: الإعانة علىٰ الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد علىٰ الله تعالىٰ.

(٤) هذه كلمة حق أريد بها باطل، كما قال علي للخوارج لما قالوا: لا حكم إلا لله.

وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ : أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم.

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾: أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى. إن لهم فيها لمثوى، بئس هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى.

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا: أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي.

بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾: أي بفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسهم السوء أي العذاب، ولا يحزنون لما نالهم من النعيم.

اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾.

لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي مفاتيح خزائن السموات والأرض.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾: أي الخاسرون لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾: قل يا رسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم آلهتهم: أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه؟ فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون!

وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ : أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في عبادته. ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾: أي بل اعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلا هو، وكن من الشاكرين له على إنعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: أي ما عظموا الله حق عظمته، ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في عبادته غيره من أوثانهم.

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي والأرض بجميع أجزائها قبضته.

وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ : أي والسموات السبع مطويات بيمينه.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾: أي تقدس وتنزه عما يشرك به المشركون من أوثان.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ : أي نفخ إسرافيل نفخة الصعق ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ : أي مرة أخرى وهي: نفخة القيام لرب العالمين. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾.

---

(1) حبوط العمل بطلانه حيث لا يثاب عليه، والخسران مقيد بأن يموت على الردة، أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر.

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا : أي أضاءت الأرض بنور الله تعالىٰ حين يتجلىٰ لفصل القضاء.
وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ : أي كتاب الأعمال للحساب.
وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ [1] : أي بالنبيين ليشهدوا علىٰ أممهم، والشهداء محمد وأمته.
وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ : أي بالعدل.
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ : لا بنقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم.
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ : أي أعلم حتىٰ من العاملين أنفسهم.
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ : أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا.
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا : أي جماعات، جماعة المشركين وجماعة المجرمين، وجماعة الظالمين. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾.
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ : أي الموكلون بالنار من الملائكة، الواحد خازن.
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ : هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ. ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.
وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ : أي وجب العذاب للكافرين. ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ : أي وساقت الملائكة بلطف علىٰ النجائب الذين اتقوا ربهم أي أطاعوه ولم يشركوا به. إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا [2].
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا : أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت [3] لاستقبالهم. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ : أي أنجز لنا وعده بالجنة.
وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ: أي أرض الجنة وصورة الإرث نظرًا إلىٰ قوله تعالىٰ في وعده لهم ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [4].
نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ : أي ننزل من حيث نشاء.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي الشهداء من الملائكة الحفظة علىٰ أعمال العباد من خير وشر (قل).
(٢) وقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكريم إلىٰ الجنة دار السلام زمرًا زمرة الجهاد وزمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات... فالزمر جمع زمرة وهو بفوج المتبوع بفوج آخر.
(٣) قرأ نافع والجمهور فتّحت بتشديد التاء في الأولىٰ والثانية وقرأ حفص بالتخفيف، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب.
(٤) وجه الورث أن الله تعالىٰ خلق لكل إنسان منزلًا في النار وآخر في الجنة ثم هم يتوارثون فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار.

فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ : أي الجنة.

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ : أي محدقين بالعرش منْ كل جانب.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي يقولون: سبحان الله وبحمده.

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ : أي وقضىٰ الله بمعنىٰ: حكم بين جميع الخلائق بالعدل.

وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ : أي وقالت الملائكة والمؤمنون: الحمد لله رب العالمين علىٰ استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

❁❁❁❁

٤٠- سُورَةُ غَافِرٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حا ميم.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ : أي تنزيل القرآن كائن من الله.

ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ : أي الغالب علىٰ مراده، العليم بعباده ظاهرًا وباطنًا حالًا ومآلًا.

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ : أي ذنب من تاب إلىٰ الله فرجع إلىٰ طاعته بعد معصيته.

شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ : أي مشدد العقوبة علىٰ من كفر به، ذي الطول أي الإنعام الواسع علىٰ من آمن به وأطاعه [1].

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ : أي لا معبود بحق إلا هو، إليه مرجع الخلائق كلها.

مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ : أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون.

فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ : أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ : أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح، وهم عاد وثمود وقوم لوط.

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ : أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل.

وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ : أي ليزيلوا به الحق ويبطلوه.

فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ : أي كان واقعًا موقعه حيث أهلكهم ولم يُبق منهم أحدًا.

وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ : أي وجبت كلمة العذاب علىٰ الذين كفروا.

ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ : أي الملائكة حملة العرش [2].

وَمَنْ حَوْلَهُۥ : أي والملائكة الذين يحفون بالعرش من جميع جوانبه.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي يقولون: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، هذه صلاتهم وتسبيحهم.

---

(١) يطلق الطَول علىٰ سَعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة، وهو مأخوذ من الطول ضد القصر.

(٢) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالىٰ من سورة الحاقة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾.

وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ : كيف لا وهم معه، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال لهم.

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي يطلبون المغفرة للمؤمنين لرابطة الإيمان بالله التي تربطهم به.

رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا : أي يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا.

فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ : أي فبما أن رحمتك وعلمك وسعا كل مخلوقاتك، فاغفر للذين تابوا إليك فعبدوك ووحدوك، واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام.

وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ : أي احفظهم من النار فلا تعذبهم بها.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ : أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.

ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ : أي بقوله تعالىٰ: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار.

وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ : أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك والكفر. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾.

وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ : أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم بها.

وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ : أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذه.

فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ : أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه.

وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ : أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ : أي تناديهم الملائكة لتقول لهم: لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم. والمقت أشد البغض.

إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ : أي مقت الله تعالىٰ لكم عندما كنتم في الدنيا تدعون إلىٰ الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب.

قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ : أي أمتنا مرتين، الأولىٰ عندما كنا عدمًا فخلقتنا، والثانية عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين: الأولىٰ لما أخرجنا من بطون أمهاتنا أحياء فهذه مرة، والثانية هذه بعد أن بعثتنا من قبورنا أحياء.

فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا : أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك.

فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ : أي فهل من طريق إلىٰ العودة إلىٰ الحياة الدنيا مرة ثانية، لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك.

ذَٰلِكُم : أي العذاب الذي أنتم فيه.

بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ : أي بسبب أنه إذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد. ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ : أي دلائل توحيده وقدرته علىٰ بعثكم ومجازاتكم. ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ﴾.

وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾: أي وما يتعظ إلا من ينيب إلىٰ الله ويرجع إليه بتوحيده. ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ: أي يلقي بالوحي من أمره.

عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾: أي لينذر من يوحىٰ إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة.

يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ: أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر.

لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ: أي لمن السلطان اليوم. ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ: أي يوم القيامة.

إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ: أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتىٰ وصلت عند الحناجر.

كَٰظِمِينَۚ: أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدروا.

مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾: أي ليس للمشركين من محب قريبًا كان أو بعيدًا.

يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ: أي الله تعالىٰ يعلم العين إذا سرقت النظر إلىٰ محرم. ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾: أي وما تكتمه صدور العباد وما تضمره من خير وشر.

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّۖ: أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق.

وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍۗ: أي والذين يدعوهم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلًا كان أو جورًا، لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾.

۞أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ: أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض.

فَيَنظُرُوا۟: أي بأعينهم.

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ: إنها كانت دمارًا وخسارًا ووبالًا عليهم.

كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ: ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئًا.

فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ: أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم.

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾: أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واقٍ يقيهم منه.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ: أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات.

فَكَفَرُوا۟: أي بتلك الحجج والآيات.

فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ: أي لما كفروا أخذهم بكفرهم.

إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ : هذا تعليل لأخذه إياهم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ : أي بحججنا وبرهان بين ظاهر.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين.

فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ : أي لما رأوا آية العصا واليد البيضاء قالوا: ساحر كذاب دفعًا لقومهم حتىٰ لا يؤمنوا به.

فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا : أي جاءهم موسىٰ بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله وطالبهم بإرسال بني إسرائيل معه.

قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ : أي اقتلوا الأولاد الذكران.

وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ : أي بناتهم بمعنىٰ اتركوهن حيات.

وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ : أي وما مكرهم إلا في خسران وضياع.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ : أي دعوني واتركوني وليدع ربه ليمنعه مني.

إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ : أي يغير عبادتكم لآلهتكم لعبادة إلهه.

أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ : بالقتل والتخريب ونحوه.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم : أي استجرت بخالقي وخالقكم.

مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والجزاء علىٰ الأعمال[1] .

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ : هو شمعان ابن عم فرعون.

أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ : أي لأن يقول: ربي الله؟ والرجل هو موسىٰ عليه السلام.

وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ : أي بالمعجزات الظاهرات.

وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم[2] .

وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا عاجلًا غير آجل.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ : أي مسرف في الكفر والظلم، كذاب لا يقول الصدق ولا يفوه به[3] .

---

(١) ومعنىٰ متكبر: أي متعظم عن الإيمان بالله.

(٢) لم يكن قوله: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا﴾ شكًّا في صدق موسىٰ وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتىٰ لا يلج في الجدال والخصومة، وحذفت النون من ﴿يَكُ﴾ لكثرة الاستعمال.

(٣) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلىٰ موسىٰ، وإن كان من قول الله تعالىٰ فهو إشارة إلىٰ فرعون.

يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها.

فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أولياءه.

قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ : أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به علىٰ نفسي وهو قتل موسىٰ.

وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ : أي إلا طريق الرشد والصواب.

وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ : أي مؤمن آل فرعون.

يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ : أي عذابًا مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح وعاد وثمود.

مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي استمرارهم علىٰ الكفر حتىٰ الهلاك فهذا الذي أخافُه عليكم. ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾.

وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ : أي يوم القيامة، وقيل فيه يوم التنادي: لكثرة النداءات فيه إذ ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة.

يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ: أي هاربين من النار إلىٰ الموقف. ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾.

وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق عليهم السلام من قبل مجيء موسىٰ إليكم اليوم. ﴿فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ أي مات عليه السلام فرحتم بموته.

قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ : أي قلتم هذا من دون دليل فبقيتم كافرين إلىٰ اليوم.

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ: أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك والظلم(١).

مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾: أي شاك فيما قامت الحجج والبينات علىٰ صحته.

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون سلطان أي حجة وبرهان.

كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ : أي كبر جدالهم بالباطل مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا.

كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾: أي مثل إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال علىٰ كل قلب متكبر.

---

(١) المسرف: المفرط في فعل أو قول ما لا خير فيه، والمرتاب: الشديد الريب أي الشك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا : هامان وزير فرعون والصرح البناء العالي.﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾.

أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ : أي طرقها الموصلة إليها.

فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا : أي وإني لأظن موسىٰ كاذبًا في زعمه أن له إلهًا غيري.

وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ : أي قبيح عمله.

وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ : أي عن طريق الهدىٰ.

وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ : أي خسار وضياع بلا فائدة تذكر.﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾.

يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ : أي ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به وقتًا ثم يزول.

وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ : أي الاستقرار والبقاء الأبدي.﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ : أي رزقًا واسعًا بلا تبعة ولا تعقيب.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ : أي من الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ : أي إلىٰ عذاب النار وذلك بالكفر والشرك بالله تعالىٰ.

تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ : أي لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالىٰ.

وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ : أي وأنا أدعوكم إلىٰ الإيمان وعبادة الله العزيز أي الغالب علىٰ أمره، الغفار لذنوب التائبين من عباده المؤمنين.

لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ : أي حقًّا أن ما تعدونني إلىٰ الإيمان به وبعبادته.

لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ : أي ليس له دعوة حق إلىٰ عبادته، ولا دعوة استجابة بأن يستجيب لمن دعاه لا في الدنيا ولا في الآخرة وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ .

وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ : أي وأن المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم أهل النار الواجبة لهم.﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ : أي فحفظه الله من مكرهم به ليقتلوه.

وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ : أي عذاب الغرق إذ غرق فرعون وجنده أجمعون، ومعنىٰ حاق: أحاط.

ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحًا ومساء.

وَعَشِيّٗاۖ : وذلك أن أرواحهم في جوف طير سود تعرض علىٰ النار كل يوم مرتين.

وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ : أي ويوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون. ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ : أي وأنذرهم يوم الآزفة وإذ يتحاجون في النار أي يتخاصمون.

فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ : أي الأتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في الشرك. ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾.

إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه.

فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ : أي فهل تدفعون عنا شيئًا من النار. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ : فلا مراجعة أبدًا فقد حكم لأهل الإيمان والتقوىٰ بالجنة فهم في الجنة، ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها.

ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا ليل له. ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا : أي بأن نظهر دينهم، أو نهلك قومهم وننجيهم من الهلاك.

وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ : أي وننصرهم يوم يقوم الأشهاد[1] وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ. ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾.

وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي الآخرة أي شدة عذابها.

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ : أي أعطينا موسىٰ بني إسرائيل المعجزات والتوراة.

وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في ظلمات الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان. ﴿هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾.

فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ : أي واصبر يا محمد علىٰ ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك حق.

---

(١) الأشهاد: الملائكة والرسل ومؤمنو هذه الأمة.

وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ [1] : ليقتدىٰ بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتزكية لنفسك.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ : أي نزه ربك وقدسه بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها.

بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ : بالمساء وأول النهار أي أوقات الصلوات الخمس كلها. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾.

إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ : أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم علىٰ الجدال في الحق لا أن لهم علمًا يجادلون به، وإنما حبهم العلو والغلبة حملهم علىٰ ذلك.

فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ : أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم.

لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي لخلق السموات والأرض ابتداء ولأول مرة.

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ : أي أعظم من خلق الناس مرة أخرىٰ بعد الأولىٰ. وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ : لانشغالهم بالباطل عن الحق.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ : لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ : **لا يستويان أيضًا** فكذلك لا يستوي الموقن والشاك.

قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ : أي ما يتذكرون إلا تذكرًا قليلًا والتذكر الاتعاظ.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا : أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرىٰ جائية لا شك فيها. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي : أي عن دعائي.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ : أي صاغرين ذليلين.

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ : أي تنقطعوا عن الحركة فتستريحوا.

وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا : أي مضيئًا لتتمكنوا فيه من الحركة والعمل.

إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ : أي الله تعالىٰ بحمده والثناء عليه وطاعته.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ : أي ذلك الذي أمركم بدعائه ووعدكم بالاستجابة الذي جعل لكم الليل والنهار، وأنعم عليكم بجلائل النعم، اللهُ ربكم الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم

---

[1] ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه: قيل: ذنبه ﷺ الذي كان قبل البعثة والعصمة، وقيل: ذنب أمته، وقيل: الصغائر و مخالفة الأول، وقيل: المراد هو تعبد الله رسوله بالدعاء؛ إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلىٰ الاستغفار.

سواه.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلىٰ أوثان وأصنام لا تسمع ولا تبصر؟

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ : أي كما صرف أولئك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين يجحدون بآيات الله، يصرفون عن الحق.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ : أي محكمة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ : أي تعاظم وكثرت بركاته.﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ : أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا في عباداته دعاء كان أو غيره. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون.﴿لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي﴾.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من نطفة ثم من علقة. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين.﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾(١).

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم.

﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلًا مسمىً هو نهاية العمر المحددة لكل إنسان.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلىٰ علقة إلىٰ طفل إلىٰ شاب إلىٰ كهل إلىٰ شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته، فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له فتكملوا وتسعدوا.

---

(١) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلىٰ الثمانين.

هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ: أي يخلق الإنسان وقد كان عدمًا، ويميته عند نهاية أجله.

فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا: أي حكم بوجوده.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾: أي فهو لا يحتاج إلىٰ وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد شيئًا قال له: كن فهو يكون.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ: أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة علىٰ الحق هادية إليه.

أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾: أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين؟

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ: أي بالقرآن.

وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَا: من وجوب الإسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان بلقائه.

فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾: أي عقوبة تكذيبهم.

إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِىٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾: أي وقت وجود الأغلال[1] في أعناقهم يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

فِى ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾: أي يوقدون.

ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ: أي يسألون هذا السؤال تبكيتًا لهم وخزيًا.

تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ: أي تعبدونهم مع الله.

قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا: أي غابوا عنا فلم نرهم.

بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـًٔا: أي أنكروا عبادة الأصنام، أو لم يعتبروا عبادتها شيئًا وهو كذلك.

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾: أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين.

ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ: أي بالشرك والمعاصي.

وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾: أي بالتوسع في الفرح، لأن المرح شدة الفرح. ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا.

فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾: أي دخول جهنم والخلود فيها بئس ذلك مأوىٰ للمتكبرين.

فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ: أي فاصبر يا رسولنا علىٰ دعوتهم متحملًا أذاهم فإن وعد ربك بنصرك حق.

فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ: أي من العذاب في حياتك، ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

---

(١) الأغلال جمع غل بضم الغين: حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعنق.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ: **أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم وهم خمسة وعشرون.** ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ: **أي لأنهم عبيد مربوبون لا يفعلون إلا ما يأذن لهم به سيدهم.** ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾.

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾: **أي هلك أهل الباطل بعذاب الله فخسروا كل شيء.**

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا: **أي الإبل وإن كان لفظ الأنعام يشمل البقر والغنم أيضًا.** ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ: **أي من اللبن والنسل والوبر.**

وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ: **أي حمل الأثقال وأنفسكم من بلد إلىٰ بلد، لأنها كسفن البحر.** ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾: **أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار.**

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ: **أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض شمالًا وجنوبًا وغربًا.**

فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: **أي عاقبة المكذبين من قبلهم قوم عاد وثمود وأصحاب مدين.** كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً.

وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ: **أي وأكثر تأثيرًا في الأرض من حيث الإنشاء والتعمير.**

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾: **أي لم يمنع العذاب عنهم كسبهم الطائل وقوتهم المادية.**

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ[1]: **أي فرح الكافرون بما عندهم من العلم الذي هو الجهل بعينه.** ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا: **أي عذابنا الشديد النازل بهم.** ﴿سُنَّتَ[2] اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

❁❁❁❁

---

(١) قال القرطبي: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: قال مجاهد: إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل: فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقيل: الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة: مصدر سن يسن سنًّا وسنة أي سن الله عَزَّوَجَلَّ في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب، وجائز أن يكون سنة منصوب الإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

٤١- سورة فصلت

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حم، ويقرأ هكذا حا ميم.

تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم.

كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا: أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي.

لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾: إذ هم الذين ينتفعون.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا: أي مبشرًا أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذرًا المكذبين الكافرين بالخسران. ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش.

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾: أي سماع تعقل وتدبر لينتفعوا بما يسمعون.

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ: أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستر.

مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ: أي ثقل فلم نطق السمع.

وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ: أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرىٰ ما تفعل. ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾[1].

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ: أي لست ملكًا وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم.

يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ: أي يوحي الله إلي بأن إلهكم أي معبودكم أيها الناس إله واحد لا ثاني له ولا أكثر.

فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ: بإخلاص العبادة له دون سواه.

وَٱسْتَغْفِرُوهُ: أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم قبل الاستقامة من الشرك والمعاصي.

وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾: أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضادته بآلهة باطلة.

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ: أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يطهرها من أضرار الشرك والمعاصي. ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾: أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها لا ينقطع بحال، هو أجر غير ممنون.

---

(١) واعمل علىٰ نصرة دينك فإننا عاملون كذلك علىٰ نصرة ديننا والحفاظ علىٰ معتقداتنا. وقيل: اعمل علىٰ هلاكنا فإنا عاملون علىٰ هلاكك. وقيل غير هذا. وما في التفسير أولىٰ.

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ : أي الأحد والإثنين.

وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا : أي شركاء وهذا داخل في حيز الإنكار الشديد عليهم.

ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ : أي الله مالك العالمين، وهم كل ما سواه عز وجل من سائر الخلائق.

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا : أي جبالًا ثوابت.

وَبَارَكَ فِيهَا : أي في الأرض بكثرة المياه والزروع والضروع.

وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا : أي أقوات الناس والبهائم.

فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ : أي في تمام أربعة أيام وهي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء.

سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ : أي في أربعة أيام هي سواء لمن يسأل فإنها لا زيادة فيها ولا نقصان.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ: أي قصد بإرادته الربانية إلىٰ السماء وهي دخان قبل أن تكون سماء. ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾.

فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ : أي الخميس والجمعة، ولذا سميت الجمعة جمعة لاجتماع الخلق فيها.

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا: أي ما أراد أن يكون فيها من الخلق والأعمال[(١)].

وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ : أي بنجوم.

وَحِفْظًا : أي وحفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب الموجودة فيها.

ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ : أي خلق العزيز في ملكه، العليم بخلقه.

فَإِنْ أَعْرَضُوا : أي كفار قريش عن الإيمان والتوحيد بعد ذلك البيان المفصل.

فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً: أي خوفتكم صاعقة تنزل بكم فتهلككم إن أصررتم[(٢)] علىٰ هذا الكفر. ﴿مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾.

إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ : أي أتتهم رسلهم تعرض عليهم دعوة الحق من أمامهم ومن ورائهم. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾.

قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً: أي بدلًا عنكم أيها الرسل من البشر. ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ: أي بغير أن يأذن الله لهم بذلك العلو والاستكبار والتجبر. ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

---

(١) الوحي: الكلام الخفي، ويطلق الوحي علىٰ حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أي أومأ إليهم بما يدل علىٰ معنىٰ: ﴿سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

(٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه، وتطلق علىٰ الحادثة المبيدة السريعة الإهلاك.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة.
فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ : أي مشئومات عليهم لم يفلحوا بعدها. ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ .
وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ : أي أشد خزيًا من عذاب الدنيا. ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ .
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ : أي استحبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام والإيمان نور. ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ بسبب كسبهم السيئات.
وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ : أي الشرك والمعاصي. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها.
فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين.
حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا : أي حتى إذا جاءوها أي النار. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ (١) .
بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ : أي من الذنوب والمعاصي. ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .
وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ .
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ : أي عند ارتكابكم الفواحش والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتتركوا الفواحش والذنوب.
وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله لا يعلم ذلك منكم ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ .
أَرْدَىٰكُمْ : أي أهلككم. ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ .
فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مثوى أي مأوى لهم.
وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ : أي يطلبوا العتبى وهي الرضا فلا يعتبون: أي لا يرضى عنهم، هذه حالهم أبدًا. ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .
۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين(٢) .
فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ : أي حسنوا لهم الكفر والشرك، وإنكار البعث والجزاء.
وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت. ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ .

---

(١) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب وافتضاح وإلا فإدانتهم متحققة بصحائف أعمالهم، وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التحاور معهم أنزلهم منزلة العقلاء.
(٢) قيضنا: أتحنا وهيأنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم؛ قد يكونون من الجن ومن الإنس؛ إذ الشياطين من الجنسين.

﴿وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)﴾: أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرؤه. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾: أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾: أي من كفروا به ولم يتقوه جزاؤهم النار. ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: أي إبليس من الجن، وقابيل بن آدم.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: أي في أسفل النار. ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره وإلههم الذي لا إله لهم سواه.

﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أي ثبتوا علىٰ ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل الأوامر وترك النواهي.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي عند الموت وعند الخروج من القبر حيث تتلقاهم هناك.

﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي بأن لا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته، ولا تحزنوا عما خلفتم وراءكم. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)﴾: أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المشتهيات لكم.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢)﴾: أي رزقًا مهيأ لكم من فضل رب غفور رحيم.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾: أي لا أحد أحسن قولًا منه: أي ممن دعا إلىٰ توحيد الله وطاعته.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾: وعمل صالحًا وهي شرط أيضًا، وقال: إنني من المسلمين شرط ثالث.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالصبر[1].

---

(١) قال ابن عباس: ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وقيل أيضًا: هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب: إن كنت صادقًا فغفر الله لي وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وقال مجاهد: هي أن يسلم المرء علىٰ من يعاديه إذا لقيه فهو معنىٰ ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ : أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ : أي وما يعطىٰ هذه الخصلة التي هي أحسن.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ : أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ : أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ : أي فاستجر بالله قائلًا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ : أي إذ هو تعالىٰ السميع لأقوال عباده، العليم بما يصيبهم وينزل بهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ : أي ومن جملة آياته الدالة علىٰ ألوهية الرب تعالىٰ وحده.

﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ : أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر.

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ : أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته الدالة عليه. ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ : أي إن كنتم حقًّا تريدون عبادته، فاعبدوه وحده فإن العبادة لا تصلح لغيره.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ : أي الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ : أي لا يملون عن عبادته ولا يكلون.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ : أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ : أي تحركت، وانتفخت وظهر النبات فيها. ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾.

﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ : أي إن الذي أحيا الأرض قادر علىٰ إحياء الموتىٰ يوم القيامة. ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤولونها علىٰ غير تأويلها لإبطال حق أو إحقاق باطل.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.

﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ : أي نعم الذي يأتي آمنًا يوم القيامة خير ممن يلقىٰ في النار.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ : هذا تهديد لهم علىٰ إلحادهم وليس إذنًا لهم في العمل كما شاءوا. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: أي جحدوا بالقرآن أو ألحدوا فيه فكفروا بذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾: أي القرآن لكتاب عزيز: أي منيع لا يقدر على الزيادة فيه ولا النقص منه[1].

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئًا، وهذا معنى ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئًا وهذا معنى ﴿مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، كما أنه ليس قبله كتاب ينتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾: أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ.

﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾: أي من التكذيب لهم والكذب عليهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته.

﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾: أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمصِّرين على الكفر والباطل.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾: أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا: هلَّا أنزل القرآن بلغة العجم.

﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾: أي بينت حتى نفهمها.

﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: أي أقرآن أعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعنتًا منهم وعنادًا ومجاحدة.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل وما يسببه من أمراض.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: أي ثقل فهم لا يسمعونه.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: فلا يفهمونه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾: والمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى له.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي التوراة.

﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هو الحال في القرآن الكريم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم ومجازاتهم هناك.

﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: أي لحكم بين المختلفين اليوم وأكرم الصادقون وأهين الكاذبون. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى

---

(١) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾.

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾: **أي وليس ربك يا رسولنا بذي ظلم للعبيد.**

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ: **أي إلىٰ الله يرد علم الساعة: أي متىٰ تقوم إذ لا يعلمها إلا هو.**

وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا: **أي من أوعيتها، واحد الأكمام: كِم، وكم الثوب مخرج اليد.**

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ: **أي من أي جنس كان إنسانًا أو حيوانًا.**

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ: **أي ولا تضع حملها إلا ملابسًا بعلم الله تعالىٰ المحيط بكل شيء.**

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ: **أي أعلمناك الآن.**

مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾: **أي ليس منا من يشهد بأن لك شريكًا أبدًا.** ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ﴾.

وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾: **أي أيقنوا أنه ما لهم من مهرب من العذاب.**

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ: **أي لا يمل ولا يكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية**[1].

وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾: **أي المرض والفقر وغيرهما، فيئوس من رحمة الله، قنوط ظاهر عليه اليأس.**

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ: **أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به.**

لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى: **أي استحققته بعملي ومما لي من مكانة.**

وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً: **أي ينكر البعث ويقول: ما أظن الساعة قائمة.** ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾.

إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ: **أي وعلىٰ فرض صحة ما قالت الرسل من البعث: إن لي عند الله الجنة.** ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ: **أي أعرض عن الشكر ونأىٰ بجانبه متبخترًا مختالًا في مشيته.**

وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾: **أي فهو ذو دعاء لربه طويل عريض يا رباه يا رباه.**

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ: **أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله.**

مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ[2] ﴿٥٢﴾: **أي من يكون أضل منكم وأنتم في شقاق بعيد؟ لا أحد.**

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ: **أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات**

---

(١) قيل: المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف، والآية تحمل وصفًا للإنسان الكافر أيًّا كان، والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحة.

(٢) الشقاق، العداء والمراد به العداء لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردهم القرآن وتكذيبهم بالوحي المثبت للنبوة المحمدية.

وأسرار خلقها وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة.

حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلىٰ رسوله حقًّا، وأن الإسلام حق. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[1].

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ : أي في شك من البعث الآخر حيث يعرضون علىٰ الله تعالىٰ.

أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ : أي علمًا وقدرة وعزة وسلطانًا.

❁❁❁❁

---

(١) المعنىٰ: تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلىٰ تكذيبهم.

٤٢- سُورَةُ الشُّورَىٰ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم عسق، وتقرأ هكذا: حَا مِيمْ عَيْنْ سِين قاف.

كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾: أي مثل ذلك الإيحاء يوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك الله العزيز: أي الغالب علىٰ أمره، الحكيم في تدبيره هو الذي يوحي إليك.

لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ: أي خلقًا وملكًا وتصرفًا.﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾.

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ: أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله.﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ: أي آلهة يعبدونها.

ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ: أي يحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها.

وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾: أي ولست موكلًا بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ: أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلىٰ من قبلك أوحينا إليك.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا: أي بلسان عربي.

لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا: أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرىٰ «مكة» ومن حولها من القرىٰ أي تخوفهم عذاب الله إن بقوا علىٰ الشرك.

وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ: أي وتنذر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق.

لَا رَيْبَ فِيهِ: أي لا شك في مجيئه وجمع الناس فيه.

فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ: أي المؤمنون المتقون.

وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾: أي الكافرون.

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً: أي علىٰ دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة.

وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ: أي في الإسلام أولًا ثم في الجنة ثانيًا.

وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾: أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولا نصير ينصرهم فهم في النار.

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ: أي بل اتخذوا من دونه تعالىٰ شركاء وألهوهم من دون الله.

فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ: أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولا تضر.﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين.

فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحي علىٰ رسوله، وفي الآخرة إذ الحكم له دون غيره.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ : أي قل لهم يا رسولنا: ذلكم الحاكم العدل العظيم الله ربي، عليه توكلت: أي فوضت أمري إليه، وإليه لا إلىٰ غيره أرجع في أموري كلها.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي خالقهما ومبدعهما علىٰ غير مثال سابق.

جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا : أي بأن جعلكم ذكرًا وأنثىٰ، ومن الأنعام كذلك.

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ : أي يخلقكم في هذا التدبير وهو من الذكر والأنثىٰ يخرجكم.

لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ : أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلا يكون مخلوق مثله بحال من الأحوال.

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ : أي السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم وأحوالهم. ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (١) يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ : أي شرع لكم من الدين الذي وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا به إليك.

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ : أي والذي وصينا باقي أولي العزم وهم: إبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات.

أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ : أي بأن أقيموا الدين الذي شرع لكم ولا تضيعوه ولا تختلفوا فيه.

كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ : أي عظم علىٰ كفار قريش ما تدعوهم إليه وهو «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ : أي يختار إلىٰ الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك.

وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ : أي ويوفق لطاعته من ينيب إليه في أموره ويرجع إليه في جميع شأنه، بخلاف المعرضين المستكبرين.

وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ : أي حملهم البغي علىٰ التفرق في دين الله.

---

(١) وقوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالىٰ يبسط الرزق لمن يشاء امتحانًا ويضيق ابتلاء، لأنه بكل شيء عليم؛ فلا يطلب الرزق إلا منه، ولا يلجأ فيه إلا إليه.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي ولولا ما قضىٰ الله به من تأخير العذاب علىٰ هذه الأمة إلىٰ يوم القيامة.

لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ : أي لحكم الله بينهم فأهلك الكافرين وأنجىٰ المؤمنين.

وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ : أي وإن الذين أورثوا الكتاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارىٰ ومشركو العرب.

لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ : أي لفي شك مما جئتهم به من الدين الحق وهو الإسلام.

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ : أي فإلىٰ ذلك الدين الذي شرع الله لكم ووصىٰ به نوحًا وأوحاه إليك يا محمد فادع عباد الله.

وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ : أي استقم علىٰ العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك الله.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ : أي ولا تتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فتترك الحنيفية التي بعثت بها فإنها الحق.

وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ : أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ : أي أمرني ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذي هو خلاف الجور.

ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ : أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم.

لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ : وسيجزي كلًّا منا بعمله خيرًا كان أو شرًّا.

لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ : أي ما هناك حاجة إلىٰ المحاجة الآن بعد ظهور الحق.

ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا : أي يوم القيامة. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ : أي يجادلون في دين الله نبيه محمدًا ﷺ.

مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ : أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود.

حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ : أي باطلة عند ربهم.

وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ[1] : أي أنزل القرآن متلبسًا بالحق والصدق لا يفارقه أبدًا.

وَٱلْمِيزَانَ : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحق الحق.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ : أي أيُّ شيء يجعلك تدري قرب الساعة إلا أن يكون الوحي الإلهي[2].

يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا : أي يطالب بها المكذبون؛ لأنهم لا يخافون ما فيها لعدم

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكتب المنزلة من عند الله علىٰ أنبيائه (قل).

(٢) ﴿وَمَا﴾ استفهامية أي من جعلك تدري قرب الساعة. قال ابن عباس: ما قال تعالىٰ فيه ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فقد أدراه، وما قال فيه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فإنه لم يدره به.

إيمانهم بها.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا: أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لا يدرون ما يكون لهم فيها من سعادة أو شقاء؛ ولذا هم مشفقون.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ: أي أن الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة.

أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ: أي إن الذين يجادلون في الساعة شاكين في وقوعها. لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾.

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ: أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم. ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾.

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ: أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة.

نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ: أي نضاعف له ثوابه الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا: أي من كان يريد بعـ له متاع الحياة الدنيا من طيباتها.

نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾: أي نعطه منها ما قدر له وليس له في الآخرة من حظ ولا نصيب.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ: أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من الدين.

مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ: أي ما لم يشرعه الله تعالىٰ وهو الشرك.

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ: أي ولولا كلمة الفصل التي حكم الله بها بتأخير العذاب إلىٰ يوم القيامة لأهلكهم اليوم علىٰ شركهم وأنجىٰ المؤمنين. ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا: أي ترىٰ أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين من جزاء ما عملوا.

وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ: أي وهو: أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم معذبون لا محالة.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدَّوا الفرائض واجتنبوا المحارم.

فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ: أي هم في روضات الجنات، والروضة في الجنة: أنزه مكان فيها.

لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ: أي لهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم في جوار ربهم. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا: أي قل يا رسولنا لقومك: لا أسألكم علىٰ التبليغ أجرًا: أي ثوابًا.

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ: أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتىٰ أبلغ رسالتي.

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً : أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح.

نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا : أي نضاعفها له أضعافًا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا : أي أيقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا افترىٰ علىٰ الله كذبًا فنسب إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولا بوحيه.

فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ : أي إن يشاء الله تعالىٰ يطبع علىٰ قلبك وينسيك القرآن، أي إن الله قادر علىٰ أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون.

وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ : أي إن من شأن الله تعالىٰ أنه يمحو الباطل.

بِكَلِمَٰتِهِۦٓ : أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ : أي هو تعالىٰ الذي يقبل توبة التائبين من عباده.

وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ : أي لا يؤاخذ بها من تاب منها، فهذا هو الإله الحق لا الأصنام التي ليس لها شيء مما هو لله ألبتة. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ : أي ويجيب تعالىٰ عباده الذين آمنوا به وعملوا الصالحات إلىٰ ما دعوه فيه فيعطيهم سؤلهم.

وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ : أي يعطيهم ما سألوا ويعطيهم ما لم يسألوه من الخير.

وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ : أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد.

۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ : أي لو وسع الرزق لجميع عباده.

لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ : أي لطغوا في الأرض جميعًا.

وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ : أي ينزل من الأرزاق بقدر ما يشاء فيبسط ويضيق.

إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾[1] : أي أنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنىٰ ومنهم من يصلحه، ومنهم من يفسده الفقر ومنهم من يصلحه.

وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ : أي المطر من بعد يأسهم من نزوله.

وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ : أي بركات المطر ومنافعه في كل سهل وجبل ونبات وحيوان.

وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ : أي المتولي لعباده المؤمنين المحسن إليهم المحمود عندهم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ : أي فرق ونشر من كل ما يدب علىٰ الأرض من الناس وغيرهم.

---

(١) القَدَر بفتحتين: المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير دال علىٰ العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون، ووصف بصير دال علىٰ العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت.

وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة؛ قدير.

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ : أي بلية وشدة من الشدائد كالمرض والفقر.

فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ : أي من الذنوب والآثام.

وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ : أي منها فلا يؤاخذ به، وما عفا عنه في الدنيا لا يؤاخذ به في الآخرة.

وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ : أي ولستم بفائتي الله ولا سابقيه هربًا منه إذا أراد مؤاخذتكم بذنبكم. ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ : أي ومن علامات ربوبيته للخلق إيجاد السفن كالجبال في البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد.

إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف.

فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ : أي تقف السفن وتظل راكدة حابسة علىٰ ظهر البحر.

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ : أي في هذه المظاهر من خلق لسفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة علىٰ وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته.

لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ : أي إن هذه الآيات لا يراها ولا ينتفع بها إلا من كان صبّارًا عند الشدائد والمحن، شكورًا عند الآلاء والنعم.

أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ : أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيُهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها، وهو علىٰ ذلك قدير.

وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ : أي وإنه تعالىٰ ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها؛ إذ لو آخذ بكل ذنب ما بقي أحد علىٰ وجه الأرض لقلة من لا يذنب فيها.

وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق.

مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ : أي ليس لهم من مهرب إلا الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم الباطلة.

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ : أي فما أعطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولد والمطعم والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والمركب.

فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا : أي يتمتع به زمنًا ثم يزول ولا يبقىٰ.

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ : أي وما عند الله من ثواب الآخرة فهو خير في نوعه وأبقىٰ في مدته[(١)].

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنىٰ وأن كبير الإثم الشرك وهو كذلك.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ : أي ما عند الله خير وأبقىٰ لأصحاب الصفات التالية:

الإيمان، والتوكل علىٰ الله، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والتجاوز عمن أساء إليهم، والاستجابة لربهم في كل ما دعاهم إليه فعلًا أو تركًا، وإقام الصلاة، والمشورة بينهم، والإنفاق مما رزقهم الله، والانتصار عند البغي عليهم. هذه عشر صفات أصحابها ما أعده الله تعالىٰ لهم يوم يلقونه خيرٌ من متاع الدنيا بكامله.

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا : أي جزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه.

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ : أي فمن عفا عمن أساء إليه وأصلح ما بينه وبينه؛ فأجره علىٰ الله ثابت له.

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ : أي لا يحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن في عقوبته.

وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ بحقه.

فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ : أي بمؤاخذتهم، لأنهم ما بدءوا بالظلم.

إِنَّمَا السَّبِيلُ : أي بالعقوبة والأذية.

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ : أي يعتدون عليهم في أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم.

وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : أي ويطلبون في الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ .

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ : أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عمن أساء إليه[1] .

إِنَّ ذَٰلِكَ : أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء.

لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ : أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعًا.

وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ : أي حسب سنته في الإضلال.

فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ : أي فليس له من أحد يهديه أبدًا. ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ .

يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ : أي هل إلىٰ مرد إلىٰ الحياة الدنيا من سبيل نسلكها لنعود إلىٰ الدنيا.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا : أي علىٰ النار.

خَاشِعِينَ : أي خائفين متواضعين. ﴿مِنَ الذُّلِّ﴾ .

يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ : أي من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول إلىٰ السيف لا يملأ عينه

---

(١) لقد مدح الله تعالىٰ المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للصغير والكبير فهذا الانتقام منه أفضل، والعفو يكون في الفلتة، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.

منه. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ .

إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ : أي لخلودهم في النار، وعدم وصولهم إلىٰ الحور العين في دار السلام.

أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ : أي المشركين.

فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ : أي دائم لا يخرجون منه وهو عذاب الجحيم. ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ : أي طريق إلىٰ الهداية في الدنيا، وإلىٰ الجنة يوم القيامة.

ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم : أي أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة.

مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ : أي يوم القيامة.

لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ : أي إذا أتىٰ لا يرد بحال.

مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ : أي تلجئون إليه وتتحصنون فيه.

وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ : أي وليس لكم ما تنكرون به ذنوبكم؛ لأنها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فَإِنْ أَعْرَضُواْ : أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة. ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ .

إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ.

وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً : أي نعمة كالغنىٰ والصحة والعافية. ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ .

وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك.

بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ : أي من الذنوب والخطايا.

فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ : أي للنعمة والمنعم، والإنسان هو غير المؤمن التقي.

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصريفًا. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ .

يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا : أي يرزق من يشاء من الناس بنات.

وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ : أي ويعطي من يشاء الأولاد الذكور.

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا : أي يجعلهم ذكورًا وإناثًا.

وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا : أي لا يلد ولا يولد له. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ .

إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ : أي إعلامًا خفيًّا سريعًا في يقظة أو منام، أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرىٰ الذات.

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ : أي أو يرسل ملكًا في صورة إنسان فيكلمه مبلغًا عن الله

تعالىٰ.

إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ : أي الله تعالىٰ ذو علو علىٰ سائر خلقه، حكيم في تدبير خلقه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ : أي كما كنا نوحي إلىٰ سائر رسلنا أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن.

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا : أي وحيًا ورحمة من أمرنا الذي نوحيه إليك.

مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ : أي لم تكن قبل تدري أي شيء هو الكتاب، ولا الإيمان الذي هو قول وعمل واعتقاد[1] .

وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ : أي جعلنا القرآن نورًا نهدي به إلىٰ صراطنا. ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ .

وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ : أي الإسلام. ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ : أي ترجع أمور جميع العباد في يوم القيامة إلىٰ الله تعالىٰ.

۞۞۞۞

(١) المنفي من الإيمان هو التفصيلي، أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمنًا موحدًا، ولذا لم يقل: وما كنت مؤمنًا؛ فالمنفي شرائع الإيمان وتفاصيله.

٤٣- سُورَةُ الزُّخْرُفِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ: حا ميم.

وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾: أي والقرآن الموضح لطريق الهدىٰ وسبيل السلام.

إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا: أي جعلناه قرآنًا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به.

لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾: أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب، ما تؤمرون به وما تنهون عنه.

وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا: أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلها عندنا.

لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾: أي لذو علو وشأن علىٰ الكتب قبله لا يوصل إلىٰ مستواه في علوه ورفعته، حكيم أي ذو حكمة بالغة عالية لا يرام مثلها.

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا: أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحًا أي لا ننزل القرآن بأمركم ونهيكم ووعدكم ووعيدكم.

أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾: لأن كنتم قومًا مسرفين: متجاوزين الحد في الشرك والكفر؛ كلا لا نفعل.

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾: أي وكثيرًا من الأنبياء أرسلناهم في الأولىٰ من الأمم الماضية. وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾.

فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا: أي فأنزلنا عذابنا بأشدهم قوة وبطشًا من قومك فأهلكناهم.

وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾: أي ومضىٰ في الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم: أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من قومك يا رسولنا.

مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ: أي من بدأ خلقهن وأوجدهن. ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾.

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا: أي الله الذي جعل لكم الأرض فراشًا كالمهد للصبي.

وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا: أي طرقًا.

لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾: أي إلىٰ مقاصدكم في أسفاركم.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ: أي علىٰ قدر الحاجة ولم يجعله طوفانًا مغرقًا مهلكًا.

فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا: أي فأحيينا به بلدة ميتًا: أي لا نبات فيها ولا زرع.

كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾: أي مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون أنتم وتخرجون من قبوركم.

وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا: أي خلق كل شيء إذ الأشياء كلها زوج، ولم يعرف فرد إلا الله.

وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ: أي السفن، والإبل. ﴿مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾.

لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ: أي تستقروا على ظهور ما تركبون. ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا.

وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾: أي مطيقين ولا ضابطين.

وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾: أي لصائرون إليه راجعون.

وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا: أي وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض من عباده جزءًا إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾: أي إن الإنسان المعترف بأن الله خلق السموات وجعل من عباده جزءًا هذا الإنسان لكفور مبين أي لكثير الكفر بينه.

أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾: أي خصكم بالبنين وأخلصهم لكم.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا: أي بما جعل للرحمن شبهًا وهو الولد (١).

ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾: أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلئ غيظًا.

أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ: أي أيجترئون على الله ويجعلون له جزءًا هو البنت التي تربى في الزينة.

وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾: أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة.

وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا: أي لأنهم قالوا: بنات الله.

أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ: أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم.

سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ: أي سيكتب قولهم: إن الملائكة إناث.

وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾: أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطل ويعاقبون عليها.

وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ: أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم (٢).

إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾: أي ما هم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم البعض.

---

(١) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي جعل لله شبهًا وهو الولد ظَلَّ وجهه مسودًا وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون لله البنات كذبًا وافتراءً، إذا ولد لأحدهم بنت فبشر بها أي أخبر بأن امرأته جاءت ببنت ظل وجهه طول النهار مسودًا من الكآبة والغم وهو كظيم أي ممتلئ غمًّا وحزنًا.

(٢) قولهم منظور فيه إلى أن مشيئة الله وهي إرادته قسمان: إرادة كونية وإرادة تكليفية شرعية؛ فالإرادة الكونية القدرية هذه لا تتخلف أبدًا فما شاء الله كان، والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلف؛ لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختيارًا، وبحسب ما يختاره يكون جزاؤه، والمشركون لا علم لهم بهذا؛ فلذا نفى عنهم العلم رادًّا باطلهم بجهلهم.

أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ: أي أم أنزلنا عليهم كتابًا قبل القرآن.

فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾: أي متمسكون بما جاء فيه، والجواب: لم يقع ذلك قطّ.

بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ: أي إنهم لا حجة لهم إلّا التقليد الأعمىٰ لآبائهم.

وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾: أي علىٰ طريقتهم وملتهم ماشون وهي عبادة غير الله من الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان. وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ.

إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ: أي متنعموها.

إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ: أي ملة ودين.

وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾: أي علىٰ طريقهم متبعون لهم فيها.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾: قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدىٰ: أي بخير مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلىٰ الحق والسعادة والكمال.

قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾: أي قال المشركون لرسلهم ردًّا عليهم: إنا بما أرسلتم به كافرون أي: جاحدون منكرون غير معترفين به.

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾: أي كانت دمارًا وهلاكًا إذًا فلا تكترث بتكذيب قومك يا رسولنا.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ: أي واذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن.

إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾: أي بريء مما تعبدون من أصنام لا أعبدها ولا أعترف بها.

إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾: أي لكن الذي خلقني فإني أعبده وأعترف به فإنه سيهدني أي يرشدني إلىٰ ما يكملني ويسعدني في الحياة وفي الآخرة.

وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ: أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» باقية دائمة في ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾: أي رجاء أن يتوبوا إلىٰ الله ويرجعوا إلىٰ توحيده كلما ذكروها وهي لا إله إلا الله.

بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ: أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة.

حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾: أي إلىٰ أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين لا شك في رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدىٰ والأحكام الشرعية. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾: أي وقال هؤلاء المشركون الذين متعناهم بالحياة فلم نعاقبهم: هلّا نزل هذا القرآن علىٰ أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف.

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ : أي ينكر تعالىٰ عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال: أهم يقسمون رحمة ربك، إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات، وليس لهم حق في تنبئة أي أحد إذ هذا من حق الله وحده.

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا، ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهي أجل وأغلىٰ من الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم فننبئ من نشاء.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا : أي جعلنا هذا غنيًا وذاك فقيرًا ليتخذ الغني الفقير خادمًا يسخره في خدمته بأجرة مقابل عمله.

وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ : أي والجنة التي أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذي يجمع هؤلاء المشركون الكافرون.

وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً : أي علىٰ الكفر. ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾.

وَمَعَارِجَ : أي كالسُلم والمِصعد الحديث، والمعارج جمع معرج وهو المصعد.

عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ : أي يعلون عليها إلىٰ السطوح. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

وَزُخْرُفًا : أي ذهبًا أي لجعلنا لبيوتهم سقفًا من فضة وذهب، وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضة وبعضها من ذهب.

وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ : أي وما كل ذلك المذكور.

لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.

وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ : أي الجنة ونعيمها خير لأهل الإيمان والتقوىٰ من متاع الدنيا(١).

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ : أي يعرض متعاميًا متغافلًا عن ذكر الرحمن الذي هو القرآن متجاهلًا له.

نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا : أي نجعل له شيطانًا يلازمه لإضلاله وإغوائه.

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان.

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدىٰ.

---

(١) أنشد بعضهم في ذم الدنيا فقال:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... إذًا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن وطاعته أنهم مهتدون، أي أنهم على الحق والصواب وذلك بتزيين القرين لهم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ : أي كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤًا منه. ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾.

وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ : أي ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي.

أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ : اشتراككم في العذاب غير نافع لكم.

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ : أي إنك يا رسولنا لا تسمع الصم، ولا تهدي العمي والقوم قد أصمهم الله وأعمى أبصارهم؛ لأنهم عشوا عن ذكره.

وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ : أي كما أنك لا تقدر على هداية من كان في ضلال مبين عن الحق والهدى.

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ : أي فإما نذهبن بك أي نميتك قبل تعذيبهم[1]، و(ما) زائدة أدغمت فيها (إن) الشرطية فصارت إما.

فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ : أي معذبوهم في الدنيا وفي الآخرة.

أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ : أي وإن نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب.

فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ : أي لا يعوقنا عائق لأنا عليهم قادرون.

فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ : أي دُم على استمساكك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به أو أخرناه.

إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك.

وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك.

وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ : أي عن القرآن أي عن العمل به بتطبيق شرائعه وإبلاغه لغيركم[2].

وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ : أي اسأل مؤمني أهل الكتابين: التوراة والإنجيل.

أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ : أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب: لم نجعل قط فليفهم هذا مشركو مكة.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ : أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته.

---

(١) أو بالخروج من مكة مكرهًا عليه من قبل أعدائك، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكرهًا ولا ملجأ؛ ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة.

(٢) من فسر السؤال بالعمل هو حق، وكذا من فسره بالشكر فهو حق، لأن شكر العلم العمل به وتعليمه.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ : أي وقومه من القبط. ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ : أي سخرية واستهزاء.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ : أي من آيات العذاب كالطوفان.

إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا : أي من قرينتها التي قبلها من الآيات. ﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ : أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه[1].

ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ : أي من كشف العذاب عنا إن آمنا.

إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ : أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ : أي ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا.

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ : أي نادىٰ فيهم افتخارًا وتبجحًا بما عنده. ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾.

وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ : أي من النيل تجري من تحت قصوري.

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ : أي عظمتي وما أنا عليه من الجلال والكمال.

أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ : أي من موسىٰ الذي هو مهين ولا يكاد يبين أي يفصح للثغة التي في لسانه.

فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ : أي هلّا أُلقي عليه أسورة من ذهب من قبل الذي أرسله.

أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضًا تشهد له بالرسالة.

فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ : أي استفز فرعون قومه أي قال لهم ما حركهم به فخفوا لطاعته.

إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ : أي أطاعوه لكونهم قومًا فاسقين؛ ففسقهم هو علة طاعتهم.

فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم. ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفًا : أي فرعون وقومه سلفًا أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم.

وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون علىٰ مثل فعلهم.

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا : أي ولما جعل عيسىٰ ابن مريم مثلًا، والضارب ابن الزبعري، وذلك لما نزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ : أي إذا المشركون من قومك يصدون: أي يضحكون فرحًا بما

(١) هذا النداء في هذا الوقت كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توقير وتعظيم علمائهم السحرة؛ لأنهم لما أصابهم من البلاء اعترفوا بمكانة موسىٰ وسيادته.

سمعوا.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾[1]: أي آلهتنا التي نعبدها خير أم هو - أي عيسى ابن مريم - فنرضىٰ أن تكون آلهتنا معه.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾: أي ما جعلوه - أي المثل - لك إلا خصومة بالباطل، لعلمهم أن (ما) لغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسىٰ عليه السلام.

﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ٥٨﴾: أي شديدو الخصومة.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾: أي ما هو - أي عيسىٰ - إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾: أي لوجوده من غير أب كان مثلًا لبني إسرائيل لغرابته، يستدل به علىٰ قدرة الله علىٰ ما نشاء.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ﴾: أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلكم ملائكة.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ٦٠﴾: أي يعمرون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: أي وإن عيسىٰ عليه السلام لعلم للساعة تعلم بنزوله إذا نزل[2].

﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾: أي لا تشكن فيها أي في إثباتها ولا في قربها.

﴿وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾: أي وقل لهم اتبعون علىٰ التوحيد هذا صراط مستقيم وهو الإسلام.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾: أي ولا يصرفنكم الشيطان عن الإسلام.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٞ مُّبِينٞ ٦٢﴾: أي إن الشيطان لكم عدو بَيِّن العداوة فلا تتبعوه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: أي ولما جاء عيسىٰ ابن مريم إلىٰ بني إسرائيل بالمعجزات والشرائع.

﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾: أي قال لبني إسرائيل: قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾: أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣﴾: أي خافوا الله وأطيعون فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾: أي إن الله إلهي وإلهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤﴾: أي تقوىٰ الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقيم.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾: أي في شأن عيسىٰ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟

---

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبه به؛ لأن ابن الزبعري شبه آلهتهم بعيسىٰ في أنها عبدت من دون الله مثله، فإذا كانوا في النار فعيسىٰ كذلك. (لأن النصارىٰ يعبدون المسيح).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (...ويؤيد هذا المعنىٰ القراءة الأخرىٰ: (وإنه لَعَلَمٌ للساعة). اهـ (قل).

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾: أي فويل للذين كفروا بما قالوا في عيسىٰ من الكذب والباطل.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾: أي ما ينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم علىٰ ما قالوه في عيسىٰ إلا الساعة أن تأتيهم بغتة: فجأة وهم لا يشعرون.

﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي الأحباء يوم إذ تأتيهم الساعة بغتة(١).

﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾: فإن محبتهم تدوم لهم؛ لأنها كانت في الله وطاعته.

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾: أي ينادون فيقال لهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون بل تحبرون أي تسرون وتكرمون. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أي يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ.

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾: أي في الجنة ما تشتهيه الأنفس تلذذًا به وتلذه الأعين نظرًا إليه. ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾: أي يقال لهم وهذه هي الجنة التي أورثكموها الله بأعمالكم الصالحة التي هي ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(٢).

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾: أي إن الذين أجرموا علىٰ أنفسهم بالشرك والمعاصي في جهنم خالدون لا يخرجون ولا يموتون.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾: أي لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: أي ونادوا مالكًا خازن النار قائلين له: ليمتنا ربك.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾: أي أجابهم بعد ألف سنة مضت علىٰ دعوتهم بقوله: إنكم ماكثون أي مقيمون في عذاب جهنم دائمًا.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾: أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق علىٰ لسان رسولنا، والحق: التوحيد وعبادة الله بما شرع، فكره أكثركم الحق.

---

(١) أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أي الأحباء في الدنيا يوم إذ تأتي الساعة بعضهم لبعض عدو فتنقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداء لأنها كانت علىٰ معصية الله إلا المتقين.

(٢) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها ويابسها، وبائعها يقال له: الفاكهاني.

أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ : أي أحكموا في الكيد للنبي محمد فإنا[1] محكمون كيدنا في إهلاكهم. ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾[2].

بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون ما يسرون وما يعلنون.

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ : أي قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فرضًا.

فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ[3] ﴿٨١﴾ : أي فأنا أول من يعبده تعظيمًا لله وإجلالًا، ولكن لا ولد له فلا عبادة إذًا لغيره.

سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ : أي تنزه وتقدس.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ : أي عما يصفون به الله تعالىٰ من أن له ولدًا وشركاء.

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ : أي اتركهم يا رسولنا يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم.﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ : أي معبود في السماء.

وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ : أي ومعبود في الأرض.﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾.

وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي تعظم وجل جلال الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما.

وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ : أي عنده علم وقت مجيئها. ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ : أي يعبدونهم.

مِن دُونِهِ : أي من دون الله، مثل عيسىٰ والعزير.

ٱلشَّفَٰعَةَ : أي لأحد.

إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ : أي لكن الذي شهد بالحق فوحد الله تعالىٰ علىٰ علم هذا الذي تناله شفاعة الملائكة والأنبياء ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾.

فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته.

وَقِيلِهِۦ : أي قول النبي. ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4].

---

(١) ﴿ أَمْ ﴾ المنقطعة تفسر بـ(بل) للإضراب الانتقالي، والاستفهام محذوف الأداة تخفيفًا أي أبرموا أمرًا والاستفهام تقريري والمراد بالأمر ما يبيتونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة؛ فأبرم الله أمرًا فأهلكهم في بدر.

(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ، وبالنجوىٰ ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي.

(٣) له أي لذلك الولد؛ لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد؛ إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له لغناه المطلق.

(٤) والضمير في قيله يعود إلىٰ النبي ﷺ؛ إذ هو القائل: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾؛ لطول ما دعاهم وهم

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾: أي أعرض عنهم[1].

﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾: أي أمري سلام منكم فسوف تعلمون عاقبة كفركم.

=

معرضون عن الحق مصرون على الكفر.

(١) مثل هذا ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة.

٤٤- سورة الدخان

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا حم، وتقرأ هكذا حا ميم.

وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ : أي القرآن المظهر للحلال والحرام في الأقوال والأعمال والاعتقادات.

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ : أي في ليلة القدر من رمضان. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾.

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ (١) : أي يفصل كل أمر محكم من الآجال والأرزاق وسائر الأحداث.

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا : أي فيها في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم أمرًا من عندنا أي: أمرنا بذلك أمرًا من عندنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ : أي إنا كنا مرسلين الرسل محمدًا ومن قبله رحمة من ربك بالمرسل إليهم من الأمم والشعوب.

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ : أي السميع لأصوات مخلوقاته، العليم بحاجاتهم. ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ : أي بأنه رب السموات والأرض فآمنوا برسوله، واعبدوه وحده. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ : أي فليسوا بموقنين بل هم في شك من ربوبية الله تعالىٰ لخلقه، وإلا لعبدوه وأطاعوه، بل هم في شك يلعبون بالأقوال والأفعال لا يقين لهم في ربوبية الله تعالىٰ، وإنما هم مقلدون لآبائهم في ذلك.

فَارْتَقِبْ : أي انتظر (٢).

يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ : أي ما كان يراه الرجل من قريش لشدة الجوع بين السماء

---

(١) أي في تلك الليلة المباركة (ليلة القدر) يفصل كل أمر محكم مما قضىٰ الله أن يتم في تلك السنة من أحداث في الكون يؤخذ ذلك من كتاب المقادير فيفصل عنه وينفذ خلال السنة من الموت والحياة والغنىٰ والفقر والصحة والمرض والتولية والعزل، فكل أحداث تلك السنة تفصل من اللوح المحفوظ يتم إحداثها في تلك السنة حتىٰ إن الرجل ليتزوج ويولد له وهو في عداد من يموت فلا تنتهي السنة إلا وقد مات.

(٢) ارتقب معناه انتظر يا رسولنا يوم تأتي السماء إلخ. وقيل: ارتقب معناه احفظ، لأن الرقيب يطلق علىٰ الحافظ.

والأرض من دخان.

يَغْشَى النَّاسَ : أي يغشىٰ أبصارهم من شدة الجهد الناتج عن الجوع الشديد. ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ : أي يا ربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا بك وبرسولك.

أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ : أي من أي وجه يكون لهم التذكر والحال أنه. ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾.

ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ : أي أنه يعلمه القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول.

إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ : أي إلىٰ الكفر والجحود.

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ : أي الأخذة القوية التي أخذناهم بها يوم بدر حيث قتلوا وأسروا. ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ : أي ولقد اختبرنا قبلهم أي قبل كفار قريش قوم فرعون من الأقباط.

وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ : أي موسىٰ بن عمران صلوات الله عليه وسلامه.

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ : أي ادفعوا إليَّ عباد الله بني إسرائيل وأرسلوهم معي.

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ : أي إني رسول الله إليكم، أمين علىٰ وحيه ورسالته.

وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ : أي وبأن لا تطغوا علىٰ الله فتكفروا به وتعصوه.

إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ : أي بحجة واضحة تدل علىٰ صدقي في رسالتي وما أطالبكم به.

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ : أي وإني قد اعتصمت بربي وربكم واستجرت به أن ترجموني[١].

وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ : أي إن لم تصدقوني فيما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني.

فَدَعَا رَبَّهُ : أي فلما كذبه فرعون وقومه وهموا بقتله نادىٰ ربه يا رب.

أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ : أي إن هؤلاء قوم مجرمون بالكفر والظلم.

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ : أي فأجابه ربه بأن قال له: فأسر بعبادي - أي بني إسرائيل - ليلًا إن فرعون وجنده متبعوكم ليردوكم.

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا : أي وإذا اجتزت أنت وقومك البحر فاتركه رهوًا ساكنًا كما هو حين دخلته مع بني إسرائيل[٢].

---

(١) الرجم بالقول الكذب علىٰ الشخص والافتراء عليه كذبًا، والرجم بالأعمال معناه القتل بالحجارة.

(٢) المراد بالبحر هنا بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر، ورهوًا منصوب علىٰ الحال، والرهوة الفجوة =

إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾: أي وإن فرعون وقومه جندُ اللهُ مغرقهم في البحر.

كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ: أي بساتين وحدائق غناء. ﴿وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾.

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾: أي مجلس حسن ومحافل مزينة ومنازل حسنة.

وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾: أي نضرة عيش ولذاذته كانوا فيها ناعمين [(١)].

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾: أي بني إسرائيل [(٢)].

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ: أي لهوانهم علىٰ الله بسبب كفرهم وظلمهم.

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾: أي ممهلين حتىٰ يتوبوا.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾: أي قتل أبنائهم واستخدام نسائهم. ﴿مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾: أي اخترناهم علىٰ علم منا علىٰ عالمي زمانهم من الإنس والجن؛ وذلك لكثرة الأنبياء منهم وفيهم.

وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾: أعطيناهم من النعم ما فيه بلاء مبين أي واضح كانفلاق البحر والمن والسلوىٰ [(٣)].

إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾: أي المشركين من قريش.

إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ: أي لا حياة بعدها ولا موت، وهذا تكذيب بالبعث الآخر.

وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾: أي بمبعوثين أحياء من قبورنا بعد موتنا.

فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾: أي فأت يا محمد بآبائنا الذين ماتوا إن كنت صادقًا في أننا بعد موتنا وبلانا نبعث أحياء من قبورنا.

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: أي هؤلاء المشركون خير في القوة والمناعة أم قوم تبع والذين من قبلهم كعاد [(٤)].

=

الواسعة مأخوذ من (رها) إذا فتح بين رجليه، ومعناه: اترك البحر مفتوحًا ساكنًا حتىٰ يدخل فرعون وجنده فيهلكوا.

(١) النعمة بفتح النون التنعيم يقال نعمه فتنعم. والنِعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به علىٰ المرء ومثلها النعماء والنعمىٰ.

(٢) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ قيل: الأمر كذلك فيوقف علىٰ كذلك، وقيل: كذلك أفعل بمن عصاني أو كذلك كان أمرهم.

(٣) في هذا البلاء المبين أربعة أوجه ذكرها القرطبي وهي نعمة ظاهرة -عذابه شديد- اختبار يتميز به الكافر من المؤمن -ابتلاء بالشدة والرخاء.

(٤) الاستفهام إنكاري أي ليسوا خيرًا من قوم تبع والذين من قبلهم كعاد وثمود وقد أهلكهم الله، والمراد من قوم تبع أقوام ملوك التبابعة إذ تبع لقب لمن يملك بلاد اليمن كلها ككسرىٰ للفرس وقيصر للروم. اهـ. قال ابن كثير: كقوم تبع وهم سبأ (قل).

أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) : أي أنزلنا بهم عقوبتنا فأهلكناهم إنهم كانوا قومًا مجرمين. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

لَاعِبِينَ (٣٨) : أي عابثين بخلقهما لا لغرض صالح.

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ : أي إلا لأمر اقتضىٰ خلقهما وهو أن أذكر فيهما وأشكر. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) : أي إن يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الخلائق ويحكم ميعادهم أجمعين حيث يجمعهم الله فيه.

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا : أي يوم لا يكفي قريب قريبه بدفع شيء من العذاب عنه.

وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) : أي لا ينصر بعضهم بعضًا.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ : أي لكن من رحمه الله فإنه يدفع عنه العذاب وينصر.

إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) : أي الغالب المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه.

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) : أي الشجرة التي تثمر الزقوم وهي من أخبث الشجر ثمرًا مرارة وقبحًا.

طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) : أي ثمرها طعام الأثيم أبي جهل وأصحابه من ذوي الآثام الكبيرة.

كَالْمُهْلِ : أي كدردي الزيت الأسود.

يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) : أي الماء الشديد الحرارة.

خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ : أي يقال للزبانية: خذوه فاعتلوه أي جروه بغلظة وشدة.

إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) : أي إلىٰ وسطها. ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)﴾.

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) : أي ذق العذاب، إنك كنت تقول ما بين جبلي مكة أعز وأكرم مني (والمراد: ذق إنك أنت الذليل المهان).

إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) : أي إن هذا العذاب الذي كنتم تمترون به أي تشكون فيه.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) : أي إن الذين اتقوا ربهم في الدنيا فآمنوا وعملوا الصالحات بعد اجتناب الشرك والمعاصي في مجلس أمين لا يلحقهم فيه خوف بحال.

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) : هذا هو المقام الأمين.

يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ : أي ما رقّ من الديباج وما غلظ منه.

مُتَقَابِلِينَ (٥٣) : أي لا ينظر بعضهم إلىٰ قفا بعض؛ لأن الأسرة تدور بهم.

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ : أي الأمر كذلك وزوجناهم.

بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) : أي بنساء بيض واسعات الأعين.

يَدْعُونَ فِيهَا : أي يطلبون الخدم فيها أن يأتوهم بكل فاكهة.

بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾: أي من انقطاعها ومن مضراتها ومن كل مخوف.

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ: أي لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها. ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾.

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ: أي سهلنا القرآن بلغتك.

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾: أي يتعظون فيؤمنوا ويوحدوا ولكنهم لا يؤمنون.

فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾: أي فانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك.

❁❁❁❁

٤٥ - سُورَةُ الجَاثِيَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ : هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حا ميم.

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ : أي القرآن الكريم.

مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ : أي من عند الله العزيز الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره.

إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي إن في خلق السموات والأرض.

لَأَيَٰتٍ : أي لدلالات واضحات علىٰ وجود الله تعالىٰ وقدرته وعلمه وحكمته، وهي موجبات الربوبية والألوهية له وحده دون سواه.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ : أي لأنهم بالإيمان أحياء يبصرون ويسمعون فيرون الآيات.

وَفِى خَلْقِكُمْ : أي وفي خلقكم أيها الناس، وتركيب أعضائكم وسلامة بنيانكم.

وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ : أي وما يخلق وينشر من أنواع الدواب من بهائم وغيرها.

ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ : أي علامات علىٰ قدرة الله تعالىٰ علىٰ البعث الآخر، إذ الخالق لهذه العوالم قادر علىٰ إعادتها بعد موتها، ولكن هذه الآيات لا يراها إلا القوم الموقنون في إيمانهم بربوبية الله وألوهيته وصفات الجلال والكمال له.

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ : أي بمجيء هذا وذهاب ذاك، وطول هذا وقصر ذاك علىٰ مدىٰ الحياة.

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ : أي من مطر، وسمي المطر رزقًا؛ لأنه يسببه.

فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أحيا بالمطر الأرض بعد موت نباتها بالجدب.

وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ : أي من صبا إلىٰ دبور، ومن شمال إلىٰ جنوب، ومن سموم إلىٰ باردة، ومن نسيم إلىٰ عاصفة.

ءَايَٰتٌ : أي في اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر وإحياء الأرض وتصريف الرياح دلالات واضحة علىٰ وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته، واقتضاء ذلك ربوبية الله وألوهيته.

لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ : لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في إدراك الأشياء واستنتاج النتائج من مقدماتها.

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ : أي تلك الآيات المذكورة آيات الله أي حججه الدالة علىٰ وحدانيته[١].

---

(١) أشار إليها بلام البعد للدلالة علىٰ علو شأنها وعزة مرامها، ولولا هذا لقال: هذه آيات الله لقرب ذكرها.

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ: أي نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر المشركون عن آلهتهم أنها تقربهم إلىٰ الله زلفىٰ كذبًا وباطلًا.

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ: أي فبأي حديث أيها المشركون بعد حديث الله هذا الذي يتلو عليكم وبعد حججه هذه.

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾: أي يصدقون والجواب: أنهم لا يؤمنون.

وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾: أي عذاب الويل لكل كذاب ذي آثام كبيرة وكثيرة.

يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ: أي يسمع آيات القرآن كتاب الله تقرأ عليه.

ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا: أي ثم يصر علىٰ الكفر حال كونه مستكبرًا عن الإيمان والتوحيد كأن لم يسمعها. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا: أي إذا بلغه شيء من القرآن وعلم أنه القرآن.

اتَّخَذَهَا هُزُوًا: أي اتخذ تلك الآية أو الآيات مهزوًّا بها متهكمًا ساخرًا منها.

أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾: أي ذو إهانة لهم يهانون به وتكسر أنوفهم.

مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ: أي أمامهم جهنم وذلك يوم القيامة، والوراء يطلق علىٰ الأمام كذلك.

وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا: أي لا يكفي عنهم ما كسبوه من المال والأفعال التي كانوا يعتزون بها شيئًا من الإغناء.

وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ: أي ولا يغني عنهم كذلك ما اتخذوه من أصنام آلهة. عبدوها دون الله تعالىٰ. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

هَٰذَا: أي هذا القرآن الذي أنزله الله تعالىٰ علىٰ عبده ورسوله محمد ﷺ.

هُدًى: أي كله حجج وبراهين ودلالات هادية.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ: أي والذين كفروا بالقرآن فلم يهتدوا به، وبقوا علىٰ ضلالهم من الشرك والمعاصي.

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾: أي لهم عذاب موجع من نوع الرجز وهو أشد أنواع العذاب.

۞اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ: أي الله المعبود بحق لا الآلهة الباطلة، سخر لكم أي لأجلكم البحر بأن جعله أملس تطفو فوقه الأخشاب ونحوها.

لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ: أي جعله كذلك لتجري السفن فيه بإذن الله تعالىٰ.

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي لتسافروا إلىٰ طلب الرزق من إقليم إلىٰ إقليم.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾: أي رجاء أن تشكروا نعم الله عليكم.

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ: أي من شمس وقمر ونجوم ورياح وماء أمطار.

وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ: أي وما في الأرض من جبال وأنهار وأشجار ومعادن منه تعالىٰ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ : أي علامات ودلائل وحججًا علىٰ وجود الله وألوهيته.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ : أي لقوم يستخدمون عقولهم فيتفكرون في وجود هذه المخلوقات، ومن أوجدها. ولماذا أوجدها. فتتجلىٰ لهم حقائق وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته فيؤمنون ويوحدون.

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ : أي قل يا رسولنا للمؤمنين من عبادنا: يغفروا: أي يتجاوزوا ولا يؤاخذوا.

﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ : أي لا يتوقعون أيام الله أي بالإدالة منهم للمؤمنين فيذلهم الله وينصر المؤمنين عليهم وهم الرسول وأصحابه وهذا قبل الأمر بجهادهم.

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ : أي ليجزي الله تعالىٰ يوم القيامة قومًا منهم، وهم الذين علم الله تعالىٰ أنهم لا يؤمنون بما كسبوه من أذىٰ الرسول والمؤمنين.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ : أي فهو الذي يرحم ويسعد به.

﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ : أي ومن عمل سوءًا فالعقوبة تحل به لا بغيره.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ : أي بعد الموت ويحكم بينكم فيما كان بينكم من خلاف وأذىٰ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ : أي التوراة لأنها الحاوية للأحكام الشرعية بخلاف الزبور والإنجيل.

﴿وَالْحُكْمَ﴾ : أي الفصل في القضايا بين المتنازعين علىٰ الوجه الذي يحقق العدل.

﴿وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ : أي جعلنا فيهم النبوة كنبوة موسىٰ وهارون وداود وسليمان، ورزقناهم من الطيبات كالمن والسلوىٰ وغيرهما.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ : أي علىٰ عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم. ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ علمناهم حججًا وعلومًا في أمر دينهم ونظام حياتهم[1].

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ : أي لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ببعثة محمد النبي ﷺ. بغيًا بينهم أي حسدًا للعرب أولاد إسماعيل أن تكون النبوة فيهم.﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ : أي ثم جعلناك يا رسولنا علىٰ شريعة من أمر الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ : أي الزم الأخذ بها والسير علىٰ طريقها في أنها تفضي بك إلىٰ سعادة الدارين.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ : من مشركي العرب ومن ضلال أهل الكتاب.

---

(١) حيث يكونون علىٰ بصيرة في تدبير مجتمعهم وعلىٰ سلامته من الشرور والمفاسد.

إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا : أي إن أنت تركت ما شرع لك واتبعت ما يقترحون عليك أن تفعله مما يوافق أهواءهم، إنك إن اتبعتهم فلن يدفعوا عنك من العذاب الدنيوي والأخروي شيئًا.

وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ : أي ينصر بعضهم بعضًا في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم لا ينصرون.

وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ : أي متوليهم في أمورهم كلها وناصرهم على أعدائهم.

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ : أي هذا القرآن أي أنوار هداية يهتدون به إلى ما يكملهم ويسعدهم، وهدى ورحمة، ولكن لأهل اليقين في إيمانهم فهم الذين يهتدون به ويرحمون عليه، أما غير الموقنين فلا يرون هداه، ولا يجدون رحمته لأن شكهم وعدم إيقانهم يتعذر معهما أن يعملوا به في جد وصدق وإخلاص.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ : أي اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصي. ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ : أي محياهم ومماتهم سواء، لا لا: المؤمنون في الجنة. والمشركون في النار.

سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ : أي ساء حكمًا حكمهم بالتساوي مع المؤمنين. ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾.

وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ : أي وليجزي الله كل نفس ما كسبت من خير وشر. ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ : أي أخبرني عمن اتخذ أي جعل إلهه: أي معبوده هواه.

وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ[(١)] : أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية. ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾.

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً : أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل.

فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ : أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعظوا.

وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا : أي قال منكرو البعث ما الحياة إلا هذه الحياة، وليس وراءها حياة أخرى.

نَمُوتُ وَنَحْيَا : أي يموت بعضنا، ويحيا بعضنا بأن يولدوا فيحيوا ويموتوا.

وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ : أي وما يميتنا إلا مرور الزمان علينا.

---

(١) ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي أضله الله مع ما عنده من العلم الذي لو خلع عن نفسه الكبر والعناد والميل إلى الهوى لاهتدى ونجا وسعد، أو على علم من الله تعالى بأنه ليس أهلًا للهداية كما في التفسير.

وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ : أي وليس لهم أدنىٰ علم علىٰ قولهم، لا من وحي وكتاب إلهي ولا من عقل صحيح.

إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ : أي ما هم إلا يظنون فقط، والظن لا قيمة له ولا يبنىٰ عليه حكم.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ : أي وإذا قرئت عليهم الآيات الدالة علىٰ البعث والجزاء الأخروي بوضوح.

مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ : أي لم تكن لهم من حجة إلا قولهم(1).

إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا : إلا قولهم أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأتوا بهم إلينا.

إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ : إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والجزاء.

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ : أي قل لهم يا رسولنا: الله الذي يحييكم حين كنتم نطفًا ميتة، ثم يميتكم.

ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ : أي ثم بعد الموت يجمعكم إلىٰ يوم القيامة للحساب والجزاء.

لَا رَيْبَ فِيهِ : أي يوم القيامة الذي لا ريب ولا شك في مجيئه في وقته المحدد له.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ : أي لا يعلمون لعدم تلقيهم العلم عن الوحي الإلهي؛ لكفرهم بالرسل والكتب.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصرفًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ : أي ويوم تقوم الساعة التي أنكرها الكافرون يخسر أصحاب الباطل بصيرورتهم إلىٰ النار.

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً : أي كل أمة ذات دين جاثية علىٰ ركبها تنتظر حكم الله فيها(2).

كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا : أي إلىٰ كتاب أعمالها فهو الحكم فيها إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر.

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ : أي يقال لهم: اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ : أي ديوان الحفظة الذي دونوه من أعمال العقلاء من الناس شاهد عليكم بالحق.

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ : أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ : أي فيدخلهم في جنته، أي الفوز البين الظاهر وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

---

(١) وهي حجة داحضة عند ربهم أي باطلة (قل).

(٢) الأمة الجماعة العظيمة أمرها واحد يجمعهم دين، والجثو: البروك علىٰ الركب في استنفار وهي هيئة الخضوع.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ : أي يقال لهم: ألم تأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلىٰ عليكم.

فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ : أي عن آيات الله فلم تؤمنوا بها وكنتم بذلك قومًا كافرين.

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ : أي بالبعث والجزاء العادل يوم القيامة حق ثابت.﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا﴾ .

وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ : أي وما كنا مستيقنين بالبعث وإنما كنا نظنه ظنًّا لا غير ولا نجزم به.

وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ : أي ظهر لهم في يوم القيامة جزاء سيئات ما عملوه في الدنيا من الشرك والمعاصي.

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ : أي نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به إذا ذكروا به وخوفوا منه في الدنيا.

وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ : أي وقال الله تعالىٰ لهم: اليوم ننساكم أي نترككم في النار.

كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا : أي مثلما نسيتم يومكم هذا فلم تعملوا له بما ينجي فيه وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصي.

وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ : أي ومحل إقامتكم النار.

وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ : أي من ناصرين ينصرونكم بإخراجكم من النار.

ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا : أي ذلكم العذاب كان لكم بسبب كفركم واتخاذكم آيات الله هزوًا: أي شيئًا مهزوًّا به.

وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ : أي طول العمر والتمتع بالشهوات والمستلذات.

فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ : أي لا يؤذن لهم في الاستعتاب ليعتبوا فيتوبوا.

فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ : أي فلله وحده الوصف بالجميل لإنجاز وعيده لأعدائه.

وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ : أي العظمة والحكم النافذ الناجز علىٰ من يشاء.

وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ : أي وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير خلقه.

❁❁❁❁

٤٦- سُورَةُ الأَحْقَافِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حا ميم.

تَنزِيلُ الْكِتَابِ: أي تنزيل القرآن.

مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾: أي من لدن الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه.

مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى: أي ما خلقنا السموات والأرض إلا خلقًا متلبسًا بالحق وبأجل مسمىٰ لفنائهما.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾: أي عمّا خوفوا به من العذاب معرضون عنه غير ملتفتين إليه.

قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ: أي من الأصنام والأوثان.

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ: أي أشيروا إلىٰ شيء خلقوه من الأرض.

أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ: أي أم لهم شركة.

ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا: أي منزل من قبل القرآن.

أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ: أي بقية من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام.

إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾: أي في دعواكم أن عبادة الأصنام والأوثان تقربكم من الله تعالىٰ.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: أي لا أحد أضل ممن يدعو من لا يستجيب له في شيء يطلبه منه أبدًا.

وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾: أي وهم -الأصنام- عن دعاء المشركين إياهم غافلون لا يعرفون عنهم شيئًا.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً: أي في يوم القيامة كانت الأصنام أعداء لعابديها.

وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾: أي وكانت الأصنام بعبادة المشركين لها جاحدة غير معترفة.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ: أي أهل مكة من كفار قريش، والآيات آيات القرآن، والبينات: الواضحات.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: أي من كفار قريش للحق أي القرآن لما قرأه عليهم رسول الله ﷺ.

هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾: أي قالوا في القرآن: سحر مبين أي ظاهر لما رأوا من تأثيره في النفوس.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ : أي بل أيقولون افتراه أي اختلقه من نفسه.

قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ : أي قل لهم يا نبينا: إن اختلقته من نفسي.

فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا : أي فأنتم لا تملكون لي من الله شيئًا إن أراد أن يعذبني.

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ : أي هو تعالىٰ أعلم بما تخوضون فيه من القدح والطعن فيَّ وفي القرآن.

كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ : أي كفىٰ به تعالىٰ شهيدًا بيني وبينكم. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ .

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ : أي لم أكن أول رسول فأكون بدعًا من الرسل، بل سبقني رسل كثيرون.

وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ : أي في هذه الحياة هل أخرج من بلدي، أو أقتل، وهل ترجمون بالحجارة أو يخسف بكم؟

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ : أي ما أتبع إلا ما يوحيه إليَّ ربي فأقول وأفعل ما يأمرني به.

وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ : أي وما أنا إلا نذير لكم بيِّن الإنذار.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ : أي أخبروني ماذا تكون حالكم.

إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ : أي إن كان القرآن من عند الله.

وَكَفَرْتُم بِهِۦ : أي وكذبتم به أي بالقرآن.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ : أي وشهد عبد الله بن سلام[1] .

عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ : أي عليه أنه من عند الله فآمن.

وَٱسْتَكْبَرْتُمْ : أي واستكبرتم أنتم فلم تؤمنوا ألستم ظالمين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ .

لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ : أي لو كان ما جاء به محمد من القرآن والدين خيرًا ما سبقنا إليه المؤمنون.

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ : أي بالقرآن العظيم.

فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ : أي هذا القرآن إفك قديم أي هو من[2] كذب الأولين. ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ .

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ : أي القرآن مصدق للكتب التي سبقته.

لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ : أي حال كونه بلسان عربي لينذر به الظالمين المشركين.

وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ : وهو - أي القرآن - بشرىٰ لأهل الإحسان في عقائدهم وأقوالهم

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وهذا يعم عبد الله بن سلام وغيره(قل) .

(٢) المضارع هنا مراد به سيديمون قولهم هذا كلما أرادوا رد القرآن: هذا إفك قديم.

وأعمالهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾: أي فلم يرتدوا واستمروا على فعل الواجبات وترك المحرمات.

﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾: أي في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾: أي جزاهم الله بما جزاهم به بنفي الخوف والحزن عنهم بأعمالهم الصالحة وتركهم الأعمال الفاسدة.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾: أي أمرناه أمرًا مؤكدًا بالإيصاء.

﴿إِحۡسَٰنًا﴾: أي أن يحسن بـ ما إحسانًا وهو المعاملة بالحسنىٰ.

﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗا﴾: أي حملته أثناء حمله في بطنها علىٰ مشقة وولدته كذلك علىٰ مشقة.

﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾: أي مدة حمله في بطنها وفطامه من الرضاع ثلاثون شهرًا [1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي اكتمال قوته البدنية والعقلية وهي من الثلاث والثلاثين فما فوق.

﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [2] ﴿قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾: أي ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك بصرفها فيما تحب.

﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾: أي وبأن أعمل صالحًا ترضاه مني أن تتقبله عني.

﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: أي فلا نؤاخذهم بها بل نغفرها.

﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾: أي في جملة أصحاب الجنة وعدادهم.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾: أي في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ الآية.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾: الذي: اسم موصول استعمال الجنس فدل علىٰ متعدد، بدليل الخبر عنه وهو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾.

﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾: أي نتنًا وقبحًا لكما.

---

(١) ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا﴾ وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا هذه الآية الكريمة مع قوله تعالىٰ من سورة البقرة: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾ دلتا علىٰ أن أقل مدة الحمل: ستة أشهر، فلا يثبت الحمل بأقل من ستة أشهر ويثبت بالستة والسبعة والثمانية والتسعة، فمن بنىٰ بامرأة وولدت قبل ستة أشهر من البناء بها فالولد لا يلحق الزوج.

(٢) لم خص الدعاء للوالدين في هذا الوقت بالذات؟ لأنه وقت يصبح فيه الولد مشغولًا بزوجة وأولاد وتكاليف فهو في هذه الحال أحوج ما يكون إلىٰ عون الله تعالىٰ علىٰ بر والديه.

أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ : أي من القبر حيًّا بعد موتي.
وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي : أي مضت الأمم قبلي ولم يخرج منها أحد من قبره.
وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ : أي يطلبان الغوث برجوع ولدهما إلىٰ الإيمان بعد الإلحاد والكفر.
وَيۡلَكَ ءَامِنۡ : أي يقولان له: إن لم ترجع ويلك أي هلاكك أي هلكت آمن بالبعث.
إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ : وقد وعد العباد بالرجوع إليه ومحاسبتهم علىٰ أعمالهم.
فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ : أي ما القول بوجود بعث للناس أحياء بعد الموت إلا أكاذيب الأولين.
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ : أي وجب عليهم القول بالعذاب يوم القيامة.
فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ : أي في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس.
إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ .
وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ : أي ولكل من المؤمنين البارين، والكافرين الفاجرين درجات مما عملوا، درجات المؤمنين في الجنة، ودرجات الكفار في النار. ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ .
أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا : أي يقال لهم: أذهبتم طيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا.
وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا.
فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ : أي جزاؤكم عذاب الهون.
بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي تتكبرون في الأرض.
بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ : إذ لا حق لكم في الكبر، والكبرياء لله، ولم يأذن لكم فيه.
وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ : أي تخرجون عن طاعة الله ورسوله.
۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ : أي نبي الله هودًا عليه السلام.
إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ : أي خوف قومه عذاب الله بوادي الأحقاف[(١)] .
وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ : أي مضت الرسل.
مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ : أي من قبله ومن بعده إلىٰ أممهم.
أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ : أي أنذروهم بأن لا يعبدوا إلا الله.
إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ : أي هائل بسبب شرككم بالله وكفركم برسالتي.
قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا : أي لتصرفنا عن عبادتها.
فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ : أي من العذاب علىٰ عبادتها.

---

(١) الأحقاف: جمع حِقْف بكسر وسكون: الرمل العظيم المستطيل.

إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾: أي في أنه يأتينا قطعًا كما تقول.

قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ: أي علم مجيء العذاب ليس لي وإنما هو لله وحده[1].

وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ: أي وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلني به ربي إليكم.

وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾: أي حظوظ أنفسكم وما ينبغي لها من الإسعاد والكمال وإلا فكيف تستعجلون العذاب مطالبين به.

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا: أي رأوا العذاب سحابًا يعرض في الأفق.

مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ: أي متجهًا نحو أوديتهم التي فيها مزارعهم.

قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا: أي قالوا مشيرين إلىٰ السحاب هذا عارض ممطرنا.

بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ: أي ليس هو بالعارض الممطر بل العذاب الذي استعجلتموه.

رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾: أي ريح عاتية تهلك كل شيء تمر به.

تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا: أي بإذن ربها تعالىٰ.

فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ: أي أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق إلا مساكنهم[2].

كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾: أي كذلك الجزاء الذي جازينا به عادًا قوم هود وهو الهلاك الشامل نجزي المجرمين من سائر الأمم.

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ: أي ولقد مكنا قوم عاد من القوة التي لم نمكنكم أنتم من مثلها.

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً: أي وجعلنا لهم أسماعًا وأبصارًا وأفئدة.

فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ: أي من الإغناء.

إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ: أي لعلة هي أنهم كانوا يجحدون بآيات الله وهي حججه البينة.

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾: أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ: أي من أهل القرىٰ كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾: أي كررنا الحجج وضربنا الأمثال ونوعنا الأساليب، لعلهم يرجعون إلىٰ الحق فيؤمنوا ويوحدوا.

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ: أي فهلَّا نصرهم بدفع العذاب عنهم الذين اتخذوهم من دون الله آلهة يتقربون بهم إلىٰ الله في زعمهم.

بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ: أي غابوا عنهم عند نزول العذاب.

---

(١) (أل) في ﴿ٱلْعِلْمُ﴾ للاستغراق العرفي أي: علم كل شيء، ومنه علم وقت مجيء العذاب.

(٢) المراد بالمساكن: آثارها وبعض الجدران الشاخصة منها.

وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ : أي خِذلان آلهتهم لهم وعدم نصرتهم لهم بل غيابهم عنهم هو إفكهم وافتراؤهم الذي كانوا يفترونه.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ : أي واذكر إذ أملنا إليك نفرًا[1] من الجن، جن نصيبين أو نينوىٰ.

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا : أي حضروا سماع القرآن قالوا - أي بعضهم لبعض -: أصغوا لاستماع القرآن.

فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ : أي فرغ من قراءته رجعوا إلىٰ قومهم مخوفين لهم من العذاب.

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ : أي من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها.

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ : أي من العقائد في الشرائع والإسلام. ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾.

وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ : أي ويحفظكم من عذاب يوم القيامة.

وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ: أي فليس بمعجز الله هربًا منه فيفوته.

وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ : أي الذين لم يجيبوا داعي الله وهو محمد ﷺ إلىٰ الإيمان أي في ضلال عن طريق الإسعاد والكمال ظاهرٍ بيِّن.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ : أي لم يتعب ولم ينصب لخلق السموات والأرض.

بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ : أي إنه قادر علىٰ إحياء الموتىٰ وإخراجهم أحياء من قبورهم للحشر. ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ: أي ليعذبوا فيها.

أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ : أي يقال لهم تقريعًا: أليس هذا أي: العذاب - بحق؟.

قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا : أي إنه لحق وربنا حلفوا بالله تأكيدًا لخبرهم. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

فَاصْبِرْ: أي يا رسولنا محمد علىٰ أذىٰ قومك.

كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ: أي أصحاب الحزم والصبر والعزم وهم: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد صلىٰ الله عليهم أجمعين وسلم، وهم أصحاب الشرائع.

---

(١) (أنصتوا) أمر بتوجيه الأسماع إلىٰ الكلام اهتمامًا به لئلا يفوت منه شيء، وفي الحديث: أن النبي ﷺ أمر جابرًا في حجة الوداع فقال له: «استنصت الناس» قبل أن يبدأ خطبته ﷺ

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ : أي ولا تستعجل نزول العذاب لأجلهم.
﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ : أي في الآخرة.
﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ : أي لم يقيموا في الدنيا إلا ساعة من نهار وذلك لطول العذاب.
﴿بَلَٰغٌ﴾ : أي هذا القرآن بلاغ للناس أي تبليغ لهم.
﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ : أي ما يهلك إلا القوم التاركون لأمر الله المعرضون عنه الخارجون عن طاعته.

❁❁❁❁

٤٧- سُورَةُ مُحَمَّدٍ أَوِ القِتَالِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ: أي كفروا بتوحيد الله ولقائه وبآياته ورسوله، وصدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام.

أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾: أي أحبط أعمالهم الخيرية كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرىٰ لها أثر يوم القيامة.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ: أي آمنوا بالله وآياته ورسوله ولقائه وأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي.

وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ: أي بالقرآن الكريم.

وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ: أي محا عنهم ذنوبهم وغفرها لهم.

وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾: أي شأنهم وحالهم فهم لا يعصون الله تعالىٰ.

ذَٰلِكَ: أي إضلال أعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين.

بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ: أي الشيطان في كل ما يمليه عليهم ويزينه لهم من الكفر والشرك والمعاصي.

وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ: أي التوحيد والعمل الصالح.

كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾: أي كما بيّن تعالىٰ حال الكافرين، وحال المؤمنين في هذه الآية يبين للناس أمثالهم ليعتبروا.

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ: أي إذا كان الأمر كما ذكر، فإذا لقيتم الذين كفروا في ساحة المعركة، فاضربوا رقابهم ضربًا شديدًا تفصلون فيه الرقاب عن الأبدان.

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ: أي أكثرتم فيهم القتل ولم يصبح لهم أمل في الانتصار عليكم.

فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ: أي فأسروهم بدل قتلهم، وشدوا الوثاق أي ما يوثق به الأسير من إسار قدًّا كان أو حبلًا حتىٰ لا يتفلتوا ويهربوا.

فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً: أي بعد أسركم لهم وشد وثاقهم فإما أن تمنوا منًّا أي تفكوهم من الأسر مجانًا، وإما تفادوهم بمال أو أسير مسلم، وهذا بعد نهاية المعركة.

حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا: أي واصلوا القتال والأخذ والأسر إلىٰ أن تضع الحرب أوزارها وهي آلاتها، وذلك عند إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم، فهذه غاية انتهاء الحرب حتىٰ لا تكون فتنة

ويكون الدين كله لله.

﴿ذَٰلِكَ﴾ : أي الأمر ذلك الذي علمتم من استمرار القتال إلىٰ غاية إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم وذمتكم.

﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ : أي بغير قتال منكم كأن يخسف بهم الأرض أو يصيبهم بوباء ونحوه.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ : أي ولكن أمركم بالقتال وشرعه لكم لحكمة هي أن يبلو بعضكم ببعض أي يختبركم من يقاتل منكم ومن لا يقاتل، والمؤمن يقتل فيدخل الجنة والكافر يقتل فيدخل النار.

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : أي قتلهم العدو، وقرئ قاتلوا في سبيل الله.

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾﴾ : أي لا يحبطها ولا يبطلها.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ : أي سيوفقهم إلىٰ ما فيه خيرهم وسعادتهم ويصلح شأنهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ : أي ويدخلهم يوم القيامة الجنة بينها لهم فعرفوها بما وصفها لهم في كتابه وعلىٰ لسان رسوله محمد ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ : أي في دينه ورسوله وعباده المؤمنين.

﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ : أي علىٰ عدوكم ويثبت أقدامكم في المعارك.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ : أي تعسوا تعسًا: أي هلاكًا وخيبة لهم.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾ : أي أحبطها وأبطلها فلم يحصلوا بها علىٰ طائل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ : أي الضلال والتعس.

﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ : أي من القرآن المشتمل علىٰ أنواع الهدايات والإصلاحات.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ : أي أبطلها وأضلها فلا ينتفعون بها لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ : أي أغفل هؤلاء المشركون فلم يسيروا في البلاد.

﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ : أي كيف كانت نهاية الذين من قبلهم كعاد وثمود.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾﴾ : أي دمر عليهم مساكنهم فأهلكهم وأولادهم، وأموالهم وللكافرين أمثال تلك العاقبة السيئة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ : أي لا ناصر لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ﴾ .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ﴾ : أي بمُتع الدنيا من مطاعم ومشارب وملابس ويأكلون.

﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ : أي كأكل الأنعام بنهم وازدراد، والنار مأواهم.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ : أي وكثير من أهل قرية هي أشد قوة.

مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ [١] : أي مكة إذ أخرج أهلها النبي ﷺ.

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ : أي على حجة وبرهان من أمر دينه فهو يعبد الله على علم.

كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ : أي كمن زين الشيطان له سوء عمله.

وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ : أي واتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام والجواب: ليسوا سواء ولا مماثلة بينهما أبدًا.

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ : أي صفة الجنة دار السلام التي وعد الله بها عباده المتقين له.

فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ : أي غير متغير الريح والطعم لطول مكثه. ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾.

وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى : أي من الشمع وفضلات النحل. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾.

وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا : أي حارًّا شديد الحرارة.

فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ : أي مصارينهم فخرجت من أدبارهم.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ : أي ومن الكفار المنافقين من يستمع إليك في خطبة الجمعة.

حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا : أي الساعة أي استهزاء منهم وسخرية يعنون أنه شيء لا يرجع إليه ولا يعتد به لعدم فائدته.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ : أي بالكفر فلذا هم لا يعون.

وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ : أي في الكفر والنفاق.

وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ : أي المؤمنون.

زَادَهُمْ هُدًى : أي زادهم الله هدى.

وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ : أي ألهمهم ما يتقون به عذاب الله تعالى.

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ : أي ما ينتظر أهل مكة إلا الساعة.

أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً : أي فجأة.

فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا : أي علاماتها كبعثة النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان.

فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ : أي أنّى لهم إذا جاءهم التذكر الذي ينفعهم إذ قد أغلق باب التوبة.

---

(١) أطلق الإخراج على ما عامل به المشركون الرسول ﷺ من الجفاء والأذى ومحاربة نشر الدعوة؛ فكان ذلك سبب خروجه منها، فأطلق الإخراج على مسبباته، وإلا فالرسول ﷺ خرج باختياره ولم يكرهه المشركون على الخروج بل كانوا يحاولون منعه من الخروج.

فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ : أي فبناءً علىٰ ما تقدم لك يا نبينا فاعلم أنه لا يستحق العبودية إلا الله فاعبده وتوكل عليه.

وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ : أي قل: أستغفر الله أو اللهم اغفر لي (١).

وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ : أي واستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ : أي متصرفكم في النهار وأنتم تتصرفون في أمور دنياكم.

وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ : أي مكان ثواكم وإقامتكم ونومكم بالليل.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ : أي هلَّا نزلت سورة يقول هذا المؤمنون طلبًا للجهاد.

فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ : أي لم ينسخ منها شيء من أوامرها ونواهيها.

وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ : أي طلب القتال بالدعوة إليه والترغيب فيه.

رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ : أي شك وهم المنافقون.

يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ : أي خوفًا من القتال وكراهية له، فتراهم ينظرون إلىٰ الرسول مثل نظر المغشي عليه من سكرات الموت.

فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ : أي فأجدر بهم طاعة لرسول الله وقول معروف حسن له.

فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ : أي فرض القتال وجد أمر الخروج إليه.

فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ : أي وفوا له ما تعهدوا به من أنهم يقاتلون.

لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ : أي الوفاء بما تعهدوا به خيرًا في دنياهم وآخرتهم.

فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ : أي أعرضتم عن الإيمان الصوري الذي أنتم عليه وأعلنتم عن كفركم.

أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ : أي تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي ولا تصلوا أرحامكم.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ : أي فعل تعالىٰ ذلك بهم؛ فلذا هم لا يسمعون الحق ولا يبصرون الخير والمعروف.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ (٢) : أي يتفكرون فيه فيعرفون الحق من الباطل.

أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ : أي بل علىٰ قلوب لهم أقفالها فهم لا يفهمون إنْ تَدَبَّرُوا.

---

(١) لا ذنب للرسول ﷺ لعصمته، وإنما هو من باب قوله ﷺ: «إنه ليغان علىٰ قلبي وإني استغفر الله في اليوم مائة مرة» [رواه مسلم]، ومعنىٰ يغان: يغام ويغشىٰ، وقيل: إنه غين أنوار لا غين أغبار.

(٢) من أعظم ما يعين علىٰ تدبر القرآن: قراءة تفسيره والقيام به ودعوة الناس إليه، فمن لا يعرف التفسير إذا قرأ أو استمع لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ ظن أن المقصود بذلك هو الخير الذي عكس الشر مع أن المقصود بالخير هنا (المال) قال تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾. (قل).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم : أي رجعوا كافرين بنفاقهم.

مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى : أي من بعد ما تبين لهم صدق الرسول وصحة دينه بالحجج والبراهين.

ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ : أي زين لهم الشيطان نفاقهم وأملىٰ لهم أي واعدهم بطول العمر ومنّاهم.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ : أي ذلك الإضلال بسبب قولهم للذين كرهوا ما نزَّل الله وهم المشركون.

سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ : أي بأن نتعاون معكم علىٰ عداوة الرسول، وبتثبيط المؤمنين عن الجهاد، وكان ذلك سرًّا منهم لا جهرة فأظهره الله لرسوله.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ .

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ : أي بمقامع من حديد يضربون وجوههم وظهورهم.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ : أي التوفي علىٰ الحالة المذكورة من الضرب علىٰ الوجوه والظهور بسبب اتباعهم ما أسخط الله من الشرك والمعاصي.

وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ : أي ما يرضيه تعالىٰ من التوحيد والعمل الصالح.

فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ : أي أبطلها فلم يحصلوا منها علىٰ ثواب حسن.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ : أي مرض النفاق.

أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ : أي أن لن يظهر أحقادهم علىٰ النبي ﷺ والمؤمنين.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ : أي لعرفناك بهم فلعرفتهم.

فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ : أي بعلاماتهم.

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ : أي إذا تكلموا عندك في لحن القول أي: معناه وذلك بأن يعرضوا فيه بتهجين أمر المسلمين أي: تقبيح أمرهم.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ : أي أيها المؤمنون إن الله يعلم أعمالكم وسيجزيكم بها خيرًا.

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ : ولنختبرنكم بالجهاد وغيره من التكاليف.

حَتَّىٰ نَعْلَمَ : أي نعلم علم ظهور لكم ولغيركم إذ الله يعلم ذلك قبل ظهوره لما حواه كتاب المقادير.

ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ : أي الذين جاهدوا وصبروا من غيرهم.

وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ : أي ونُظهر أخباركم للناس من طاعة وعصيان في الجهاد وفي غيره.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ : أي بالله ولقائه ورسوله وما جاء به من الدين الحق.

وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي عن الإسلام.

وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ : أي خالفوه وعادوه وحاربوه.

مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ : أي عرفوا أن الرسول حق والإسلام حق كاليهود وغيرهم.

لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا : أي من الضرر؛ لأنه متعالٍ أن يناله خلقه بضرر.

وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ : أي يبطلها فلا تثمر لهم ما يرجونه منها في الدنيا والآخرة.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ : أي بالرياء والشرك والمعاصي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي عن الإسلام.

ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ : أي لأنهم ماتوا علىٰ الكفر، والكفر محبط للعمل.

فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ : أي فلا تضعفوا وتدعوا إلىٰ الصلح مع الكفار.

وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ : أي الغالبون القاهرون.

وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ : أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم وثوابها.

إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ : أي الاشتغال بالدنيا والتفرغ لها ما هو إلا لهو ولعب لعدم الفائدة منه.

وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ : أي ولا يكلفكم بإنفاق أموالكم كلها بل الزكاة فقط.

إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ : أي بالمبالغة في طلبكم المال تبخلوا.

وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ : أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام. هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ .

وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ : أي عائد ذلك علىٰ نفسه لا علىٰ غيره فهو الذي يحرم الثواب.

وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ : أي عن طاعة الله وطاعة رسوله يأت بآخرين غيركم.

ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ : أي في الطاعة أي يكونوا أطوع منكم لله ورسوله.

❁❁❁❁

٤٨- سُورَةُ الفَتْحِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ : أي قضينا لك بفتح مكة وغيرها عُنوة[1] بجهادك فتحًا ظاهرًا بينًا.

لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ : أي بسبب شكرك له وجهادك في سبيله.

مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ : أي ما تقدم الفتح وما تأخر عنه.

وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ : أي ينصرك على أعدائك وإظهار دينك ورفع ذكرك.

وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ : ويرشدك طريقًا من الدين لا اعوجاج فيه يفضي بك إلىٰ رضوان ربك.

وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ : أي وينصرك الله علىٰ أعدائك ومن ناوأك نصرًا عزيزًا لا يغلبه غالب، ولا يدفعه دافع.

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ : أي الطمأنينة بعدما أصابهم من الاضطراب والقلق من جراء الصلح. ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ : أي عليمًا بخلقه، حكيمًا في تدبيره لأوليائه.

لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ : أي قضىٰ بالفتح ليشكروه ويجاهدوا في سبيله ليدخلهم.﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ﴾ .

وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ : أي وكان ذلك الإدخال والتكفير للسيئات فوزًا عظيمًا.

وَيُعَذِّبَ[2] الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ : أي يعذبهم بالهم والحزن لما يرون من نصرة الإسلام وعزة أهله.

الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ : أي أن الله لا ينصر محمدًا وأصحابه.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ : أي بالذل والعذاب والهوان. ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

---

(١) الماضي هنا بمعنىٰ المستقبل إذ فتح مكة المومىٰ إليه كان سنة ثمانٍ وأطلق الماضي مع إرادة المضارع لتحقق الوقوع وتأكده نحو: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ واللام في ﴿لَكَ﴾: لام الأجل أي: فتحنا لأجلك.

(٢) هذا معطوف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ وهذا التعذيب المذكور في الآية تعذيب خاص زائد علىٰ عذاب الكفر والنفاق. وفي قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ إشارة إلىٰ ذلك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧﴾: أي كان وما زال تعالىٰ غالبًا لا يغلب، حكيمًا في الانتقام من أعدائه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾: أي شاهدًا علىٰ أمتك أمة الدعوة يوم القيامة، ومبشرًا من آمن منهم وعمل صالحًا بالجنة، ونذيرًا من كفر أو عصىٰ وفسق بالنار.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي هذا علة الإرسال.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾: أي تنصروه وتعظموه وهذا لله وللرسول.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1] ﴿۝٩﴾: أي الله تعالىٰ بالصلاة والذكر والتسبيح.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: أي بيعة الرضوان بالحديبية.

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾: لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالىٰ.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي لأنهم كانوا يبايعون الله إذ هو الذي يجاهدون من أجله، ويتلقون الجزاء من عنده.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: أي نقض عهده فلم يقاتل مع الرسول والمؤمنين.

﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: أي وبال نقضه عهده عائد عليه إذ هو الذي يجزىٰ به.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠﴾: أي الجنة إذ هي الأجر العظيم الذي لا أعظم منه إلا رضوان الله.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: أي الذين حول المدينة وقد خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلىٰ مكة خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع.

﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾: أي عن الخروج معك.

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: أي الله من ترك الخروج معك.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾: أي كل ما قالوه هو من ألسنتهم وليس في قلوبهم منه شيء.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أي لا أحد؛ لأن الاستفهام هنا للنفي.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾: وبخهم علىٰ تركهم صحبة رسول الله ﷺ خوفًا من قريش.

﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ۝١١ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: أي حسبتم أن قريشًا تقتل الرسول والمؤمنين فلن يرجع منهم أحد إلىٰ المدينة.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: هو هذا الظن الذي زينه الشيطان في قلوبهم.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٢﴾: أي هالكين عند الله بهذا الظن السيئ، وواحد بور بائر: هالك.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ۝١٣﴾: أي نارًا شديدة الاستعار واللهب.

---

(١) البكرة: أول النهار، والأصيل: آخره أي: غدوة وعشيًا.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ : يغفر لمن يشاء وهو عبد تاب وطلب المغفرة بنفسه، ويعذب من يشاء وهو عبد ظن السوء وقال غير ما يعتقد وأصر علىٰ ذلك الكفر والنفاق.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ : كان وما زال متصفًا بالمغفرة والرحمة فمن تاب غفر الله له ورحمه.

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ : أي المذكورون في الآيات قبل هذه وهم غفار وجهينة ومزينة وأشجع.

إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا : أي مغانم خيبر إذ وعدهم الله بها عند رجوعهم من الحديبية.

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ : أي دعونا نخرج معكم لنصيب من الغنائم.

يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ : أي أنهم بطلبهم الخروج إلىٰ خيبر لأخذ الغنائم يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنائم خيبر.

قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ : أي قاله تعالىٰ لنا قبل عودتنا إلىٰ المدينة فلن تتبعونا ولن تخرجوا معنا.

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا : أي فسيقولون: بل تحسدوننا وفعلًا فقد قالوا ذلك وزعموا أنه ليس أمرًا من الله هذا المنع، وإنما هو من الرسول والمؤمنين حسدًا لهم، وهذا دالٌّ علىٰ نفاقهم وكفرهم، والعياذ بالله.

بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ : أي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلًا وفي أمور الدنيا لا غير.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ : أي الذين تخلفوا عن الحديبية وطالبوا بالخروج إلىٰ خيبر لأجل الغنائم اختبارًا لهم.

سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ : أي ستدعون في يوم ما من الأيام إلىٰ قتال قوم أولي بأس وشدة في الحرب.

تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ : أي تقاتلونهم أو هم يسلمون فلا حاجة إلىٰ قتالهم.

فَإِن تُطِيعُوا : أي أمر الداعي لكم إلىٰ قتال أصحاب البأس الشديد.

يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا : أي عودة اعتباركم مؤمنين صالحين في الدنيا والجنة في الآخرة.

وَإِن تَتَوَلَّوْا : أي تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا للحديبية.

كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ : في الدنيا بالقتل والإذلال، وفي الآخرة بعذاب النار.

لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ : أي إثم.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ : ليس على هؤلاء إثم إذا لم يخرجوا للجهاد.
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ : أي يعرض عن طاعة الله ورسوله.
﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ : أي الراسخين في الإيمان الأقوياء، فيه وهم أهل بيعة الرضوان من أصحاب رسول الله ﷺ.
﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ : أي بالحديبية أيها الرسول محمد ﷺ.
﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ : أي سمرة وهم ألف وأربعمائة بايعوا على أن يقاتلوا قريشًا ولا يفروا.
﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ : أي علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء؛ فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه.
﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ : أي هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية في ذي الحجة وفي آخر المحرم من سنة سبع غزوا خيبر ففتحها الله تعالى عليهم.
﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ : أي من خيبر.
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ : أي كان وما زال تعالى عزيزًا غالبًا، حكيمًا في تصريفه شئون عباده.
﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ : أي من الفتوحات الإسلامية التي وصلت الأندلس غربًا.
﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ : أي غنيمة خيبر.
﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ : أي أيدي اليهود حيث هموا بالغارة على بيوت الصحابة وفيها أزواجهم وأولادهم وأموالهم فصرفهم الله عنهم.
﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ : أي تلك الصرفة التي صرف اليهود المتآمرين عن الاعتداء على عيال الصحابة وهم غُيَّب في الحديبية أو خيبر آية يستدلون بها على كلاءة الله وحمايته لهم في حضورهم ومغيبهم.
﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾ : أي طريقًا في التوكل على الله والتفويض إليه في الحضور والغيبة لا اعوجاج فيه.
﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ : أي ومغانم أخرى لم تقدروا عليها وهي غنائم فارس والروم.
﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ : أي فهي محروسة لكم إلى حين تغزون فارسًا والروم فتأخذونها. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾.
﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ : أي المشركون في الحديبية.
﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ : أي لانهزموا أمامكم وأعطوكم أدبارهم تضربونها. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾.

سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ : أي هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين الصابرين سنة ماضية في كل زمان ومكان. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ : حيث جاء ثمانون من المشركين يريدون رسول الله والمؤمنين ليصيبوهم بسوء.

وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ : فأخذهم أصحاب رسول الله أسرىٰ وأتوا بهم إلىٰ رسول الله فعفا عنهم.

مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ : وذلك بالحديبية التي هي بطن مكة. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ : أي بالله ورسوله ومنعوكم من الوصول إلىٰ المسجد الحرام.

وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ : أي ومنعوا الهدي محبوسًا حال بلوغ محله من الحرم.

وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ : أي موجودون في مكة.

لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ : أي لم تعرفوهم مؤمنين ومؤمنات.

أَن تَطَـُٔوهُمْ : أي قتلًا لهم عند قتالكم المشركين بمكة.

فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي إثم وديات قتل الخطأ وعتق أو صيام؛ لأذن لكم الله تعالىٰ في دخول مكة.

لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ : أي لم يؤذن لكم في دخول مكة فاتحين ليدخل الله في الإسلام من يشاء.

لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ : أي لو تميزوا فكان المؤمنون علىٰ حدة والكافرون علىٰ حدة، لأذنًا لكم في الفتح وعذبنا الذين كفروا بأيديكم عذابًا أليمًا وذلك بضربهم وقتلهم.

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ : أي لعذبناهم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وهي الأنفة المانعة من قبول الحق، ولذا منعوا الرسول وأصحابه من دخول مكة وقالوا: كيف يقتلون أبناءنا ويدخلون بلادنا واللات والعزىٰ ما دخلوها؟

فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ : أي فَهَمَّ الصحابة أن يخالفوا أمر رسول الله بالصلح فأنزل الله سكينته عليهم فرضوا ووافقوا فتم الصلح.

وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ : أي ألزمهم كلمة «لا إله إلا الله» إذ هي الواقية من الشرك.

وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا : أي أجدر بكلمة التوحيد وأهلًا للتقوىٰ.

وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ : أي من أمور عباده وغيرها ومن ذلك علمه بأهلية المؤمنين وأحقيتهم بكلمة التقوىٰ «لا إله إلا الله».

﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ : أي جعل الله رؤيا رسوله التي رآها في النوم عام الحديبية حقًّا.

﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ : هذا مضمون الرؤيا أي لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾ : أي حالقين جميع شعوركم أو مقصرينها.

﴿لَا تَخَافُونَۖ﴾ : أي أبدًا حال الإحرام وبعده.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ﴾ : أي في الصلح الذي تم ما لم تعلموا، من ذلك المعرةُ التي كانت تلحق المسلمين بقتالهم إخوانهم المؤمنين وهم لا يشعرون.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحًا قَرِيبًا ٢٧﴾ : هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام المقبل.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ : فلذا لا يخلفه رؤياه بل يصدقه فيها.

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ : أي ليعليه على سائر الأديان بنسخ الحق فيها، وإبطال الباطل فيها، أو بتسليط المسلمين على أهلها فيحكمونهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ٢٨﴾ : أي أنك مرسل بما ذكر أي بالهدى ودين الحق.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ : أي أصحابه رضوان الله عليهم.

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ : أي غلاظ لا يرحمونهم.

﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ : أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد.

﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ : أي تبصرهم ركعًا سجدًا أي راكعين ساجدين.

﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ : أي يطلبون بالركوع والسجود ثوابًا من ربهم وهو الجنة ورضوانًا هو رضاه عَزَّوَجَلَّ.

﴿سِيمَاهُمۡ﴾ (١) ﴿فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ : أي نور وبياض يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا في الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ : أي الوصف المذكور.

﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ : أي صفتهم في التوراة كتاب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ : أي فراخه.

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ : أي قواه وأعانه.

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ : أي غلظ واستوى أي قوي.

---

(١) السيما: (العلامة ولها ثلاثة مظاهر، الأول: هو يبوسة في الجبهة ولا يتعمدونها ولكنها تحدث من كثرة السجود على الأرض. والثاني: الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح. والثالث: نور يوم القيامة يعلو وجوههم ويشهد له قوله تعالى: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ الآية.

عَلَىٰ سُوقِهِۦ: جمع ساق أي علىٰ أصوله.

يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ: أي زارعيه لحسنه.

لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ: هذا تعليل أي قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾.

❁❁❁❁

الباب السابع
حزب المفصل

٤٩ - سُورَةُ الحُجُرَاتِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا : أي لا تتقدموا بقول ولا فعل إذ هو من قدم بمعنىٰ تقدم.

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : كمن ذبح يوم العيد قبل أن يذبح رسول الله ﷺ وكإرادة أحد الشيخين(١) تأمير رجل علىٰ قوم قبل استشارة الرسول ﷺ.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ : أي خافوا الله إنه سميع لأقوالكم عليم بأعمالكم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ : أي إذا نطقتم فوق صوت النبي إذا نطق.

وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ : أي إذا ناجيتموه فلا تجهروا في محادثتكم معه كما تجهرون فيما بينكم إجلالًا له ﷺ وتوقيرًا وتقديرًا.

أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ : أي كراهة أن تبطل أعمالكم فلا تثابوا عليها.

وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ : بحبوطها وبطلانها. إذ قد يصحب ذلك استخفاف بالنبي ﷺ لا سيما إذا صاحب ذلك إهانة وعدم مبالاة فهو الكفر، والعياذ بالله.

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ : أي يخفضونها حتىٰ لكأنهم يسارونه ومنهم أبو بكر رضي الله عنه.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ : أي شرحها ووسعها لتتحمل تقوىٰ الله. مأخوذ من محن الأديم إذا وسعه.

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ : أي مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ : أي حجرات نسائه، والذين نادوه وفد من أعراب بني تميم منهم الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن.

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ : أي فيما فعلوه بمحلك الرفيع ومقامك السامي الشريف.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ : أي ولو أنهم انتظروك حتىٰ تخرج بعد قيامك من قيلولتك.

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ : أي من ذلك النداء بأعلىٰ أصواتهم من كل أبواب الحجرات.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ : أي غفور لمن تاب منهم، رحيم بهم إذ أساءوا مرتين: الأولىٰ برفع أصواتهم، والثانية كانوا ينادونه ويقولون: أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين(٢).

---

(١) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه نادىٰ رسول الله ﷺ يا محمد يا محمد، =

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ: أي ذو فسق وهو المرتكب لكبيرة[1] من كبائر الذنوب، والنبأ الخبر ذو الشأن.

فَتَبَيَّنُوٓاْ: أي تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكموا.

أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ: أي خشية إصابة قوم بجهالة منكم.

فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦: أي فتصيروا على فعلكم الخاطئ نادمين.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ: أي فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا الباطل؛ فإن الوحي ينزل وتفضحون بكذبكم وباطلكم.

لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ: أي لوقعتم في المشقة الشديدة والإثم أحيانًا.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ.

وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ: أي بغض إلىٰ قلوبكم الكفر والفسوق كالكذب والعصيان بترك واجب أو فعل محرم.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧: أي الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان وتكريه الكفر وما ذكر معه هم الراشدون أي: السالكون سبيل الرشاد.

فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ: أي أفضل بذلك عليهم فضلًا وأنعم إنعامًا ونعمة.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨: أي عليم بخلقه وما يعملون، حكيم في تدبيره لعباده هذا بعامة، وبخاصة عليم بأولئك الراشدين حكيم في إنعامه عليهم.

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ: أي جماعتان قلَّ أفرادهما أو كثروا من المسلمين.

ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ: أي هموا بالاقتتال أو باشروه فعلًا فأصلحوا ما فسد بينهما[2].

فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ: أي تعدت بعد المصالحة بأن رفضت ذلك ولم ترض بحكم الله.

فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ: أي قاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الطائفة التي بغت حتىٰ ترجع إلىٰ الحق.

فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ: أي رجعت إلىٰ الحق بعد مقاتلتها فأصلحوا بينهما بالعدل أي بالحق.

وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩: أي واعدلوا في حكمكم؛ إن الله يحب أهل العدل.

=

وفي رواية: يا رسول الله فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين فقال: «ذاك الله عز وجل» أخرجه الإمام أحمد. اهـ (قل).

(١) فسر الفاسق. بالكاذب، وبالمعلن بالذنب، وبالذي لايستحي من الله، وهو قابل لكل ما ذكر.

(٢) قال القرطبي: بالدعاء إلىٰ كتاب الله لهما أو عليهما.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ : أي في الدين الإسلامي.

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ : أي إذا تنازعوا شيئًا وتخاصموا فيه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ : أي خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ : أي لا يزدرِ قوم منكم قومًا آخرين ويحتقروهم.

عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ : أي عند الله تعالىٰ، والعبرة بما عند الله لا ما عند الناس. ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ : أي لا تعيبوا بعضكم بعضًا فإنكم كفرد واحد.

وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ : أي لا يدعوا بعضكم بعضًا بلقب يكرهه نحو: يا فاسق يا جاهل.

بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ : أي قبح اسم الفسوق يكون للمرء بعد إيمانه وإسلامه.

وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ : أي من لمز ونبز المؤمنين فأولئك البُعداء هم الظالمون.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ : أي التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن.

إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ : أي كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين.

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا : أي لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث عنها، أما الغيبة فذكرك أخاك بما يكره.

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا : أي لا يحسن به حب أكل لحم أخيه ميتًا ولا حيًّا معًا.

فَكَرِهْتُمُوهُ : أي وقد عُرض عليكم الأول فكرهتموه أي كما كرهتم أكل لحمه ميتًا فاكرهوه حيًّا وهو الغيبة. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ : أي جمع شعب، والقبيلة دون الشعب.

لِتَعَارَفُوا : أي ليعرف بعضكم بعضًا فتعارفوا لا للتفاخر بعلو الأنساب.

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ : أي أشدكم تقوىٰ لله بفعل أوامره وترك نواهيه هو أكرم عند الله.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ : أي عليم بكم وبأحولكم، خبير بما تكونون عليه من كمال ونقص لا يخفىٰ عليه شيء من أشياء العباد.

❁ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا : هم نفر من بني أسد قدموا علىٰ الرسول وقالوا له: آمنا وهم غير مؤمنين.

قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا : أي قل لهم: إنكم ما آمنتم بعد ولكن قولوا: أسلمنا: أي استسلمنا وانقدنا.

وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ : أي ولما يدخل الإيمان بعد في قلوبكم؛ ولكنه يتوقع له الدخول.

وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ : أي في الإيمان والقيام بالفرائض واجتناب المحارم.

لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا : أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤﴾: أي غفور للمؤمنين، رحيم بهم إن هم صدقوا في إيمانهم.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي حقًّا وصدقًا لا ادعاء ونطقًا هم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي بالله ربًّا وإلهًا وبالرسول محمد نبيًّا ورسولًا.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾: أي لم يشكوا فيما آمنوا به.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي جاهدوا مع رسول الله أعداء الله وهم الكافرون بأموالهم وأنفسهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾: أي في إيمانهم لا الذين قالوا: آمنا بألسنتهم واستسلموا ظاهرًا ولم يسلموا باطنًا.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: أي قل لهم يا رسولنا أي لهؤلاء الأعراب: أتشعرون الله بدينكم؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ١٦﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾: أي كونهم أسلموا بدون قتال، وغيرهم أسلم بعد قتال.

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾: أي لا حق لكم في ذلك.

﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٧﴾: بل الحق لله الذي هداكم للإيمان إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم مؤمنون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي إن الله يعلم ما غاب في السموات وما غاب في الأرض، فلا يخفىٰ عليه أمر مَنْ صدق في إيمانه وأمرُ من كذب، ومن أسلم رغبة ومن أسلم رهبة. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨﴾.

❁❁❁❁

٥٠- سُورَةُ قٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ : هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب هكذا ق، وتقرأ هكذا قاف.

وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ : أي والقرآن المجيد: أي الكريم قسمي لقد أرسلنا محمدًا مبلغًا عنا.

بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ : أي بل عجب أهل مكة من مجيء منذر أي رسول منهم ينذرهم عذاب الله يوم القيامة.

فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ : أي فقال المكذبون بالبعث هذا أي: البعث بعد الموت والبلىٰ: شيء عجب.

أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا : أئذا متنا وصرنا ترابًا أي رفاتًا وعظامًا نخرة نرجع أحياء.

ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ : أي بعيد الإمكان في غاية البعد.

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ : أي قد أحاط علمنا بكل شيء، فعلمنا ما تنقص الأرض من أجساد الموتىٰ وما تأكل من لحومهم وعظامهم فكيف يستبعد منا إحياؤهم بعد موتهم؟

وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ : أي كتاب المقادير الذي قد كتب فيه كل شيء، ومن بين ذلك أعداد الموتىٰ وأسماؤهم وصورهم وأجسامهم ويوم إعادتهم.

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ : بل كذب المشركون بما هو أقبح من تكذيبهم بالبعث وهو تكذيبهم بالنبوة المحمدية وبالقرآن ومن نزل عليه!

فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ : أي مختلط عليهم فهم فيه مضطربون لا يثبتون علىٰ شيء، إذ قالوا مرة سحر، ومرة قالوا: شعر، ومرة: كهانة، وأخرىٰ: أساطير.

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ : أي أعموا فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلىٰ السماء كائنة فوقهم، فيعلموا أن استبعادهم للبعث غير صحيح؟

كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا : أي كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالكواكب.

وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ : أي وليس لها من شقوق تعيبها.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا : أي بسطناها.

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ : أي جبالًا رواسي ثوابت، لا تسير ولا تتحرك مثبتة للأرض كي لا تميد بأهلها.

وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۢ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ : أي وأنبتنا في الأرض من كل صنف من أنواع النباتات حسن.

تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ : أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرىٰ منا لكل عبد منيب إلىٰ

طاعتنا رجّاع إلينا.

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَٰرَكًا: أي ماء المطر كثير البركة.

فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾: أي أنبتنا بماء السماء بساتين وحب الحصيد أي المحصود من البر والشعير.

وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ: أي وأنبتنا بالماء النخيل الطوال العاليات.

لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾: أي لها طلع منضد متراكب بعضه فوق بعض.

رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ: أي أنبتنا ما أنبتنا من الجنات والحب الحصيد والنخل الباسقات، قوتًا للعباد ورزقًا لهم مؤمنهم وكافرهم.

وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا: وأحيينا بذلك الماء الذي أنزلناه بلدة ميتًا لا نبات فيها من الجدب الذي أصابها والقحط.

كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾: أي كما أخرجنا النبات من الأرض الميتة بالماء، نخرجكم أحياء من قبوركم يوم القيامة، بماء ننزله من السماء علىٰ الأرض فتنبتون كما ينبت البقل.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ: أي قبل قومك يا رسولنا بالبعث والتوحيد والنبوة، قوم نوح.

وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾: أي وكذب أصحاب الرس وهي بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون الأصنام، وثمود وهم أصحاب الحجر قوم صالح.

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ: وكذبت عاد قوم هود، وكذب فرعون موسىٰ عليه السلام.

وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ: أي وكذب قوم لوط أخاهم لوطًا، وكذب أصحاب الأيكة شعيبًا.

وَقَوْمُ تُبَّعٍ: أي وكذب قوم تبع الحميري اليمني.

كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ: أي كل من ذكر قد كذب الرسل فلست وحدك المكذَّب يا محمد ﷺ.

فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾: أي فوجب وعيدي لهم بنزول العذاب عليهم فنزل فهلكوا.

أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ: أي أفعيينا بخلق الناس أولًا؟ والجواب: لا إذًا فكيف نعيا بخلقهم ثانية وإعادتهم كما كانوا؟ (١).

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾: أي هم غير منكرين لقدرة الله علىٰ الخلق الأول، بل هم في خلط وشك من خلق جديد، لما فيه من مخالفة العادة، وهي أن كل من مات منهم يرونه يفنىٰ ولا يعود حيًا.

---

(١) أي: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ به فنعيا بالبعث وهو توبيخ لمنكري البعث وجواب عن قولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ يقال: عييت بالأمر: إذا لم تعرف وجهه هذا في المعاني، أما في الذوات فعيي بمعنىٰ عجز ولم يقدر عليه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ: أي خلقناه بقدرتنا وعلمنا لحكمة اقتضت خلقه فلم نخلقه عبثًا.

وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ: أي ونعلم ما تحدث به نفسه أي نعلم ما في نفسه من خواطر وإرادات.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾: أي نحن بقدرتنا علىٰ الأخذ منه والعطاء والعلم بما يسر ويظهر، أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو في حلقه(١).

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ: أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقىٰ المتلقيان عمله فيكتبانه.

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾: أي أحدهما عن يمينه قعيد والثاني عن شماله قعيد أيضًا(٢).

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ: أي ما يقول من قول.

إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾: أي إلا عنده ملك رقيب حافظ عتيد حاضر معد للكتابة.

وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ: أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتىٰ يراه المنكر لها عيانًا.

ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾: أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفزع.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ(٣) ﴿٢٠﴾: أي ونفخ إسرافيل في الصور الذي هو القرن، ذلك يوم الوعيد للكفار بالعذاب.

وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾: أي معها سائق يسوقها إلىٰ المحشر وشهيد يشهد عليها.

لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا: أي من هذا العذاب النازل بك الآن.

فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ: أي أزلنا عنك غفلتك بما تشاهده اليوم.

فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾: أي حاد تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء.

وَقَالَ قَرِينُهُۥ: أي الملك الموكل به.

هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾: أي هذا عمله حاضر لدي.

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾: أي كثير الكفر والجحود لتوحيد الله وللقائه ولرسوله معاند

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ يعني ملائكته تعالىٰ أقرب إلىٰ الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله علىٰ العلم فإنما فسره به لئلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالىٰ الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ كما قال في المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ يعني ملائكته، فالملائكة أقرب إلىٰ الإنسان من جبل وريده إليه بإقدار الله عز وجل وعلا لهم علىٰ ذلك، فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، ولهذا قال تعالىٰ ههنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان. اهـ (قل).

(٢) القعيد بمعنىٰ المقاعد كالجليس بمعنىٰ المجالس.

(٣) يوم وعيد للكافرين، ويوم وعد صادق للمؤمنين، ولما كان السياق في دعوة الكافرين إلىٰ الإيمان ذكر الوعيد دون الوعد.

كثير العناد.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۝٢٥﴾ : أي مناع للحقوق والواجبات من المال وغيره.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ : أي أشرك بالله فجعل معه آلهة أخرىٰ يعبدها. ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۝٢٦﴾.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ : أي يقول قرينه من الشياطين: يا ربنا ما أطغيته أي ما حملته علىٰ الطغيان.

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ : أي ولكن الرجل كان في ضلال بعيد عن كل هدىً، متوغلًا في الشرك والشر.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ۝٢٨﴾ : أي قدمت إليكم وعيدي بالعذاب في كتبي وعلىٰ لسان رسلي.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ : أي ما يغير القول عندي وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾(1).

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ : أي وما الله بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾؟

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ : أي لم أمتلئ هل من زيادة، فيضع الجبار عليها قدمه فتقول: قط قط.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : أي قربت الجنة للمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١﴾ : أي مكانًا غير بعيد منهم حيث يرونها.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢﴾ : أي رجاع إلىٰ طاعة الله، كلما ترك طاعة عاد إليها، حافظ لحدود الله.

﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ : أي خاف الله تعالىٰ فلم يعصه، وإن عصاه تاب إليه وهو لم يره.

﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ : أي مقبل علىٰ طاعته تعالىٰ.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤﴾ : أي ويقال لهم وهم المتقون: ادخلوها؛ أي: الجنة، بسلام، أي مع سلام، وحال كونكم سالمين من كل مخوف.

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ : أي مزيد من الإنعام والتكريم في الجنة وهي النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ : أي كثيرًا من أهل القرون قبل كفار قريش أهلكناهم.

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ : أي أهل القرون الذين أهلكناهم قبل كفار قريش هم أشد قوة وأعظم أخذًا

---

(1) المبالغة في وصف (ظلام) راجعة إلىٰ تأكيد النفي المطلق؛ إذ المراد لا أظلم شيئًا من الظلم، وليس المعنىٰ ما أنا بكثير الظلم أو شديده، إذ الأمر في أمثلة المبالغة أن يقصد بها المبالغة في النفي.

من كفار قريش ومع هذا أهلكناهم.

﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦﴾: أي بحثوا وفتشوا في البلاد علّهم يجدون مهربًا من الهلاك فلم يجدوا(١).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: أي إن في المذكور من إهلاك الأمم القوية موعظة.

﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أي الموعظة تحصل للذي له قلب حي وألقىٰ سمعه يستمع.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾: وهو شهيد أي حاضر أثناء استماعه، حاضر القلب والحواس. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾: أي من نصب ولا تعب.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: أي فاصبر يا رسولنا علىٰ ما يقوله اليهود وغيرهم من التشبيه لله والتكذيب بصفاته.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾: أي صل حامدًا لربك قبل طلوع الشمس وهي صلاة الصبح.

﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩﴾: أي صل صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: أي صل صلاتي المغرب والعشاء.

﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ۝٤٠﴾: أي بعد أداء الفرائض فسبح بألفاظ الذكر والتسبيح.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾: أي أيها المخاطب إلىٰ ما أقول لك.

﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١﴾: أي يوم ينادي إسرافيل من مكان قريب من السماء، وهو صخرة بيت المقدس فيقول: أيتها العظام البالية والأواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾: أي نفخة إسرافيل الثانية وهي نفخة البعث يعلمون عاقبة تكذيبهم.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۝٤٢﴾: أي من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۝٤٣﴾.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: أي يخرجون من قبورهم مسرعين بعد تشقق القبور عنهم.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۝٤٤﴾: أي ذلك حشر للناس، وجمع لهم في موقف الحساب يسير سهل علينا.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾: أي من الكفر والباطل فلا تيئس لذلك سننتقم منهم.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾: حيث تجبرهم علىٰ الإيمان والتقوىٰ.

---

(١) (النقب) الثقْب فالتنقيب مأخوذ منه، ومعنىٰ الآية: ذللوا وأخضعوا وتصرفوا في الأرض بالحفر والغرس والبناء ونحت الجبال وإقامة السدود والحصون وما إلىٰ ذلك من مظاهر القوة في الأرض، ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئًا، وجاءهم الموت من حيث لا مهرب منه ولا محيص (والمحيص المهرب).

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝﴾: أي عظ مرهبًا بالقرآن، فاقرأه على المؤمنين، فهم الذين يخافون وعيد الله تعالىٰ ويطمعون في وعده.

❁❁❁❁

٥١- سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾: أي الرياح تذرو التراب وغيره ذروًا.

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾: أي السحب تحمل الماء.

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾: أي السفن تجري علىٰ سطح الماء بسهولة.

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾: أي الملائكة تقسم بأمر ربها الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾: أي إن ما وعدكم به ربكم لصادق، سواء كان خيرًا أو شرًّا.

وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾: أي وإن الجزاء بعد الحساب لواقع لا محالة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾: أي ذات الطرق كالطرق التي تكون علىٰ الرمل(1)، والحبك جمع حبيكة.

إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾: أي يا أهل مكة لفي قول مختلف أي في شأن القرآن والنبي ﷺ، فمنهم من يقول: القرآن سحر وشعر وكهانة، ومنهم من يقول: النبي كاذب أو ساحر أو شاعر.

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾: أي يصرف عن النبي والقرآن من صرف.

قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾: أي لعن الكذابون الذين يقولون بالخرص والكذب.

الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾: أي في غمرة جهل تغمرهم، ساهون أي غافلون عن أمر الآخرة.

يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾: أي يسألون النبي ﷺ استهزاء متىٰ يوم القيامة؟ وجوابهم.

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾: أي يعذبون فيها. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾: أي إن الذين اتقوا ربهم في بساتين وعيون تجري خلال تلك البساتين والقصور التي فيها كقوله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ: أي آخذين ما أعطاهم ربهم من الثواب.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾: أي كانوا قبل دخولهم الجنة محسنين في الدنيا، أي في عبادة ربهم وإلىٰ عباده.

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾: أي كانوا في الدنيا يحيون الليل ولا ينامون فيه إلا قليلًا.

---

(1) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر عدة أقوال في معنىٰ الحبك: (...وكل هذه الأقوال ترجع إلىٰ شيء واحد وهو الحسن والبهاء) (قل).

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾: أي في وقت السحور وهو السدس الأخير من الليل يستغفرون يقولون: ربنا اغفر لنا.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩﴾: أي للذي يسأل، والمحروم الذي لا يسأل لتعففه، وهذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾: أي من الجبال والأنهار والأشجار والبحار والإنسان والحيوان، دلالات على قدرة الله مقتضية للبعث والموجبة للتوحيد للموقنين، أما غير المؤمنين فلا يرون شيئًا.

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾: أي آيات من الخلق والتركيب والأسماع والأبصار والتعقل والتحرك أفلا تبصرون ذلك فتستدلوا به على وجود الله وعلمه وقدرته.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾: أي من الأمطار التي بها الزرع والنبات وسائر الأقوات، وما توعدون من ثواب وعقاب، إن كل ذلك عند الله في السماء مكتوب في اللوح المحفوظ.

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: إنه لحق أي ما توعدون لحق ثابت.

﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۝٢٣﴾: أي إن البعث لحق مثل نطقكم، فهل يشك أحد في نطقه إذا نطق؟ والجواب: لا يشك، فكذلك ما توعدون من ثواب وعقاب.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ﴾: أي قد أتاك يا نبينا حديث أي كلام.

﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾: أي جبريل وميكائيل وإسرافيل أكرمهم الخليل إبراهيم، وقيل: هم مكرمون من قِبل الله تعالى.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾: أي نسلم، عليك سلامًا.

﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝٢٥﴾: أي عليكم سلام، أنتم قوم منكرون أي غير معروفين.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾: أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧﴾: أي فأمسكوا عن الأكل فقال لهم: ألا تأكلون؟

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي فأضمر في نفسه خوفًا منهم.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾: أي بولد يكون ذا علم كبير غزير.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾: أي في رنة وضجة.

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: أي لطمت وجهها أي ضربت بأصابعها جبينها متعجبة.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾: أي كبيرة السن وعقيم لم يولد لها قط.

﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: أي قالت الملائكة لها كالذي قلنا لك: قال ربك.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٣٠﴾: أي إنه هو الحكيم في تدبيره وتصريف شئون عباده، العليم بما يصلح للعبد وما لا يصلح، فليفوض الأمر إليه.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ : أي ما شأنكم أيها المرسلون.

قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ : أي إلىٰ قوم كافرين فاعلين لأكبر الجرائم وهي إتيان الفاحشة، هؤلاء القوم: هم أهل سدوم وعمورية.

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ : أي مطبوخ بالنار.

مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ : أي معلمة علىٰ كل حجر اسم من يرمىٰ به.

لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ : أي المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران. ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾.

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ : وهو بيت لوط وابنتيه ومن معهم من المؤمنين.

وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً : أي بعد إهلاكهم تركنا فيها علامة علىٰ إهلاكهم وهي ماء أسود منتن.

لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ : أي عذاب الآخرة فلا يفعلون فعلهم الشنيع.

وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ : أي فكذبه وكفر، فأغرقناه ومن معه كآية سدوم[1].

بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ : أي بحجة ظاهرة قوية وهي اليد والعصا.

فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ : أي أعرض عن الإيمان مع رجال قومه.

وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ : أي وقال فرعون في شأن موسىٰ: ساحر أو مجنون.

فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ : أي طرحناهم في البحر فغرقوا أجمعين.

وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ : أي آتٍ بما يلام عليه، إذ هو الذي عرض جيشًا كاملًا للهلاك، زيادة علىٰ ادعائه الربوبية وتكذيبه لموسىٰ وهارون وهما رسولان.

وَفِى عَادٍ : أي وفي إهلاك عاد آية أي علامة علىٰ قدرتنا وتدبيرنا.

إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ : أي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور، لقولِ الرسول ﷺ: «نصرت بالصبا -وهي الريح الشرقية[2] -وأهلكت عاد بالدبور- وهي الريح الغربية في الحجاز».

مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ : من نفس أو مال.

إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ : أي البالي المتفتت.

وَفِى ثَمُودَ : أي وفي إهلاك ثمود آية دالة علىٰ قدرة الله وكرهه تعالىٰ للكفر والإجرام.

إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ : أي بعد عقر الناقة تمتعوا إلىٰ انقضاء آجالكم بعد ثلاثة أيام.

فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ : أي بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة. ﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

---

(١) ﴿ وَفِى مُوسَىٰٓ ﴾ أي: وتركنا أيضًا في قصة موسىٰ آية، والعطف علىٰ قوله: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾.

(٢) متفق عليه -انظر صحيح الجامع (قل).

فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ : أي ما قدروا على النهوض عند نزول العذاب بهم. ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ : أي وفي إهلاك قوم نوح بالطوفان آية وأعظم آية. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ : أي وبنينا السماء بقوة ظاهرة في رفع السماء وإحكام البناء.

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ : أي لقادرون على البناء والتوسعة.

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا : أي مهدناها فجعلناها كالمهاد أي الفراش الذي يوضع على المهد.

فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ : أي، نحن، أثنى الله تعالى على نفسه بفعله الخيري الحسن الكبير.

وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ : أي وخلقنا من كل شيء صنفين أي ذكرًا وأنثى، خيرًا وشرًّا، علوًّا وسفلًا.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ : أي تذكرون أن خالق الأزواج كلها هو إله فرد فلا يعبد معه غيره.

فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ : أي إلى التوبة بطاعته وعدم معصيته.

إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ : أي إني وأنا رسول الله لكم منه تعالى نذير مبين، أبين النذارة أي أخوفكم عذابه.

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ : أي لا تعبدوا مع الله إلهًا أي معبودًا آخر إذ لا معبود بحق إلا هو.

إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ : إني لكم منه تعالى نذير بين النذارة، أخوفكم عذابه إن عبدتم معه غيره.

كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ : أي الأمر كذلك ما أتى الذين من قبل قومك يا محمد من رسول.

إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ : أي هو ساحر أو مجنون.

أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ : أي أتواصت الأمم كل أمة توصي التي بعدها بقولهم للرسول: هو ساحر أو مجنون؟ والجواب: لا! أي لم يتواصوا بل هم قوم طاغون يجمعهم على قولهم هذا الطغيان.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ : أي أعرض عنهم يا رسولنا؛ فما أنت بملوم؛ لأنك بلغتهم فأبرأت ذمتك.

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ : أي عظ بالقرآن يا رسولنا، فإن الذكرى بمعنى التذكير ينفع المؤمنين، أي من علم الله أنه يؤمن.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ : أي خلقتهم لأجل أن يعبدون فمن عبدني أكرمته ومن ترك عبادتي أهنته.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ : أي لا لي ولا لأنفسهم ولا لغيرهم.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ : أي لا أريد منهم ما يريد أرباب العبيد من عبيدهم هذا يجمع المال وهذا يعد الطعام، فالله هو الذي يرزقهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ : أي صاحب القوة المتين الشديد الذي لا يعجزه شيء.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا﴾[1] ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ : أي نصيبًا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين ماتوا على الكفر.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩﴾ : أي فلا يطالبوني بالعذاب فإن له موعدًا لا يخلفونه.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ : أي يوم القيامة.

❁❁❁❁

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿ذَنُوبًا﴾ إشارة إلىٰ ما حصل لصناديد قريش؛ إذ بعد قتلهم ألقوا في قليب ببدر، فكان ذلك مصداق قوله: (فإن للذين كفروا ذنوبًا) وهي الدلو الملأىٰ فعجبًا لهذا القرآن العظيم.

٥٢- سُورَةُ الطُّورِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾: أي والجبل الذي كلم الله عز وجل عليه موسىٰ عليه السلام(١).

وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾: أي وقرآن مكتوب.

فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾: أي في جلد رقيق أو ورق منشور، أي: مبسوط.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾: أي بالملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا(٢).

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾: أي السماء التي هي كالسقف المرفوع للأرض.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾: أي المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض(٣). ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾.

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾: أي تتحرك وتدور. ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

---

(١) (الطور) الجبل باللغة السريانية ونقل إلىٰ العربية بهذا اللفظ بمعنىٰ الجبل، وأصبح علمًا بالغلبة علىٰ جبل طور سيناء الذي ناجىٰ الله تعالىٰ فيه نبيه موسىٰ عليه السلام.

(٢) وهو بيت في السماء تغشاه الملائكة كل يوم وتعمره بالعبادة وهو بحيال الكعبة حيث لو وقع لوقع فوقها.

(٣) **قال ابن كثير** رحمه الله: وقوله تعالىٰ: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش الذي يُنزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر (قلت أنا أبو ذر القلموني- وأعوذ بالله من هذه الكلمة مادحًا-: ولا منافاة بين القولين في أن يكون المقصود من البحر المسجور: الماء الذي تحت العرش وهذا البحر، وليس هذا بغريب في القرآن خاصة في الترهيب، فقد قال الله تعالىٰ في سورة القمر ترهيبًا للبشر: إن هم عتوا عن أمر ربهم وبين كيف كان هلاك قوم نوح عليه السلام قال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ فكان الهلاك بماءين: ماء نازل من السماء وماء متفجر من الأرض، فإذا كان هذا في الدنيا فإن مثله في الآخرة خاصة ما يتصل بعلامات الساعة يكون آكد، والله أعلم.

ثم قال الإمام ابن كثير رحمه الله: واختلف في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة نارًا كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ أي أضرمت فتصير نارًا تتأجج محيطة بأهل الموقف، وروي عن علي وابن عباس: وقال العلاء بن بدر: إنما سجر البحر المسجور؛ لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقىٰ به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعني: المرسل. وقال قتادة: ﴿الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، واختاره ابن جرير. وقيل: المراد بـ﴿الْمَسْجُورِ﴾ الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها، قاله ابن عباس وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله أن ينفتح عليهم فيكفه الله عز وجل**» اهـ (قل).

﴿١١﴾.

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ : أي في باطل يلعبون أي يتشاغلون بكفرهم.

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ : أي يدعون بعنف. ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ : أي العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في القرآن.

أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ : أي أم عدمتم الأبصار فأنتم لا تبصرون؟

ٱصْلَوْهَا : أي اشقوا واكتووا بحرها.

فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ : أي صبركم وعدمه عليكم سواء. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم، فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي. ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾.

فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ : أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة التي آتاهم ربهم.

وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ : أي وحفظهم من عذاب الجحيم عذاب النار. ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾(1).

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ : أي بعضها إلىٰ جانب بعض.

وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ : أي قرناهم بنساء عظام الأعين حسانها.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : أي حق الإيمان المستلزم للإسلام والإحسان.

وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ : أي كامل مستوفٍ لشرائطه ومنها الإسلام.

أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : أي وإن لم يعملوا عملهم بل قصّروا في ذلك.

وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ : أي وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئًا.

كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ : أي كل إنسان مرهون أي محبوس بكسبه الباطل. ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا : أي يتعاطون بينهم فيها أي في الجنة كأسًا من خمر.

لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ : أي لا يقع لهم بسبب شربها لغو وهو: كل كلام لا خير فيه، ولا إثم.

۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ : أي ويدور بهم خدم لهم.

كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ : أي مصون.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ : أي يسأل بعضهم بعضًا عما كانوا عليه في الدنيا، وما وصلوا

---

(1) الهنيء: ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر يقال لهم: ليهنأكم ما صرتم إليه ﴿هَنِيٓـًٔا﴾.

إليه في الآخرة.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ﴾: أي قالوا مشيرين إلىٰ علة سعادتهم: إنا كنا قبل أي: في الدنيا.

﴿فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾: أي بين أهلنا وأولادنا مشفقين: أي خائفين من عذاب الله تعالىٰ.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾: أي بالمغفرة.

﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾: أي وحفظنا من عذاب النار التي يدخل حرها في مسام الجسم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُ﴾: أي في الدنيا نعبده موحدين له.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾: أي المحسن الصادق في وعده، الرحيم العظيم الرحمة.

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ﴾: أي فذكر بالقرآن وعظ من أرسلت إليهم من قومك وغيرهم، فلست بنعمة ربك عليك بالعقل وكمال الخلق والوحي إليك..

﴿بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾: أي بمتعاطٍ للكهانة فتخبر عن الغيب بواسطة رِئي من الجن، ولا أنت بمجنون.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾: أي ننتظر به حوادث الدهر من موت وغيره. ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١﴾[1].

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ﴾: أي أتأمرهم أحلامهم-: أي-عقولهم بهذا أو هو قولهم: إنك كاهن ومجنون لم تأمرهم عقولهم به.

﴿أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢﴾: أي بل هم قوم طاغون أي متجاوزون لكل حد تقف عنده العقول.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ﴾: أي اختلق القرآن وكذبه من تلقاء نفسه. ﴿بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾.

﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾: أي فليأتوا بقرآن مثله يختلقونه بأنفسهم.

﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾: أي في أن محمدًا ﷺ اختلق القرآن.

﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾: أي من غير خالق خلقهم وهذا باطل.

﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥﴾: أي لأنفسهم وهذا محال إذ الشيء لا يسبق وجوده.

﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ﴾: أي لم يخلقوهما؛ لأن العجز عن خلق أنفسهم دال علىٰ عجزهم عن خلق غيرهم.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾: أي أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض كما يقولون؛ إذ لو كانوا موقنين لما عبدوا غير الله ولآمنوا برسوله ﷺ.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: أي من الرزق والنبوة وغيرهما فيخصوا من شاءوا بذلك من الناس.

---

(١) أمر الله رسوله أن يقول لهم: ﴿تَرَبَّصُواْ﴾ بي ريب المنون؛ فإني متربص بكم ما سيحدث لكم من أحداث تهلكون فيها، وفي هذا معنىٰ المفاصلة وإنهاء الجدال والمخاصمة.

أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾: أي المتسلطون الغالبون فيتصرفوا كيف شاءوا.

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ: أي ألهم مرقًىٰ إلىٰ السماء يرقون فيه، فيسمعوا كلام الملائكة فيأتوا به ويعارضوا الرسول في كلامه.

فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾: أي بحجة بينة تدل علىٰ صدقه[1] وليس لهم في ذلك كله شيء.

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾: أي أله تعالىٰ البنات ولكم البنون؟ إن أقوالكم كلها من هذا النوع لا واقع لها أبدًا إنها افتراءات.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا: أي علىٰ إبلاغ دعوتك.

فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾: أي فهم من فداحة الغرم مغتمون ومتعبون؛ فكرهوا ما تقول لذلك.

أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾: أي علم الغيب فهم يكتبون منه لينازعوك ويجادلوك به.

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا: أي مكرًا وخديعة بك وبالدين.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾: أي فالكافرون هم المكيدون المغلوبون.

أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ: أي ألهم معبود غير الله؟ والجواب: لا.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾: أي تنزه الله عما يشركون به من أصنام وأوثان.

وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا: أي وإن ير هؤلاء المشركون قطعة من السماء تسقط عليهم.

يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾: أي يقولوا في القطعة: سحاب متراكم يمطرنا ولا يؤمنوا.

فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ[2] ﴿٤٥﴾: أي فاتركهم إذًا يجاحدون ويعاندون حتىٰ يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم موتهم.

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾: أي اتركهم إلىٰ ما ينتظرهم من العذاب ماداموا مصرين علىٰ الكفر وذلك يوم لا يغني عنهم مكرهم بك شيئًا من الإغناء.

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ: أي وإن لهؤلاء للمشركين الظلمة عذابًا في الدنيا دون عذاب يوم القيامة وهو عذاب القحط سبع سنين، وعذاب القتل في بدر.

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾: أي إن العذاب نازل بهم في الدنيا قبل يوم القيامة.

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ: أي بإمهالهم ولا يضيق صدرك بكفرهم وعنادهم وعدم تعجيل العذاب لهم.

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا: أي بمرأىٰ منا نراك ونحفظك من كيدهم لك ومكرهم بك.

---

(١) صدق مستمعيه.

(٢) يقال في مثل هذا: هو منسوخ بآية السيف.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[1] ﴿٤٨﴾: أي واستعن على الصبر بالتسبيح الذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها، والضراعة والدعاء صباح مساء.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ ﴿٤٩﴾: أي ومن الليل أيضًا فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر فسبح بصلاة الصبح وغيرها.

❁❁❁❁

---

(١) أي قل: سبحان الله وبحمده حين تقوم من نومك ومن مجلسك...شاهده ما رواه الترمذي بإسناد حسن قوله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك».

٥٣- سُورَةُ النَّجْمِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾: أي والثريا إذا غابت بعد طلوعها.

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ: أي ما ضلَّ محمد ﷺ عن طريق الهدىٰ.

وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾: أي وما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد.

وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾: أي عن هوىٰ نفسه، أي: ما يقوله عن الله تعالىٰ لم يصدر فيه عن هوىٰ نفسه.

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾: أي ما هو إلا وحي إلهي يوحىٰ إليه.

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾: أي علمه ملك شديد القوىٰ وهو جبريل ﷺ.

ذُو مِرَّةٍ: أي لسلامة في جسمه وعقله فكان بذلك ذا قوة شديدة.

فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾: أي استقر وهو بأفق الشمس عند مطلعها علىٰ صورته التي خلقه الله عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بجياد قد سد الأفق إلىٰ المغرب، وكان النبي ﷺ هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه في صورته التي خلقه الله عليها.

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾: أي وقرب منه فتدلىٰ أي زاد في القرب.

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾: أي فكان في القرب قاب قوسين أي مقدار قوسين.

فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ[1] ﴿١٠﴾: أي فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ عبده جبريل ما أوحاه جبريل إلىٰ النبي ﷺ.

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾: أي ما كذب فؤاد النبي ما رأىٰ ببصره من صورة جبريل ﷺ.

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾: أي أفتجادلونه أيها المشركون علىٰ ما يرىٰ من صورة جبريل.

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾: أي علىٰ صورته مرة أخرىٰ، وذلك في السماء ليلة أسري به.

عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾: وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة.

عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾: أي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين أولياء الله.

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾: أي من نور الله تعالىٰ ما يغشىٰ.

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾: أي ما مال بصر محمد يمينًا ولا شمالًا، ولا ارتفع عن الحد الذي

---

(١) ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ إبهام من أجل التفخيم أي: أوحىٰ إليه شيئًا عظيمًا.

حدد له(١).

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ : أي رأى جبريل في صورته ورأى رفرفًا أخضر سد أفق السماء.

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ : أي أخبروني عن أصنامكم التي اشتققتم لها أسماء من أسماء الله وأنتموها.

وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾(٢) : وجعلتموها بنات لله، افتراءً على الله وكذبًا عليه.

أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ : أي أتزعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه لأنفسكم، ولله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم.

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ : أي قسمتكم هذه إذًا قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة ناقصة غير تامة.

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ : أي ما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء لا حقيقة لها.

أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم : أي سميتموها بها أنتم وآباؤكم.

مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ : أي لم ينزل الله تعالى وحيًا يأذن في عبادتها.

إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ : أي ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب.

وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ : أي وما يتبعون إلا ما تهواه نفوسهم وما تميل إليه شهواتهم. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن

---

(١) جاء في مدارج السالكين: لابن القيم رحمه الله جـ٢/ ٣٨٢: ٣٨٣: (وجرت عادة القوم أن يذكروا في هذا المقام قوله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ وأبو القاسم القشيري صدر باب الأدب بهذه الآية. وكذلك غيره، كأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانبًا ولا تجاوز ما رآه وهذا كمال الأدب؛ والإخلال به: أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله أو يتطلع أمام المنظور، فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكمال إقبال الناظر إلى المنظور: أن لا يصدف بصدره يمنة ولا يَسرة ولا يتجاوزه. هذا معنى ما حصلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه. وفي هذه الآية أسرار عجيبة. إلى أن قال رحمه الله: ...فلم يزغ قلبه التفاتًا عن الله إلى غيره، ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي أقيم فيه، وهذا غاية الكمال والأدب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه، فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام رفيع أن تتطلع إلى ما هو أعلى منه فوقه، ألا ترى أن موسى ﷺ لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسه الرؤية؟ ونبينا ﷺ لما أقيم في ذلك المقام وفّاه حقه فلم يلتفت بصره ولا قلبه إلى غير ما أقيم فيه ألبتة؟ ولأجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مداد حتى جاوز السموات السبع حتى عاتب موسى ربه فيه، وقال: «يقول بنو إسرائيل: إني كريم الخلق على الله وهذا قد جاوزني وخلّفني علوًّا، فلو أنه وحده؟ ولكن معه أمته». وفي رواية للبخاري: «فلما جاوزته بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أن غلامًا بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» ثم جاوزه علوًّا فلم تعقه إرادة، ولم تقف به دون كمال العبودية همة). اهـ(قل).

* يقصد ابن القيم رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ ومناة الثالثة أي للتين قبلها، و﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ الأخرى كلمة ذم في هذا الموضع أي: الأخرى في الحقارة والضعف والدناءة.

رَبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾.

أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ : أي أللإنسان ما تمنىٰ، والجواب: لا ليس له كل ما يتمنىٰ.

فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ : أي إن الآخرة والأولىٰ كلتاهما لله يهب منهما ما يشاء لمن يشاء.

۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ : أي وكثير من الملائكة في السموات.

لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا : أي لو أرادوا أن يشفعوا لأحد.

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ : حتىٰ يكون الله قد أذن لهم ورضي للمسموح له بالشفاعة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ : أي إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة.

لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ : أي ليطلقون علىٰ الملائكة أسماء الإناث إذ قالوا: بنات الله.

وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ : أي وليس لهم بذلك علم من كتاب ولا هدىٰ من نبي ولا عقل سوي.

إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ : أي في تسميتهم الملائكة إناثًا إلا مجرد الظن.

وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ : أي والظن لا تقوم به حجة ولا يعطىٰ به حق.

فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا : أي القرآن وعبادتنا. ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (١) ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ : أي خلقًا وملكًا وتصرفًا.

لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ : ليعاقب الذين أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي.

وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ : ويثيب الذين أحسنوا في إيمانهم وعملهم الصالح بالجنة.

ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ : أي يتجنبون كبائر الذنوب وهي كل ذنب وضع له حد أو لعن فاعله أو توعد عليه بالعذاب في الآخرة.

وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ : أي الذنوب القبيحة كالزنا واللواط وقذف المحصنات والبخل، واللمم صغائر الذنوب التي تكفر باجتناب كبائرها. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ : أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض.

وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ : أي وأنتم في أرحام أمهاتكم لم تولدوا بعد.

فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ : أي فلا تمدحوها علىٰ سبيل الفخر والإعجاب.

هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ : أي منكم، وبمن فجر فلا حاجة إلىٰ ذكر ذلك منكم.

أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ : أي عن الإسلام بعدما قارب أن يدخل فيه.

وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ : أي أعطىٰ من زعم أنه يتحمل عنه عذاب الآخرة، أعطاه ما وعده من

---

(١) قال الفراء: صغرهم وازدرىٰ بهم أي: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا علىٰ الآخرة.

المال، ثم منع.

أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ : أي يعلم أن غيره يتحمل عنه العذاب، والجواب: لا.

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ : أي أم لم يخبر بما ورد في الصحف المذكورة وهي التوراة وعشر صحف كانت لإبراهيم عليه السلام.

أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ : أي إنه لا تحمل نفس مذنبة ذنب غيرها.

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ : أي من خير وشر، وليس له ولا عليه من سعي غيره شيء.

وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ : أي يبصر يوم القيامة ويراه بنفسه.

ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ : أي الأكمل التام الذي لا نقص فيه.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ : أي المرجع والمصير إليه ينتهي أمر عباده بعد الموت ويجازيهم.

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ : أي أفرح من شاء فأضحكه، وأحزن من شاء فأبكاه.

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ : أمات في الدنيا وأحيا في الآخرة.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ : أي الصنفين الذكر والأنثىٰ.

مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ : أي من مني إذا تمنىٰ تصب في الرحم.

وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ : أي الخلقة الثانية للبعث والجزاء.

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ أي وأنه هو وحده أغنىٰ بعض الناس بالكفاية، وأقنىٰ بعض الناس بالمال المقتنىٰ المدخر للقنية(١).

وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ : أي خالقها ومالكها وهو كوكب خلف الجوزاء عبده المشركون.

وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ : أي قوم هود عليه السلام.

وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ : أي أهلكها أيضًا فلم يبق منهم أحدًا وهم قوم صالح عليه السلام.

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ : أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود وقوم لوط. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾.

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ : أي وقرىٰ قوم لوط أسقطها بعد رفعها إلىٰ السماء مقلوبة إلىٰ الأرض إذ الائتفاك: الانقلاب.

فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ : أي بالعذاب ما غشىٰ حيث جعل عاليها سافلها. وأمطر عليها حجارة من سجيل.

فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ : أي فبأي أنعم ربك عليك وعلىٰ غيرك أيها الإنسان.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ أي ملّك عباده المال وجعله لهم (قنية) مقيمًا عندهم لا يحتاجون إلىٰ بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعن مجاهد ﴿أَغْنَىٰ﴾ موّل ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أخدم، وقال ابن عباس: ﴿أَغْنَىٰ﴾ أعطىٰ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: رضي. اهـ(قل).

نَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ : أي تتشكك أو تكذب.

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ : أي هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولىٰ، أي رسول مثل الرسل الأولىٰ الذين أرسلوا إلىٰ أقوامهم.

أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ : أي قربت القيامة ووصفت بالقرب لقربها فعلًا.

لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ : أي ليس لها أي للقيامة من دون الله نفس كاشفة لها مظهرة لوقتها؛ إذ لا يجليها لوقتها إلا الله سبحانه وتعالى.

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ : أي القرآن.

تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ : أي تعجبون تكذيبًا به.

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ : أي وتضحكون سخرية منه كذلك.

وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ : أي لاهون مشتغلون بالباطل من القول كالغناء، والعمل كعبادة الأصنام والأوثان.

فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ : أي الذي خلقكم ورزقكم وكلأكم ولا تسجدوا للأصنام.

وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ : أي وذلوا لله عز وجل واخضعوا له تعظيمًا ومحبة ورهبة، فإنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم غيره.

❁❁❁❁

٥٤- سورة القمر

«مكية»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ : أي قربت القيامة، وانفلق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس.

وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ: أي وإن ير كفار قريش آية -أي معجزة- يعرضوا عنها، ولا يلتفتوا إليها.

وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ : أي هذا سحر مستمر: أي قوي من المرة أو دائم غير منقطع.

وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾ : أي وكل من الخير أو الشر مستقر بأهله في الجنة أو في النار[1].

وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ: أي من أنباء الأمم السابقة مما قصه القرآن.

مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ : أي جاءهم من الأخبار ما فيه ما يزجرهم عن التكذيب والكفر لو قبلوه واتعظوا به.

حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞ : أي الذي جاءهم من الأنباء هو حكمة بالغة أي تامة.

فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ : أي عن قوم كذبوا واتبعوا أهواءهم لا تغن شيئًا.

فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ : أي لذلك فأعرض عنهم.

يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ : أي يدع الداع إلى موقف القيامة.

خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ: أي من القبور. ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾﴾.

مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ : أي مسرعين إلى نداء الداع.

يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾ : أي صعب شديد.

۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ : أي كذبوا نوحًا عبد الله ورسوله، وقالوا: هو مجنون.

وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ : أي انتهروه وزجروه بالسب والشتم.

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ : أي فسأل ربه قائلًا: ﴿أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾﴾ : أي لي.

فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ : أي منصب انصبابًا شديدًا.

وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا : أي تنبع نبعًا.

---

(١) وجائز أن يكون ﴿مُّسۡتَقِرّٞ﴾ في أم الكتاب: كائن لا محالة، أو أن أمر النبي ﷺ إلى استقرار بانتصاره على الباطل وأهله؛ فيكون في الخبر بشرى للنبي ﷺ.

فَالْتَقَى الْمَاءُ : أي ماء السماء وماء الأرض.

عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ : أي في الأزل ليغرقوا فيه فيهلكوا.

وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ : أي حملنا نوحًا علىٰ سفينة ذات ألواح ودسر، وهو ما يدسر به الألواح من مسامير وغيرها، واحد الدسر: دسار ككتاب.

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا : أي بمرأىٰ منا أي محفوظة بحفظنا لها.

جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ : أي أغرقناهم انتصارًا لمن كان كُفِر وهو نوح عليه السلام كفروا نبوته.

وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا : أي إغراقنا لهم علىٰ الصورة التي تمت عليها.

آيَةً : أي لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر حتىٰ اليوم.

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ : أي معتبر متعظ بها.

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ : أي ألم يكن واقعًا موقعه.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ : أي سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكير.

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ : أي فهل من متعظ به حافظ له متذكر.

كَذَّبَتْ عَادٌ : أي نبيها هودًا عليه السلام فلم تؤمن به، ولا بما جاء به.

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم، وإنذاري لهم كان أشد ما يكون.

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا : أي ريحًا عاتية ذات صوت شديد.

فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ : أي في يوم نحس: أي شؤم مستمر دائم الشؤم: قويُّه حتىٰ هلكوا.

تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ : أي تقتلعهم من الحفر التي اندسوا فيها وتصرعهم فتدق رقابهم.

نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ : منفصلة أجسامهم كأنهم والحال كذلك أعجاز أي أصول نخل منقلع.﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ﴾.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ : أي سهلنا القرآن للحفظ والتذكير والتذكر به.

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ : أي تذكروا يا عباد الله بالقرآن، فإن مُنزله سهَّله للتذكير.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ : أي كذبت قبيلة ثمود وهم قوم صالح بالحجر من الحجاز بالرسل؛ لأن النذر جمع نذير وهو الرسول كما هو هنا.

فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ : أي كيف نتبع بشرًا واحدًا منا إنكارًا منهم للإيمان بصالح عليه السلام[1].

إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ : أي إنا إذا اتبعناه فيما جاء به لفي ذهاب عن الصواب وجنون.

أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا : أي لم يوح إليه من بيننا أبدًا وإنما هو كذَّاب أشر.

---

(١) أي: أنتبع فردًا ونترك جماعة؟

بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ : أي فيما ادعىٰ أنه ألقي إليه من الوحي أشر متكبر.

سَيَعْلَمُونَ غَدًا : أي في الآخرة.

مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ : وهو: هم المعذبون يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.

إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ : أي إنا مخرجو الناقة من الصخر ومرسلوها لهم محنة.

فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ : أي انتظر وراقب ماذا يصنعون، وما يصنع بهم، واصبر علىٰ أذاهم.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ : أي ماء بئرهم مقسوم بينهم وبين الناقة، فيوم لها ويوم لهم.

كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ : أي كل نصيب من الماء يحضره قومه المختصون به: الناقة أو ثمود.

فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ : أي فملوا ذلك الشرب وسئموا منه فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف ليقتلها؟ فتعاطىٰ السيف وتناوله فعقر الناقة أي قتلها.﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾﴾.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً : هي صيحة جبريل صباح السبت فهلكوا.

فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ : أي صاروا بعد هلاكهم وتمزق أجسادهم كهشيم المحتظر: وهو الرجل يجعل في حظيرة غنمه العشب اليابس والعيدان الرقيقة يحظر بها لغنمه يحفظها من البرد ومن الذئاب.﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ : كذبت[1] قوم لوط بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها لوط عليه السلام.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا : أي ريحًا ترميهم بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة فهلكوا.

إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ : أي بنتاه وهو معهم نجاهم الله عز وجل من العذاب؛ حيث غادروا البلاد قبل نزول العذاب بها.

نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ : أي إنعامًا منا عليهم، ورحمة منا بهم.

كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ : أي مثل هذا الجزاء بالنجاة من الهلاك نجزي من شكرنا بالإيمان والطاعة.

وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا : أنذرهم لوط أي خوفهم أخذتنا إياهم بالعذاب.

فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ : أي فتجادلوا وكذبوا بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها.

وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ : أي أن يخلي بينهم وبين ضيفه وهم ملائكة ليخبثوا بهم، وذلك بإتيانهم الفاحشة.

فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ : أي ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فكانت كباقي وجوههم.﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾.

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ : أي نزل بهم بكرة صباحًا عذاب مستقر لا يفارقهم أبدًا

(١) بعضهم يرويها بالذال المعجمة، وبعضهم يرويها بالدال المهملة.

هلكوا به في الدنيا، ويصحبهم في البرزخ ويلازمهم في الآخرة. ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾.

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ : أي سهلناه للحفظ والتذكر به والعمل بما فيه.

فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ : أي من متذكر فيعمل بما فيه فينجو من النار ويسعد في الجنة.

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ : أي قوم فرعون الإنذارات على لسان موسى وهارون عليهما السلام.

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا : أي فلم يؤمنوا بل كذبوا بآياتنا التسع[1] التي آتيناها موسى.

فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ : أي فأخذناهم بالعذاب وهو الغرق أخذ قوي مقتدر على كل شيء لا يعجزه شيء.

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ : أي أكفاركم يا قريش خير من أولئكم الكفار المذكورين من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون وملئه؟ فلذا هم لا يعذبون!

أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ : أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب في الزبر أي الكتب الإلهية.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ : أم يقولون: أي كفار قريش: نحن جميع أي جمع منتصر على محمد وأصحابه.

سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ : أي سيهزم جمعهم ويولون الدبر هاربين منهزمين، وكذلك كان في بدر.

بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ : أي الساعة موعدهم بالعذاب، والمراد من الساعة يوم القيامة.

وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ : أي وعذاب الساعة وأهوالها أدهى؛ أي: أعظم بلية، وأمر: أي أشد مرارة من عذاب الدنيا قطعًا.

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في ضلال في الدنيا، ونار مستعرة في الآخرة.

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ : أي يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال لهم: ذوقوا مس سقر جهنم[2].

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ : أي إنا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بكتابته في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض، فهو يقع كما كتب كمية وصورة وزمانًا ومكانًا لا يتخلف في شيء من ذلك.

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ : أي وما أمرنا إذا أردنا خلق شيء إلا أمرة واحدة فيتم وجوده.

---

(١) خمس منها في آية الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾. والأربع الأخرى هي انقلاب العصا حية، وخروج يده من جيبه بيضاء كفلقة القمر، وسنو القحط، والطمس على الأموال وانفلاق البحر، فهذه تسع الآيات التي كذبوا بها كلها.

(٢) ﴿سَقَرَ﴾ قال عطاء: سقر: الطبق السادس من جهنم، ومسها: هو ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها.

كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾: الشيء بسرعة كلمح البصر وهو النظر بعجلة.

وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ : أي ولقد أهلكنا أمثالكم أيها المشركون من الأمم السابقة.

فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾: أي فاذكروا واتعظوا بهذا خير لكم من هذا الإعراض.

وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾: أي وكل ما فعله العباد هو مسجل في كتب الحفظة من الملائكة.

وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾: أي وكل صغير وكبير من سائر الأعمال و الأحداث في اللوح المحفوظ مستطر مكتوب.

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾: إن الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره، في جنات يشربون من أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المصفىٰ.

فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ: أي في مجلس حق لا لغو به ولا تأثيم.

عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾: عند مليك أي ذلك ملك مقتدر علىٰ ما يشاء وهو الله جَلَّ جَلَالُهُ.

❁❁❁❁

٥٥- سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾: اسم من أسماء الله تعالىٰ.

عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾: أي علم من شاء من عباده القرآن.

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾: آدم كما خلق ذريته أيضًا.

عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾: أي علم آدم البيان الذي هو النطق والإعراب عما في النفس بلغة من اللغات، كل هذا تعليم الله عَزَّوَجَلَّ ولولا الله ما نطق إنسان.

ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾: أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما.

وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾: النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق، يسجدان يخضعان لله تعالىٰ بما يريد منهما في طواعية كالسجود من المكلفين.

وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا: أي فوق الأرض وأعلاها.

وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾: أي أثبت العدل بين العباد أمر به وألهم صنع آلته[1].

أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾: أي لأجل أن لا تجوروا في الميزان وهو ما يوزن به من آلات.

وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ: أي بالعدل.

وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾: أي لا تنقصوا الموزون الذي تزنونه بل وفوه.

وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾: أي أثبتها وخفضها، كما رفع السماء وأعلاها للأنام لحياة الأنام عليها، وهم الإنس والجن والحيوان وكل ذي رُوح.

فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾: أي في الأرض فاكهة وهي كل ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه الكثيرة، والنخل ذات الأكمام وهي أوعية طلعها.

وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ: أي وفي الأرض الحب من بُر وشعير وعصفه: تبنه.

وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾: نبت معروف، والمراد به أنواع الرياحين المشمومة ذات الريح الطيب.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾: أي فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ؟ والجواب: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.

خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾: أي خلق آدم من طين يابس يسمع له صلصلة

---

(١) ﴿وَوَضَعَ﴾ بمعنىٰ جعل.

كالفخار وهو ما طبخ من الطين.

وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾: أي أبا الجن من لهب النار الخالص من الدخان وهو مختلط أحمر وأزرق وأصفر. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾.

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾: أي مشرق الشتاء، ومشرق الصيف أي مطلع طلوع الشمس فيهما: وكذا المغربين في الصيف والشتاء. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾: أي أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان في رأي العين.

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾: أي بينهما حاجز لا يبغي أحدهما على الآخر فيختلط به. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾.

يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (١) ﴿٢٢﴾: أي يخرج من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح اللؤلؤ، والمرجان وهو خرز أحمر، وهو صغار اللؤلؤ. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾.

وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾: أي السفن المحدثات في البحر كالأعلام أي كالجبال عظمًا وارتفاعًا. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾: أي كل من على الأرض من إنسان وحيوان وجان فان: أي هالك.

وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ: أي ذاته ووجه سبحانه.

ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾: أي العظمة والإنعام على عباده عامة والمؤمنين خاصة. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾.

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ: أي يسألونه حاجاتهم التي تتوقف عليها حياتهم من الرزق والقوة على العبادة، والمغفرة للذنب، والعزة من الرب.

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾: أي كل وقت هو في شأن: شئون يبديها وفق تقديره لها ويضع أخرى. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ (٢): أي لحسابكم ومجازاتكم بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا ونجزي كلًا بما عمل. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٣).

---

(١) اختلف في تحديد كل من اللؤلؤ والمرجان، فمن قائل: اللؤلؤ كباره والمرجان صغاره، وقيل المرجان: الخرز الأحمر، وقيل: المرجان عظام اللؤلؤ وكباره.

(٢) قيل في الإنس والجن: الثقلان لأنهما أُثقلا وأُتعبا بالتكاليف.

التفرغ للأمر: كناية عن الاشتغال به والعناية به دون غيره ﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾ تثنية ثقل، وهل سمي الإنسان ثقلًا لأنه محمول على الأرض؟ والصحيح أن الإنسان والجن سميا بالثقلين لإثقا لهما بالتكاليف من باب تسمية الشيء بعمله كتسمية العصفور طائرًا لأنه يطير.

(٣) المعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد.

إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ : أي إن قدرتم على أن تخرجوا.

مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي من نواحي السموات والأرض.

فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ : أي فاخرجوا لا تنفذون إلا بقوة، ولا قوة لكم، وهذا تعجيز لهم، يتحدَّون الرحمن وهم يساقون إلى ساحة فصل القضاء (يوم القيامة). ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾.

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ : أي من لهب النار الخالص الذي لا دخان فيه.

وَنُحَاسٌ : أي دخان لا لهب فيه، ولا يبعد أن يكون نُحاسًا مذابًا.

فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ : أي لا تمتنعان من السوق إلى المحشر. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ : أي انفتحت أبوابًا لنزول الملائكة إلى الأرض لتسوق الخلائق إلى المحشر.

فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾: أي السماء محمرة احمرار الأديم أو الفرس الأحمر، وذابت فكانت كالدهان في صفائها وذوبانها. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾.

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾: أي يوم يخرجون من قبورهم لا يسألون عن ذنوبهم، لما لهم من علامات كاسوداد الوجوه، وبياضها ويسألون عن الحساب. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾.

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ: أي سواد الوجوه وزرقة العيون.

فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾: أي تضم ناصية المجرم إلى قدميه ويؤخذ فيلقى في جهنم. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾.

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا: أي يقال لهم توبيخًا وتبكيتًا: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون في الدنيا.

ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾: أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي.

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾: أي يسعون مترددين بينها وبين ماء حار قد انتهت حرارته إلى حد لا مزيد عليه، وهو الحميم الآنُ يُسقونه إذا عطشوا واستغاثوا يطلبون الماء لإرواء غُلتهم العطشة. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾: أي ولمن خاف الوقوف بين يدي الله في عرصات القيامة فآمن واتقى جنتان. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾.

ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾: أي أغصان من شأنها أن تورق وتثمر وتمد الظل[1]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

---

(١) يطلق الفنن على اللون وعلى الغصن فأفنان الفاكهة: ألوانها المختلفة، وأفنان الشجر أغصانه.

﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾.

فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾: أي من كل ما يتفكه به من أنواع الفواكه صنفان.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾.

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ: أي بطائن الفرش من إستبرق(١) وهو ما غلظ من الديباج، والظهائر من السندس وهو ما رق من الديباج الذي هو الحرير.

وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾: أي وما يجنىٰ من ثمار الجنة دانٍ قريب التناول يناله القائم والقاعد.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾.

فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ: أي قاصرات النظر بأعينهن علىٰ أزواجهن فقط(٢).

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾: أي لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾.

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾: أي كأنهن في جمالهن الياقوت في صفائه، والمرجان: اللؤلؤ الأبيض.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾.

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾: أي ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالنعيم.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾.

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾: أي ومن دون تينيك الجنتين جنتان أخريان لمن خاف مقام ربه.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾.

مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾: أي مسودتان من شدة خضرتهما.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾.

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾: أي فوّارتان دائمًا وأبدًا تفوران بالماء العذب الزلال.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾.

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾: أي في الجنات الأربع، نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾﴾.

حُورٌ: أي أولئك الخيرات حور أي بيض والواحدة حوراء أي بيضاء.

مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾: أي مستورات محبوسات علىٰ أزواجهن في الخيام، والخيمة من در مجوف مضافة إلىٰ القصور، وطول الخيمة الواحدة ستون ميلًا.﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾.

لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾: أي لم يجامعهن فيفتض بكارتهن قبل أزواجهن في الجنة

---

(١) البطائن: جمع بطانة بكسر الباء مشتقة من البطن خلاف الظهر وضد البطانة الظهارة، فالبطانة: أسفل الثوب والظهارة: ظهره.

(٢) هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللائي كن لهم في الدنيا، إذ مسهن أزواجهن، والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا.

أحد. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ ﴾.

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ : أي على وسائد أو بسط الواحدة رفرفة، خضر جمع أخضر.

وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ [1] ﴿٧٦﴾ : أي طنافس جمع طنفسة بساط له خمل رقيق أي بسط حسان. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ ﴾.

تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ: أي تقدس وكثرت بركة اسم ربك الرحمن.

ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾ : أي ذي العظمة والإكرام لأوليائه والإحسان إلىٰ عباده.

❁❁❁❁

---

(١) العبقري: وصف لكل ما كان فائقًا في صفته عزيز الوجود، وهو نسبة إلىٰ عبقر اسم بلاد الجن في معتقد العرب فنسبوا إليه كل ما تجاوز العادة في الإتقان والحسن.

٥٦- سُورَةُ الوَاقِعَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾: أي قامت القيامة وقيل فيها: الواقعة؛ لأنها واقعة لا محالة.

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾: أي نفس تكذب بها بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾: أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾: أي حركت حركة شديدة.

وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾: أي فتت تفتيتًا.

فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾: أي غبارًا منتشرًا.

وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾: أي في القيامة أصنافًا ثلاثة.

فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم.

مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾: أي تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ: أي الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم.

مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾: أي تحقير لشأنهم بدخولهم النار.

وَالسَّابِقُونَ: أي إلى الخير وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة في أول الدعوة.

السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾: تعظيم لشأنهم.

أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾: أي هم المقربون الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.

فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾: في بساتين النعيم الدائم.

ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾: أي جماعة من الأمم الماضية.

وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾: أي من أمة محمد ﷺ هؤلاء هم السابقون(١).

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾: أي منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر. ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي من هذه الأمة...). اهـ (قل).

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ : أي علىٰ شكل الأولاد لا يهرمون فيخدموهم أبدًا.

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ : يطوف عليهم الولدان الخدم بأكواب وهي أقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا وخراطيم.

وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ : أي وإناء لشرب الخمر ومعين بمعنىٰ جارية من نهر لا ينقطع أبدًا.

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا : أي لا يحصل لهم من شربها صداع.

وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ : أي ولا تذهب عقولهم يقال: نزف الشارب وأنزف إذا ذهب عقله بالسكر.

وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ : أي ويختارون منها ما يروق لهم ويعجبهم وإن كانت كلها معجبة. ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾.

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ : أي ولهم نساء بيض، عين أي واسعة الأعين وشديدات سواد العيون وبياضها.

كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ : أي أولئك الحور العين هن في جمالهن وصفائهن كأمثال اللؤلؤ المصون. ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ : أي لا يسمعون في الجنة لغوًا أي فاحش الكلام، وما لا خير فيه ولا ما يوقع في الإثم[1].

إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ : إلا قولًا سلامًا سلامًا: أي لا يسمعون إلا السلام من الملائكة ومن بعضهم لبعض.

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ : هذا شروع في ذكر الزوج الثاني من الأزواج الثلاثة، فذكر السابقين وما أعد لهم، وهذا ذكر لأصحاب اليمين وما أعد لهم من نعيم مقيم.

فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ : في شجر السدر وثمرة النبق، ومخضود لا شوك فيه.

وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ : أي شجر موز منضود الحمل من أعلاه إلىٰ أسفله فليس له ساق بارزة.

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ : أي دائم إذ لا شمس تنسخه، وإن ظل شجرة في الجنة يسير الراكب فيه مائة سنة لا يقطعه.

وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ : أي مصبوب لا يحتاج المتنعم بأن يصبه بيده بل هو سائل في غير أخدود أو أنبوب. ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾.

لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ : أي غير مقطوعة في زمن، ولا ممنوعة بثمن.

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ : أي علىٰ السرر العالية الرفيعة.

---

(١) اللغو من الكلام في الدنيا هو: ما لا يحصل حسنة للمعاد ولا درهمًا للمعاش، وفي الآخرة هو ما لا يسر من كل قول؛ إذ الحياة: حياة سعادة وسرور وحبور.

إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ : أي الحور العين اللائي تقدم ذكرهن في قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾. إذ كانت الواحدة منهن في الدنيا عجوزًا شمطاء عمشاء رمصاء فأنشأها ربها إنشاءً جديدًا، بكرًا تتغنج وتتعشق، عرباء تتودد لزوجها وتتحبب.

فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ : الواحدة بكر وهي التي لم تفتض بكارتها بعد وتسمىٰ العذراء.

عُرُبًا : الواحدة عروب وهي المتحببة إلىٰ زوجها الحسنة التبعل.

أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ : أي مستويات في السن الواحدة يقال لها: ترب والجمع أتراب.

لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ : وهم الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين، وهم أهل الإيمان في الدنيا والعمل الصالح فيها.

ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ : أي من الأمم السابقة.

وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ : أي من أمة محمد ﷺ.

وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ : أي هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال في الموقف يوم القيامة وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا.

فِي سَمُومٖ : أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسد.

وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ : أي ماء حار شديد الحرارة.

وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ : أي دخان شديد السواد.

لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ : أي لا بارد كغيره من الظلال، ولا كريم حسن المنظر.

إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ : أي في الدنيا.

مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ : أي منعمين لا ينهضون بالتكاليف الشرعية ولا يتعبون في طاعة الله ورسوله.

وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ : أي الذنب العظيم وهو الشرك.

وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا : أي وكانوا ينكرون البعث الآخر.﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ : أي لوقت يوم معلوم وهو يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ : أي الضالون عن طريق الهدىٰ المكذبون بالبعث والجزاء.

لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ : أي من أخبث الشجر المر في غاية الكراهة والبشاعة طعمًا ولونًا.﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾.

فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ : أي شاربون شرب الإبل العطاش، إذ الهيمان العطشان، والهيمىٰ العطشىٰ.

هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ : أي هذا ما أعد لهم من قرىٰ يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة.

نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ : أي أوجدناكم من العدم.

فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ : أي فهلَّا تصدقون بالبعث؛ إذ القادر علىٰ الإنشاء قادر علىٰ الإعادة بعد الفناء والبلىٰ.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ : أي الذي تصبونه من المني بالجماع في أرحام نسائكم.

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ : أي بشرًا أم نحن الخالقون له بشرًا.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ : أي قضينا به عليكم وكتبناه عليكم وجعلنا لكل واحد أجلًا معينًا لا يتعداه ولا يتأخر عنه بحال من الأحوال.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ : أي بعاجزين.

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ : أي ما أنتم عليه من الخلق والصور.

وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ : أي ونوجدكم في صور لا تعلمونها، وهذا تهديد لهم بمسخهم وتحويلهم إلىٰ أبشع حيوان وأقبحه.

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ : أي ولقد علمتم خلقنا لكم كيف تم وكيف كان.

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ : فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر علىٰ إعادة خلقكم مرة أخرىٰ بعد موتكم وفنائكم.

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ : أي من إثارة الأرض بالمحراث وإلقاء البذر فيها.

ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ : أي تنبتونه.

أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ : أي نحن المنبتون له يقال زرعه الله أي أنبته[1].

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا : أي لو نشاء لجعلنا الزرع حطامًا يابسًا بعد أن أصبح سنبلًا وقارب أن يفرك فتحرموا منه.

فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ : أي تتعجبون: في مجالسكم من الجائحة التي أصابت زرعكم.

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ : أي قائلين: إنا لمغرمون أي ما أنفقناه علىٰ حرثه ورعايته معذبون به، وقيل لمعذبون كقوله تعالىٰ: ﴿**إن عذابها كان غرامًا**﴾.

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ : أي لسنا بمعذبين به وإنما نحن محرومون من زرعنا، وما بذلناه فيه ليس لنا من حظ ولا جد أي: غير محظوظين ولا مجدودين.

أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ : أي أخبرونا عن الماء الذي تشربونه وحياتكم متوقفة عليه.

ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ : أي من السحاب في السماء إلىٰ الأرض.

أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ : أي له إلىٰ الأرض.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (روي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وأمثالها، يقول: بل أنت يا رب. اهـ(قل).

لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا : أي ملحًا مرًّا لا يمكن شربه.

فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي فهلا تشكرون أي الله بالإيمان والطاعة.

أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ : أي أخبرونا عن النار التي تخرجون من الشجر.

ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ : أي خلقتم شجرتها كالمرخ والعفار والكلخ.

أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ : أي نحن المنشئون لتلك الأشجار.

نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ : أي جعلنا تلك النار تذكرة أي تذكر بنار جهنم.

وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ : أي بُلغةً للمسافرين يتبلغون بها في سفرهم.

فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ : أي نزه اسم ربك عما لا يليق به كذكره بغير احترام ولا تعظيم، أو الاسم صلة والتقدير نزه ربك عن الشريك ومن ذلك قولك: سبحان ربي العظيم.

❁ فَلَآ أُقۡسِمُ: أي فأقسم و(لا) صلة لتقوية الكلام وتأكيد القسم[١].

بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ : أي بمساقطها لغروبها وبمنازلها أيضًا ومطالعها كذلك.

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ: أي القسم بها.

لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ : أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ : أي المتلو عليكم لقرآن كريم وهو الذي كذب به[٢] المشركون.

فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ : أي مصون وهو المصحف.

لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ : أي من الملائكة والأنبياء وكل طاهر غير محدث حدثًا أكبر وأصغر[٣].

تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ : أي منزل من رب العالمين وهو الله جل جلاله.

---

(١) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين أي: فأقسم بمواقع النجوم. وقيل: هي نفي أي ليس الأمر كما تقولون ثم استأنف فقال: فأقسم كقول الرجل: لا. والله ما كان كذا وكذا، ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام سابق. وقيل: (لا) بمعنىٰ ألا أداة تنبيه.

(٢) ﴿كَرِيمٞ﴾ لما فيه من كريم الأخلاق، ومعالي الأمور ولأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه ويسعد وينجو العامل به.

(٣) جاء في فقه السنة (قال رسول الله ﷺ: (لا يمس القرآن إلا طاهر) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رواته موثقون فالحديث يدل علىٰ أنه لا يجوز مس المصحف إلا لمن كان طاهرًا؛ ولكن «الطاهر» لفظ مشترك، يطلق علىٰ الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر، ويطلق علىٰ المؤمن وعلىٰ من ليس علىٰ بدنه نجاسة، ولا بد لحمله علىٰ معين من قرينة، فلا يكون الحديث نصًّا في منع المحدث حدثًا أصغر من مس المصحف.

وأما قوله سبحانه: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ فالظاهر رجوع الضمير إلىٰ الكتاب المكنون، وهو اللوح المحفوظ، لأنه الأقرب والمطهرون الملائكة فهو كقوله سبحانه ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ وذهب ابن عباس والشعبي والضحاك وزيد بن علي والمؤيد بالله وداود وابن حزم وحماد بن أبي سليمان إلىٰ أنه يجوز للمحدث حدثًا أصغر مس المصحف. وأما القراءة له بدون مس فهي جائزة اتفاقًا. اهـ (قل).

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ : أي القرآن.

أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ : أي تلينون القول للمكذبين به ممالأة منكم لهم علىٰ التكذيب به والكفر.

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ : أي شكر الله علىٰ رزقكم.

أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ : أي تكذيبكم بسقيا الله وتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا.

فَلَوْلَآ : أي فهلَّا وهي للحض علىٰ العمل والحث عليه(١).

إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ : أي مجرىٰ الطعام وذلك وقت النزع.

وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ : أي وأنتم أيها المعرضون والعواد تنظرون إليه.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ : أي ورسلنا ملك الموت وأعوانه أقرب إلىٰ المحتضر منكم.

وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ : أي الملائكة.

فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ : أي فهلَّا إن كنتم غير مدينين أي محاسبين بعد الموت.

تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ : أي ترجعون الروح إلىٰ الجسم بعد وشوك مفارقتها له إن كنتم صادقين في أنكم لا تبعثون ولا تحاسبون.

فَأَمَّآ إِن كَانَ : أي الميت.

مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ : أي من السابقين وهو الصنف الأول من الأصناف الثلاثة التي تقدمت في أول السورة.

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ : أي استراحة وريحان أي رزق حسن وجنة نعيم.

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ : أي من الصنف الثاني.

فَسَلَٰمٌ لَّكَ : يا صاحب اليمين.

مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ : أي من إخوانك يسلمون عليك فإنهم في جنات النعيم. ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾﴾.

فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ : أي فله نزل من ماء حار شديد الحرارة.

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ : أي احتراق بها.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ : أي إن هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة لهو حق اليقين.

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ : أي نزه وقدس اسم ربك العظيم.

❁❁❁❁

(١) لم يجر للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها.

٥٧- سُورَةُ الحَدِيدِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي نزه الله تعالىٰ جميعُ ما في السموات والأرض بلسان الحال والقال.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ : أي في ملكه، الحكيم في صنعه وتدبيره.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي يملك جميع ما في السموات والأرض يتصرف كيف يشاء.

يُحْيِي وَيُمِيتُ : يحيي بعد العدم ويميت بعد الإيجاد والإحياء.

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ : وهو علىٰ فعل كل ما يشاء قدير لا يعجزه شيء.

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ : أي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ : أي الظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ : أي لا يغيب عن علمه شيء ولو كان مثقال ذرة في السموات والأرض.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ : أي من أيام الدنيا مقدرة بها أولها الأحد وآخرها الجمعة.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ : أي ارتفع عليه وعلا.

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ : أي ما يدخل في الأرض من كل ما يدخل فيها من مطر وأموات.

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا : أي من نبات ومعادن..

وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ : أي من رحمة وعذاب.

وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا : أي يصعد فيها من الأعمال الصالحة والسيئة.

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ : أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ : أي لا يخفىٰ عليه من أعمال عباده الظاهرة والباطنة شيء.

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ : أي مرد كل شيء إلىٰ الله خالقه ومدبره يحكم فيه بما يشاء.

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ : أي يدخل جزءًا من الليل في النهار وذلك في الصيف.

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : ويدخل جزءًا من النهار في الليل وذلك في الشتاء، كما يدخل كامل أحدهما في الآخر فلا يبقىٰ إلا ليل أو نهار، إذ أحدهما دخل في ثانيهما.

وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ : أي ما في الصدور من المعتقدات والأسرار والنيات.

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ : أي صدقوا بالله ورسوله يا من لم تؤمنوا بعد، واثبتوا علىٰ إيمانكم يا من آمنتم قبل.

وَأَنفِقُواْ : أي وتصدقوا في سبيل الله.

مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ : أي من المال الذي استخلفكم الله فيه، إذ هو مال من قبلكم وسيكون لمن بعدكم.

فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ : أي صدقوا بالله ورسوله وتصدقوا بأموالهم المستخلفين فيها.

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ : أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة.

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ : أي: أيُّ شيء يمنعكم من الإيمان.

وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ : أي والحال أن الرسول بنفسه يدعوكم لتؤمنوا بربكم.

وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ : أي علىٰ الإيمان به وأنتم في عالم الذر حيث أشهدكم فشهدتم.

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ : أي مريدين الإيمان فلا ترددوا وآمنوا وأسلموا تنجوا وتسعدوا.

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ : أي هو الله ربكم الذي يدعوكم رسولُه لتؤمنوا به، ينزل علىٰ عبده محمد ﷺ.

ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ : هي آيات القرآن الكريم الواضحات المعاني البينات الدلالة.

لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ : أي ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلىٰ نور الإيمان والعلم.

وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ : ويدلكم علىٰ ذلك إرسال رسوله إليكم وإنزال كتابه ليخرجكم من الظلمات إلىٰ النور.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ : أي: أيُّ شيء لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله.

وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ : أي ومن ذلك المال الذي بين أيديكم فهو عائد إلىٰ الله فأنفقوا في سبيله يؤجركم عليه. وإلا فسيعود إليه بدون أجر لكم.

لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ (١) مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ : أي لا يستوي مع من أنفق وقاتل بعد صلح الحديبية حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾.

وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ : أي الجنة، والجنة درجات. وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾.

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ : أي بإنفاقه ماله في سبيل الله الذي هو الجهاد.

قَرْضًا حَسَنًا : أي قرضًا لا يريد به غير وجه الله تعالىٰ.

فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ : أي الدرهم بسبعمائة درهم.

---

(١) جائز أن يكون المراد بالفتح، فتح مكة، وكونه صلح الحديبية أولىٰ وأرجح.

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ : أي يوم القيامة وهو الجنة دار النعيم المقيم.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾[1] : أي يتقدمهم نورهم الذي اكتسبوه بالإيمان والعمل الصالح، بمسافات بعيدة يضيء لهم الصراط الذي يجتازونه إلىٰ الجنة.

﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ : أي تقول لهم الملائكة الذين أعدوا لاستقبالهم: بشراكم. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾ : أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه.

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ﴾ : أي الذين كانوا يخفون الكفر في نفوسهم ويظهرون الإيمان والإسلام بألسنتهم.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ : أي انظروا إلينا بوجوهكم نأخذ من نوركم ما يضيء لنا الطريق.

﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ : أي يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم إلىٰ الدنيا حيث يطلب النور هناك بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي، فيرجعون وراءهم فلم يجدوا شيئًا.

﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ : أي فضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عالٍ له باب باطنه الذي هو من جهة المؤمنين الرحمة.

﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ : أي الذي من جهة المنافقين في عرصات القيامة العذاب.

﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ : أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا علىٰ الطاعات: أي فنصلي كما تصلون ونجاهد كما تجاهدون وننفق كما تنفقون.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ : أي كنتم معنا علىٰ الطاعات.

﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ : أي بالنفاق وهو كفر الباطن وبغض الإسلام والمسلمين.

﴿وَتَرَبَّصۡتُمۡ﴾ : أي الدوائر بالمسلمين، أي كنتم تنتظرون متىٰ يهزم المؤمنون فتعلنوا عن كفركم وتعودوا إلىٰ شرككم.

﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ : أي الكاذبة والأطماع في أن محمدًا لن ينتصر وأن دينه لن يظهر.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ : بنصر رسوله وإظهار دينه.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ : أي وغركم بالإيمان بالله ورسوله حيث زين لكم الكفرَ وكره إليكم

---

(١) ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم﴾ عندما يسعون هم إذ هو منهم يتقدمهم فلا ينفصل عنهم حيث إذا وقفوا وقف وإذا مشوا تقدمهم بين أيديهم.

الإيمانَ الشيطانُ.

فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ: أي مال تفدون به أنفسكم إذ لا مال يومئذٍ ينفع ولا ولد.

وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟: أي ولا فدية تقبل من الذين كفروا.

مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ: أي مستقركم ومكان إيوائكم النار وهي أولىٰ بكم لخبث نفوسكم.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾: أي مصيركم الذي صرتم إليه وهو النار.

۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟: أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح.

أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ: أي تلين وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده.

وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ: أي القرآن وما يحويه من وعد ووعيد.

وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ: أي ولا يكونوا كاليهود والنصارىٰ في الإعراض والغفلة.

فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ: أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم.

فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ: أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم، فقست لذلك قلوبهم فلم تلن لذكر الله.

وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾: أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة علىٰ ترك التذكير والإرشاد ففسق أكثرهم، فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه.

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا: أي بالغيث ينزل بها، وكذلك يحيي القلوب بالذكر والتذكير، فتلين وتخشع لذكر الله ووعده ووعيده.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾: أي بينا لكم الآيات الدالة علىٰ قدرتنا وعلمنا ولطفنا ورحمتنا، رجاء أن تعقلوا فتحفظوا أنفسكم مما يرديها ويوبقها.

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ: أي المتصدقين بفضول أموالهم والمتصدقات كذلك.

وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: أي وكانت صدقاتهم كالقرض الحسن الذي لا منة معه، والنفس طيبة به وراجية من ربها جزاءه.

يُضَٰعَفُ لَهُمْ: أي القرض، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة إلىٰ ألف ألف. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ: أي صدقوا بالله ربًا وإلهًا، وبرسله هداة ودعاة صادقين.

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ: أي الذين كتبوا عند الله صديقين وهي مرتبة شرف عالية.

وَٱلشُّهَدَآءُ (1) عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ: أي وشهداء المعارك في سبيل الله عند ربهم أي في

---

(١) اختلف في ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ هل موصول بما قبله أو مقطوع؟ فإن كان موصولًا فالصديقون والشهداء: هم المؤمنون بالله ورسوله، وللجميع أجرهم ونورهم ويكون المدح والثناء وعظم الجزاء للجميع وهي بشرىٰ لأمة محمد ﷺ، وإن كان مقطوعًا فقد فاز الشهداء بمزية لم تكن لغيرهم، وهذا ما ذهبت إليه في التفسير، وهو ما اختاره ابن جرير.

الجنة لهم أجرهم العظيم ونورهم التام يوم القيامة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا : أي كفروا بالله وتوحيده وكذبوا بالقرآن وبما حواه من الشرائع والأحكام.

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ : أي أولئك البعداء هم أهل النار الذين لا يفارقونها أبدًا.

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ : أي إن الحياة الدنيا أشبه بالأمور الخيالية، قليلة النفع سريعة الزوال.

وَزِينَةٌ : أي ما يتزين به المرء من أنواع الزينة، والزينة سريعة التغير والزوال.

وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ : أي أنها لا تخرج عن كونها لهوًا ولعبًا وزينة وتفاخرًا وتكاثرًا في الأموال والأولاد.

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ : أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها، من الدار الآخرة ونعيمها كمثل مطر أعجب الكفار: أي الزراع أعجبهم نباته أي ما نبت به من الزرع.

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا : أي ييبس فتراه مصفرًا آن أوان حصاده.

ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا : أي يتحول بسرعة إلىٰ حطام يابس يتفتت. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ : أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور لا حقيقة لها.

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ : أي سارعوا بالتوبة مسابقين غيركم لتغفر لكم ذنوبكم. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ : أي الموعود به من المغفرة والجنة.

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ : أي فلا يبعد تفضله بذلك الموعود به وإن كان عظيمًا.

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ : أي بالجدب وذهاب المال.

وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ : أي بالمرض وفقد الولد.

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا : أي في اللوح المحفوظ قبل أن نخلقها.

إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ : أي سهل ليس بالصعب.

لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ : أي لكيلا تحزنوا علىٰ ما فاتكم أي مما تحبون من الخير.

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ : أي بما أعطاكم فرح البطر، أما فرح الشكر فهو مشروع.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ : أي مختال بتكبره بما أعطي، فخور أي به علىٰ الناس.

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ : أي بما وجب عليهم أن يبذلوه.

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ : أي بمنع ما وجب عليهم عطاؤه.

وَمَن يَتَوَلَّ: أي عن الإيمان والطاعة وقبول مواعظ ربهم.
فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ: أي غني عن سائر خلقه، لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره.
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾: أي محمود بجلاله وجماله وآلائه ونعمه علىٰ عباده.
لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ: أي بالحجج والبراهين القاطعة علىٰ صدق دعوتهم.
وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ: أي وأنزل عليهم الكتب الحاوية للشرائع والأحكام.
وَٱلْمِيزَانَ: أي العدل الذي نزلت الكتب بالأمر به وتقريره.
لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ: أي لتقوم حياتهم فيما بينهم علىٰ أساس العدل.
وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ: أي في الحديد بأس شديد، والمراد آلات القتال من سيف وغيره.
وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ: أي ينتفع به الناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها.
وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ [1] مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ: أي وأنزلنا الحديد وجعلنا فيه بأسًا شديدًا، ليعلم الله من ينصره في دينه وأولياءه وينصر رسله المبلغين عنه.
بِٱلْغَيْبِ: أي وهم لا يشاهدونه بأبصارهم في الدنيا.
إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾: أي لا حاجة به إلىٰ نصرة أحد وإنما طلبها يتعبد بها عباده.
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ: أي وتالله لقد أرسلنا نوحًا، وهو الأب الثاني للبشر، وإبراهيم، وهو أبو الأنبياء.
وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ: أي التوراة والزبور والإنجيل والفرقان.
فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ: أي من أولئك الذرية أي: سالك سبيل الحق والرشاد.
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾: أي عن طاعة الله ورسله ضال في طريقه.
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا: أي أرسلنا رسولًا بعد رسول حتىٰ انتهينا إلىٰ عيسىٰ.
وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ: أي أتبعناهم بعيسىٰ ابن مريم لتأخره عنهم في الزمان. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾.
وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ: أي علىٰ دينه وهم الحواريون وأتباعهم.
رَأْفَةً وَرَحْمَةً: أي لينًا وشفقة.
وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا: أي وابتدعوا رهبانية لم يكتبها الله عليهم. وهي اعتزال النساء والانقطاع في الأديرة والصوامع للتعبد.

---

(١) هذا العلم: علم ظهور وكشف عما هو معلوم لله تعالىٰ مستور عن عباده، لا أنه علم يستجد لله تعالىٰ فإنه قد كتب ذلك في كتاب المقادير وعلمه قبل وجوده، وإنما يظهره في وقته كما كتبه فيعلمه بعد كشفه وإظهاره لتقوم الحجة به علىٰ عباده.

مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ : أي إلا طلبًا لرضوان الله عَزَّوَجَلَّ.

فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا : أي لم يلتزموا بما نذروه علىٰ أنفسهم من الطاعات.

فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ : أي فأعطينا الذين ثبتوا علىٰ إيمانهم وتقواهم أجرهم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي بعيسىٰ ابن مريم وموسىٰ من قبله[1].

ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ : أي خافوا عقاب الله وآمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه.

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ : يعطكم الله نصيبين من الأجر مقابل إيمانكم بنبيكم وبمحمد ﷺ.

وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ : أي في الدنيا إذ تعيشون علىٰ هداية الله، وفي الآخرة تمشون به علىٰ الصراط. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ[2] : أي لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون علىٰ شيء من فضل الله. واللام في لئلا مزيدة لتقوية الكلام. ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

❁❁❁❁

(١) استعمل الإيمان هنا استعمالًا لقبيًّا إذ المراد بالذين آمنوا: اليهود والنصارىٰ؛ إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه ورسله في الجملة.

(٢) أي: إلا بإذن الله؛ إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة في شعب بني إسرائيل، فلذا جحدوا نبوة ورسالة محمد ﷺ وكفروا بهما؛ فناداهم تعالىٰ بعنوان الإيمان الذي يدعونه وأمرهم بتقواه وأمرهم بترك الكذب والاحتيال وأمرهم بالإيمان برسوله وواعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا، وكان هذا إعلامًا منه تعالىٰ أن أهل الكتاب لا يقدرون علىٰ حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم فقد نبأ وأرسل من بني عمهم محمدًا ﷺ وهم كارهون منكرون مكذبون، وهم بين خيارين: إما الإيمان بمحمد ﷺ والفوز بالجنة والنجاة من النار، وإما الإصرار علىٰ إنكار رسالته والكفر مع الخسران في الحياتين، ولا يهلك علىٰ الله إلا هالك.

٥٨- سُورَةُ المجَادلَة

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا : أي تراجعك أيها النبي في شأن زوجها أوس بن الصامت.

وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ: أي وحدتها وفاقتها وصبية صغارًا إن ضمتهم إليه ضاعوا، وإن ضمتهم إليها جاعوا.

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا : أي تراجعكما أنت أيها الرسول والمحاورة لك وهي خولة بنت ثعلبة الأنصارية.

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ : أي لأقوالكما، بصير بأحوالكما.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم : أي يُحرّمون نساءهم بقول: أنت عليَّ كظهر أمي.

مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ : أي ليس هن بأمهاتهم.

إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ : ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، أو أرضعنهم.

وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا : أي وإنهم بالظهار ليقولون منكرًا من القول، وزورًا: أي كذبًا.

وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ : أي على عباده: أي ذو صفح عليهم غفور لذنوبهم إن تابوا منها.

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ : أي بأن يقول لها: أنت عليَّ كظهر أمي أو أختي ونحوها من المحارم.

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا : أي يعزمون على العودة للتي ظاهروا منها، إذ كان الظهار في الجاهلية طلاقًا.

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا : أي فالواجب عليه تحرير رقبة مؤمنة قبل أن يجامعها(١).

ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ : أي تؤمرون به فافعلوه على سبيل الوجوب. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ : أي فمن لم يجد الرقبة لانعدامها أو غلاء ثمنها فالواجب صيام شهرين متتابعين.

مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا : أي من قبل الوطء لها.

فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ : أي الصيام لمرض أو كبر سن.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فإعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا، فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان، وفي كفارة القتل (أي التي في سورة النساء) مقيدة بالإيمان. فحمل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ما أُطلق هنا على ما قُيِّد هناك لاتحاد الموجب، وهو عتق الرقبة. اهـ (قل)

﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ : أي فعليه قبل الوطء أن يطعم ستين مسكينًا، يعطي لكل مسكين مدًّا من بر أو مدين من غير البر كالتمر والشعير ونحوهما من غالب قوت أهل البلد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ : أي ما تقدم من بيان حكم الظهار الذي شرع لكم.

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : أي لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ : أي أحكام شرعه.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾ : أي وللكافرين بها الجاحدين لها عذاب أليم أي ذو ألم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما[1].

﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ : أي ذلوا وأهينوا، كما ذل وأهين من قبلهم لمخالفتهم رسولهم، وعبر في الآية بالماضي (كبتوا) لتحقق وقوعه كقوله تعالىٰ: (أتىٰ أمر الله).

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ : أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات دالة علىٰ صدق الرسول.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾ : أي يوقعهم في الذل والهوان.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ : أي يوم القيامة. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ .

﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ : أي جمعه وعدّه ونسوه هم.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ : أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ .

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾ : أي من متناجين.

﴿ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ : أي هو تعالىٰ رابعهم بعلمه بهم، وقدرته عليهم. ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ .

﴿وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ : أي أقل من الثلاثة وهما الاثنان. ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ .

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ : أي في أي مكان من الأرض أو السماء. ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾[2].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾ : أي المسارة الكلامية والمنهيون هم اليهود والمنافقون.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ : أي من التناجي تعمدًا لأذية المؤمنين بالمدينة.

﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ : أي بما هو إثم في نفسه، وعداوة الرسول والمؤمنين.

---

(١) الأولىٰ أن تكون العبارة كالآتي: يخالفون ويعادون الله ورسوله (قل).

(٢) من هداية الآيات: الإرشاد إلىٰ أن التناجي للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة أو سبعة ليكون الواحد عدلاً مرجحًا للخلاف قاضيًا فيه إذا اختلف الاثنان، إذ لابد من واحد يرجح جانب الخلاف وإذا اختلف أربعة فلا بد من خامس يرجح جانب الخلاف.

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ : أي يتناجون فيوصي بعضهم بعضًا بمعصية الرسول وعدم طاعته[1].

وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ : أي جاءوك أيها النبي حيوك بقولهم: السام عليك.

بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ : أي حيوك بلفظ السام عليك، وهذا لم يحي الله به رسوله بل حياه بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ : أي سرًّا فيما بينهم.

لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ : أي هلَّا يعذبنا الله بما نقول له، فلو كان نبيًّا لعاجلنا الله بالعقوبة.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ : أي يكفيهم عذاب جهنم يصلونها فبئس المصير لهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ : أي فلا يناجِ بعضكم بما هو إثم ولا بما هو عدوان وظلم.

وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ : أي ولا بما هو معصية للرسول.

وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ : أي وتناجوا إن أردتم ذلك بالبر أي الخير والتقوىٰ وهي طاعة الله والرسول. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾.

إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ : أي إنما النجوىٰ بالإثم والعدوان من الشيطان أي بتغريره.

لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم.

وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ : أي وليس التناجي بضار المؤمنين شيئًا إلا بإرادة الله تعالىٰ.

وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ : أي وعلىٰ الله لا علىٰ غيره يجب أن يتوكل المؤمنون. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ : أي توسعوا في المجالس التي هي مجالس علم وذكر.

فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ : أي في الجنة وفي الرزق والقبر.

وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ : أي قوموا لصلاة أو لغيرها من أعمال البر.

يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ : أي بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وفي غرفات الجنان في الآخرة.

وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ : أي ويرفع الذين أوتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم والعمل. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ : أي أردتم مناجاته.

فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً : أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه ﷺ.

ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لما فيه من نفع الفقراء وأطهر

---

(١) كتبت ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ بالتاء المفتوحة دون المربوطة التي يوقف عليها بالهاء في موضعين من هذه السورة، ويوقف عليها بالهاء ويجوز بالتاء، وأما في الوصل فلا بد من التاء.

لذنوبكم.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ : أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم، فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة إثم.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ : أي أخفتم الفقر إن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ : أي تقديم الصدقات وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في تركها.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ : أي على الوجه المطلوب من إقامتها وأخرجوا الزكاة.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ : أي وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١) ﴿١٣﴾ : أي من أعمال البر والإحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ : أي ألم تنظر إلى المنافقين الذين تولوا.

﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ : أي اليهود.

﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ : أي ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أي من اليهود بل هم مذبذبون.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ : أي يحلفون لكم أنهم مؤمنون وهم يعلمون أنهم غير مؤمنين. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ : أي قبح أشد القبح عملهم وهو النفاق والمعاصي.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ : أي سترًا على أنفسهم وأموالهم، فادعوا الإيمان كذبًا وحلفوا أنهم مؤمنون وما هم بمؤمنين.

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي فصدوا بتلك الأيمان المؤمنين عن سبيل الله التي هي جهادهم وقتالهم. ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ : أي يوم يبعثهم من قبورهم يوم القيامة يحلفون لله أنهم مؤمنون كما يحلفون اليوم لكم أنهم مؤمنون.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ : أي يظنون في أيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من الحق. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي غلب عليهم الشيطان.

﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾: فلم يذكروه بألسنتهم إلا تقية ولا يذكرون وعده ولا وعيده.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (..فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب. اهـ (قل).

أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ : أي أولئك البعداء أتباع الشيطان وجنده.

أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ : أي إن أتباع الشيطان وجنده هم المغبونون الخاسرون في صفقة حياتهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ : أي يخالفون الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه[١].

أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ : أي المغلوبين المقهورين.

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ : أي كتب في اللوح المحفوظ أو قضىٰ وحكم بأن يغلب بالحجة أو السيف. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ : أي يصادقون من يخالف الله ورسوله بمحبتهم ونصرتهم.

وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ : أي يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم علىٰ الإيمان كما وقع للصحابة.

أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ : أي أثبت الإيمان في قلوبهم.

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ : أي برهان ونور وهدىٰ[٢]. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ : أي رضي الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا، ورضوا عنه في الآخرة بإدخاله إياهم في الجنة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ﴾.

أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ : أي ألا إن جند الله وأولياءه هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة.

❁❁❁❁

---

(١) **الأولىٰ أن تكون العبارة كالآتي:** (.. فيما جاء عن الله ورسوله من أمر ونهي في الكتاب والسنة) فقد روىٰ مسلم من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوىٰ، فقال رسول الله ﷺ: **«بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله»**. (قل).

(٢) قيل: هو جبريل، وقيل: بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.

٥٩- سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي نزه الله تعالىٰ وقدسه بلسان الحال والقال ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ : أي العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره لأوليائه.

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ: أي أخرج يهود بني النضير من ديارهم بالمدينة.

لِأَوَّلِ الْحَشْرِ : أي لأول حشر كان وثاني حشر كان من خيبر إلىٰ الشام[1].

مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا : أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن بني النضير يخرجون من ديارهم.

وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ : أي وظن يهود بني النضير أن حصونهم تمنعهم مما قضىٰ الله به عليهم من إجلائهم من المدينة.

فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا : أي فجاءهم الله من حيث لم يظنوا أنهم يؤتون منه.

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ : أي وقذف الله تعالىٰ في قلوبهم الخوف الشديد من محمد وأصحابه.

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ : أي يخربون بيوتهم حتىٰ لا ينتفع بها المؤمنون، وليأخذوا بعض أبوابها وأخشابها المستحسنة معهم.

وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ: إذ كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتالهم.

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ : أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغتروا ولا تعتمدوا إلّا علىٰ الله سبحانه وتعالى.

وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ : أي ولولا أن كتب الله عليهم الخروج[2] من المدينة.

لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا : أي بالقتل والسبي كما عذب بني قريظة إخوانهم بذلك. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾﴾.

---

(١) الحشر: الجمع أي: جمع الناس في مكان واحد، والمراد هنا: حشر يهود جزيرة العرب إلىٰ غيرها أي: جمعهم للخروج، ولذا هو يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من الديار المتفرقة، واللام في قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هي لام التوقيت التي تدخل علىٰ أول الوقت نحو ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: لأول عدتهن وهو الطهر الذي لم تمس فيه.

(٢) الفرق بين الجلاء والإخراج: أن الجلاء يكون بالأهل والأولاد، وأما الإخراج فقد يكون بدون ذلك، وكلاهما مفارقة المرء وطنه ويقال: جلا المرء بنفسه وأجلاه غيره.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ : جزاهم بما جزاهم به من عذاب الدنيا والآخرة بسبب مخالفتهم لله ورسوله، ومعاداتهم لهما. ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾.

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا : أي ما قطعتم أيها المؤمنون من نخلة لينة أو تركتموها بلا قطع.

فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ : أي فقطع ما قطعتم وترك ما تركتم كان بإرادة الله وكان ليخزي الله الفاسقين يهود بني النضير.

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ : أي وما ردَّ الله ليد رسول الله ﷺ من مال بني النضير.

فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ : أي أسرعتم في طلبه والحصول عليه خيلًا ولا إبلًا أي لم تعانوا فيه مشقة.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ : أي وقد سلط رسول الله محمد ﷺ علىٰ بني النضير ففتح بلادهم صلحًا. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾.

مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ : أي وما رد الله علىٰ رسوله[1] من أموال أهل القرىٰ التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ : أي لله جزء وللرسول جزء ولقرابة الرسول جزء.

وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ : ولليتامىٰ جزء وللمساكين جزء ولابن السبيل جزء تقسم علىٰ المذكورين بالسوية.

كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ : أي كيلا يكون المال متداولًا بين الأغنياء الأقوياء ولا يناله الضعفاء والفقراء.

وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ : أي وما أعطاكم الرسول وأذن لكم فيه أو أمركم به فخذوه، وما نهاكم عنه وحظره عليكم ولم يأذن لكم فيه فانتهوا عنه.

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ : أي واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله، واحذروا عقوبة الله علىٰ معصيته ومعصية رسوله؛ فإن الله شديد العقاب. ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا : أي هاجروا حال كونهم طالبين من الله رزقًا يكفيهم ورضا منه تعالىٰ. ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ : أي في إيمانهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا ينصرون الله

---

(١) هذه الآية بداية كلام مستأنف استئنافًا ابتدائيًّا فالأولىٰ كانت خاصة بقسمة أموال بني النضير، وأما هذه فهي في بيان حكم الفيء في الإسلام.

ورسوله.

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ : أي والأنصار الذين نزلوا المدينة وألِفُوا الإيمان بعدما اختاروه علىٰ الكفر.

مِن قَبْلِهِمْ : أي من قبل المهاجرين. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً : أي حسدًا ولا غيظًا.

مِّمَّآ أُوتُوا۟ : أي مما أوتي إخوانهم المهاجرون من فيء بني النضير.

وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ : أي في كل شيء حتىٰ إن الرجل منهم تكون تحته المرأتان فيطلق إحداهما ليزوجها مهاجرًا.

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ : أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدونها به.

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ : أي ومن يقيه الله تعالىٰ حرص نفسه علىٰ المال والبخل به. ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ : أي من بعد المهاجرين والأنصار من التابعين إلىٰ يومنا هذا فما بعد. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾.

وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ : أي حقدًا أي انطواء علىٰ العداوة والبغضاء. ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

۞ أَلَمْ تَرَ : أي ألم تنظر.

إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ : أي أظهروا الإيمان وأخفوا في نفوسهم الكفر.

يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ : أي يهود بني النضير.

لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ : أي من دياركم بالمدينة.

لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ : أي نخرج معكم ولا نبقىٰ بعدكم في المدينة. ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾.

وَإِن قُوتِلْتُمْ : أي قاتلكم محمد ﷺ وأصحابه.

لَنَنصُرَنَّكُمْ : أي بالرجال والسلاح.

وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ : أي فيما وعدوا به إخوانهم من بني النضير. ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾.

وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ : أي وعلىٰ فرض أنهم نصروهم.

لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ : المنافقون كاليهود سواء.

لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم : أي تالله لأنتم أشد خوفًا في صدورهم.

مِّنَ ٱللَّهِ : لأن الله تعالىٰ يؤخر عذابهم وأنتم تعجلونه لهم.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ : أي المنافقين.

قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ : لظُلمةِ كفرهم وعدم استعدادهم للفهم عن الله ورسوله[1].

لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا : أي لا يقاتلكم يهود بني النضير مجتمعين.

إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ : أي بالأسوار العالية.

أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ : أي من وراء المباني والجدران، أما المواجهة فلا يقدرون عليها.

بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ : أي العداوة بينهم شديدة والبغضاء أشد.

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا : أي مجتمعين.

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ : أي متفرقة خلاف ما تحسبهم عليه.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ : إذ لو كانوا يعقلون لاجتمعوا علىٰ الحق وما كفروا به وتفرقوا فيه فهذا دليل عدم عقلهم.

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا : أي مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة الرسول ﷺ كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر.

ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ : أي ذاقوا عاقبة كفرهم وحربهم لرسول الله ولهم عذاب أليم في الآخرة.

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ : أي ومثلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين وخِذلانهم لهم كمثل الشيطان إذا قال للإنسان:

ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ : أي قال له الشيطان بعد أن كفره: إني بريء منك. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا﴾.

وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ : أي خلودهم في النار أي الغاوي والمغوي ذلك جزاؤهما وجزاء الظالمين. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ : أي لينظر كل أحد ما قدم ليوم القيامة من خير وشر. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ : أي ولا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله فتركوا طاعته.

فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ : أي فعاقبهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا خيرًا قط. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾.

لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ : أي لأن أصحاب الجنة فائزون بالسلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب. وأصحاب النار خاسرون في جهنم خالدون، فكيف يستويان؟!.

---

(١) الفقه: إدراك المعاني الدقيقة والأسرار الخفية في كلام أهل الحكمة وذوي البصيرة.

لَوْ[1] أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ : أي وجعلنا فيه تمييزًا وعقلًا وإدراكًا.

لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا : أي لرأيت ذلك الجبل متشققًا متطامنًا ذليلًا.

مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ : أي من خوف الله خشية أن يكون ما أدَّىٰ حقه من التعظيم.

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ : أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس.

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ : أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ : أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عز وجل.

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أي عالم السر والعلانية.

هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ : أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو، لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك.

الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ : أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء، القدوس: الطاهر المنزه عما لا يليق به.

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ : أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه[2] النقص. المصدق رسله بالمعجزات. المهيمن: الرقيب الشهيد علىٰ عباده بأعمالهم.

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ : العزيز في انتقامه، الجبار لغيره علىٰ مراده، المتكبر علىٰ خلقه[3].

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ : أي تنزيهًا لله تعالىٰ عما يشركون من الآلهة الباطلة.

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ : أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات، المنشئ لها من العدم.

الْمُصَوِّرُ : أي مصور المخلوقات ومركبها علىٰ هيئات مختلفة.

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ : أي تسعة وتسعون اسمًا كلها حسنىٰ في غاية الحسن[4].

---

(١) (لو) هذه حرف امتناع لامتناع أي: امتنع إنزال القرآن علىٰ جبل فامتنعت رؤيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله، ولو حصل الأول لحصل الثاني.

(٢) لاسم السلام ثلاثة معان صادقة: منها ذو السلام كما في التفسير، ومنها ذو السلام: أي المسلم علىٰ عباده في الجنة، ومنها الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص.

(٣) الجبار: قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله: عظمته وهو علىٰ هذا القول صفة ذات من قولهم: نخلة جبار.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه وزاد الترمذي «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك =

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾: أي العزيز الغالب علىٰ أمره، الحكيم في جميع تدبيره.

القدوس السلام المؤمن...» وذكر أسماء الله الحسنىٰ، ثم ليعلم أن الأسماء الحسنىٰ غير منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحًا»، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها ؟ فقال: «بلىٰ ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» وذكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه (الأحوذي في شرح الترمذي) أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم). اهـ(قل).

٦٠- سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ : أي الكفار والمشركين.

أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ : أي لا تتخذوهم أنصارًا توادونهم.

وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ : أي الإسلام عقيدة وشريعة.

يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ : أي بالتضييق عليكم حتىٰ خرجتم فارين بدينكم.

أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ : أي لأجل أن آمنتم بربكم.

إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي : فلا تتخذوهم أولياء ولا تبادلوهم المودة.

تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ : أي توصلون إليهم خبر الرسول لغزوهم بطريقة سرية ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾.

وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ : أي ومن يوادهم فينقل إليهم أسرار النبي في حروبه وغيرها.

فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ : أي أخطأ طريق الحق الجادة الموصلة إلىٰ الإسعاد.

إِن يَثْقَفُوكُمْ : أي إن يظفروا بكم متمكنين منكم في مكان ما.

يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً : أي لا يعترفون لكم بمودة.

وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ : أي بالضرب والقتل.

وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ : أي بالسب والشتم.

وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ : أي وأحبوا لو تكفرون بدينكم ونبيكم وتعودون إلىٰ الشرك معهم.

لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ : أي إن توادوهم وتسروا إليهم بالأخبار الحربية تقربًا إليهم، من أجل أن يراعوا لكم أقرباءكم وأولادكم المشركين بينهم، فاعلموا أنكم لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة.

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ : أي فتكونون في الجنة ويكون المشركون من أولاد وأقرباء وغيرهم في النار. وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ : أي أيها المؤمنون.

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : أي قدوة صالحة.

فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ : من المؤمنين فأتسوا بهم[1].

إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ : أي المشركين.

إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ : أي نحن متبرئون منكم، ومن أوثانكم التي تعبدونها.

كَفَرْنَا بِكُمْ : أي جحدنا بكم فلم نعترف لكم بقرابة ولا ولاء.

وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا : أي ظهر ذلك واضحًا جليًّا[2] لا لبس فيه ولا خفاء.

حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ : أي ستستمر عداوتنا لكم وبغضنا إلىٰ غاية إيمانكم بالله وحده. ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ[3] رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾.

وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا : أي رجعنا في أمورنا كلها. ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ : أي بأن تظهرهم علينا فيفتنونا في ديننا ويفتتنوا بنا؛ يرون أنهم علىٰ حق لما يغلبوننا. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ : أي هي أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله ويرجو ما عنده يوم القيامة.

وَمَن يَتَوَلَّ : أي لم يقبل ما أرشدناه إليه من الإيمان والصبر فيعود إلىٰ الكفر.

فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ : أي فإن الله ليس في حاجة إلىٰ إيمانه وصبره فإنه غني بذاته لا يفتقر إلىٰ غيره، حميد: أي محمود بآلائه وإنعامه علىٰ عباده.

۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم : أي من كفار قريش بمكة طاعة لله واستجابة لأمره.

مَّوَدَّةً : أي محبة وولاء وذلك بأن يوفقهم للإيمان والإسلام، فيؤمنوا ويسلموا ويصبحوا أولياءكم.

وَٱللَّهُ قَدِيرٌ : أي علىٰ ذلك وقد فعل فأسلم بعد الفتح أهل مكة إلا قليلًا منهم. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ : أي من أجل الدين. ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾.

أَن تَبَرُّوهُمْ : أي تحسنوا إليهم.

---

(١) هم: سارة زوجته ولوط ابن أخيه فهم المعنيون بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾.

(٢) العداوة: هي المعاملة بالسوء والاعتداء، والبغضاء نفرة النفس والكراهية للمبغض.

(٣) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال ابن عباس: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتىٰ مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وفي رواية: فلما مات تبين له أنه عدو لله). اهـ(قل).

وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ : أي تعدلوا فيهم فتنصفوهم[1].

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ : أي المنصفين العادلين في أحكامهم ومن ولوا. ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾.

وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ : أي عاونوا وناصروا العدو علىٰ إخراجكم من دياركم.

أَن تَوَلَّوْهُمْۚ : أي تتولهم بالنصرة والمحبة.

وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ : لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ : أي المؤمنات بألسنتهن مهاجرات من الكفار.

فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ : أي اختبروهن بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضًا لأزواجهن، ولا عشقًا لرجال من المسلمين.

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ : أي صادقات في إيمانهن بحسب حلفهن.

فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ : أي لا تردوهن إلىٰ الكفار بمكة.

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ : لا المؤمنات يحللن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون يحلون لأزواجهم المؤمنات.

وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ : أي وأعطوا الكفار أزواج المؤمنات المهاجرات المهور التي أعطوها لأزواجهم.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ : أي مهورهن، وإن لم يتم طلاق من أزواجهن لانفساخ العقد بالإسلام، وبعد انقضاء العدة في المدخول بها وباقي شروط النكاح.

وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ : أي زوجاتكم، لقطع إسلامكم للعصمة الزوجية. وكذا من ارتدت ولحقت بدار الكفر؛ إلا أن ترجع إلىٰ الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقىٰ العصمة إن كان مدخولًا بها.

وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ : أي اطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور في حال الارتداد.

وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ : أي علىٰ المهاجرات من مهور في حال إسلامهن. ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ

---

(١) وقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ بمضايقتكم أن تبروهم بالإحسان إليهم بطعام أو كسوة أو إركاب وتقسطوا: أي تعدلوا فيهم بأن تنصفوهم، وهذا عام في كل الظروف الزمانية والمكانية وفي كل الكفار. ولكن بالشروط التي ذكرها تعالىٰ وهي:

أولاً: أنهم لم يقاتلونا من أجل ديننا.

وثانيًا: لم يخرجونا من ديارنا بمضايقتنا وإلجائنا إلىٰ الهجرة.

وثالثًا: أن لا يعاونوا عدوًا من أعدائنا بأي معونة ولو بالمشورة والرأي فضلاً عن الكراع والسلاح.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ : أي بأن فرت امرأة أحدكم إلىٰ الكفار ولحقت بهم ولم يعطوكم مهرها فعاقبتم: أي الكفار فغنمتم منهم غنائم.

فَـَٔاتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ : أي فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم إلىٰ الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من مهور.

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ : أي وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون فأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ : أي يوم الفتح والرسول ﷺ علىٰ الصفا وعمر أسفل منه.

عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا : أي أيَّ شيء من الشرك أو الشركاء. ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ .

وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ : أي كما كان أهل الجاهلية يقتلون البنات وأدًا لهن.

وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ : أي بكذب يكذبنه فيأتين بولد ملقوط وينسبنه إلىٰ الزوج وهو ليس بولده.

وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ : أي ما عرفه الشرع صالحًا حسنًا فأمر به وانتدب إليه أو ما عرفه الشرع منكرًا محرمًا.

فَبَايِعْهُنَّ : أي اقبل بيعتهن.

وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ : أي اطلب من الله تعالىٰ لهن المغفرة لما سلف من ذنوبهن وما قد يأتي. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟﴾ .

قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ : أي اليهود.

قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ : أي من ثوابها مع إيقانهم بها، وذلك لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه.

كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ : أي كيأس من سبقهم من اليهود الذين كفروا بعيسىٰ وماتوا علىٰ ذلك فهم أيضًا قد يئسوا من ثواب الآخرة.

❁❁❁❁

٦١ - سُورَةُ الصَّفِّ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي نزه وقدس بلسان القال والحال جميعُ ما في السموات والأرض من كائنات (لله).

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ : أي العزيز الغالب علىٰ أمره، الحكيم في تدبيره وصنعه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ : أي لأي شيء تقولون قد فعلنا كذا وكذا وأنتم لم تفعلوا؟ والاستفهام هنا للتوبيخ والتأنيب.

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ : أي عظم مقتًا والمقت: أشد البغض والمقيت والممقوت: المبغوض.

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ : أي قولكم ما لا تفعلون يبغضه الله أشد البغض. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾.

صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ : أي صافين، ومرصوص ملزق بعضه ببعض لا فرجة فيه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي : أي إذ قالوا: إنه آدر[1] كذبًا؛ فوبخهم علىٰ كذبهم وأذيتهم له.

وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ : أي أتؤذونني والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم.

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ : أي فلما عدلوا عن الحق بإيذائهم موسىٰ أزاغ الله قلوبهم أي أمالها عن الهدىٰ.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ : أي الذين فسقوا وتوغلوا في الفسق فما أصبحوا أهلًا للهداية.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل، ولم يقل يا قوم كما قال موسىٰ؛ لأنه؛ لم يكن منهم لأنه ولد بلا أب، وأمه صديقة.

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ : أي قبلي. ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ : هو محمد رسول الله ﷺ وأحمد أحد أسمائه الخمسة: المذكوران، والماحي، والعاقب، والحاشر.

(١) آدر: به أدرة، وهي انتفاخ الخُصية.

فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ: أي على صدق رسالته بالمعجزات الباهرات(١).

قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾: أي قالوا في المعجزات: إنها سحر.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ: أي لا أحد أعظم ظلمًا ممن يكذب على الله فينسب إليه الولد والشريك والقول والحكم، وهو تعالى بريء من ذلك.

وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ: أي والحال أن هذا الذي يفتري الكذب على الله يدعى إلى الإسلام: الذي هو الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه.

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾: أي من ظلم ثم ظلم وواصل الظلم يصبح الظلم طبعًا له فلا يصبح قابلًا للهداية فيحرمها حسب سنة الله تعالى في ذلك.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾: أي يريد المشركون بكذبهم على الله وتشويه الدعوة الإسلامية، ومحاربتهم لأهلها يريدون إطفاء نور الله: القرآن وما يحويه من نور وهداية بأفواههم، وهذا محال؛ فإن إطفاء نور الشمس أو القمر أيسر من إطفاء نور لا يريد الله إطفاءه.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ: أي أرسل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى أي بالهداية للبشرية.

وَدِينِ ٱلْحَقِّ: أي الإسلام إذ هو الدين الحق الثابت بالوحي الصادق.

لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ: أي لينصره على سائر الأديان حتى لا يبقى إلا الإسلام دينًا.

وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾: أي ولو كره نصره وظهوره على الأديان المشركون الكافرون.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ: أي أرشدكم إلى تجارة رابحة.

تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾: أي الربح فيها هو نجاتكم من عذاب مؤلم يتوقع لكم.

تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ: أي تصدقون بالله ربًّا وإلهًا وبمحمد نبيًّا ورسولًا لله تعالى.

وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ: أي وتبذلون أموالكم وأرواحكم جهادًا في سبيل الله تعالى.

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾: أي الدخول في هذه الصفقة التجارية الرابحة؛ خير لكم من تركها حرصًا على بقائكم وبقاء أموالكم، ولا يبقى مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الدار.

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ: أي هذا هو الربح الصافي مقابل ذلك الثمن الذاهب الزائل: الذي هو المال والنفس، مع أن الكل لله تعالى واهبكم أنفسكم وأموالكم.

---

(١) جائز أن يكون الضمير في ﴿جَآءَهُم﴾ عائدًا إلى عيسى عليه السلام وإلى محمد ﷺ إذ كلاهما قيل فيه: سحر أو ساحر قرأ الجمهور ﴿سِحْرٌ﴾ في الآيات وقرأ بعضهم: (ساحر) أي: محمد أو عيسى عليهما السلام. اهـ.

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقادمة المنوه بذكره في القرون السالفة... اهـ (قل).

ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ : أي النجاة من عذاب النار الأليم ثم دخول الجنة والظفر بما فيها من النعيم المقيم هو حقًّا الفوز العظيم.

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ : أي وعلاوة أخرىٰ تحبونها قطعًا إنها نصر من الله لكم ولدينكم.

وَفَتْحٌ قَرِيبٌ : وفتح قريب للأمصار والمدن، وما يتبع ذلك من رفعة وسعادة وهناء.

وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ : أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين بذاك الفوز وهذه العلاوة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ : أي لتنصروا دينه ونبيه وأولياؤه.

كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ : أي فكونوا أنتم أيها المؤمنون مثل الحواريين، والحواريون: أصحاب عيسىٰ وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلًا.

قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ : أي بعيسىٰ ﷺ، وقالوا: إنه عبد الله رفع إلىٰ السماء.

وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ : أي من بني إسرائيل فقالوا: إنه ابن الله رفعه إليه.

فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ : فاقتتلت الطائفتان: فنصرنا وقوينا الذين آمنوا.

فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ : أي غالبين عالين.

❁❁❁❁

٦٢ - سُورَةُ الجُمُعَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي ينزه الله تعالىٰ عما لا يليق به ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات بلسان القال والحال، ولم يقل (مَن) بدل (ما) تغليبًا لغير العاقل لكثرته علىٰ العاقل. ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ: أي العرب لندرة من كان يقرأ منهم ويكتب.

رَسُولًا مِنْهُمْ: أي محمدًا ﷺ إذ هو عربي قرشيٌّ هاشمي.

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ: أي يطهرهم أرواحًا وأخلاقًا.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ: أي هدىٰ الكتاب وأسرار هدايته[1].

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢: أي وإن كانوا من قبل بَعْثة الرسول في ضلال الشرك والجاهلية.

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ: أي وآخرين مؤمنين صالحين لما يلحقوا أي لم يحضروا حياة رسول الله ﷺ وهو يعلم الكتاب والحكمة، وسيلحقون بهم وهم كل من لم يحضر حياة رسول الله ﷺ من العرب والعجم. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾.

ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ: أي كون الصحابة حازوا فضل السبق هذا فضل يؤتيه من يشاء فلا اعتراض، ولكن الرضا وسؤال الله من فضله فإنه ذو فضل عظيم. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ: أي كلفوا بالعمل بها عقائد وعبادات وقضاء وآدابًا وأخلاقًا.

ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا: أي لم يعملوا بما فيها، ومن ذلك نعته ﷺ والأمر بالإيمان فجحدوا نعته وحرفوه ولم يؤمنوا به وحاربوه. ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ: أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه الله لليهود هو كمثل الحمار يحمل أسفارًا: أي كتبًا من العلم وهو لا يدري ما فيها. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥﴾.

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود المتدينون باليهودية.

إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ: أي وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خاصة بكم.

---

(١) قال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين.

﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾ : أي إن كنتم صادقين في أنكم أولياء لله فتمنوا الموت مؤثرين الآخرة على الدنيا، ومبدأ الآخرة الموت فتمنوه إذًا.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ : أي بسبب ما قدموه من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ لا يتمنون.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ : أي المشركين ولازم علمه بهم أنه يجزيهم بظلمهم العذاب الأليم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ : أي لأنكم لا تتمنونه أبدًا وذلك عين الفرار منه.

﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ : أي حيثما اتجهتم فإنه ملاقيكم وجهًا لوجه.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ : أي إلى الله تعالى يوم القيامة. ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ : أي إذا أذن المؤذن لها عند جلوس الإمام على المنبر.

﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ : أي في يوم الجمعة وذلك بعد الزوال.

﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ : أي امضوا إلى الصلاة.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ : أي اتركوه، وإذا لم يكن بيع لم يكن شراء. ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ : أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ : أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ : أي إلى التجارة.

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ : أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.

﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ : أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ : أي فاطلبوا الرزق منه بطاعته واتباع هداه.

❁❁❁❁

٦٣ - سُورَةُ المنَافِقُونَ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ: أي حضر مجلسك المنافقون كعبد الله بن أبي وأصحابه.

قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ: أي قالوا بألسنتهم ذلك وقلوبهم علىٰ خلافه.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾: أي والله يعلم إن المنافقين لكاذبون أي فيما أضمروه من أنك غير رسول الله.

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً: أي سترة ستروا بها أموالهم وحقنوا بها دماءهم.

فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ: أي فصدوا بها عن سبيل الله: أي الجهاد فيهم.

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾: أي قبح ما كانوا يعملونه من النفاق.

ذَٰلِكَ: أي سوء عملهم.

بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا: أي آمنوا بألسنتهم، ثم كفروا بقلوبهم أي استمروا علىٰ ذلك.

فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ: أي ختم عليها بالكفر.

فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾: أي الإيمان: أي لا يعرفون معناه ولا صحته.

۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ: أي لجمالها إذ كان ابن أبي جسيمًا صحيحًا وصبيحًا ذلق اللسان.

وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ: أي لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم.

كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ: أي كأنهم من عظم أجسامهم وترك التفهم وعدم الفهم خشب مسندة أي أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.

يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ: أي يظنون كل صوت عالٍ يسمعونه كنداء في عسكر أو إنشاد ضالة عليهم، وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم.

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ: أي العدو التام العداوة فاحذرهم أن يفشوا سرك أو يريدوك بسوء.

قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾: أي لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشاهدون أنواره وبراهينه؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا: أي معتذرين. ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ: أي رفضوا الاعتذار إلىٰ رسول الله ﷺ.

وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ: أي يعرضون عما دعوا إليه. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ : أي يا رسولنا.

أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ : أم لم تستغفر لهم.

لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ : أي ايْئَسْ من مغفرة الله لهم.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ[1] ﴿٦﴾ : أي لأن من سنة الله أنه لا يهدي القوم الفاسقين المتوغلين في الفسق عن طاعة الرب تعالىٰ وهم كذلك.

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ : أي لأهل المدينة.

لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ : أي من المهاجرين.

حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ : أي يتفرقوا عنه. وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ .

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ : أي من غزوة كانوا فيها هي غزوة «بني المصطلق».

لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ : يعنون بالأعز أنفسهم، وبالأذل المؤمنين.

وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ : أي الغلبة والعلو والظهور. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ : أي لا تشغلكم.

عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ : كالصلاة والحج وقراءة القرآن وذكر الله بالقلب واللسان.

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ : أي ومن ألهته أمواله وأولاده عن أداء الفرائض، فترك الصلاة أو الحج وغيرهما من الفرائض، فقد خسر ثواب الآخرة.

وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم : أي النفقة الواجبة كالزكاة وفي الجهاد والمستحبة. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ﴾ .

رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ : أي هلَّا أخرتني يطلب التأخير ولا يقبل منه.

فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ : أي حتىٰ أزكي وأحج وأكثر من النوافل والأعمال الصالحة. وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ .

❁❁❁❁

---

(١) وهم كل من سبق في علم الله أنه لا يتوب لما أحاط به من الذنوب.

٦٤- سُورَةُ التَّغَابُنِ

«مكية إلا آخرها فمدني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي ينزه الله ويقدسه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات بلسان الحال والقال.

لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ : أي له دون غيره الملك الدائم الحق وله الحمد العام.

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ : أي هو ذو قدرة كاملة علىٰ فعل ما أراد ويريد.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ : أي فبعضكم مؤمن موقن بربه ولقائه، وبعضكم كافر جاحد دهري، والواقع شاهد.﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ .

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ : أي صوركم في الأرحام فأحسن صوركم.

وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ : أي المرجع يوم القيامة.﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ .

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ : أي بما في الصدور من الضمائر والسرائر.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ : أي ألم يأتكم يا كفار قريش خبر الذين كفروا من قبلكم.

فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ : أي عقوبة كفرهم في الدنيا.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ : أي في الآخرة.

ذَٰلِكَ : أي العذاب في الدنيا والآخرة.

بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم : أي بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم.

بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج القواطع الدالة علىٰ صحة رسالاتهم.

فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا : أي ردوا عليهم ساخرين مكذبين: أبشر يهدوننا؟

فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا : أي فكفروا برسلهم وتولوا عنهم : أي أعرضوا.

وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ : أي عن إيمانهم.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ : أي غني عن خلقه، محمود بأفعاله وآلائه علىٰ خلقه.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا : أي قالوا كاذبين: إنهم لن يبعثوا أحياء من قبورهم.

قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ : قل لهم يا رسولنا: بلىٰ لتبعثن.﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ : أي وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير علىٰ الله.﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا : أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ .

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ : أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع.

ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ: أي يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازل الكفار في الجنة وأخذ الكفار منازل المؤمنين في النار. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾: أي تكفيره تعالىٰ عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار هو الفوز العظيم. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾: أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلًا للجحيم.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ: أي ما أصابت أحدًا من الناس مصيبة إلا بقضاء الله تعالىٰ وتقديره ذلك عليه.

وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ: أي ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصبه مصيبة إلا بإذنه تعالىٰ يهد قلبه للتسليم والرضاء بقضائه فيسترجع ويصبر. ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾: فإن توليتم أي: عن طاعة الله ورسوله، فلا ضرر ولا بأس علىٰ رسولنا في توليكم، إذ عليه إبلاغكم لا هدايتكم. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ(١): أي من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدوًّا أي يشغلونكم عن طاعة الله أو ينازعونكم في أمر الدين أو الدنيا.

فَٱحْذَرُوهُمْ: أي أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير كترك الهجرة أو الجهاد أو صلاة الجماعة أو التصدق علىٰ ذوي الحاجة.

وَإِن تَعْفُوا۟: أي عمن ثبطكم عن الخير من زوجة وولد.

وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟: أي وتعرضوا عنهم وتغفروا لهم ما عملوه معكم من تأخيركم عن الهجرة أو الجهاد أو الإنفاق في سبيل الله.

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾: أي يغفر لمن يغفر ويرحم من يرحم.

إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ: أي بلاء واختبار لكم فاحذروا أن يصرفوكم عن طاعة الله أو يوقعوكم في معصيته.

وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾: أي فآثروا ما عنده تعالىٰ علىٰ ما عندكم من مال وولد.

---

(١) الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدو يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر علىٰ المؤمنين، ويكون الحذر بوجهين: إما لضرر في البدن وإما لضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة؛ فحذر الله تعالىٰ العبد من ذلك وأنذره به، و﴿مِنْ﴾ هنا للتبعيض؛ إذ ما كل من له زوجة وولد كانوا له عدوًّا.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾: أي افعلوا ما تقدرون عليه من أوامر، واجتنبوا نواهيه كلها. ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾: أي ومن يقه الله شح نفسه فيعافيه من البخل والحرص على المال. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾.

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾: أي الدرهم بسبعمائة. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)﴾: أي يجازي على الطاعة ولا يعاجل بالعقوبة. ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾.

٦٥ - سورة الطلاق

«مكية إلا آخرها فمدني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : أراد الله بالنداء النبي ﷺ وأمته بدليل ما بعده.

إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ : أي إذا أردتم طلاقهن.

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ : أي لقُبل عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه.

وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ : أي احفظوا مدتها حتىٰ يمكنكم المراجعة فيها.

وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ : أي أطيعوه في أمره ونهيه.

لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ : أي لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذي طلقها حتىٰ تنقضي عدتها.

وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ : أي إلا أن يؤذين بالبذاء في القول وسوء الخلق، أو يرتكبن فاحشة من زنًا بيّنة ظاهرة لا شك فيها.

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ : أي المذكورات من الطلاق في أول الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من بيتها حتىٰ تنقضي عدتها.﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ : أي يجعل في قلب الزوج الرغبة في مراجعتها فيراجعها إذا لم تكن الثالثة من الطلقات.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ : أي قاربن انقضاء عدتهن.

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ : أي بأن تراجعوهن بمعروف من غير ضرر.

أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ : أي اتركوهن حتىٰ تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة.

وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ : أي أشهدوا علىٰ الطلاق وعلىٰ الرجعة رجلين عدلين منكم: أي من المسلمين فلا يشهد كافر.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ : أي لا للمشهود عليه أو له؛ بل لله تعالىٰ وحده.

ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : أي ذلكم المذكور من أول السورة من أحكام يؤمر به وينفذه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ : أي في أمره ونهيه فلا يعصه فيهما.

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ : أي من كرب الدنيا والآخرة.

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ : أي من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ : أي كافيه ما يهمه من أمر دينه ودنياه.
إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ : أي منفذ أمره في عباده لا يعجزونه أبدًا.
قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ : أي من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًّا وأجلًا وقدرًا ينتهي إليه.
وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ : والنسوة اللائي يئسن من الحيض.
إِنِ ٱرْتَبْتُمْ : أي شككتم في عدتهن. ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ .
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ : أي لكبر سن أو صغر سن.
وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ : أي ذوات الأحمال: النساء الحوامل.
أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ : أي انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ .
ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ : أي ذلك المذكور في العدة وتفاصيلها.
أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ : أي لتأتمروا به وتعملوا بمقتضاه. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ : يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة.
أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ : أي من وسعكم بحيث يسكن الرجل مطلقته في بعض سكنه.
وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ : أي لا تطلبوا ضررهن بأي حال من الأحوال سواء في السكن أو النفقة.
لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ : أي لأجل أن تضيقوا عليهن السكن فيتركنه لكم ويخرجن منه.
وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ : أي حوامل يحملن الأجنة في بطونهن. ﴿فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ .
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ : أي أولادكم.
فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ : فأعطوهن أجورهن علىٰ الإرضاع هذا في المطلقات.
وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ : أي وتشاوروا أو ليأمر كل منكم صاحبه بأمر ينتهي باتفاق علىٰ أجرة معقولة لا إفراط فيها ولا تفريط.
وَإِن تَعَاسَرْتُمْ : فإن امتنعت الأم من الإرضاع أو امتنع الأب من الأجرة. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ .
لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ : أي لينفق علىٰ المطلقات والمرضعات ذو الغنىٰ من غناه.
وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ : ومن ضيق عليه عيشه.
فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ : أي بحسب حاله. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ .
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ : أي وكثير من قرية: أي مدينة.

عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ: أي عصت، يعني أهلها عصوا ربهم ورسله. ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾.

وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾: أي فظيعًا. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾: أي القرآن.

رَّسُولًا: أي وأرسل إليكم رسولًا وهو محمد ﷺ. يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ.

مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ: أي من ظلمات الكفر والشرك إلىٰ نور الإيمان والتوحيد. ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾: أي رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها أبدًا. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾.

وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ: أي سبع أرضين أرضًا فوق أرض كالسموات سماء فوق سماء.

يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ: أي الوحي بين السموات والأرض.

لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ: أي أعلمكم بذلك الخلق العظيم والتنزيل العجيب لتعلموا. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

❁❁❁❁

٦٦- سُورَةُ التَّحْرِيمِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ : أي لم تحرم جاريتك مارية التي أحلها الله لك(١) .

تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ : أي بتحريمها.﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ①﴾ .

قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ : أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة(٢) .

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ②﴾ .

وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ : هي حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

حَدِيثًا : وهو تحريم مارية وقوله لها: لا تفشه.

فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ : أي نبأت حفصة عائشة: أي أخبرتها به ظنًا منها أنه لا حرج في ذلك باجتهاد.

وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ : أي أطلعه عليه أي علىٰ المنبأ به.

عَرَّفَ بَعْضَهُۥ : أي لحفصة.

وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ : أي تكرمًا منه ﷺ .﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ③﴾ .

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ : أي حفصة وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تقبل توبتكما.

فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا : أي مالت إلىٰ تحريم مارية أي سركما ذلك.

وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ : أي تتعاونا أي علىٰ النبي ﷺ فيما يكرهه.

فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ : أي ناصره.

وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ : أي أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ④ : أي ظهراء وأعوان له.﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ .

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر هذا السبب أيضًا: (وهو تحريم مارية التي أحلها الله له ﷺ) (وقال البخاري في كتاب الطلاق: عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوىٰ والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل علىٰ نسائه فيدنو من إحداهن.. ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ -: أي ابن كثير - قصة الحلوىٰ والعسل المشهورة إلىٰ أن قال: «وفي رواية عن عائشة: أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه ﷺ فالله أعلم. وقد يقال: إنهما واقعتان، ولا بُعد في ذلك إلا أن كونهما سبب لنزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم) (قل) .

(٢) أي الآية (٨٩).

قَٰنِتَٰتٍ: أي عابدات. ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾.

سَٰٓئِحَٰتٍ: أي صائمات أو مهاجرات. ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ: أي اجعلوا لها وقاية بطاعة الله والرسول ﷺ

نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ: أي توقد بالكفار والأصنام التي تعبد من دون الله، لا بالحطب ونحوه. ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَ: أي لأنه لا ينفعكم اعتذار، يقال لهم هذا عند دخولهم النار. ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا: أي توبة صادقة بأن لا يعاد إلىٰ الذنب ولا يراد العود إليه. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾.

يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ: أي بإدخالهم الجنة.

نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ: أي أمامهم ومن كل جهاتهم علىٰ قدر أعمالهم.

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا: أي إلىٰ الجنة، لأن المنافقين ينطفئ نورهم. ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ: أي بالسيف.

وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ: أي باللسان.

وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ: أي اشدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين. ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾.

فَخَانَتَاهُمَا: أي في الدين إذ كانتا كافرتين.

فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا: أي نوح ولوط عن امرأتيهما.

مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا: أي من عذاب الله شيئًا وإن قل. ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ: أي آسيا بنت مزاحم آمنت بموسىٰ. إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١.

وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا: أي حفظته فلم يصل إليه الرجال لا بنكاح ولا زنا.

فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا: أي نفخنا في كم درعها بواسطة جبريل الملقب بروح القدس.

وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا: أي بولدها عيسىٰ أنه كلمة الله وعبده ورسوله. ﴿وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾.

❁❁❁❁

٦٧- سُورَةُ المُلْكِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ : أي تعاظم وكثر خير الذي بيده الملك أجمع، ملكًا وتصرفًا وتدبيرًا.

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ : أي وهو علىٰ إيجاد كل ممكن وإعدامه قدير.

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ : أي أوجد الموت والحياة، فكل حي هو بالحياة التي خلق الله وكل ميت هو بالموت الذي خلق الله.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا : أي أحياكم ليختبركم أيكم يكون أحسن عملًا، ثم يميتكم ويحيكم ليجزيكم.

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ : أي وهو العزيز الغالب علىٰ ما يريده، الغفور العظيم المغفرة للتائبين.

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا : أي طبقة فوق طبقة وهي السبع الطباق ولا تماس بينها.

مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ : أي من تباين وعدم تناسب.

فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ : أي من شقوق أو تصدع.

ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ : أي مرتين مرة بعد مرة.

يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ : أي ذليلًا مبعدًا كالًّا تعبًا منقطعًا عن الرؤية إذ لا يرىٰ خللًا.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح.

وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ : أي مراجم جمع مرجم وهو ما يرجم به أي يرمىٰ.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ : أي وهيئنا لهم عذاب النار المسعرة الشديدة الاتقاد.

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ : أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه. ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾.

إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا : أي في جهنم ألقتهم الملائكة فيها وذلك يوم القيامة.

سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا : أي سمعوا لجهنم صوتًا منكرًا مزعجًا كصوت الحمار.

وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ : أي تغلي.

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ : تكاد تتقطع من الغيظ غضبًا علىٰ الكفار. ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾.

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ : سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ : أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.

وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ : أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نزل الله مما تقولون لنا من شيء.

إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ : أي ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال كبير أي خطأ عقلي وتصور نفسي باطل.

وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ : أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم وقالوا: لو كنا في الدنيا نسمع أو نعقل لآمنا وعبدنا الله. ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ : أي يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يعصونه.

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ : أي لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة. ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ .

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ : أي كيف لا يعلم سركم كما يعلم جهركم وهو الخالق لكم فالخالق يعرف مخلوقه.

وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ : أي بعباده الخبير بهم وبأعمالهم.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا : أي سهلة للمشي والسير عليها.

فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا : أي في جوانبها ونواحيها.

وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ : أي إليه وحده مهمة نشركم أي إحيائكم من قبوركم للحساب والجزاء.

ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ : أي يجعلها بحيث تغورون فيها وتصبحون في جوفها.

فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ : أي تتحرك وتضطرب حتىٰ يتم الخسف بكم.

أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ : أي ريحًا عاصفًا نرميكم بالحصباء فتهلكون.

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ : أي كيف كان عاقبة إنذاري لكم بالعذاب علىٰ ألسنة رسلي.

وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ : أي إنكاري عليهم الكفر والتكذيب؟ والجواب: كان إنكارًا حقًا واقعًا موقعه.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ : أي باسطات أجنحتها.

وَيَقْبِضْنَ : أي ويمسكن أجنحتها.

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ : أي حتىٰ لا يسقطن علىٰ الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها. ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ .

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ : أي أعوان لكم.

يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ : أي غيره تعالىٰ يدفع عنكم عذابه.

إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ : أي ما الكافرون.

إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ : غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم.

أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ : أي إن أمسك الرحمن رزقه؟ لا أحد غير الله يرسله.

بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ : أي إنهم لم يتأثروا بذلك التبكيت بل تمادوا في التكبر والتباعد عن الحق.

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ : أي واقعًا على وجهه. ﴿أَهْدَىٰٓ﴾.

أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا : أي مستقيمًا. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾.

وَٱلْأَفْـِٔدَةَ : أي القلوب.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ : أي شكركم قليل.

قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ : أي خلقكم في الأرض.

وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ : لا إلى سواه.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ : أي الذي تعدوننا به وهو يوم القيامة. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ : أي علم مجيئه عند الله لا غير.

وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً : أي لما رأوا العذاب قريبًا منهم في عرصات القيامة.

سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ : أي تغيرت مسودة.

وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ : أي هذا العذاب الذي كنتم بإنذاره تكذبون وتطالبون به تحديًا منكم.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ : أي أخبروني. إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ.

وَمَن مَّعِيَ : أي من المؤمنين.

أَوْ رَحِمَنَا : أي لم يهلكنا.

فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ : أي فمن يحفظ ويقي الكافرين العذاب.

قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ : أي قل هو الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا : أي غائرًا لا تناله الدلاء ولا تراه العيون.

فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ : أي تراه العيون لجريانه على الأرض (الجواب: لا أحد)[1].

❁❁❁❁

(١) روي استحباب قول القارئ: الله رب العالمين إذا قرأ ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.. وروي أن جاهلًا ملحدًا لما سمعها قال: تأتي بها الفئوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي. والعياذ بالله تعالى من الجهل والكفر والجرأة على الله.

٦٨- سُورَةُ القَلَمِ

«مكية»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ : هو أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا ن ويقرأ هكذا نون.

وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ : والقلم الذي كتب به الذكر (القدر) والذي يخطون ويكتبون.

مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ : أي لست بما أنعم الله عليك من النبوة وما وهبك من الكمال[1] .

بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ : أي بذي جنون كما يزعم المشركون.

وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبدًا.﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾[2] .

بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ : أي بأيكم الجنون.﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ .

وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ : أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم بأن لا تذكر آلهتهم بسوء.

فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾ : فيلينون لك ولا يغلظون لك في القول[3] .

وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ : أي كثير الحلف بالباطل حقير[4] .

هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ : أي عياب مغتاب.

مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ : أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم وأموالهم، أثيم يرتكب الجرائم والآثام.

عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي غليظ جاف زنيم دعي في قريش وليس منهم وهو الوليد بن المغيرة.﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ .

قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ : أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحي قرآني.

---

(١) الباء في ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ سببية أي: ما أنت بسبب ما أنعم الله عليك من الوحي مجنونًا، والباء في ﴿بِمَجۡنُونٖ﴾ زائدة لتقوية النفي وتأكيده.

(٢) وقوله تعالى ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ أي دم على ما أنت عليه من الكمال يا رسولنا واصبر على دعوتنا فستبصر بعد قليل من الزمن، ويبصر قومك المتهمون لك بالجنون﴿ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾؛أي المجنون. أنت - وحاشاك- أو هم.

(٣) والمداهنة محرمة، والمداراة جائزة، والفرق بينهما: أن المداهن يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئًا من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئًا من دينه.

(٤) المهين: الوضيع لإكثاره من القبيح، وتفسيره بالحقير صالح، وكذا الفاجر العاجز.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ : أي سنجعل علىٰ أنفه علامة يعير بها ما عاش، فخطم أنفه بالسيف يوم بدر.

إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ : أي امتحنا كفار مكة بالمال والولد والجاه والسيادة فلم يشكروا نعم الله عليهم، بل كفروا بها بتكذيبهم رسولنا وإنكارهم توحيدنا، فأصبناهم بالقحط والقتل لعلهم يتوبون كما امتحنا أصحاب الجنة المذكورين في هذا السياق.

إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ : أي ليجدنها أي يقطعون ثمارها صباحًا.

وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ : أي لم يستثنوا في حلفهم لم يقولوا: إن شاء الله.

فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ : أي نار فأحرقها.

فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ : أي كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد.

فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ : في أول الصباح.

أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ : أي غلة جنتكم وقيل فيها حرث لأنهم عملوا فيها. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ .

فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ : أي يتشاورون بأصوات مخفوضة غير رفيعة حتىٰ لا يسمع بهم. ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾﴾ .

وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ : أي وغدوا صباحًا علىٰ قصد قادرين علىٰ صرمها قبل أن يطلع عليهم المساكين.

فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ : أي مخطئو الطريق أي ما هذا طريق جنتنا ولا هي هذه.

بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ : أي لما علموا أنها هي وقد احترقت قالوا: بل نحن محرومون منها لعزمنا علىٰ حرمان المساكين منها.

قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ : خيرهم تقوىٰ وأرجحهم عقلًا.

أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ : أي تسبحون الله وتستثنون عندما قلتم لنصرمنها مصبحين(١) . ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ : أي يلوم بعضهم بعضًا تندمًا وتحسرًا. ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ﴾ .

إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ : أي طامعون.

كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ : أي مثل هذا العذاب بالحرمان لمن خالف أمرنا وعصانا. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: قال مجاهد والسدي: لولا تستثنون، وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحًا، وقال ابن جرير: هو قول القائل: (إن شاء الله). اهـ(قل) .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ: أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به ووحدوه فاتقوا بذلك الشركَ والمعاصي.

عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾: أي لهم جنات النعيم يوم القيامة عند ربهم عَزَّوَجَلَّ.

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾: أي أنحيف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين متساوين في العطاء والفضل؟ والجواب: لا، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾: أي تقرءون فعلمتم بواسطته ما تدعون.

إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾: أي فوجدتم في الكتاب الذي تقرءون أن لكم فيه ما تختارونه.

أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ: أي ألكم عهود منا موثقة بالأيمان لا نخرج منها ولا نتحلل. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾: أي أعطيناكم عهودنا الواثقة أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم كما تشاءون.

سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾: أي سلهم يا رسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم، الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يعطىٰ المؤمنون.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ: أي أعندهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوا، يكفلون لهم به ما ادعوه وحكموا به لأنفسهم، وهو أنهم يعطون أفضل مما يعطىٰ المؤمنون يوم القيامة. ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ: أي يوم يعظمُ الهول ويشتد الكرب، ويكشف الرب عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء عندما يأتي لفصل القضاء. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ: أي تغشاهم ذلة يا لها من ذلة.

وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾: أي وقد كانوا يدعون في الدنيا إلىٰ الصلاة وهم سالمون من أية علة، ولا يصلون حتىٰ لا يسجدوا تكبرًا وتعظمًا.

فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ: أي دعني ومن يكذب أي لا يصدق.

بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ: أي بالقرآن الكريم.

سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾: أي نستنزلهم درجة درجة حتىٰ نصل بهم إلىٰ العذاب.

وَأُمْلِى لَهُمْ: أي وأُمهلهم.

إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾: أي شديد قوي لا يطاق.

أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾: أي فهم مما يعطونكه مكلفون حملًا ثقيلًا.

أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ: أي اللوح المحفوظ.

فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾: أي ينقلون منه ما يدعونه ويقولونه.

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ : أي يونس في الضجر والعجلة[١].

إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ : أي مملوء غمًّا. ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ : أي الأرض الفضاء.

وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ : لكن لما تاب نبذ وهو غير مذموم.

فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ : أي اصطفاه. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ : أي ينظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد يصرعك. ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾.

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ : أي محمد ﷺ[٢].

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ : أي الإنس والجن فليس بمجنون كما يقول المبطلون.

❁❁❁❁

---

(١) المراد بحكم الرب تعالىٰ هنا أمره وهو ما حمله رسوله من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعباء الرسالة.

(٢) جائز أن يكون الضمير في ﴿وَمَا هُوَ﴾ عائدًا إلىٰ القرآن، وما القرآن إلا ذكر للعالمين الإنس والجن أي ليس هو بكلام مجنون، وجائز أن يكون الضمير عائدًا إلىٰ الرسول ﷺ الذي قالوا: فيه إنه مجنون ويكون الذكر بمعنىٰ التذكير بالله والجزاء؛ إذ هذا من فعله ﷺ.

٦٩- سُورَةُ الحَاقَّة

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾: أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة. ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾: أي بالقيامة لأنها تقرع القلوب بالخوف والهول.

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾: أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضًا.

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾: أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية علىٰ خزانها في الهبوب.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا: أي متتابعات الهبوب بلا فاصل كتتابع الكي القاطع للداء.

فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾: أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء.

فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾: من نسل؟.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾: أي أهلها وهي قرىٰ لوط بالفعلات ذات الخطأ.

فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾: أي زائدة في الشدة علىٰ غيرها.

إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ: أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها.

حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾: أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين.

لِنَجْعَلَهَا[1] لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾: أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمع.

فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾: أي النفخة الأولىٰ.

وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ: أي رفعت من أماكنها.

فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾: أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كثيبًا مهيلًا.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾: أي قامت القيامة.

وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾: أي مسترخية ضعيفة القوة.

---

(١) وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ أي لنجعل السفينة تذكرة لكم عظة وعبرة، وجائز أن يكون الضمير في ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ عائدًا إلىٰ العملية عملية إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين تذكرة وموعظة.

وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ : أي على أطرافها وحافاتها[1]. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾.

ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ : أي من الملائكة وهم حملة العرش الأربعة وزيد عليهم أربعة.

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ : أي لا تخفى منكم سريرة من السرائر التي تخفونها. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾.

هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ : أي خذوا. ﴿كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾.

إِنِّى ظَنَنتُ : أي علمت. ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾.

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ : أي يرضى بها صاحبها. ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾.

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ : أي ما يقتطف ويجنى من الثمار. ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ : أي بما قدمتم.

فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ : أي الماضية. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ﴾.

يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ : أي يتمنى أنه لم يعط كتابه؛ لما رأى فيه من السيئات. ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾.

يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ : أي الموتة في الدنيا كانت القاطعة لحياتي حتى لا أبعث. ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾﴾.

هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ : أي قوتي وحجتي.

خُذُوهُ : أي أيها الزبانية خذوا هذا الكافر.

فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ : أي اجعلوا يديه إلى عنقه في الغل.

ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ : أي ثم في النار المحرقة أدخلوه، وبالغوا في تصليته كالشاة المصلية. ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ : أي من قريب ينفعه أو صديق.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ : أي صديد أهل النار الخارج من بطونهم لأكلهم شجر الغسلين. ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ : أي بكل مخلوق في الأرض وفي السماء[2].

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ : أي القرآن قاله تبليغًا رسول كريم هو محمد ﷺ. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ : أي ليس القرآن بقول كاهن إذ ليس فيه من سجع الكهان شيء. ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

---

(١) الملك اسم جنس المراد به أعداد هائلة من الملائكة.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾ في سورة النجم: (قال الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق) اهـ (قل).

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ .

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ : أي بالقوة لأخذنا بيمينه لنقتله[١] .

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ : أي نياط القلب الذي إذا انقطع مات الإنسان.

فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ : أي مانعين وهو خبر ما النافية العاملة عمل ليس، وجمع لأن (أحد) يدل على الجمع نحو ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ ، و(بين) لا تقع إلا بين اثنين فأكثر.﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ وإنا لنعلم أن منكم يا أيها الناس مكذبين.

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ : أي التكذيب بالقرآن حسرة يوم القيامة على المكذبين به[٢] .

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ : أي الثابت يقينًا أو اليقين الحق[٣] .

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ : أي بذكر ربك وتسميته العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير.

❁❁❁❁

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (قيل: لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذ بيمينه) اهـ. ومن المعلوم أن الرحمن سبحانه وتعالىٰ كلتا يديه يمين (قل) .

(٢) جاء في «صفوة التفاسير» للصابوني أثابه الله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا، قال ابن عباس: هو يوم القيامة جعله الله علىٰ الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار قال المفسرون: والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالىٰ في سورة السجدة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أن القيامة مواقف ومواطن، فيها خمسون موطنًا لكل موطن ألف سنة، وأن هذه المدة الطويلة تخف علىٰ المؤمن حتىٰ تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة. اهـ(قل) .

(٣) جائز أن يكون الضمير عائدًا علىٰ التكذيب إذ به كانت حسرة الكافرين يوم القيامة، وجائز أن يكون عائدًا علىٰ القرآن؛ لأنهم لم يؤمنوا به ويعملوا بما دعا إليه من الإيمان وصالح الأعمال، أي القرآن الكريم بلا خلاف.

٧٠ - سورة المعارج

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

سَأَلَ سَآئِلُۢ: أي دعا داع. ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١﴾.

لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢: أي فهو واقع لا محالة ليس له دافع من الله.

مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣: أي ذي العلو والدرجات ومصاعد الملائكة وهي السموات.

تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ: أي تصعد الملائكة وجبريل إلىٰ الله تعالىٰ[1].

فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤: أي تصعد الملائكة وجبريل من منتهىٰ أمره من أسفل الأرض السابعة، إلىٰ منتهىٰ أمره من فوق السموات السبع، في يوم مقداره خمسون ألف سنة، بالنسبة لصعود غير الملائكة من الخلق. ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾.

إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦: أي العذاب الذي يطالبون به لتكذيبهم وكفرهم بالبعث. ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾.

يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨: أي كذائب النُحاس.

وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩: أي كالصوف المصبوغ ألوانًا في الخفة والطيران بالريح.

وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠: أي قريب قريبه لانشغال كلٍّ بحاله.

يُبَصَّرُونَهُمۡۚ: أي يبصر الأحماء بعضهم بعضًا ويتعارفون ولا يتكلمون. ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١﴾.

وَصَٰحِبَتِهِۦ: أي زوجته. ﴿وَأَخِيهِ ۝١٢﴾.

وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣: أي عشيرته التي تضمه إليها نسبًا وتحميه من الأذىٰ عند الشدة. ﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾.

كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥: أي جهنم.

نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ۝١٦: أي إن جهنم هي لظىٰ نزاعة للشوىٰ: جمع شواة جلدة الرأس.

تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧: أي عن طاعة الله ورسوله وتولىٰ عن الإيمان فأنكره وتجاهله.

وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ۝١٨: أي جمع المال وجعله في وعاء، ومنع حق الله تعالىٰ فيه فلم ينفق منه في سبيل الله.

---

(١) هذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

۞ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ : الهلع: مرض نفسي عرضه الذي يعرف به جزعُه الشديد من مس الشر، ومنعه القوي للخير متىٰ مسه وظفر به.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠﴾ : أي كثير الجزع سريعه.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١﴾ : أي كثير المنع حريصًا عليه. ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ٢٢﴾.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ : أي لا يقطعونها أبدًا ماداموا أحياء يعقلون.

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ٢٤﴾ : أي نصيب معين عيّنه الشارع وهو الزكاة.

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ٢٥﴾ : أي الطالب الصدقة والذي لا يطلبها حياء وتعففًا.

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ٢٦﴾ : أي يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ٢٧﴾ : أي خائفون متوقعون العذاب عند المعصية. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٢٩﴾ : أي صائنون لها عن النظر إليها وعن الفاحشة.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ : أي من السُّريات من الجواري التي يملكونها. ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ٣١﴾ : أي المعتدون الظالمون المتجاوزون الحلال إلىٰ الحرام.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾ : أي ما ائتمنوا عليه من أمور الدين والدنيا.

﴿وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٣٢﴾ : أي حافظون غير مفرطين.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ : أي يقيمون شهاداتهم لا يكتمونها ولا يحرفونها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٤﴾ : أي يؤدونها في أوقاتها في جماعات مع كامل الشروط والأركان والواجبات والسنن. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ٣٥﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ٣٦﴾ : أي نحوك مديمي النظر إليك.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾ : أي جماعات حلقًا حلقًا يقولون في استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم. ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ٣٨﴾.

﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ٣٩﴾ : أي من مني قذر، وإنما يستوجب دخول الجنة بالطاعات المزكية للنفوس. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠﴾.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ : أي إنا لقادرون علىٰ أن نهلكهم ونأتي بأناس خير منهم.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٤١﴾ : أي بعاجزين عن إيجاد ما ذكرنا من إهلاك القوم والإتيان بخير منهم. ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ٤٢﴾.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ : أي من القبور مسرعين إلىٰ المحشر.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ٤٣﴾ : أي كأنهم في إسراعهم إلىٰ المحشر إلىٰ نصب أي بشيء منصوب

كراية أو علم يسرعون.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ : أي تغشاهم ذلة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ : أي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة.

٧١ - سُورَةُ نُوحٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : أي أهل الأرض كافة والدليل إغراقهم أجمعين.

أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ : أي بإنذار قومك. ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ .

قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ : أي بيِّن النذارة ظاهرها.

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ : أي وحده بفعل محابه وترك مكارهه ولا تشركوا به شيئًا.

وَاتَّقُوهُ : فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به.

وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ : فيما آمركم به وأنهاكم عنه لأني مبلغ عن الله ربي وربكم.

يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ : أي ذنوبكم التي هي الشرك والمعاصي، فـ(من) زائدة لتقوية الكلام أو هي تبعيضية لأن ما كان حقًّا لآدمي كمالٍ وعرض لا يغفر إلا بالتوبة.

وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي إلىٰ نهاية آجالكم المسماة لكم في كتاب المقادير؛ فلا يعجل لكم العذاب.

إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ : أي بعذابكم.

إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ : إن لم تؤمنوا.

لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ : أي لآمنتم.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ : أي دائمًا باستمرار.

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ : أي مني ومن الحق الذي أدعوهم إليه، وهو عبادة الله وحده. ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ .

جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ : أي حتىٰ لا يسمعوا ما أقول لهم.

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ : أي تغطوا بها حتىٰ لا ينظروا إلي ولا يروني.

وَأَصَرُّوا : علىٰ باطلهم وما هم عليه من الشرك. ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ[1] وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾[2] .

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ : أي ينزل عليكم المطر متتابعًا كلما دعت الحاجة إليه.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ أي جهرة بين الناس ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ أي كلامًا ظاهرًا بصوت عالٍ ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ أي فيما بيني وبينهم، فنوع لهم الدعوة لتكون أنجع فيهم). اهـ(قل).

(٢) استنبط بعض الصالحين من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد؛ فليكثر من الاستغفار، الليل والنهار ولا يمل يعطه الله مراده من المال والولد.

وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ: أي بساتين. وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾.

مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾: أي لا تخافون لله عظمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده.

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾: أي حالًا بعد حال فطورًا نطفة وطورًا علقة وطورًا مضغة. ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾.

وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾: أي مضيئة.

وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾: أي أنشأكم من تراب الأرض.

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا: أي تقبرون فيها.

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾: أي يوم القيامة. ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾.

لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾: أي طرقًا واسعة.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى: أي لم يطيعوني فيما دعوتهم إليه وأمرتهم به من عبادتك وحدك وترك الشرك بك.

وَٱتَّبَعُوا۟: أي السفلة منهم والفقراء.

مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ: أي الرؤساء المنعم عليهم.

إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾: أي طغيانًا وكفرًا.

وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾: أي عظيمًا جدًّا بأن كذَّبوا نوحًا وآذوه أذىً شديدًا.

وَقَالُوا۟: أي الرؤساء قالوا للسفلة منهم:

لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ: أي لا تتركن آلهتكم.

وَلَا تَذَرُنَّ: أي ولا تتركن كذلك. ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾: أسماء رؤساء الأصنام.

وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا: أي بالأصنام كثيرًا من الناس حيث أمروا بعبادتها.

وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾.

مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟: أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان[1].

فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا: أي بعد موتهم أدخلت أرواحهم النار. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾.

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾: أي من يدور يذهب ويجيء أي لم يبق أحد.

إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ: أي أحياء لم تهلكهم. ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾: أي هلاكًا وخسارًا.

❁❁❁❁

---

(١) ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ (ما) زائدة والأصل من خطيئتهم و(من) تعليلية و(ما) الزائدة لتوكيد معنىٰ التعليل.

٧٢- سُورَةُ الجِنِّ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ : أي إلىٰ قراءتي.

نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ : أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة.

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ : أي لبعضهم بعضًا قرآنًا عجبًا أي يتعجب منه لفصاحته وغزارة معانيه.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ : أي الصواب في المعتقد والقول والعمل. ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ .

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا : أي تنزه جلال ربنا وعظمته عما نسب إليه.

مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ : أي لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولد.

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا : أي جاهلنا.

عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ : أي غلوًّا في الكذب بوصفه تعالىٰ بالصاحبة والولد. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ .

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ : حتىٰ تبين لنا أنهم يكذبون علىٰ الله بنسبة الزوجة والولد إليه.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ : أي يستعيذون.

بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ : أي إثمًا وطغيانًا.

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ : أي لن يبعث رسولًا إلىٰ خلقه.

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ : أي طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا.

فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا : أي حراسًا وحفظة من الملائكة يحفظونها بشدة وقوة.

وَشُهُبًا ﴿٨﴾ : أي نجومًا يرمىٰ بها الشياطين أو يؤخذ منها شهاب فيرمىٰ به.

وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ : أي من أجل أن نسمع ما يحدث وما يكون في الكون. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ﴾ .

شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ : أي أرصد وأعد لرمي الشياطين وإبعادهم عن السمع. ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ .

أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ : أي خيرًا وصلاحًا. ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ .

كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ : أي مذاهب مختلفة إذ الطرائق: جمع طريقة، والقدد: جمع قدة وهي الضروب والأجناس المختلفة. ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ : أي لا نفوته هاربين في الأرض أو في السماء.

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ : أي القرآن الداعي إلىٰ الهدىٰ المخالف للضلال.

ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ : أي نقصًا من حسناته ولا إثمًا يحال ويحاسب به.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ : أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام.

فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ : أي تعمدوا الرشد فطلبوا بعناية فحصلوا عليه.

وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ : أي وقودًا تتقد بهم يوم القيامة.

وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ : أي الإسلام.

لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ : أي مالًا كثيرًا وخيرات كبيرة.

لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ : أي نختبرهم أيشكرون أم يكفرون؟

وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ : أي القرآن وشرائعه وأحكامه.

يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ : أي شاقًّا.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ : أي فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ .

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ : أي محمد ﷺ يدعو الله ببطن نخلة.

يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا[1] ﴿١٩﴾ : أي في ركوب بعضهم بعضًا تزاحمًا لأجل أن يسمعوا قراءته ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾﴾ .

قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ : أي غيًّا ولا خيرًا. ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ .

وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ : أي ملتجأ ألجأ إليه فأحفظ نفسي.

إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ : أي لا أملك إلا البلاغ إليكم. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ .

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ : أي أعوانًا، المسلمون أم الكافرون؟

قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ : أي قل ما أدري.

أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ : أي من العذاب.

أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ : أي غاية وأجلًا لا يعلمه إلا هو.

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ : أي لا يُطلع. ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ .

إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ : أي فإنه يطلعه. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ .

---

(١) اللبد: جمع لبدة بكسر اللام وسكون الباء كقربة وقرب وهي ما تلبد بعضه علىٰ بعض ومنه لبدة الأسد وهي الشعر المتراكم في رقبته.

﴿رَصَدًا ۝٢٧﴾: أي ملائكة يحفظونه حتىٰ يبلغه مع الوحي الذي يبلغه لكافة الناس.

﴿لِيَعْلَمَ[1] أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾: أي الله عَلِم عِلمَ ظهور أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾.

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾: أي أحصىٰ عدد كل شيء.

❁❁❁❁

(١)معنىٰ الآية: ليعلم أي محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما أبلغ هو الرسالة. وفي الكلام حذف تقديره: أخبرناه بحفظنا الوحي؛ ليعلم أن الرسل قبله كانوا علىٰ مثل حالته من التبليغ.

٧٣- سُورَةُ المُزَّمِّلِ

«أولها مكي وآخرها مدني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ : أي المتلفف بثيابه أي النبي ﷺ.

قُمِ ٱلَّيْلَ : أي صل.

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ : أي نصف الليل.

نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ : أي انقص من النصف إلىٰ الثلث.

أَوْ زِدْ عَلَيْهِ : أي إلىٰ الثلثين فأنت مخير في أيها تفعل تقبل.

وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ : أي ترسَّل في قراءته وبينه تبيينًا.

إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا : أي قرآنًا.

ثَقِيلًا ﴿٥﴾ : أي محمله ثقيلًا العمل به لما يحوي من التكاليف.

إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ : أي ساعة الليل من صلاة العشاء فما فوق كل ساعة تسمىٰ ناشئة.

هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا : أي هي أقوىٰ موافقة السمع للقلب علىٰ تفهم القرآن فيها.

وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ : أي أبين قولًا وأصوب قراءة من قراءة النهار لسكون الأصوات. ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾(١).

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ : أي دم علىٰ ذكره ليلًا ونهارًا علىٰ أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد.

وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ : أي انقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهمك.

رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق سواه ولا تنبغي العبادة لغيره.

فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ : أي فوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيك.

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ : أي علىٰ ما يقوله لك كفار مكة من أذىٰ كقولهم: شاعر وساحر وكاذب.

وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ : أي اتركهم تركًا جميلًا أي لا عتاب معه.

وَذَرْنِى : أي اتركني.

وَٱلْمُكَذِّبِينَ : أي صناديد قريش فإني أكفكهم.

أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ : أي أهل التنعم والترف.

---

(١) ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ الجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار؛ لأن في النهار أعمالًا أخرىٰ يقوم بها المرء، وجائز أن يراد أن في النهار متسعًا للصلاة وتلاوة القرآن.

وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ : أي انتظرهم قليلًا من الزمن حتىٰ يهلكوا ببدر.

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا : أي قيودًا وهي جمع نكل وهو القيد من حديد. ﴿وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾.

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ : أي يغص في الحلق وهو الزقوم والضريع. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾.

يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ : أي تتزلزل. ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾.

وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ : أي رملًا مجتمعًا مهيلًا أي سائلًا بعد اجتماعه. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ : أي ثقيلًا شديدًا غليظًا.

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ : أي عذاب يوم يجعل الولدان لشدة هوله شيبًا.

ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ : أي ذات انفطار وانشقاق أي بسبب هول ذلك اليوم.

كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ : أي وعده تعالىٰ بمجيء ذلك اليوم كان مفعولًا أي كائنًا لا محالة.

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ : أي إن هذه الآيات المخوفة تذكرة أي عظة للناس.

فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ : أي طريقًا بالإيمان والطاعة إلىٰ النجاة من النار ودخول الجنة.

❁ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ : أي للتهجد.

أَدْنَىٰ : أي أقل. ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾.

وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ : أي وطائفة معك من أصحابك تقوم كذلك.

وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ : أي يحصيهما ويعلم ما يمضي من ساعات كل منهما وما يبقىٰ.

عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ : أي الليل فلا تطيقون قيامه كله لأنه يشق عليكم.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ : أي رجع بكم إلىٰ التخفيف في قيام الليل إذ هو الأصل.

فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ : أي صلوا من الليل ما سهل عليكم ولو ركعتين. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ : أي المفروضة.

وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ : أي المفروضة.

وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا : أي تصدقوا بفضول أموالكم طيبة بها نفوسكم فذلك القرض الحسن.

وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ : أي من نوافل العبادة من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها. ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

❁❁❁❁

٧٤- سُورَةُ المُدَّثِّر

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾: أي أيها المدثر: أي المتلفف في ثيابه وهو النبي ﷺ.

قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾: أي خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ويوحدوا.

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾: أي عظم ربك من إشراك المشركين.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾: أي طهر ثيابك من النجاسات[١].

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾: أي أدم هجرانك للأوثان.

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾: أي لا تمنن على ربك ما تقوم به من أعمال لأجله طاعة له ولا تطلب على دعوتك أجرًا[٢]. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾: أي نفخ في الصور النفخة الثانية. ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾: أي اتركني ومن خلقته وحيدًا منفردًا بلا مال ولا ولد فأنا أكفيكه. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾.

وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾: أي يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم، وأغلب الوقت حاضرون لا يغيبون.

وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾: أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة قريش. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ﴾.

كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾: أي معاندًا وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.

سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾: أي سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى في النار أبدًا.

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾: أي فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ وقدر في نفسه ذلك.

---

(١) من بين تفسيرات ابن القيم رحمه الله لهذه الآية في إغاثة اللهفان: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ أي وثيابك فقصر. ومن المعلوم أن ثوب النبي ﷺ كان يصل إلى نصف ساقه (قل).

(٢) ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أثابه الله تعالى عند قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ذكر تحت هداية الآيات ما يلي: (جواز هدية الثواب الدنيوي كأن يُهدي رجلاً شيئًا يريد أن يرد عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة، وتسمى هذه الهدية: هدية الثواب وهي للرسول ﷺ محرمة لقوله تعالى له: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾ اهـ (قل).

فَقُتِلَ : أي لعن. ﴿كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾.

ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ : أي تروى في ذلك ثم عبس أي قبض ما بين عينيه ثم بسر أي كلح وجهه.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ : أي عن الإيمان واستكبر عن اتباع الرسول ﷺ.

فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ : أي ينقل عن السحرة كمسيلمة وغيره. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ : سأدخله جهنم وسقر اسم لها يدخله فيها لإحراقه بنارها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾.

لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ : أي لا تترك شيئًا من اللحم ولا العصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان لإدامة العذاب.

لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ : أي محرقة مسودة لظاهر جلد الإنسان وهو بشرته والجمع بشر.

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ : أي مالكًا وهم خزنتها.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ : أي خزنتها مالكًا وثمانية عشر معه.

إِلَّا مَلَائِكَةً : أي لم نجعلهم بشرًا ولا جنًّا حتىٰ لا يرحموهم بحكم الجنس.

وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ : أي كونهم تسعة عشر.

إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا : أي ليستخفوا بهم كما قال أبو الأشدين الجمحي فيزدادوا ضلالًا.

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : أي ليحصل اليقين لأهل التوراة والإنجيل بموافقة القرآن لكتابيهما: التوراة والإنجيل. ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾.

وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ : أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في حقيقة ذلك.

وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ : أي مرض النفاق. ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾.

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا : أي أيَّ شيء أراد الله بهذا العدد الغريب استنكارًا منهم.

كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ : أي مثل إضلال منكر هذا العدد، وهدىٰ مصدقه؛ يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ : أي وما النار إلا ذكرىٰ للبشر يتذكرون بها. ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾(١).

وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ : أي ولىٰ ومضىٰ.

وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ : أي أضاء وظهر.

إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ : أي جهنم لإحدىٰ البلايا العظام.

---

(١) حرف ردع وإبطال والغالب أنها تقع بعد كلام من متكلم واحد ومتكلم وسامع؛ فتفيد الردع عما تضمنه الكلام السابق. ذهب ابن جرير إلىٰ أنها هنا للردع وإبطال ما زعمه المشركون من القدرة علىٰ الزبانية كما في التفسير، وعليه فالوقف عليه مستحسن ومنهم من جعلها افتتاح كلام نحو ألا وعليه فالوقف لا يحسن عليها بل علىٰ القمر.

نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾: أي عذاب جهنم نذير لبني آدم.

لِمَن شَآءَ مِنكُمْ: أي أيها الناس.

أَن يَتَقَدَّمَ: أي بالطاعة.

أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾: أي بالمعصية.

كُلُّ نَفْسٍ: أي مأمورة منهية.

بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾: أي مرهونة مأخوذة بعملها في جهنم.

إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾: أي المؤمنين فهم ناجون من النار. ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾.

وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾: أي بخلًا بما آتاهم الله.

وَكُنَّا نَخُوضُ: أي في الباطل وفيما يكره الله تعالىٰ. ﴿مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾: بيوم المجازاة والثواب ولا نصدق بثواب ولا عقاب.

حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾: أي الموت. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾: أي الموعظة منصرفين لا يسمعونها ولا يُقبلون عليها.

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾: أي كأنهم حمر وحشية مستنفرة.

فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾: أي هربت من أسد أمرَّ الهرب.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ: أي ليس هناك قصور في الأدلة والحجج التي قدمت لهم، بل يريد كل واحد منهم.

أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾: أي يصبح وعند رأسه كتاب من الله رب العالمين إلىٰ فلان آمن بنبينا محمد واتبعه. ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾.

كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾: أي عظة وعبرة.

فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾: أي قرأه واتعظ به. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾.

هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ: أي هو أهل لأن يتقىٰ لعظمة سلطانه وأليم عقابه.

وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾: أي وأهل لأن يغفر للتائبين من عباده الموحدين.

❁❁❁❁

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾: أي نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: (كلما غوىٰ غاوٍ غوينا معه). اهـ (قل).

٧٥- سُورَةُ القِيَامَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ (١) : أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء.

أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ : أي الذي كذب به المكذبون.

وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ : أي لتبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون، واللوامة: أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة، وإن أساءت لامت عن التقصير.

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ : أي الكافر الملحد.

أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ : أي ألا نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء.

بَلَىٰ قَٰدِرِينَ : أي بلىٰ نجمعها حال كوننا قادرين مع جمعها علىٰ تسوية بنانه.

عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ : أي نجعل أصابعه كخف البعير أو حافر الفرس فلا يقدر علىٰ العمل الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه. كما نحن قادرون علىٰ جمع تلك العظام الدقيقة عظام البنان وردها كما كانت. كما نحن قادرون علىٰ تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصباع والتي تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات.

بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ : أي بإنكاره البعث والجزاء.

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ : أي ليواصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث.

يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ : أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف.

فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ : أي دهش وتحير لما رأىٰ ما كان به يكذب.

وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ : أي أظلم بذهاب ضوئه.

وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ : أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه الحياة.

يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ : أي إلىٰ أين الفرار.

كَلَّا : ردع له عن طلب الفرار.

---

(١) في (لا) هنا توجيهان: الأول ما آثره ابن جرير وهو ما اخترناه في التفسير، وأنها نافية لدعوىٰ سابقة إبطالًا لها والكلام بعدها مستأنف. والثاني أنها أي (لا) حرف نفي أدخل علىٰ (أقسم) لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به؛ حيث يوهم السامع أن المتكلم يهم أن يقسم ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به ولا أقسم بأعز منه عندي، والمراد تأكيد القسم، ووجه ثالث وهي أنها مزيدة لتقوية الكلام.

﴿لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ : أي لا ملجأ يتحصن به. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ : أي هو شاهد علىٰ نفسه حيث تنطق جوارحه بعمله.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾(١) : أي فلا بد من جزائه ولو ألقىٰ معاذيره.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ : أي لا تحرك بالقرآن لسانك قبل فراغ جبريل منه.

﴿لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾﴾ : أي مخافة أن يتفلت منك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ : أي في صدرك.

﴿وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾﴾ : أي قراءتك له حيث نجريه علىٰ لسانك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ : أي قرأه جبريل عليك.

﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾ : أي استمع قراءته.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ : أي لك بتفهيمك ما يشكل عليك من معانيه(٢).

﴿كَلَّا﴾ : أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا جزاء.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ : أي الدنيا فيعملون لها.

﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ : أي ويتركون الآخرة فلا يعملون لها.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ : أي حسنة مضيئة.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ : أي إلىٰ الله تعالىٰ ربها ناظرة فلا تحجب عنه تعالىٰ.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ : أي كالحة مسودة عابسة.

﴿تَظُنُّ﴾ : أي توقن.

﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ : أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾ : أي النفس.

﴿التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ : جمع ترقوة أي عظام الحلق.

﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾﴾ : أي وقال من حوله من عواده أو ممرضيه هل هناك من يرقيه ليشفىٰ.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ : أي أيقن أنه الفراق للدنيا لبلوغ الروح الحلقوم.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ : أي التفت إحدىٰ ساقيه بالأخرىٰ أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة وما فيها من أهوال.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ : أي إذا بلغت الروح الحلقوم تساق إلىٰ ربها وخالقها لتلقىٰ جزاءها.

---

(١) المعاذير اسم جمع معذرة وليس جمعًا، لأن معذرة حقه أن يجمع علىٰ معاذر كمقبرة ومقابر، والمراد من معاذر الإنسان: ما يعتذر به كقولهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، وقولهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ وقولهم: ﴿هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

(٢) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام وكيفيات العبادات.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ٣١﴾: أي الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع الله عظامه ما صدق ولا صلىٰ.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾: أي بالقرآن.

﴿وَتَوَلَّىٰ ٣٢﴾: أي عن الإيمان.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ٣٣﴾: أي يتبختر في مشيته إعجابًا بنفسه.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾: أي وليك المكروه أيها المعجب بنفسه المكذب بلقاء ربه.

﴿فَأَوْلَىٰ ٣٤﴾: أي فهو أولىٰ بك.

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ٣٥﴾: أي وليك المكروه مرة ثانية فأولىٰ فهو أولىٰ بك أيضًا.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ٣٦﴾: أي مهملًا لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب ولا يجزىٰ في الآخرة.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ٣٧﴾: أي تصب في الرحم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨﴾: أي خلق الله منها الإنسان فسواه بتعديل أعضائه. ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ٤٠﴾.

❁❁❁❁

٧٦- سُورَةُ الإِنسَانِ

«مدنية»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ : أي قد أتىٰ[1].

عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ : أي آدم عليه السلام.

حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ : أي أربعون سنة.

لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ : أي لا نباهة ولا رفعة له لأنه طين لازب وحمأ مسنون وذلك قبل أن ينفخ الله تعالىٰ فيه الروح.

إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ : أي أخلاط من ماء المرأة وماء الرجل.

نَّبْتَلِيهِ : أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ : أي بينا له طريق الهدىٰ ببعثة الرسل وإنزال الكتب. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾.

إِنَّآ أَعْتَدْنَا : أي هيأنا. ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

سَلَٰسِلَا۟ : أي يسحبون بها في نار جهنم.

وَأَغْلَٰلًا : أي في أعناقهم.

وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ : أي نارًا مسعرة مهيجة.

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ : أي المطيعين لله ورسوله الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم.

يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا : أي ما تمزج به وتخلط. ﴿كَافُورًا ﴿٥﴾﴾.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ : أي يجرونها ويسيلونها حيث شاءوا. ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾[2].

كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ : أي ممتدًا طويلًا فاشيًا منتشرًا. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾.

إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ : أي تكلح الوجوه من طوله وشدته.

---

(١) الاستفهام تقريري بمعنىٰ قد أتىٰ علىٰ الإنسان كذا. وجائز أن يكون المراد من الإنسان غير آدم، وكون آدم هو المراد من الآية أولىٰ.

(٢) النذر: هو ما يوجبه المكلف علىٰ نفسه في الطاعة، ولو لم يوجبه لم يلزمه.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١﴾: أي حسنًا ووضاءة في وجوههم وفرحًا في قلوبهم. ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢﴾.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: أي على الأسرة بالحجلة. واحدة الأرائك: أريكة.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ١٣﴾: أي ولا بردًا شديدًا ولا قمرًا إذ هي تضاء من نفسها.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾: أي قريبة منهم ظلال أشجار الجنة.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ١٤﴾: أي ينالها المؤمن قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾: أي يرى باطنها من ظاهرها.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾: أي أقداح بلا عرا. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ١٥ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ١٦﴾: أي على قدر الشاربين بلا زيادة ولا نقص.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾: أي خمرًا.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧﴾: أي ما تمزج وتخلط به زنجبيلًا. ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ١٨﴾.

۞ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: أي بصفة الولدان لا يشيبون.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ١٩﴾: أي من سلكه أو من صدفه لحسنهم وجمالهم وانتشارهم في الخدمة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾: أي في الجنة رأيت[1].

﴿نَعِيمًا﴾: لا يوصف.

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا ٢٠﴾: أي ملكًا واسعًا لا يقدر.

﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: أي حرير. ﴿خُضْرٌ﴾.

﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: أي ما غلظ من الديباج.

﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾: أي تحليهم الملائكة بها.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ٢١﴾: أي فائقًا على النوعين السابقين؛ ولذا أسند سقيه إلى الله عز وجل.

﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾: أي النعيم. ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ٢٢﴾: أي مرضيًا مقبولًا.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ٢٣﴾: أي شيئًا فشيئًا ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ٢٤﴾: الآثم هنا عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٥﴾: أي صلِّ الصبح والظهر والعصر.

---

(١) ثم أي هناك.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ : **أي صلِّ صلاة المغرب والعشاء.**

وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ : **أي تهجد بالليل نافلة لك.**

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ : **أي الدنيا.**

وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ : **أي يوم القيامة.**

نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ : **أي قوينا أعضاءهم ومفاصلهم.**

وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ : **أي جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلًا منهم بعد أن نهلكهم.**

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ : **أي عظة للناس.**

فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ : **أي طريقًا إلىٰ مرضاته وجواره بالإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.** ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾﴾ .

يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ : **أي الجنة.**

وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ : **أي في النار، والأليم ذو الألم الموجع.**

❁❁❁❁

٧٧- سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾: المرسلات الرياح الطيبة والعرف المتتابعة[١].

فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾: فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدتها.

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾: الرياح تنشر المطر وتفرقه في السماء نشرًا.

فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾: أي آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل.

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾: أي فالملائكة تلقي بالوحي علىٰ الأنبياء للتذكير به.

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾: أي للإعذار بالنسبة إلىٰ أقوام أو إنذار بالنسبة إلىٰ آخرين.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾: أي إن ما توعدون أيها الناس لكائن لا محالة.

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾: أي محيي نورها وذهبت.

وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾: أي انشقت وتصدعت.

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾: أي نسفت فإذا هي هباء منبث مفرق هنا وهناك.

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾: أي جمعت لوقت حدد لها لتحضر فيه. ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾.

لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾: أي اليوم الذي يفصل الله تعالىٰ فيه بين الخلائق. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾[٢].

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾: أي كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلىٰ البعثة النبوية وذلك بتكذيبهم.

ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾: أي إن أصروا علىٰ التكذيب ككفار مكة.

كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾: أي مثل ذلك الهلاك نهلك المجرمين[٣].

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾: أي إذا جاء وقت الهلاك ويل فيه للمكذبين.

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾: أي المني والمهين الضعيف.

---

(١) جائز أن يراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات: الملائكة، وكونها الرياح أظهرُ في التفسير وهو اختيار ابن جرير.

(٢) الويل الذي هو وادٍ في جهنم تستغيث جهنم من حره.

(٣) لفظ الإجرام أصبح كالعلم علىٰ أهل الشرك والكفر؛ إذ هم الذين أجرموا علىٰ أنفسهم بأعظم الذنوب وأشدها إفسادًا للروح وهو الشرك والكفر، وما بعد الكفر ذنب كما يقال.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ : أي حريز وهو الرحم.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾﴾ : أي إلىٰ وقت الولادة.

﴿فَقَدَرْنَا﴾ : أي خلقه.

﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ : أي نحن على الخلق والتقدير ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ : أي تكفت الناس أي تضمهم.

﴿أَحْيَاءً﴾ : أي فوق ظهرها.

﴿وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾﴾ : في بطنها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ : أي جبالًا عاليات.

﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ : أي عذبًا. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ : أي من العذاب.

﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ : أي دخان جهنم إذا ارتفع انقسم إلىٰ ثلاث شعب لعظمته.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ : أي كنين ساتر يَكِنّ ويستر.

﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ : أي ولا يرد شيئًا من الحر.

﴿إِنَّهَا﴾ : أي النار.

﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾ : أي الشررة الواحدة كالقصر في عظمته وارتفاعه.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾﴾ : أي الشرر المتطاير من النار الشررة كالقصر في عظمها وارتفاعها، وكالجمل في هيئتها ولونها، والجمل الأصفر: الأسود الذي يميل إلىٰ صفرة. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ : أي فيه بشيء.

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ : أي في العذر. ﴿فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ : أي من المكذبين قبلكم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾﴾ : أي حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لدفع العذاب عنكم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ : أي الذين اتقوا ربهم فآمنوا به وأطاعوه بفعل ما يحب وترك ما يكره.

﴿فِي ظِلَالٍ﴾ : أي في ظلال الأشجار الوارفة.

﴿وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ : أي من ماء ولبن وخمر وعسل.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾ : لا مما يجدون كما هي من الحال في الدنيا[1]. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ

---

(١) أي يتمنون إذ أكلهم للذة الأكل لا للحفاظ على الجسم، كما في الدنيا يأكل الآدمي للإبقاء علىٰ حياته.

تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٤٤﴾: أي كما جزينا المتقين نجزي المحسنين[1]. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا: أي في هذه الحياة الدنيا. ﴿إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾: أي صلوا لا يصلون. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾: أي بعد القرآن إذ الكتب غيره ليست معجزة والقرآن هو المعجز بألفاظه ومعانيه فمن لم يؤمن بالقرآن ما آمن بغيره بحال من الأحوال[2].

❁❁❁❁

---

(١) إن المحسنين هم المتقون، وإنما ذكر صفة الإحسان؛ لأن التقوىٰ التي هي فعل وترك متوقفة علىٰ الإحسان الذي هو مراقبة الله تعالىٰ المنتجة إحسان النيات والأعمال الصالحات.

(٢) الجواب: عند قوله تعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ آمنت بالله (قل).

٧٨- سُورَةُ النَّبَإِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ : أي عن أي شيء؟

يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ : أي يسأل بعض قريش بعضًا.

عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ : أي ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر.

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ : أي ما بين مصدق ومكذب.

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ : عاقبة تكذيبهم عند نزع أرواحهم وعند خروجهم من[1] قبورهم. ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ : أي وطاءً وفراشًا للحياة عليها.

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ : أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾[2].

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ : أي راحة لأبدانكم.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ : أي ساترًا بظلامه وسواده.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ : أي وقتًا للمعاش كسبًا وأكلًا.

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ : أي قوية محكمة، الواحدة شديدة والجمع شداد وهي السموات السبع.

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ : أي ضوء الشمس وهاجًا وقادًا.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ : أي السحابات التي حان لها أن تمكر كالجارية المعصر التي دنا وقت حيضها.

مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ : أي صبابًا. ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾.

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ : بساتين ملتفة.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ : أي الفصل بين الخلائق ليجزئ كل امرئ بما كسب.

كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ : أي ذا وقت محدد معين لدىٰ الله عز وجل فلا يتقدم ولا يتأخر.

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ : أي يوم ينفخ إسرافيل في الصور.

فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ : أي تأتون أيها الناس جماعات جماعات إلىٰ ساحة فصل القضاء.

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ : أي لنزول الملائكة. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾﴾.

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ : أي ذهب بها من أماكنها.

---

(١) كلا هنا بمعنىٰ حقًا سيعلمون صحة ما هم به مكذبون وله منكرون.

(٢) الزوج: هو مكرر الواحد، وشاع إطلاق الزوج علىٰ كل من الذكر والأنثىٰ؛ فالرجل زوج لأنثاه والمرأة زوج لزوجها.

فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ : أي مثل السراب فيتراءى ماء وهو ليس بماء فكذلك الجبال.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ : أي راصدة لهم مرصدة للظالمين مرجعًا يرجعون إليها. لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ .

لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ : أي دهورًا لا نهاية لها.

لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ : أي نومًا ولا شرابًا مما يشرب تلذذًا به إذ شرابهم الحميم.

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ : أي ما يسيل من صديد أهل النار، جوزوا به عقوبة لهم.

جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ : إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ .

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ : أي تكذيبًا. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾ .

فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ : أي فوق عذابكم الذي أنتم فيه.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفًا من ربهم وعذابه.

مَفَازًا ﴿٣١﴾ : أي مكان فوز ونجاة وهو الجنة.

حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ : أي بساتين وأعنابًا.

وَكَوَاعِبَ : أي شابات تكعبت ثديهن، الواحدة كاعب والجمع: كواعب.

أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ : أي في سن واحدة، وأتراب جمع واحده: ترب.

وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ : أي خمرًا كأسها ملأى بها.

لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا : أي في الجنة.

لَغْوًا : أي باطلًا.

وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ : أي ولا كذبًا من القول.

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ : أي عطاء كثيرًا كافيًا يقال: أعطاني فأحسبني. ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ .

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ : ملك عظيم يقوم وحده صفًّا.

وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا : أي وحدهم. لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ .

فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ : أي مرجعًا سليمًا وذلك بالإيمان والتقوى إذ بهما تكون النجاة. ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ﴾ .

مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ : أي ما أسلفه في الدنيا من خير وشر.

وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ : أي حتى لا أعذب وذلك يوم يقول الله تعالى للبهائم: كوني ترابًا؛ وذلك بعد الاقتصاص لها من بعضها بعضًا.

❁❁❁❁

٧٩- سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾: أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.

وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾: أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشطًا أي تسلها برفق.

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾: أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل به إلىٰ الأرض.

فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾: أي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلىٰ الجنة.

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾: أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره من لدن الله المدبر الحكيم.

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾: أي النفخة الأولىٰ نفخة الفناء التي يتزلزل كل شيء معها.

تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾: أي النفخة الثانية.

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾: أي خائفة قلقة. ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾.

يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾: أي أنرد بعد الموت إلىٰ الحياة إذ الحافرة اسم لأول الأمر. ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ بالية مفتتة.

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾: أي رجعة إلىٰ الحياة خاسرة.

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾: أي نفخة واحدة.

فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾: أي بوجه الأرض أحياء سميت ساهرة لأن من عليها بها يسهر ولا ينام.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾: أي موسىٰ بن عمران عليه السلام.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾: أي بالواد الطاهر المبارك المسمىٰ بطوىٰ.

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ: أي بأن اذهب إلىٰ فرعون.

إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾: أي تجاوز حدَّه كعبد إلىٰ ادعاء الربوبية والألوهية.

فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾: أي تسلم فتطهر من رجس الشرك والكفر بالإسلام لله تعالىٰ.

وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾: أي أرشدك إلىٰ معرفة ربك الحق فتخشاه وتطيعه فتنجو من عذابه.

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾: أي العصا واليد إذ هي من أكبر الآيات الدالة علىٰ صدق موسىٰ. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾: أي بعدما كذب وعصىٰ رجع يجمع جموعه ويحشر جنوده لحرب موسىٰ وقال كلمة الكفر: أنا ربكم الأعلىٰ فلا طاعة إلا لي.

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾: أي عذبه تعالىٰ عذاب الآخرة وهو قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾، وعذاب الأولىٰ وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾.

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ : أي أشد خلقًا. ﴿بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾.
رَفَعَ سَمْكَهَا : أي غلظها وارتفاعها.
فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ : أي جعلها مستوية سطحًا واحدًا ما فيها نتوء ولا انخفاض.
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا : أي أظلمه جعله مظلمًا.
وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ : أي ضوءها ونهارها.
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ : أي بعد أن خلق الأرض خلق السماء[1] ثم دحا الأرض أي بسطها. ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾.
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ : أي أثبتها علىٰ سطح الأرض لتثبت ولا تميد بكم.
مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ : أي أخرج من الأرض ماءها ومرعاها، وبالجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم وهي المواشي من الحيوان.
فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ : أي النفخة الثانية، وأصل الطامة الداهية التي تعلو كل داهية.
يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ : أي ما عمل في الدنيا من خير وشر. وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾.
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ : أي كفر وظلم.
وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ : أي باتباع الشهوات.
فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ : أي النار مأواه.
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ : أي قيامه بين يديه ليسأله عما قدم وأخر.
وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ : أي المردي المهلك باتباع الشهوات.
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ : أي مأواه الذي يأوي إليه بعد الحساب.
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ : أي القيامة للحساب والجزاء.
أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ : أي متىٰ وقوعها وقيامها.
فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ : أي في أيِّ شيء من ذكراها أي ليس عندك علمها حتىٰ تذكرها.
إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ : أي منتهىٰ علمها إلىٰ الله وحده فلا يعلمها سواه. إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾.
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ : أي في قبورهم.
إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ : أي عشية يوم أو ضحىٰ تلك العشية.

❁❁❁❁

---

(١) اختلف في أيها خلق الله تعالىٰ أولًا الأرض أم السماء؟ والراجح أنها الأرض أولًا لقوله: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية من سورة فصلت. وطريق الجمع كما في التفسير خلق الأرض أولًا ثم السموات ثم عاد إلىٰ الأرض فدحاها بمعنىٰ أخرج منها ماءها ومرعاها أي أعدها إعدادًا خاصًا لحياة الإنسان والحيوان، وهو المراد من قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ إذ الدحو البسط والتسوية والترتيب.

٨٠- سُورَةُ عَبَسَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ : أي النبي ﷺ بمعنىٰ كلح وجهه وتغير.

وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ : أي أعرض.

أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ : أي لأجل أن جاء عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشرف قريش للإسلام.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ : أي يتطهر من الذنوب.

أَوْ يَذَّكَّرُ : أي يتعظ.

فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ : أي الموعظة.

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ : أي عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.

فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ : أي تقبل عليه وتتصدىٰ له.

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ : أي ليس عليك بأس في عدم تزكيته نفسه بالإسلام.

وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ : أي في طلب الخير من العلم والهدىٰ.

وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ : يخشىٰ الله تعالىٰ ويخاف عقابه.

فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ : أي تشاغل.

كَلَّا : أي لا تعد لمثل ذلك.

إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ : أي الآيات عظة للخلق. فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ .

فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ : أي عند الله.

مَّرْفُوعَةٍ : أي في السماء.

مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ : أي منزهة عن مس الشياطين.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ : كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ.

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ : مطيعين لله وهم الملائكة.

قُتِلَ الْإِنسَانُ : لعن الإنسان الكافر.

مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ : أي ما حمله علىٰ الكفر[1] ؟

---

(١) جائز أن تكون (ما) تعجبية إذ من عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا فيه: قاتله الله ما أحسنه أو ما أقبحه أو ما =

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨)﴾ : من نطفة خلقه.

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩)﴾ : أي من نطفة إلىٰ علقة إلىٰ مضغة فبشر سوي.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠)﴾ : أي سبيل الخروج من بطن أمه. ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١)﴾.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾(١) ﴿(٢٢)﴾ : أي إذا شاء إحياءه أحياه.

﴿كَلَّا﴾ : حقًّا أو ليس الأمر كما يدعي الإنسان أنه أدىٰ ما عليه من الحقوق.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)﴾ : أي ما كلفه به من الطاعات والواجبات في نفسه وماله.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤)﴾ : أي كيف قدر ودبر له. ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦)﴾.

﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧)﴾ : أي الحب الحنطة والشعير.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)﴾ : أي القضب الرطب وسمي قضبًا لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد مرة. ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩)﴾.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠)﴾ : أي كثيرة الأشجار؛ والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر.

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١)﴾ : أي ما يتفكه به من سائر الفواكه، والأب: التبن وما ترعاه البهائم.

﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ : أي ما تقدم ذكره منفعة لكم ولأنعامكم التي هي الإبل والبقر والغنم.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣)﴾ : أي النفخة الثانية. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥)﴾.

﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ : أي زوجته. ﴿وَبَنِيهِ (٣٦)﴾.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ : أي حال تشغله عن شأن غيره.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨)﴾ : أي مضيئة. ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)﴾ : أي غبار.

﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١)﴾ : أي ظلمة من سواد، ومعنىٰ ترهقها تغشاها.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ : أي الجامعون بين الكفر والفجور.

❁❁❁❁

=

أجرأه مثلًا أي اعجبوا لخلقه من نطفة مع كفره بربه.

(١) أنشره ونشره بمعنىٰ واحد أي أحياه بعد موته وسيشاء ذلك فينشره يوم القيامة للحساب والجزاء.

٨١- سُورَةُ التَّكْوِيرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا : أي ظرف لما ذكر بعد من المواضع الاثني عشر، وجوابها علمت نفس ما أحضرت.

ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ : أي لفت وذهب بنورها.

وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ : أي انقضت وتساقطت على الأرض.

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ : ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثًا.

وَإِذَا ٱلْعِشَارُ : أي النوق الحوامل.

عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ : أي تركت بلا راعٍ أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.

وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ : أي جمعت وماتت.

وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ : أي أوقدت فصارت نارًا.

وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ : أي قرنت بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر.

وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ : أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة.

سُئِلَتْ ﴿٨﴾ : أي تبكيتًا لقاتلها.

بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ : أي بلا ذنب.

وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ : أي صحف الأعمال فتحت وبسطت.

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ : أي نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة.

وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ : أي النار أججت.

وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ : أي قربت لأهلها ليدخلوها.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ : أي كل نفس وقت هذه المذكورات ما أحضرت من خير وشر.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ : أي التي تخنس بالنهار أي تختفي وتظهر بالليل.

ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ : أي التي تجري أحيانًا وتكنس في مكانسها أحيانًا أخرىٰ، والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش وهي الدراري الخمسة: عطارد والزهرة و المريخ والمشتري وزحل.

وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ : أي أقبل أو أدبر لأن عسعس من أسماء الأضداد.

وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ : أي امتد حتىٰ يصير نهارًا بينًا.

إِنَّهُۥ : أي القرآن.

لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ : أي جبريل، كريم علىٰ الله تعالىٰ، وأضيف إليه القرآن لنزوله به.

ذِى قُوَّةٍ : أي شديد القوىٰ.

عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ : أي عند الله تعالىٰ ذي مكانة.

مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ : أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة، أمين علىٰ الوحي.

وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ : أي محمد ﷺ. أي ليس به جنون.

وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ : أي ولقد رأىٰ النبي ﷺ. جبريل علىٰ صورته التي خلق عليها بالأفق الأعلىٰ البيِّن من ناحية المشرق.

وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ : أي وما محمد ﷺ علىٰ الغيب وهو ما غاب من الوحي وخبر السماء.

بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ : أي بمتهم، وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينقص منه ولا يعطيه كله[1].

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ : أي وليس القرآن بقول شيطان مسترق للسمع مرجوم.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ : أي فأيُّ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ : أي ما القرآن إلا موعظة للإنس والجن.

لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ : أي يتحرىٰ الحق ويعتقده ويعمل بمقتضاه.

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ : أي ومن شاء الاستقامة منكم فإنه لم يشأها إلا بعد أن شاءها الله قبله إذ لو لم يشأها الله ما شاءها عبده.

❁❁❁❁

---

(١) قرئ في السبع بالظاء ومعناه بمتهم من ظنته كذا، وقرئ (بضنين) بالضاد بمعنىٰ بخيل، ولذا شرحتُ الآية مراعيًا فيها القراءتين، وكلا المعنيين صحيح فلا هو متهم علىٰ الوحي ولا يبخل به ولا بغيره.

٨٢- سُورَةُ الانفِطَار

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ : أي انشقت.

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ : أي تساقطت.

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ : أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحرًا واحدًا الملح والعذب سواء.

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ : قلب ترابها وبعث موتاها.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ : أي ما قدمت من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله، وذلك عند قراءتها كتاب أعمالها.

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ : أي أيُّ شيء خدعك وجرأك علىٰ عصيانه.

الَّذِي خَلَقَكَ : أي بعد أن لم تكن.

فَسَوَّاكَ : أي جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء.

فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ : أي جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء، ليست يد أطول أو رجل أطول من الأخرىٰ.

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ : إن شاء بيضك أو سودك، طولك أو قصرك، جعلك ذكرًا أو أنثىٰ، إنسانًا أو حيوانًا.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ : ليس الكرم هو الذي غره، وإنما جرأه علىٰ المعاصي تكذيبه بالدين الذي هو الجزاء بعد البعث حيًّا من قبره.

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ : أي وإن عليكم لملائكة كرامًا علىٰ الله تعالىٰ حافظين لأعمالكم.

كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ : أي لها أي لأعمالكم خيرها وشرها حسنها وقبيحها. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي المؤمنين المتقين الصادقين.

وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ : أي الكافرين والخارجين عن طاعة الله ورسوله.

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ : أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ : أي بمخرجين.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ : أي أيُّ شيء جعلك تدري لولا أنا علمناك. ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ

ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ ﴾.

يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ : أي من المنفعة وإن قلت.

وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ : أي لا لغيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.

❁❁❁❁

٨٣- سُورَةُ المُطَفِّفِين

«مدنية الأوائل مكية الأواخر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ : كلمة عذاب، ووادٍ في جهنم.

لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ : المنقصين في كيل أو وزن، الباخسين فيهما.

الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ : أي من الناس.

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ : الكيل.

وَإِذَا كَالُوهُمْ : أي كالوا لهم.

أَو وَّزَنُوهُمْ : أي وزنوا لهم.

يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ : أي ينقصون الكيل أو الوزن.

أَلَا : استفهام توبيخي إنكاري.

يَظُنُّ أُولَٰئِكَ : أي يتيقن. ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ : أي يوم القيامة لما فيه من أهوال وعظائم الأمور.

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ: أي من قبورهم.

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ : أي يقومون خاشعين ذليلين ينتظرون حكم الله فيهم.

كَلَّا : أي حقًّا وأن الأمر ليس كما يظن المطففون.

إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ : سجين علم علىٰ كتاب ديوان الشر، دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة، وهو أيضًا موضع في أسفل الأرض السابعة، فيه سجين الذي هو ديوان الكتب وبه أرواح الأشقياء عامة. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾.

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ : أي مسطور بين الكتابة فيه أعمالهم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾.

الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ : أي يوم القيامة الذي هو يوم الحساب والجزاء.

وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ : أي ظالم مضيع حقوق ربه تعالىٰ وحقوق غيره.

أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ : منغمس في الآثام مكثر منها.

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ : أي ما سطره الأولون من القصص والأخبار التي لا تصح.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم : أي غطىٰ قلوبهم وحجبها عن قبول الحق[(١)].

---

(١) روىٰ الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة =

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ : أي من الذنوب والآثام.

كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ : أي يحال بينهم وبين رؤية الرب يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ : أي لداخلوها ومحرقون معذبون بها.

ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ : أي يقال لهم توبيخًا وخزيًا لهم وهم في العذاب: هذا الذي كنتم به تكذبون.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ : أي كتاب أعمالهم، والأبرار هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون.

لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ : أي في موضع يسمىٰ عليين في أعلىٰ الجنة[1]. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾.

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ : أي كتاب مرقوم بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة.

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ : أي يحضره المقربون من أهل كل سماء، ويحفظونه لأنه يحمل أمانًا لصاحبه من النار وفوزه بالجنة.

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ : أي إن الذين بروا ربهم بطاعته، بأداء الفرائض واجتناب النواهي لفي نعيم الجنة.

عَلَى الْأَرَائِكِ : أي علىٰ الأسرة ذات الحجال.

يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ : أي ما آتاهم ربهم من صنوف النعيم[2].

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ : أي حسنه وبريقه وتلألؤه.

يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ : أي من خمر صرف خالصة لا غش فيها ولا دنس.

مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ : أي مختوم علىٰ إنائها لا يفك ختمه إلا هم.

خِتَامُهُ مِسْكٌ : أي آخر شربها يفوح برائحة المسك.

وَفِي ذَٰلِكَ : أي لا في غيره.

فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ : أي فليطلب بالطاعة والاستقامة الطالبون للنعيم المقيم.

وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ : أي ومزاج شرابهم من عين تجري من عالٍ تسمىٰ التسنيم.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ : عينًا هي التسنيم يشرب منها المقربون صرفًا، وتمزج لأصحاب اليمين.

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا : أي علىٰ أنفسهم بالشرك والمعاصي كأبي جهل وأمية بن خلف وعتبة بن

=

سوداء، فإن هو نزع واستغفر الله وتاب صقل صقله، فإن عاد زيد فيها حتىٰ تعلو علىٰ قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالىٰ في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [حسن - انظر صحيح سنن الترمذي].

(١) قال البراء بن عازب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «عليون في السماء السابعة تحت العرش».

(٢) وقيل: ينظرون إلىٰ أعدائهم في النار وهم علىٰ أرائكهم، ولا عجب لما ظهر اليوم من آلة التلفاز.

أبي معيط.

كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ : أي كبلال وياسر وعمار وصهيب وخبيب. ﴿يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ : أي يشيرون إلىٰ المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم.

وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ : أي إذا رجعوا إلىٰ ديارهم وأهليهم يرجعون نشاوىٰ فرحين معجبين بحالهم.

وَإِذَا رَأَوْهُمْ : أي وإذا رأىٰ أولئك الفكهون رأوا المؤمنين.

قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ : إن هؤلاء - يعنون المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ -، لضالون بتركهم دينهم واتخاذهم لدين محمد ﷺ الجديد.

وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ : أي ولم يكلفهم الله تعالىٰ بحفظ أعمالهم، ورعاية أحوالهم وإنما هم متطفلون.

فَٱلْيَوْمَ : أي يوم القيامة.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ : أي من أجل ما هم فيه من العذاب، حيث يرونهم وهم علىٰ أرائكهم. ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ : أي هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون من الكفر والشر والفساد؟ والجواب: نعم نعم نعم.

❁❁❁❁

(١) معنىٰ يضحكون منهم: أنهم يضحكون من حالهم وهي حال خاصة كالفقر والضعف، أو ترك دينهم إلىٰ دين آخر.

٨٤- سُورَةُ الانْشِقَاقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ : أي بالغمام وهو سحاب أبيض رقيق وذلك لنزول الملائكة.

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا : أي سمعت وأطاعت.

وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ : أي وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه.

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ : أي زيد في سعتها كما يمد الأديم: أي الجلد إذ لم يبق عليها بناء ولا جبل.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ : أي ألقت ما فيها من الموتىٰ، ألقتهم أحياء إلىٰ ظهرها، وتخلت عنه: أي عما كان في بطنها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾.

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ : أي عامل كاسب للخير أو الشر.

إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا : أي إلىٰ أن تلقىٰ ربك، وأنت تعمل وتكسب، فليكن عملك مما يرضي عنك ربك.

فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ : أي ملاقٍ ربك بعد موتك وبعملك خيره وشره.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ : أي كتاب عمله وذلك بعد البعث. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾.

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ : أي بعد الحساب اليسير، يرجع إلىٰ أهله في الجنة من الحور العين فرحًا.

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ : أي يأخذه بشماله من وراء ظهره إهانة له.

فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ : أي ينادي هلاكه قائلًا: واثبوراه واثبوراه أي يا هلاكه.

وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ : أي ويحرق بالنار تحريقًا، وينضج إنضاجة بعد أخرىٰ، علىٰ قراءة (يصلّىٰ) بالتضعيف. ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾.

إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ : أي إنه كان في الدنيا يظن أنه لا يرجع إلىٰ الحياة بعد الموت، فلذا لم يعمل خيرًا قط، ولم يتورع عن ترك الشر قط لعدم إيمانه بالبعث. ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ : أي بالحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ : أي دخل عليه من الدواب وغيره.

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض.

لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾: أي حالًا بعد حال، الموت، ثم الحياة، ثم ما بعدها من أحوال القيامة.

فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾: أي أيُّ مانع لهم من الإيمان بالله ورسوله ولقاء ربهم، والحجج كثيرة تتلىٰ عليهم.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ: أي تلي عليهم وسمعوه.

لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾: أي لا يخضعون فيؤمنوا ويسلموا. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾: أي يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب. ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾: أي غير مقطوع.

❁❁❁❁

٨٥- سُورَةُ البُرُوجِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ : أي منازل الشمس والقمر الاثني عشر برجًا.

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ : أي يوم القيامة إذ وعد الله تعالىٰ عباده أن يجمعهم فيه لفصل القضاء.

وَشَاهِدٍ : أي يوم الجمعة.

وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ : أي يوم عرفة.

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ : أي لعن أصحاب الأخدود. والأخدود: أي الحفر تحفر في الأرض وهو مفرد وجمعه أخاديد. ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾.

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ : أي علىٰ حافتها وشفيرها. ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾.

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ : أي ما عابوا عليهم أيَّ شيء سوىٰ إيمانهم بالله تعالىٰ. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾.

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ : أي أخذه إذا أخذ الكافر شديد.

إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ : أي يبدئ الخلق ويعيده بعد فنائه ويبدئ العذاب ويعيده.

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ : أي لذنوب عباده المؤمنين، المتودد لأوليائه.

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ : أي صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكه، والمجيد المستحق لكمال صفات العلو. ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾.

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ : أي بما ذكر في سياق الآيات السابقة.

وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ : أي هم في قبضته وتحت سلطانه وقهره.

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ : أي كريم عظيم.

فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ : أي من الشياطين، والمراد به اللوح المحفوظ.

❁❁❁❁

٨٦- سُورَةُ الطَّارِقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ : أي كل ما يطرق ويأتي ليلًا، وسمي النجم طارقًا لطلوعه ليلًا . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾

النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ : أي الثريا والثاقب المضيء الذي يثقب الظلام بنوره.

إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ : أي إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها. ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ .

خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ : أي ماء ذي اندفاق وهو بمعنىٰ مدفوق أي مصبوب في الرحم.

يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ : الصلب: عظم الظهر من الرجل، والترائب عظام الصدر، والواحدة تريبة. ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾(١) .

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ : أي تختبر ضمائر القلوب في العقائد والنيات، والسَّرائر: جمع سريرة كالسِّرِّ. ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ : أي ذات المطر لرجوعه كل حين، والرجع من أسماء المطر.

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ : أي التصدع والتشقق بالنبات.

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ : أي يفصل بين الباطل، وفي الخصومات يقطعها بالحكم الجازم.

وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ : أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد.

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ : أي يعملون المكائد للنبي ﷺ .

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ : أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأوقعهم في المكروه. ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ .

أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ : أي زمنًا قليلًا وقد أخذهم في بدر.

❁❁❁❁

(١) أي علىٰ إرجاعه حيًّا كما كان وأعظم مما كان، وجائز أن يكون علىٰ رجعه ماء في الصلب كما كان قادرًا إلا أن ما في التفسير أولىٰ بقرينة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وذلك يوم القيامة الذي هو يوم البعث.

٨٧- سُورَةُ الأَعْلَىٰ

«مكية»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ: أي نزه اسم ربك أن يسمىٰ به غيره، وأن يذكر بسخرية أو لعب أي لا يذكر إلا بإجلال وإكبار، ونزه ربك عما لا يليق به من الشرك والصاحبة والولد والشبيه والنظير.

ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾: أي فوق كل شيء والقاهر لكل شيء.

ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾: أي الإنسان فسوىٰ أعضاءه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة.

وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾: أي قدر ما شاء لمن شاء وهداه إلىٰ إتيان ما قدره له وعليه.

وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾: أي أنبت العشب والكلأ.

فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾: أي بعد الخضرة والنضرة هشيمًا يابسًا أسود.

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾: أي القرآن فلا تنساه بإذننا.

إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ: أي إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تنساه، وذلك إذا أراد الله تعالىٰ نسخ شيء من القرآن بلفظه فإنه ينسي فيه رسوله ﷺ. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾.

وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾: أي للشريعة السهلة وهي الإسلام.

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾: أي من تذكر أو لم تنفع ومعنىٰ ذكر عظ بالقرآن. ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

وَيَتَجَنَّبُهَا: أي الذكرىٰ أي يتركها جانبًا فلا يلتفت إليها.

ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾: أي الكافر الذي كتبت شقاوته أزلًا.

ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾: أي نار الدار الآخرة.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾: أي لا يموت فيستريح، ولا يحيا فيهنأ.

قَدْ أَفْلَحَ: أي فاز بأن نجا من النار، ودخل الجنة.

مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾: أي تطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ: أي في كل أحايينه عند الأكل وعند الشرب، وعند النوم وعند الهبوب منه وفي الصلاة وخارج الصلاة من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير.

فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾: أي الصلوات الخمس والنوافل من رواتب وغيرها.

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ : أي تقدمون وتفضلون الدنيا على الآخرة. ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾.

إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ : أي إن هذا وهو قوله: قد أفلح إلى قوله: وأبقىٰ.

صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ : إذ كانت عشر صحف.

وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ : أي توراته.

❁❁❁❁

٨٨- سُورَةُ الغَاشِيَة

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ : أي قد جاءك.

حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ : أي القيامة؛ وسميت الغاشية لأنها تغشىٰ الناس بأهوالها.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ : أي يوم إذ تقوم الساعة.

خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ : أي ذليلة، أطلق الوجوه وأراد أصحابها.

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ : أي ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال وتكليف شاق الأعمال.

تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ : ترد هذه الوجوه نارًا حامية قد اشتدت حرارتها.

تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ : أي بلغت أناها من الحرارة **يقال: أنىٰ** الحميم إذا بلغ منتهاه.

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ : أي أخبث طعام وأنتنه. **وضريع** الدنيا نبت يقال له: الشِبرِق لا ترعاه الدواب لخبثه. ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾﴾.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ : أي حسنة نضرة.

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ : أي لعملها الصالحات في الدنيا راضية في الآخرة لما رأت من ثوابها. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾.

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ : أي كلمة لاغية من اللغو والباطل. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾.

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ : أقداح لا عرا لها موضوعة علىٰ حافة العين للشرب.

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ : أي ومساند جمع نمرقة، مصفوفة الواحدة إلىٰ جنب الأخرىٰ للاستناد إليها.

وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ : أي بسط وطنافس لها خمل، وما لا خمل لها يسمىٰ سجادة، ومعنىٰ مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ : أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار.

إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ : أي خلقًا بديعًا معدولًا به عن سنن سائر المخلوقات.

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ : أي فوق الأرض بلا عمد ولا مستند.

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ : أي علىٰ وجه الأرض نصبًا ثابتًا لا يتزلزل.

وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾: أي بسطت.

فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾: أي ذكرهم بنعم الله ودلائل توحيده.

لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾: أي بمسلط. ﴿ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾.

❁❁❁❁

٨٩- سُورَةُ الفَجْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ : أي فجر كل يوم.

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ : أي عشر ذي الحجة.

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ : أي الزوج والفرد(١).

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ : أي مقبلًا أو مدبرًا.

هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ : أي حجىٰ وعقل. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾.

إِرَمَ : هي عاد الأولىٰ.

ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ : إذ كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعًا. ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾.

وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ : أي قطعوا الصخر جعلوا من الصخور بيوتًا بوادي القرىٰ.

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ : أي صاحب الأوتاد وهي أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ : أي تجبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد.

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ : أي الشرك والقتل.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ : أي نوع عذاب.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ : أي يرصد أعمال العباد ليجزيهم عليها.

فَأَمَّا الْإِنسَانُ : أي الكافر المشرك.

إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ : أي اختبره.

فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ : أي بالمال والجاه ونعمه بالخيرات.

فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ : أي فضلني لما لي من مزايا علىٰ غيري.

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ : أي ضيقه ولم يوسعه عليه.

فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ : أي أذلني بالفقر ولم يشكر الله علىٰ ما وهبه من سلامة جوارحه والعافية

---

(١) لصلوحية الشفع والوتر لأشياء كثيرة ذكر القرطبي منها عددًا كثيرًا فروىٰ عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب. وأولىٰ ما يقال أن الله تعالىٰ أقسم بكافة خلقه إذ كل ما عداه تعالىٰ ما بين شفع ووتر، إذ الشفع ما يكون ثانيًا لغيره، والوتر الشيء المفرد.

من جسمه.

كَلَّا : أي ليس الأمر كما يرى هذا الكافر ويعتقد ويقول. ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾.

وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ : أي الميراث.

أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ : أي أكلًا كثيرًا ولمًّا شديدًا؛ إذ يلمون نصيب النساء والأطفال لما لهم فلا يورثونهم من التركة (لـمًّا: أي جمعًا شديدًا).

وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ : أي حبًّا شديدًا كثيرًا.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (1) ﴿٢١﴾ : أي حركت حركة شديدة وزلزلت زلزالًا قويًّا فلم يبق عليها شخص البتة.

وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ : أي والملائكة أي صفًّا بعد صف.

وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ : أي تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك.

يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ : أي الكافر ما قالت له الرسل من وعد الله ووعيده يوم لقائه.

وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ : أي لا تنفعه في هذا اليوم الذكرىٰ.

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ : أي هذه الإيمان وصالح الأعمال.

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ : أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد أي في قوته وشدته.

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ : أي ولا يوثق أحد مثل وثاق الله عز وجل (2).

يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ : أي المؤمنة الآمنة اليوم من العذاب لما لاح لها من بشائر النجاة.

ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ : أي إلىٰ جواره في دار كرامته أي الجنة. رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾.

فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ : أي في جملة عبادي المؤمنين المتقين.

وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ : أي دار كرامتي لأوليائي.

❁❁❁❁

---

(1) الدك الحطم والكسر، ودك الأرض تحطيمها وتفريق أجزائها.

(2) قال ابن كثير رحمه الله: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي وليس أحد أشد قبضًا ووثقًا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين. اهـ(قل).

٩٠- سُورَةُ البَلَدِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ : أي مكة.

وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ : أي وأنت يا نبي الله محمد حلال بمكة.

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ : أي وآدم وذريته.

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ : أي في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ : أي أيظن وهو أبو الأشدين بن كلدة وكان قويًّا شديدًا.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ : يقول هذا مفاخرًا بعداوة الرسول وأنه أنفق فيها مالًا كثيرًا.

أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ : أي أيظن أنه لم يره أحد؟ بل الله رآه وعلم ما أنفقه.﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾.

وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ : أي بينا له طريق الخير وطريق الشر بما فطرناه عليه من ذلك وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا.

فَلَا ٱقْتَحَمَ : أي فهلا تجاوز(١).

ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ :: أي الطريق الصعب في الجبل، والمراد به النجاة من النار. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ (وإنما تفك الرقبة بما يلي):

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ : أي أعتق رقبة في سبيل الله تعالىٰ.

أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ : أي في يوم ذي مجاعة وشدة مؤونة.

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ : أي أطعم يتيمًا من ذوي قرابته(٢).

أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ : أي أطعم فقيرًا لاصقًا بالتراب ليس له شيء.

---

(١) ذهب القرطبي إلىٰ أن ﴿فَلَا﴾ هي بمعنىٰ هلا التي هي للتحضيض، وهو ما قررناه في التفسير، وجائز أن يكون استفهامًا إنكاريًّا ينكر عليه إنفاق أمواله فيما يضره وعدم إنفاقها فيما ينفعه. اهـ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (روىٰ ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ أي دخل ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة محمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالىٰ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ....وقال ابن زيد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير...(قل).

(٢) اليتيم: الولد الذي ليس له أب لموته وهو دون البلوغ.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ : أي أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ : أي أوصى بعضهم بعضًا برحمة الفقراء والمساكين.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨﴾ : أي أصحاب اليمين وهم المؤمنون المتقون.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩﴾ : أي أصحاب الشمال وهم الكفار الفجار.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ : أي مطبقة لا نافذة لها ولا كوة فلا يدخلها هواء.

❁❁❁❁

٩١- سُورَةُ الشَّمْسِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ : أي ونهارها.

وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ : أي تلا الشمس فطلع بعد غروبها مباشرة وذلك ليلة النصف من الشهر.

وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ : أي إذا أضاءها.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ : أي غشى الشمس حتى تظلم الآفاق.

وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ : أي ومن بناها وهو الله عَزَّوَجَلَّ حيث جعل[1] السماء كالسقف للأرض.

وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ : أي ومن بسطها وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ : أي ومن سوى خلقها وعدله وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ : أي فبين لها ما ينبغي لها أن تأتيه أو تتركه من الخير والشر.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ : أي فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من طهر نفسه من الذنوب والآثام.

وَقَدْ خَابَ : أي خسر في الآخرة نفسه وأهله يوم القيامة.

مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ : أي دس نفسه إذ أخفاها وأخملها بالكفر والمعاصي، وأصل دسها: دسسها فأبدلت إحدى السينين ياء.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ : أي أصحاب الحجر كذبوا رسولهم صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ : أي بسبب طغيانها في الشرك والمعاصي.

إِذِ انبَعَثَ : أي انطلق مسرعًا.

أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ : أي أشقى القبيلة وهو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل فيقال أشأم من قدار.

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ : أي صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ : أي ذروها وشربها في يومها.

---

(١) جائز أن تكون ﴿وَمَا﴾ في الجمل الثلاثة ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ مصدرية فيكون الإقسام بالسماء وبنائها والأرض وطحوها والنفس وتسويتها؛ إلا أن ما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أولى إذ هو إقسام بالرب تعالى.

فَكَذَّبُوهُ : أي فيما أخبرهم به من شأن الناقة.

فَعَقَرُوهَا : أي قتلوها ليخلص لهم ماء شربها في يومها.

فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم : أي أطبق عليهم العذاب فأهلكهم.

بِذَنۢبِهِمْ : أي بسبب ذنوبهم التي هي الشرك والتكذيب وقتل الناقة.

فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ : أي سوى الدمدم عليهم فلم يفلت منهم أحد.

وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ : أي ولا يخاف الرب تعالىٰ تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله إذا هو قتل أحدًا أو عذبه.

❁❁❁❁

٩٢- سُورَةُ اللَّيْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ : أي بظلمته كل ما بين السماء والأرض في الإقليم الذي يكون به.

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ : أي تكشف وظهر في الإقليم الذي هو به، وإذا هنا وفي التي قبلها ظرفية وليست شرطية.

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ : أي ومن خلق الذكر والأنثىٰ آدم وحواء وكل ذريتهما وهو الله تعالىٰ[(١)].

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ : أي إن عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنة المورثة للجنة، ومنه السيئة الموجبة للنار.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ : أي حق الله وأنفق في سبيل الله واتقىٰ ما يسخط الله تعالىٰ من الشرك والمعاصي.

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ : أي بالخلف لحديث **«اللهم أعط منفقًا خلفًا»**[(٢)].

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ : أي فسنيسره للخلة أي الخصلة اليسرىٰ، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ليوجب له به الجنة في الآخرة.

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ : أي منع حق الله والإنفاق في سبيل الله، واستغنىٰ بماله عن الله فلم يسأله من فضله، ولم يعمل عملًا صالحًا يتقرب به إليه.

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ : أي بالخلف وما تثمره الصدقة والإيمان وهو الجنة.

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ : فسنهيئه للخلة العسرىٰ، وهي العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه ليكون قائده إلىٰ النار. ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ .

إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ : أي في جهنم فسقط فيها.

إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ : أي إن علينا لبيان الحق من الباطل والطاعة من المعصية.

---

(١) يرىٰ بعضهم أن المقسم به المصدر بناء علىٰ أن (ما) مصدرية والصحيح أنها موصولة وأن الإقسام كان بالرب - تبارك وتعالىٰ- فإنه أعظم إقسام.

(٢) كلمة الحسنىٰ صالحة لعدة معان وهي مؤنث الأحسن؛ ولذا هي صفة لموصوف محذوف وتنوسي فيها ذلك فصارت اسمًا لما هو أحسن كالجنة والمثوبة الحسنة والنصر والعاقبة والخلف علىٰ المنفق في سبيل الله وهو الراجح هنا لاختيار ابن جرير له.

وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ : أي ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي ونحرم من نشاء لا مالك غيرنا[(١)].

فَأَنذَرْتُكُمْ : أي خوفتكم.

نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ : أي تتوقد.

لَا يَصْلَاهَا : أي لا يدخلها ويحترق بلهبها.

إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ : أي إلا الشقي.

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ : كذب النبي ﷺ فيما جاء به، وتولىٰ أعرض عن الإيمان به، وبما جاء به من التوحيد والطاعة لله ورسوله.

وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ : أي يبعد عنها التقي.

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ : أي يتطهر به فلذا يخليه من النظر إلىٰ غير الله، فهو لذلك خالٍ من الرياء والسمعة.

وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ : أي ليس لأحد من الناس عليه منة فهو يكافئه بذلك.

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ : لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله عز وجل.

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ : أي يعطيه الله تعالىٰ من الكرامة ما يرضىٰ به في دار السلام.

❁❁❁❁

---

(١) المراد بالآخرة الجنة، وإن كان اللفظ يشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم وجحيم، وسعادة وشقاء، وفوز وخسران.

٩٣- سُورَةُ الضُّحَىٰ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ : أي أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلىٰ الزوال.

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ : غطىٰ ظلامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلىٰ الراحة.

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ : أي ما تركك ولا تخلىٰ عنك.

وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ : أي أبغضك. وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ .

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا : أي فاقد الأب إذ مات والده قبل ولادته.

فَآوَىٰ ﴿٦﴾ : أي فآواك بأن ضمك إلىٰ عمك أبي طالب.

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ : أي لا تعرف دينًا ولا هدىٰ.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا : أي فقيرًا.

فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ : أي بالقناعة، وبما يسر لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ : أي لا تذله ولا تأخذ ماله.

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ : أي لا تنهره بزجر ونحوه.

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ : أي اذكر ما أنعم الله تعالىٰ به عليك شكرًا له علىٰ ذلك.

٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ: الاستفهام للتقرير أي: إن الله تعالىٰ يقرر رسوله بنعمه عليه.

نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾: أي بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملئه إيمانًا وحكمة.

وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾: أي حططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك.

ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾: أي الذي أثقل ظهرك، حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة، لم يعبد فيها الله تعالىٰ بفعل محابه وترك مكارهه لعدم علمه بذلك.

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾: أي أعليناه فأصبحت تذكر معي في الأذان والإقامة والتشهد.

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾: أي مع الشدة سهولة. ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

فَإِذَا فَرَغْتَ: أي من الصلاة.

فَٱنصَبْ ﴿٧﴾: أي اتعب في الدعاء(١).

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾: أي فاضرع إليه راغبًا فيما عنده من الخيرات والبركات.

❁❁❁❁

(١) قال ابن كثير رحمه الله: «﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من الجهاد، ﴿فَٱنصَبْ ﴿٧﴾﴾ أي: في العبادة». اهـ(قل)

٩٥- سُورَةُ التِّينِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾: هما المعروفان التين فاكهة، والزيتون ما يستخرج منه الزيت.

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾: جبل الطور الذي ناجىٰ الرب تعالىٰ فيه موسىٰ عليه السلام.

وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾: مكة المكرمة لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها، فمن دخلها أمن.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ: جنس الإنسان آدم عليه السلام وذريته.

فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾: أي في أجمل صورة في اعتدال الخلق وحسن التركيب.

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾: أي إلىٰ أرذل العمر حتىٰ يخرف ويصبح لا يعلم بعد أن كان يعلم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾: أي غير منقطع فالشيخ الهَرِم الخَرِف المسلم يكتب له ما كان يفعله أيام قدرته علىٰ العمل فأجره لا ينقطع إلا بموته. ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ[1] بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾﴾

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾: بلىٰ.

❁❁❁❁

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ يا ابن آدم ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر علىٰ البدأة فهو قادر علىٰ الرجعة بطريق الأولىٰ...). اهـ (قل).

٩٦- سُورَةُ العَلَقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ : أي أوجد القراءة؛ وهي جمع الكلمات ذات الحروف باللسان.

بِاسْمِ رَبِّكَ : أي بذكر اسم ربك.

الَّذِي خَلَقَ (١) : أي خلق آدم من سلالة من طين.

خَلَقَ الْإِنسَانَ : أي الإنسان الذي هو ذرية آدم.

مِنْ عَلَقٍ (٢) : أي جمع علقة وهي النطفة في الطور الثاني حيث تصير علقة أي قطعة من الدم الغليظ.

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) : أي الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله ولا يساويه.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) : أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم.

عَلَّمَ الْإِنسَانَ : أي جنس الإنسان.

مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) : أي ما لم يكن يعلمه من سائر العلوم والمعارف.

كَلَّا : أي (ألا) أداة استفتاح وتنبيه لكسر (إن) بعدها.

إِنَّ الْإِنسَانَ : أي ابن آدم قبل أن تتهذب مشاعره وأخلاقه بالإيمان والآداب الشرعية.

لَيَطْغَىٰ (٦) : أي يتجاوز الحد المفروض له في سلوكه ومعاملاته.

أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) : أي عندما يرىٰ نفسه قد استغنىٰ بماله أو ولده أو سلطانه.

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) : أي إن إلىٰ ربك أيها الرسول الرجعىٰ: أي الرجوع والمصير.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) : أي أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله. عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠).

أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) : أي هو رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني.

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) : أمر غيره بما يتقي به عذاب الدنيا والآخرة.

أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) : أي هو أبو جهل. ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤)﴾.

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ : أي من أذية رسولنا محمد ﷺ، ومنعه من الصلاة خلف المقام.

لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) : أي لنأخذن بناصيته ونسحبه إلىٰ نار جهنم. ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦)﴾.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾: أي رجال مجلسه ومنتداه.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾: أي خزان جهنم.

﴿كَلَّا﴾: أي ارتدع أيها الكاذب الكافر.

﴿لَا تُطِعْهُ﴾: أي يا رسولنا فيما يطلب منك من ترك الصلاة في المسجد الحرام.

﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾: أي منه تعالىٰ وذلك بطاعته.

٩٧- سُورَةُ القَدْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ : أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ سماء الدنيا.

فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ : أي ليلة الحكم والتقدير التي يقضىٰ فيها قضاء السنة كلها[1].

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ : أي إن شأنها عظيم.

لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ : أي العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء، خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾.

وَٱلرُّوحُ فِيهَا : أي جبريل في ليلة القدر.

بِإِذْنِ رَبِّهِم : أي ينزلون بأمره تعالىٰ لهم بالتنزل فيها.

مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ : أي من كل أمر قضاه الله تعالىٰ في تلك السنة من رزق وأجل وغير ذلك.

سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ : أي هي سلام من الشر كله من غروب الشمس إلىٰ طلوع الفجر.

❁❁❁❁

---

(١) وهي في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، ورجح أكثر العلماء أنها ليلة السابع والعشرين لقسم أبي بن كعب بذلك كما في صحيح مسلم (قل).

٩٨- سُورَةُ البَيِّنَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ : أي اليهود والنصارىٰ.

وَٱلْمُشْرِكِينَ : أي عبدة الأصنام.

مُنفَكِّينَ : أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه.

حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ : أي الحجة الواضحة وهي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.

رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ : أي محمد ﷺ.

يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ : أي من الباطل.

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ : أي في تلك الصحف المطهرة كتب من الله مستقيمة.

وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ : أي الرسول محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.

وَمَآ أُمِرُوٓاْ : أي في كتبهم التوراة والإنجيل. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ .

حُنَفَآءَ : أي مائلين عن الأديان كلها إلىٰ دين الإسلام. ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ .

وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ : أي دين الملة القيمة أي المستقيمة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ : أي بالإسلام ونبيه وكتابه وهم اليهود والنصارىٰ. ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ .

أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ : أي شر الخليقة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ : أي آمنوا بالإسلام ونبيه وكتابه وعملوا الصالحات.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ : أي هم خير الخليقة.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ : أي بساتين إقامة دائمة. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ .

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ : أي بطاعته[1] .

وَرَضُواْ عَنْهُ : أي بثوابه. ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ .

❁❁❁❁

(١) قول البعض: رضي أعمالهم؛ هروبًا من عقيدة السلف وإلا فالآية نص في رضاه تعالىٰ عنهم وإن كانت الأعمال سببًا في رضاه؛ إذ الأعمال طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم فاستحقوا رضىٰ الله فرضي عنهم، ورضىٰ الله أكبر من نعيم الجنة كقوله تعالىٰ ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

٩٩- سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ : أي حركت لقيام الساعة.

وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ : أي كنوزها وموتاها فألقتها وتخلت.

وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ : أي وقال الكافر ما لها أي شيء جعلها تتحرك هذه الحركة.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ : أي تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ : أي بأن تحدث أخبارها فحدثت.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا : أي من موقف الحساب(١).

لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ : أي جزاء أعمالهم إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ : زنة نملة صغيرة. ﴿خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾.

❁❁❁❁

(١) ﴿أَشْتَاتًا﴾: جمع شت بمعنىٰ متفرقين جماعات جماعات أصحاب يمين وأصحاب شمال.

١٠٠- سُورَةُ العَادِيَاتِ

«مكية»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ : أي الخيل تعدو في الغزو.

ضَبۡحٗا ﴿١﴾ : أي تضبح ضبحًا، والضبح صوت الخيل إذا عدت أي جرت.

فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ : أي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت بالليل.

فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ : أي الخيل تغير على العدو صباحًا.

فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ : هيجن به أي بمكان عدوها نقعًا أي غبارًا.

فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ : أي بالنقع جمع العدو أي حيث تجمعاته[1].

إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ : لكفور يجحد نعمة تعالىٰ عليه.

وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾ : أي يشهد علىٰ نفسه بعمله.

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ : أي المال. لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾.

۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٩﴾ : أي أثير وأخرج ما في القبور.

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ : بيّن وأفرز ما في الصدور من الإيمان والكفر. ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴿١١﴾﴾.

۞۞۞۞

---

(١) توسطت الخيل جمع العدو وكتائبه لقتال أعداء الله.

١٠١- سُورَةُ القَارِعَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾: القيامة وسميت القارعة؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾: أي أي شيء هي؟ فالاستفهام للتهويل من شأنها.

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾: زيادة في تهويل أمرها وتعظيمه.

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾: أي كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض.

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾: أي كالصوف المندوف هذه حالها أولًا، ثم تكون كثيبًا مهيلًا ثم تكون هباء منبثًا. فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾.

فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾: أي يرضاها صاحبها في الجنة فهي مرضية له.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾.

فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾: أي مأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه وهي النار. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾.

نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾: أي هي نار حامية.

❁❁❁❁

١٠٢ - سُورَةُ التَّكَاثُرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ: أي شغلكم عن طاعة الله تعالىٰ.

ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾: أي التباهي بكثرة المال.

حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾: أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرته حتىٰ متم ونقلتم إلىٰ المقابر.

كَلَّا: أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر.

سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾: أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد.

ثُمَّ كَلَّا: أي حقًّا. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾: أي علمًا يقينيًا عاقبة التكاثر لما تفاخرتم بكثرة أموالكم.

لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾: أي النار. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾[1].

ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ: أي يوم ترون الجحيم عين اليقين.

عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾: أي تنعمتم به وتلذذتم من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب.

❁❁❁❁

(١) ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾: أي الأمر الذي لا شك فيه.

١٠٣- سورة العصر

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾: أي الدهر كله.

إِنَّ الْإِنسَانَ : أي جنس الإنسان كله.

لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾: أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله، فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحًا خسر كل الخسران. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ : أي أوصىٰ بعضهم بعضًا باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾: أي أوصىٰ بعضهم بعضًا بالصبر علىٰ اعتقاد الحق وقوله والعمل به.

❁❁❁❁

١٠٤- سورة الهمزة

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾: كلمة يطلب بها العذاب وواد في جهنم، الهُمزة: كثير الهمز، واللمزة كذلك وهم الطعانون المظهرون العيوب للإفساد[1].

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾: أي أحصاه وأعده لحوادث الدهر.

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾: أي يجعله خالدًا في الحياة لا يموت.

كَلَّا : أي ليس الأمر كما يزعم ويظن.

---

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ الهماز بالقول، واللماز بالفعل. يعني يزدري الناس وينتقص بهم قال ابن عباس ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾: طعان معياب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمز في وجهه، واللمزة من خلفه. وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان، ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق). وقال مجاهد: هي عامة) اهـ(ق ل).

لَيُنبَذَنَّ : أي ليطرحن في الحطمة.

فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ : أي النار التي تحطم كل ما يلقىٰ فيها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾﴾.

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ : أي تشرف علىٰ القلوب فتحرقها.

إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ : أي مغلقة مطبقة.

فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ : أي يعذبون في النار بأعمدة ممدة[1].

❁❁❁❁

١٠٥- سُورَةُ الْفِيلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ : أي ألم ينته إلىٰ علمك فعل ربك بأصحاب الفيل.

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ : أي محمود وهو أكبرها ومعه اثنا عشر فيلًا وصاحبها أبرهة.

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ : أي في هدم الكعبة.

فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ : أي في خسار وهلاك.

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ : أي جماعات جماعات.

تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ : أي طين مطبوخ.

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ : أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

❁❁❁❁

(١) ﴿فِي عَمَدٍ﴾: أي موثقين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجليه في فلقة ذات ثُقْب يدخل في رجليه والعمد اسم جمع عمود، والعمود خشبة والممددة المجعولة طويلة جدًّا.

١٠٦- سُورَةُ قُرَيْشٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ : الإيلاف مصدر آلف الشيء يؤالفه إيلافًا إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه[1].

قُرَيْشٍ ﴿١﴾ : هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتىٰ.

إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ : أي إلىٰ اليمن.

وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ : أي إلىٰ الشام.

فَلْيَعْبُدُوا۟ : أي إن لم يعبدوا الله لسائر نعمه فليعبدوه لتحبيب هاتين الرحلتين إليهم.

رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ : أي مالك البيت الحرام ورب كل شيء.

ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ : أي من أجل البيت الحرام.

وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ : أي من أجل البيت الحرام.

❁❁❁❁

---

[1] قوله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾﴾ هذا الجار والمجرور متعلق بكلام قبله وهو فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلتيهم، أو اعجبوا لإيلاف قريش رحلتيهم والرحلتان هما، رحلة الشتاء إلىٰ اليمن، ورحلة الصيف إلىٰ الشام، وذلك لإنجاز وجلب الأرزاق إلىٰ بلادهم التي هي ليست بذات زرع ولا صناعة، فإيلافهم هاتين الرحلتين كان بتدبير الله تعالىٰ ليعيش سكان الحرم وبلده في رغد من العيش فهي نعمة من نعم الله تعالىٰ، وعليه ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾.

١٠٧- سُورَةُ المَاعُونِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ : أي هل عرفته، والدين: ثواب الله وعقابه[1] يوم القيامة.

فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ : أي فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بعنف.

وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ : أي لا يحض نفسه ولا غيره علىٰ إطعام المساكين.

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ : أي العذاب الشديد للمصلين الساهين عن صلاتهم.

ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ : أي يؤخرونها عن أوقاتها.

ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ : أي يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالىٰ في ذلك.

وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ : أي لا يعطون من سألهم ماعونًا، كالإبرة والقدر والمنجل ونحوه مما ينتفع به ويرد بعينه كسائر الأدوات المنزلية.

۞۞۞۞

١٠٨- سُورَةُ الكَوْثَرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ : أي إنا رب العزة والجلال وهبناك يا نبينا الكوثر: أي نهرًا في الجنة.

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ : أي فاشكر ذلك بصلاتك لربك المنعم عليك وحده وانحر له وحده.

إِنَّ شَانِئَكَ : أي مبغضك.

هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ : أي الأقل الأذل المنقطع عقبه.

۞۞۞۞

---

(١) في الكلام حذف تقديره أرأيت الذي يكذب بالدين. أمصيب هو أم مخطئ؟ والجواب قطعًا مخطئ. وخطؤه كفره وشركه وعداوته للإسلام ونبيه وأهله وجزاؤه سيكون جحيمًا وعذابًا أليمًا.

١٠٩- سُورَةُ الكَافِرُون

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ : أي يا رسول الله.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ : أي المشركون وهم الوليد والعاص وابن خلف والأسود بن عبد المطلب.

لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ : أي من الآلهة الباطلة الآن.

وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ : أي الآن.

وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ : أي في المستقبل أبدًا.

وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ : أي في المستقبل أبدًا لعلم الله تعالىٰ بذلك.

لَكُمْ دِينُكُمْ : أي ما أنتم عليه من الوثنية سوف لا تتركونها أبدًا حتىٰ تهلكوا.

وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ : أي الإسلام فلا أتركه أبدًا.

❁❁❁❁

١١٠- سُورَةُ النَّصْر

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ : أي نصر الله نبيه محمدًا ﷺ علىٰ أعدائه المشركين.

وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ : أي فتح مكة.

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ : أي في الإسلام جماعات جماعات.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ : أي نزِّهه عن الشريك متلبسًا بحمده.

وَٱسْتَغْفِرْهُ : أي اطلب منه المغفرة توبة منك إليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾.

❁❁❁❁

١١١- سورة المسد

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ : أي خسرت يدا أبي لهب بن عبد المطلب أي خسر عمله.

وَتَبَّ ﴿١﴾ : أي خسر هو بذاته إذ هو من أهل النار.

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ : أي أيُّ شيء أغنىٰ عنه ماله لما سخط الله تعالىٰ عليه وعذبه في الدنيا والآخرة؟!

وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ : أي من المال والولد وغيرهما.

سَيَصْلَىٰ نَارًا : أي يدخل نارًا يصطلي بحرها ولفحها.

ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ : أي توقد واشتعال.

وَٱمْرَأَتُهُۥ : أي أم جميل العوراء.

حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ : أي تحمل شوك السعدان وتلقيه في طريق[1] النبي ﷺ أذية له وكرهًا.

فِي جِيدِهَا : أي في عنقها.

حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ : أي من ليف.

❁❁❁❁

١١٢- سورة الإخلاص

«مكية»

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ : أي قل لمن سألك يا نبينا عن ربك: هو الله أحد.

ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ : أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، فهو المقصود في قضاء الحوائج علىٰ الدوام.

لَمْ يَلِدْ : أي لا يفنىٰ إذ لا شيء يولد إلا وهو فانٍ بائد لا محالة.

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ : أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان، فهو كائن أولًا وأبدًا.

---

(١) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، ولا منافاة مع ما روي من أنها كانت تحمل حُزمة الشوك؛ إذ هي تفعل هذا أو ذاك.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ : أي لم يكن أحد شبيه له أو مثيل إذ ليس كمثله شيء.

۞۞۞۞

١١٣- سُورَةُ الفَلَقِ

«مدنية»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ : أي أستجير وأتحصن.

بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ : أي الصبح.

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ : من حيوان وجماد[1].

وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ : أي الليل إذ أظلم أو القمر إذا غاب.

وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ : أي السواحر اللاتي ينفثن.

فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ : أي في العقد التي يعقدنها.

وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ : أي إذا أظهر حسده وأعمله.

۞۞۞۞

(١) قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ أي من شر جميع المخلوقات، قال الحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق) اهـ(قل).

١١٤- سُورَةُ النَّاسِ

«مدنية»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ : أي أتحصن وأستجير.

بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ : أي خالقهم ومالكهم.

مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ : أي سيد الناس ومالكهم وحاكمهم.

إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ : أي معبود الناس بحق إذ لا معبود سواه.

مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ : أي من شر الشيطان سمي بالمصدر لكثرة ملابسته له.

ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ : أي الذي يخنس ويتأخر عن القلب عند ذكر الله تعالىٰ.

ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ : أي في قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله تعالىٰ.

مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ : أي من شيطان الجن ومن شيطان الإنس.

❁❁❁❁

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفهرس

مقدمة المؤلف ٦

رجاء ٨

خير فاتحة في التفسير «مقدمة تفسير ابن كثير» ٩

مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل سورة الفاتحة ١٣

طريقة بحث كتاب «كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير» ١٥

الهدف من وراء هذا الكتاب ١٦

بداية الكلام من كتاب أيسر التفاسير ١٧

الاستعاذة ١٨

البسملة ١٨

١- سُورَةُ الفَاتِحَةِ ١٩

الباب الأول: سورة البقرة

٢- سُورَةُ البَقَرَةِ ٢٣

الباب الثاني: من سورة «آل عمران» إلى سورة «التوبة»

٣- سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٨٥

٤- سُورَةُ النِّسَاءِ ١١٧

٥- سُورَةُ المَائِدَةِ ١٥٢

٦- سُورَةُ الأَنْعَامِ ١٧٥

٧- سُورَةُ الأَعْرَافِ ٢٠٠

٨- سُورَةُ الأَنْفَالِ ٢٢٨

٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ ٢٣٧

الباب الثالث: من سورة «يونس» إلى سورة «النحل»

١٠- سُورَةُ يُونُسَ ٢٥٩

١١- سُورَةُ هُودٍ ٢٧٣

١٢- سُورَةُ يُوسُفَ ٢٨٨

١٣- سُورَةُ الرَّعْدِ ٣٠٢

١٤- سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ٣١٠

١٥- سُورَةُ الحِجْرِ ٣١٦

١٦- سُورَةُ النَّحْلِ ٣٢١

الباب الرابع: من سورة «سبحان» أي: «الإسراء» حتى سورة «الفرقان»

١٧- سُورَةُ الإِسْرَاءِ ٣٣٧

١٨- سُورَةُ الكَهْفِ ٣٥٠
١٩- سُورَةُ مَرْيَمَ ٣٦٣
٢٠- سُورَةُ طه ٣٧٢
٢١- سُورَةُ الأَنبِيَاءِ ٣٨٤
٢٢- سُورَةُ الحَجِّ ٣٩٦
٢٣- سُورَةُ المُؤمِنُونَ ٤٠٧
٢٤- سُورَةُ النُّورِ ٤١٦
٢٥- سُورَةُ الفُرْقَانِ ٤٢٧

الباب الخامس: من سورة «الشعراء» حتى سورة «يس»

٢٦- سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٤٣٩
٢٨- سُورَةُ القَصَصِ ٤٦٠
٢٩- سُورَةُ العَنكَبُوتِ ٤٧٣
٣٠- سُورَةُ الرُّومِ ٤٨٣
٣١- سُورَةُ لُقْمَانَ ٤٩١
٣٢- سُورَةُ السَّجْدَةِ ٤٩٦
٣٣- سُورَةُ الأَحْزَابِ ٥٠٠
٣٤- سُورَةُ سَبَإٍ ٥١٣
٣٥- سُورَةُ فَاطِرٍ ٥٢١
٣٦- سُورَةُ يسٓ ٥٢٨

الباب السادس: من سورة الصافات حتى سورة الحجرات

٣٧- سُورَةُ الصَّافَّاتِ ٥٣٩
٣٨- سُورَةُ صٓ ٥٤٨
٣٩- سُورَةُ الزُّمَرِ ٥٥٦
٤٠- سُورَةُ غَافِرٍ ٥٦٧
٤١- سُورَةُ فُصِّلَتْ ٥٧٨
٤٢- سُورَةُ الشُّورَىٰ ٥٨٦
٤٣- سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٥٩٥
٤٤- سُورَةُ الدُّخَانِ ٦٠٥
٤٥- سُورَةُ الجَاثِيَةِ ٦١٠
٤٦- سُورَةُ الأَحْقَافِ ٦١٦
٤٧- سُورَةُ مُحَمَّدٍ أو القِتَالِ ٦٢٣
٤٨- سُورَةُ الفَتْحِ ٦٢٩

الباب السابع: حزب المفصل

٤٩- سُورَةُ الحُجُرَاتِ ٦٣٩
٥٠- سُورَةُ قٓ ٦٤٣
٥١- سُورَةُ الذَّارِيَاتِ ٦٤٩
٥٢- سُورَةُ الطُّورِ ٦٥٤
٥٣- سُورَةُ النَّجْمِ ٦٥٩
٥٤- سُورَةُ القَمَرِ ٦٦٤
٥٥- سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ ٦٦٩
٥٦- سُورَةُ الوَاقِعَةِ ٦٧٤
٥٧- سُورَةُ الحَدِيدِ ٦٨٠
٥٨- سُورَةُ المُجَادِلَةِ ٦٨٧
٥٩- سُورَةُ الحَشْرِ ٦٩٢
٦٠- سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ ٦٩٨
٦١- سُورَةُ الصَّفِّ ٧٠٢
٦٢- سُورَةُ الجُمُعَةِ ٧٠٥
٦٣- سُورَةُ المُنَافِقُونَ ٧٠٧
٦٤- سُورَةُ التَّغَابُنِ ٧٠٩
٦٥- سُورَةُ الطَّلَاقِ ٧١٢
٦٦- سُورَةُ التَّحْرِيمِ ٧١٥
٦٧- سُورَةُ المُلْكِ ٧١٧
٦٨- سُورَةُ القَلَمِ ٧٢٠
٦٩- سُورَةُ الحَاقَّةِ ٧٢٤
٧٠- سُورَةُ المَعَارِجِ ٧٢٧
٧١- سُورَةُ نُوحٍ ٧٣٠
٧٢- سُورَةُ الجِنِّ ٧٣٢
٧٣- سُورَةُ المُزَّمِّلِ ٧٣٥
٧٤- سُورَةُ المُدَّثِّرِ ٧٣٧
٧٥- سُورَةُ القِيَامَةِ ٧٤٠
٧٦- سُورَةُ الإِنسَانِ ٧٤٣
٧٧- سُورَةُ المُرْسَلَاتِ ٧٤٦
٧٨- سُورَةُ النَّبَإِ ٧٤٩
٧٩- سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٧٥١
٨٠- سُورَةُ عَبَسَ ٧٥٣
٨١- سُورَةُ التَّكْوِيرِ ٧٥٥
٨٢- سُورَةُ الانفِطَارِ ٧٥٧

٨٣- سُورَةُ المُطَفِّفِينَ ٧٥٩
٨٤- سُورَةُ الانشِقَاقِ ٧٦٢
٨٥- سُورَةُ البُرُوجِ ٧٦٤
٨٦- سُورَةُ الطَّارِقِ ٧٦٥
٨٧- سُورَةُ الأَعْلَى ٧٦٦
٨٨- سُورَةُ الغَاشِيَةِ ٧٦٨
٨٩- سُورَةُ الفَجْرِ ٧٧٠
٩٠- سُورَةُ البَلَدِ ٧٧٢
٩١- سُورَةُ الشَّمْسِ ٧٧٤
٩٢- سُورَةُ اللَّيْلِ ٧٧٦
٩٣- سُورَةُ الضُّحَى ٧٧٨
٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ ٧٧٩
٩٥- سُورَةُ التِّينِ ٧٨٠
٩٦- سُورَةُ العَلَقِ ٧٨١
٩٧- سُورَةُ القَدْرِ ٧٨٣
٩٨- سُورَةُ البَيِّنَةِ ٧٨٤
٩٩- سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ ٧٨٥
١٠٠- سُورَةُ العَادِيَاتِ ٧٨٦
١٠١- سُورَةُ القَارِعَةِ ٧٨٧
١٠٢- سُورَةُ التَّكَاثُرِ ٧٨٨
١٠٣- سُورَةُ العَصْرِ ٧٨٨
١٠٤- سُورَةُ الهُمَزَةِ ٧٨٩
١٠٥- سُورَةُ الفِيلِ ٧٩٠
١٠٦- سُورَةُ قُرَيْشٍ ٧٩٠
١٠٧- سُورَةُ المَاعُونِ ٧٩١
١٠٨- سُورَةُ الكَوْثَرِ ٧٩٢
١٠٩- سُورَةُ الكَافِرُونَ ٧٩٣
١١٠- سُورَةُ النَّصْرِ ٧٩٣
١١١- سُورَةُ المَسَدِ ٧٩٤
١١٢- سُورَةُ الإِخْلَاصِ ٧٩٤
١١٣- سُورَةُ الفَلَقِ ٧٩٥
١١٤- سُورَةُ النَّاسِ ٧٩٥